كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

نسخ ٢٣

١٥٧

وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين
السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر
حرره الفقير ... المفتش بأوقاف الحرمين
أحمد شيخ زاده غفر لهما

١٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا. فتحدى بأقصر
سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء. فلم يجد به قديرا. وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء
عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا. ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا
آياته وليتذكر أولوا الألباب تذكيرا. فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا. وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا
قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا. ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها
ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا. فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد.
ومن لم يرفع إليه رأسه. وأطفأ نبراسه. يعش ذميما ويصلى سعيرا. فيا واجب الوجود. ويا فائض الجود.
ويا غاية كل مقصود. صل عليه صلاة توازي غناءه. وتجازي عناءه. وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا.
وأفض علينا من بركاتهم. واسلك بنا مسالك كراماتهم. وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا. وبعد فإن أعظم
العلوم مقدارا. وأرفعها شرفا ومنارا. علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها. ومبنى قواعد
الشرع وأساسها. لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها
وفاق في الصناعات العربية. والفنون الأدبية بأنواعها. ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن
كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين. وينطوي
على نكت بارعة. ولطائف رائعة. استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين. وأماثل المحققين. ويعرب
عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين. والشواذ المروية عن القراء المعتبرين. إلا أن قصور
بضاعتي يثبطني عن الإقدام. ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام. حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به
عزمي على الشروع فيما أردته. والإتيان بما قصدته. ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل
وأسرار التأويل. فها أنا أشرع وبحسن توفيقه أقول. وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤول.

سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه. فكأنها أصله ومنشؤه. ولذلك تسمى
أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده
أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب
السعداء. ومنازل الأشقياء. وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء
وتعليم المسألة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها أو استحبابها فيها والشافية والشفاء
لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية
دون أنعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة
وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك

والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة
فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده. وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله. ولنا أحاديث
كثيرة منها ما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم. وقول
أم سلمة قرأ رسول الله عليه السلام الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية. ومن أجلهما اختلف
في أنها آية برأسها أم بما بعدها والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على إثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين. والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ
لأن الذي يتلوه مقروء. وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك أولى من أن يضمر أبدأ
لعدم ما يطابقه ويدل عليه أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه وتقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله
بسم الله مجريها ومرسيها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق
للوجود فإن اسمه مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا
ما لم يصدر باسمه لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى
متبركا باسم الله أقرأ وهذا وما بعده مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد
على نعمه ويسأل من فضله وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام التأكيد والاسم
عند البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة استعمالها وبنيت أوائلها على السكون
وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن.
ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله أسماك سمى مباركا
آثرك الله به إيثاركا. والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفعة للمسمى وشعار له
ومن السمة عند الكوفيين وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاله ورد
بأن الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل
سورة سمه. والاسم إن أريد به اللفظ فغير المسمى لأنه من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف
الأمم والأعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وإن أريد به ذات الشيء
فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تبارك وتعالى سبح اسم ربك المراد به اللفظ لأنه كما
يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الألفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الأدب
أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر إلى الحول ثم اسم السلام عليكما. وإن أريد به الصفة كما هو
رأي الشيخ أبي الحسن الأشعري انقسم انقسام الصفة عنده إلى ما هو نفس المسمى وإلى ما هو غيره وإلى
ما ليس هو ولا غيره وإنما قال بسم الله ولم يقل بالله لأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه أو للفرق
بين اليمين والتيمن ولم تكتب الألف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا
عنها والله أصله إله فحذفت الهمزة وعوض عنها الألف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع إلا أنه يختص
بالمعبود بالحق والإله في الأصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من أله
إلاهة وألوهة وألوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من أله إذا تحير لأن العقول تتحير في معرفته
أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره والأرواح تسكن إلى معرفته
أو من أله إذا فزع من أمر نزل عليه وآلهه غيره أجاره إذ العائذ يفزع إليه وهو يجيره حقيقة أو بزعمه

أو من أله الفصيل إذا أولع بأمه إذ العباد يولعون بالتضرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحير
وتخبط عقله وكان أصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه
وقيل إله كإعاء وإشاح ويرده الجمع على آلهة دون أولهة وقيل أصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها إذا احتجب وارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق
به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من أبي رياح ● يسمعها لاهه الكبار ● وقيل علم لذاته المخصوصة لأنه يوصف
ولا يوصف به ولأنه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولأنه لو كان
وصفا لم يكن قول لا إله إلا الله توحيدا مثل لا إله إلا الرحمن فإنه لا يمنع الشركة والأظهر أنه وصف
في أصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق أجري مجراه
في إجراء الأوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة إليه لأن ذاته من حيث
هو هو بلا اعتبار أمر آخر حقيقي أو غيره غير معقول للبشر فلا يمكن أن يدل عليه بلفظ ولأنه لو دل
على مجرد ذاته المخصوص لما أفاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولأن معنى الاشتقاق
هو كون أحد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الأصول المذكورة وقيل
أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الأخيرة وإدخال اللام عليه وتفخيم لامه إذا انفتح ما قبله
أو انضم سنة وقيل مطلقا وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء
لضرورة الشعر شعر ألا لا بارك الله في سهيل ● إذا ما الله بارك في الرجال ● الرحمن الرحيم ●
اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف
يقتضي التفضل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها وأسماء الله تعالى إنما تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات والرحمن أبلغ من الرحيم لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك إنما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وأخرى باعتبار الكيفية فعلى الأول قيل
يا رحمان الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيم الدنيا لأن النعم الأخروية كلها جسام وأما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وإنما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره لأن
معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لأن من عداه فهو مستعيض بلطفه
وإنعامه يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء أو مزيح رقة الجنسية أو حب المال عن القلب ثم إنه كالواسطة
في ذلك لأن ذات النعم ووجودها والقدرة على إيصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التي بها يحصل الانتفاع إلى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها أحد غيره أو لأن الرحمن لما دل على جلائل
النعم وأصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف أو للمحافظة على رؤوس الآي
والأظهر أنه غير منصرف وإن حظر اختصاصه بالله أن يكون له مؤنث على فعلى أو فعلانة إلحاقا له بما هو
الغالب في بابه وإنما خص التسمية بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في مجامع الأمور
هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره إلى جناب
القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره ● الحمد لله ● الحمد هو الثناء على الجميل
الاختياري من نعمة أو غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول
حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما أخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا شعر

افادكم

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ● يدي ولساني والضمير المحجبا ● فهو أعم منهما من وجه وأخص من آخر
ولما كان الحمد من شعب الشكر أشيع للنعمة وأدل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله وأصله النصب وقد قرئ به وإنما عدل عنه إلى الرفع
ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بأفعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد أن الحمد ما هو أو للاستغراق
إذ الحمد في الحقيقة كله له إذ ما من خير إلا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه
إشعار بأنه تعالى حي قادر مريد عالم إذ الحمد لا يستحقه إلا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله
بإتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث إنهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة ●
رب العالمين ● الرب في الأصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به
للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك
لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيدا كقوله ارجع إلى ربك والعالم اسم لما يعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لإمكانها
وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته يدل على وجوده وإنما جمعه ليشمل ما تحته من الأجناس المختلفة
وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر أوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فإن كل واحد منهم
عالم من حيث إنه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما أبدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون وقرئ
رب العالمين بالنصب على المدح أو النداء أو بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على أن الممكنات
كما هي مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة إلى المبقي حال بقائها ● الرحمن الرحيم ● كرره للتعليل
على ما سنذكره ● مالك يوم الدين ● قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم
لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لأنه قراءة أهل الحرمين
ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء
من الملك والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر
مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان
وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ● أضاف اسم الفاعل إلى الظرف
إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع ● كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار ● ومعناه ملك الأمور
يوم الدين على طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة
حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين
وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمر فيه وإجراء هذه الأوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها
مالكا لأمورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه

على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من
لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده وهو
اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث
للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات ووجوب عليه قضية
لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة
فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين ● اياك نعبد واياك نستعين ●
ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم
بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون
ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وبنى اول
الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في الائه
والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض
لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين
الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى اخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت وقول امرئ القيس شعر تطاول ليلك بالاثمد ● ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ● كليلة ذي العائر الارمد ● وذلك من نبا جاءني ● وخبرته عن ابي الاسود
وايا ضمير منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم
والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا
مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر
النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل
وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار
الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر
للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة
التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين
للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه
نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره

الى المعبود

الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث
انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة
جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها
ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه
عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدم
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الاي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى
الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه
فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة
بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها ● اهدنا الصراط
المستقيم ● بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود
الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم
على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى
باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا
لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة
بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال وهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف
على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم
يختص بنيله الانبياء والاولياء واياها عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات
عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك
لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء
يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية
قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت
في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق
الحق وقيل هو ملة الاسلام ● صراط الذين انعمت عليهم ● بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو
في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق
المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه
من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم

الانبياء وقيل النبي عم واصحابه وقيل اصحاب موسى وعيسى عم قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط
من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني
كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق
البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية
النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة
والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين
مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد من النعمة هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم
الاخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل
من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم
جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد
التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله شعر ولقد امر على اللئيم
يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى
ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور
والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس
ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل
بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك
جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه
واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى
لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة
والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان
المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى
في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ
ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو
استجب وعن ابن عباس سالت رسول الله عم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة سورة
الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع
بها صوته وعن ابي حنيفة رح انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس
والمأموم يؤمن معه لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين

وان الامام

وان الامام يقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضه
ان رسول الله عم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت
بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس رض قال
بينا رسول الله عم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عم قال
ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع
وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عم قال من قرا
حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه
باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى
اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل
ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها
لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى
بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله
لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي
الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك
ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي
حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف
مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك
خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع
امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها
حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة
نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف
والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها
ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة
الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد
والزاي في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بابك

حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا
في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد
والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الأقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الأكثر
الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الإدغام من الخفة والفصاحة ومن الأربعة
التي لا يدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت
الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء
والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز
عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة أحرف تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها
وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
إيذانا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا إلى الخمسة وذكر
ثلاث مفردات في ثلاث سور لأنها توجد في الأقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيات لأنها
تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور
لوقوعها في كل واحد من الأقسام الثلاثة على ثلاثة أوجه ففي الأسماء من وإذ وذو وفي الأفعال قل وبع
وخف وفي الحروف إن ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الأقسام الثلاثة في ثلاث
عشرة سورة تنبيها على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر منها عشرة للأسماء وثلاثة للأفعال
ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على أن لكل منهما أصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها
فرقت على السور ولم تعد بأجمعها في أول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من إعادة التحدي وتكرير
التنبيه والمبالغة فيه والمعنى أن هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف أو المؤلف منها كذا
وقيل هي أسماء السور وعليه إطباق الأكثر سميت بها إشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن
وحيا من الله لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب
بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به
وإن كانت مفهمة فإما أن يراد بها السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني باطل
لأنه إما أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر أنه ليس كذلك أو غيره وهو باطل لأن القرآن
نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز أن تكون
مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب أو إشارة إلى كلمات هي منها
اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي عن ابن عباس أنه قال
الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه أن الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه أن الم معناه
أنا الله أعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه أن الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي
القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما السلام أو إلى مدد أقوام وآجال بحساب الجمل كما قال أبو العالية
متمسكا بما روي أنه عليه السلام لما أتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته
إحدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله فقالوا هل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا
فلا ندري بأيها نأخذ فإن تلاوته إياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك
وهذه الدلالة وإن لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة

والسجيل

والسجيل والقسطاس أو دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث إنها بسائط أسماء الله
ومادة خطابه هذا وإن القول بأنها أسماء السور يخرجها إلى ما ليس في لغة العرب لأن التسمية
بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي إلى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء
عن الكل من حيث إن الاسم متأخر عن المسمى بالرتبة لأنا نقول هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستئناف يلزمها وغيرها من حيث إنها فواتح السور ولا يقتضي
ذلك أن لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم أما الشعر فشاذ
وأما قول ابن عباس فتنبيه على أن هذه الحروف منبع الأسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة
ألا ترى أنه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها
إذ لا مخصص لفظا ولا معنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز أنه تبسم
تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وإن كان غير ممتنع لكنه يحوج إلى إضمار أشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلاثة أسماء إنما تمتنع إذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فأما إذا
نثرت نثر أسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من أسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته
ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الأول أقرب إلى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل وأسلم
من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الأعلام من واضع واحد فإنه يعود بالنقض على ما هو مقصود
العلمية وقيل إنها أسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل إنها أسماء الله تعالى ويدل
عليه أن عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل الألف من أقصى
الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها
إيماء إلى أن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله وقيل إنه سر استأثره الله بعلمه
وقد روي عن الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله
ورموز لم يقصد بها إفهام غيره إذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فإن جعلتها أسماء الله أو القرآن أو السور
كان لها حظ من الإعراب إما الرفع على الابتداء أو الخبر أو النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن
بالنصب أو غيره كاذكر أو الجر على إضمار حرف القسم ويتأتى الإعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
أو موازنة لمفرد كحم فإنها كهابيل والحكاية ليست إلا فيما عدا ذلك وسيعود إليك ذكره مفصلا إن شاء الله
تعالى وإن أبقيتها على معانيها فإن قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الخبر
على ما مر وإن جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا أو مجرورا على اللغتين في الله لأفعلن وتكون
جملة قسمية بالفعل المقدر له وإن جعلتها أبعاض كلمات أو أصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن
لها محل من الإعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام إذا قدرت بحيث
لا تحتاج إلى ما بعدها وليس شيء منها آية عند غير الكوفيين وأما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص
وطه وطسم وحم ويس آية وحم عسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه
ذلك الكتاب • ذلك إشارة إلى الم إن أول بالمؤلف من هذه الحروف أو فسر بالسورة أو القرآن وأشير
بما يشار إلى البعيد فإنه لما تكلم به وتقضى أو وصل من المرسل إلى المرسل إليه صار متباعدا وتذكيره متى
أريد بالم السورة لتذكير الكتاب فإنه خبره أو صفته الذي هو هو أو إلى الكتاب فيكون صفته والمراد به

الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به
المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب لانه مما يكتب واصل
الكتب الجمع ومنه الكتيبة • لا ريب فيه • معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل
بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في
ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة
نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحققوا ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة
وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب
في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق
النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه
ريب الزمان لنوائبه • هدى للمتقين • يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى
ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى لعلى هدى
او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون
به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى
للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف
النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة والى هذا اشار
قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل
في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط
الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعني بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا
واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها
من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان
اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية
للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي
بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على لا ريب
على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره
على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم
خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفته والاولى ان يقال انها اربع جمل
متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به

هو

هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت
بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه اذ لا كمال اعلى مما للحق اليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ
رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل للمدلول
وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه
انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة
وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود
مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف
والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية
المشارف للتقوى متقيا مجازا تفخيما لشأنه • الذين يؤمنون بالغيب • اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل
او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان
والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر
الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله الصلاة عماد
الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه المتقون وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلاة
وايتاء الزكاة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف
على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كأن المصدق آمن المصدق من التكذيب
والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن
ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم
بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق
والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق
ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه للتصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب فقال
كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل
الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فانه اقرب الى
الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق
بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه
ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا
او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بداهة العقل وهو قسمان قسم
لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل
كالصانع وصفاته واليوم الآخر واحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا اذا جعلته صلة الايمان

وأن تقع موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم
يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم
قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة • ويقيمون الصلوة • اي يعدلون
اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت
السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب • لاهل العراقين حولا
قميطا • فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود
والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله لا المصلون الذين
هم على صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله
على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى
الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد
ومما رزقناهم ينفقون • الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف
خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه
منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا
بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله بقوله
قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق
والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عم في حديث
عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن
رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب
والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرفه مطلقا الى الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر
افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة
على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع
المعاون التي اتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق
منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون • والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك • هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون
بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك
وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس او على المتقين وكانه

قال

قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط
العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله يا لهف
زيابة للحارث • الصابح فالغانم فالايب • على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة
والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول
تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين
عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء
من علو الى سفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به فيبلغه
على الرسول والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان
بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التورية
والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة والايمان بهما جميعا فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا
من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب حرجا وفساد
المعاش • وبالاخرة هم يوقنون • اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها
الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو
من جنس نعيم الدنيا او غيره ودوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض لمن
عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم
بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة
تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الي مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • اولئك على هدى
من ربهم • الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبرا له وكانه لما قيل هدى للمتقين
قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى اخر الايات والا فاستئناف لا محل لها وكانه
نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف
بصفاته المذكورة وهو ابلغ من الاستيناف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضى وتلخيصه فان ترتب
الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم
عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى
وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر
هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى • على خالد لقد وقعت على لحم • واكد تعظيمه بان الله مانحه و
موفقه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة • واولئك هم المفلحون • كرر فيه اسم الاشارة تنبيها
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم

وتوسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى
فهي بمعزل عن العطف وهم فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب
كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل
على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة
او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل
مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم
وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين
الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا
ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى
والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات
والنذر ولم تعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم
وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت
عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون
الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه
الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها
فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة
وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له
في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم
اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود
او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر
النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي
الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا
لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها
واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة مخبر عنه واجيب بانه
مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم

انذارك

انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار
عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا
على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا يوم ينفع
الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل
لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا
عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه
اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت
البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها
الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة
او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم
الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء
او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد
العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل
سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار
بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء
بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة
من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية في الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات
بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم
تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق
كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما
وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع في قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال
في قوله ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث ان الممكنات
باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله بل طبع
الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم
ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق

وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل
حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر ختم الله تعالى عليها ونظيره
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان
او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم
لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء
على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم
في الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية
السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة
فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال
ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه
ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع
الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك
الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن
عن اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس
سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو
وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل
العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز
امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء
عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير
وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم
بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة • ولهم عذاب عظيم • وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني
عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف انه اذا قيس
بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة
ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاء التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه
الا الله • ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر • لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة ما ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين

امنوا

آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم
موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم
وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم
انسان واناسي وحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد
يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت
فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك
سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن
ابي واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم
على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس
انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص
الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم
احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون
فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر
ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم
وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم
لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى
المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر
الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
وما هم بمؤمنين • انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في
شأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد
المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان على معنى
انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى
الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب
عما يوافقه او ينافيه مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا تنهض حجة عليهم • يخادعون الله
والذين آمنوا • الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم
خدع الضب اذا توارى في جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من
باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة
تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا
خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله

كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة
صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم
وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عم
والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة
صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو
الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب
فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين ويطلعوا على اسرارهم ويذيعوها
الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع
وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا
انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ
وما يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول
ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي به
وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي
في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون لا يحسون بذلك لتمادي
غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا
على مؤف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به
ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية
والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر
الرسول عم واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
كانت مؤفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل في قلوبهم من الجبن
والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين او امداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته
تضعيفه بما زاد لرسوله عم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال
الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة
جد جده بما كانوا يكذبون قرأه عاصم والكسائي وحمزة والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم
وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا

الى شياطينهم

الى شياطينهم او من كذب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو
وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عم كذب ثلث كذبات
فالمراد التعريض ولكن لما شابه في صورته سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون
او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهلها ليس الذين كانوا فقط
وسيكون من بعد من حاله حالهم لان هذه الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب
والفتن بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض
من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها
مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين قالوا
انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا
ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد حصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد
منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض
كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان
همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك
لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان
المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك
بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون
في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني
المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي
ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه
او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء
ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه
والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان العقل والحلم مقابله الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة
واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية
بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق

والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم ۞ واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت
به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة
فقال لقومه انظروا كيف اردّ هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد
بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد
بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم
رسول الله وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته
اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى ۞ واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد شياطينهم الذين ماثلوا الشيطان
في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له
قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل ۞ قالوا انا معكم اي في الدين
والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا
بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانهم لم يكن لهم باعث
من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين
من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار ۞ انما نحن مستهزءون ۞ تاكيد لما قبله لان المستهزئ
بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف وكان الشياطين
قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك و
والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزات بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو
القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف ۞ الله يستهزئ بهم ۞
يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او
لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح
لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين
امنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين
ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قولهم ايذانا بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله
فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ۞ ويمدهم في طغيانهم يعمهون ۞ من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملى لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر
عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم

بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا
اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد
الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي فقال واخوانهم
يمدونهم في الغي او اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا
الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله واختار موسى قومه
او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر
كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال
الله انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه ۞ اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى ۞ اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان
احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي
العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد
ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا
ازعرا ۞ وبالثنايا الواضحات الدردرا ۞ وبالطويل العمر عمرا جيدرا ۞ كما اشترى المسلم اذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله
الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى ۞ فما ربحت تجارتهم ۞ ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه
ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية ۞ وعشش في وكريه جاش له صدري
والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده
الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح
والخسران ۞ وما كانوا مهتدين ۞ لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم كانت الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه
الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق
ونيل الكمال فبقوا خاسرين ايسين من الربح فاقدين للاصل ۞ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ۞
لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب
واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ
عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون وقوله ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي
بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم
يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة

بها ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ألا يجمع كما لا يجمع أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا. فلما أضاءت ما حوله أي النار ما حول المستوقد إن جعلتها متعدية وإلا أمكن أن تكون مسندة إلى ما والتأنيث لأن ما حوله أشياء وأماكن أو إلى ضمير النار وما موصولة في معنى الأمكنة نصب على الظرف أو مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور. ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا إنما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها أو استئناف أجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفأت ناره أو بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز وأمن الإلباس وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بفعله أو لأن الإطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر أو للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله وأمسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ إلى النور فإنه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض إزالة النور عنهم رأسا ألا ترى كيف قرر ذلك وأكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بأنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الأصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى أفعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أو ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد أو ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح فكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فأضاعه ولم يتوصل به إلى نعيم الأبد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية الأولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فإنهم أضاعوا ما نطقت به ألسنتهم من الحق باستبطان الكفر وإظهاره حين خلوا إلى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة أو ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له أحوال الإرادة فادعى أحوال المحبة فأذهب الله عنه ما أشرق عليه من نور الإرادة أو مثل لإيمانهم من حيث إنه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والأحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب أثره وانطماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله إياها وإذهاب نورها. صم بكم عمي لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ويتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما أيفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا وكقوله أصم عن الشيء الذي لا أريده وأسمع خلق الله حين أريد وإطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة إذ من شرطها

ان يطوى

أن يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال أبو تمام الطائي ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء وههنا وإن طوي ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره أسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا إذا جعلت الضمير للمنافقين على أن الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وإن جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى أنهم لما أوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة أدهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم أصله صلابة من اكتناز الأجزاء ومنه قيل حجر أصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لأن سببه أن يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وقد يقال لعدم البصيرة. فهم لا يرجعون لا يعودون إلى الهدى الذي باعوه وضيعوه أو عن الضلالة التي اشتروها أو فهم متحيرون لا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وإلى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم. أو كصيب من السماء عطف على الذي استوقد أي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون أصابعهم وأو في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد أرض بيننا وسماء أمد به ما في الصيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية. فيه ظلمات ورعد وبرق إن أريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا. يجعلون أصابعهم في آذانهم الضمير لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع موضع الأنامل للمبالغة. من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا

الدال عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته
الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الأصل
إما صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة حذر
نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكرما والموت
زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام
مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع
والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف أبصارهم استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول
ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه
لم يوجد إما لفقد شرط أو لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف
عسى وخبرها مشروط فيه أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة
على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة
والخطف الأخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء إلى الخاء
ثم أدغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وإتباع الياء لها ويتخطف كلما أضاء
لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق
وخفيته فأجيب بذلك وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى أخذوه أو
لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل
ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا ظلاميهما
عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق إذا ركدت وقام
الماء إذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي ولو شاء أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وأبصارهم بوميض البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء
وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ولو من
الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء
لازمه وقرئ لأذهب بأسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة
وفائدة هذه الشرطية إبداء المانع لذهاب سمعهم وأبصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على
أن تأثير الأسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وأن وجودها مرتبط بأسبابها واقع بقدرته
وقوله إن الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لأنه في الأصل
مصدر شاء أطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال تعالى قل أي شيء أكبر شهادة
قل الله شهيد وبمعنى مشيء أخرى أي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه
قوله تعالى إن الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا
الشيء ما يصح أن يوجد وهو يعم الواجب والممكن أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع أيضا

لزمهم

لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من إيجاد الشيء وقيل صفة
تقتضي التمكن وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي
العجز عنه والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل على
مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه
مقدوران وأن مقدور العبد مقدور لله تعالى لأنه شيء وكل شيء مقدور له تعالى والظاهر
أن التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو أن تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت أجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فإنه
مثل حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل
حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من انطفأت ناره بعد إيقادها في ظلمة أو بحال من أخذته السماء
في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد
وهو أن تأخذ أشياء فرادى فتشبهها بأمثالها كقوله وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور
ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب
والحشف البالي بأن تشبه في الأول ذوات المنافقين بالمستوقدين وإظهارهم الإيمان باستيقاد
النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الأموال والأولاد وغير ذلك بإضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب بإهلاكهم وإفشاء حالهم وإبقائهم في الخسار الدائم والعذاب
السرمد بإطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني أنفسهم بأصحاب الصيب وإيمانهم المخالط بالكفر
والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث إنه وإن كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الأصابع
في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث إنه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار
وتحيرهم لشدة الأمر وجهلهم بما يأتون ويذرون بأنهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة
مع خوف أن يخطف أبصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم إذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم
وقيل شبه الإيمان والقرآن وسائر ما أوتي الإنسان من المعارف التي هي سبب الحياة الأبدية بالصيب
الذي به حياة الأرض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة
بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون
من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها وهو معنى
قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يطمح له أبصارهم على
تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها إلى الهدى والفلاح ثم إنهم صرفوها إلى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها لأنفسهم فإنه على ما يشاء قدير يا أيها
الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم أقبل عليهم بالخطاب
على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا لكلفة
العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد إما
لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه

بالمعبود وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة
إلى نداء المعرف باللام فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي
حكم المنادى وأجري عليه المقصود بالنداء وصفاً موضحاً له والتزم رفعه إشعاراً بأنه المقصود وأقحمت
بينهما هاء التنبيه تأكيداً وتعويضاً عما يقتضيه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه الطريقة
في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا
لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها
المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى
فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعاً ذائعاً فالناس يعم الموجودين وقت
النزول لفظاً ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام
الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين
آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الإتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم إلا به وكما أن
الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين
ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيهاً على أن الموجب للعبادة هي الربوبية. الذي خلقكم
صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين وأريد بالرب أعم
من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير
يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس. والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الإنسان
بالذات أو الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم
إما لاعترافهم به كما قال ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض
ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر وقرئ من قبلكم على إقحام الموصول الثاني بين الأول
وصلته تأكيداً كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم. أقحم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف
إليه. لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا في سلك
المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله تعالى نبه به على أن التقوى
منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله تعالى إلى الله تعالى وأن العابد ينبغي
أن لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفاً وطمعاً يرجون
رحمته ويخافون عذابه أو من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى أنه خلقكم ومن قبلكم في صورة
من يرجى منه التقوى لترجح أمره باجتماع أسبابه وكثرة الدواعي إليه وغلب المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً وقيل تعليل للخلق أي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون وهو ضعيف إذ لم يثبت في اللغة مثله والآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله
تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بأفعاله وأن العبد
لا يستحق بعبادته عليه ثواباً فإنها لما وجبت عليه شكراً لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير
أخذ الأجر قبل العمل. الذي جعل لكم الأرض فراشاً صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو

مبتدا

مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الأفعال العامة يجيء على ثلاثة أوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الأكوار مرتعها قريب وبمعنى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد
كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى إلى مفعولين كقوله جعل لكم الأرض فراشاً والتصيير
يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد أخرى ومعنى جعلها فراشاً أن جعل بعض جوانبها بارزاً عن الماء
مع ما في طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهيأة لأن
يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كروية شكلها مع عظم
حجمها واتساع جرمها لا يأبى الافتراش عليها كالجبل. والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء
اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به
المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء ومنه بنى على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء
جديداً. وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة
الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً في إخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى
عادته بإفاضة صورها وكيفياتها وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما
أبدع نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشائها مدرجاً من حال إلى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولي
الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ليس في إيجاده دفعة ومن الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء
السحاب فإن ما علاك سماء أو الفلك فإن المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دل
عليه الظواهر أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فتنعقد سحاباً
ماطراً ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فأخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له أعني ماء ورزقاً
كأنه قال وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع
إذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثماراً أو للتبيين ورزقاً
مفعول بمعنى المرزوق كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً وإنما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لأنه
أراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من الثمرة على التوحيد
أو لأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله كم تركوا من جنات وقوله ثلاثة قروء أو لأنها لما كانت
محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقاً إن أريد به المرزوق ومفعوله إن أريد به المصدر
كأنه قال رزقاً إياكم. فلا تجعلوا لله أنداداً متعلق باعبدوا على أنه نهي معطوف عليه أو نفي منصوب بإضمار أن
جواباً له أو بلعل على أن نصب تجعلوا نصب فأطلع في قوله تعالى لعلي أبلغ الأسباب أسباب
السماوات فأطلع إلحاقاً لها بالأشياء الستة لاشتراكها في أنها غير موجبة والمعنى إن تتقوا لا تجعلوا
لله نداً أو بالذي جعل إن استأنفت به على أنه نهي وقع خبراً على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء
للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام
ينبغي أن لا يشرك به. والند المثل المناوئ قال جرير أتيماً تجعلون إلي نداً وما تيم لذي حسب نديد
من ند ندوداً إذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته
ولا أنها تخالفه في أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال
من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله

من حجر فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا الانداد لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو
ابن نفيل ۔ أربا واحدا ام الف رب ۔ أدين اذا تقسمت الامور ۔ تركت اللات والعزى جميعا ۔
كذلك يفعل الرجل البصير ۔ وانتم تعلمون ۔ حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي
وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات
موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب
لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون
الآيتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه
انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم
وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما
دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض
عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة
الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ۔ وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله ۔ لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة
محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحم من طولب بمعارضته
من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على
المعازة والمعارة ۔ وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا
لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى عنهم
كما حكى الله عنهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على
هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد
لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات
وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة
على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة
قال ولرهط حراب وقد سورة ۔ في المجد ليس غرابها بمطار ۔ لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة
فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع و
تلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك
عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا
تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد ۔ من مثله

صفة سورة

صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة
مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه
بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق
لقوله فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه
ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابنائهم اي جلدتهم ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه
لقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله ۔ فانه امر بان يستعينوا
بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام
وكأنه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور
ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ۔ ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك
ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية ۔ يا نفس ما لك دون الله من واق ۔ اي اذا تجاوزت وقاية
الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم
وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون
لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم
الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون
لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى ۔ تريك القذى من دونها وهي دونه ۔ ليعينوكم وفي امرهم
ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون
اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى
لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ۔ ان كنتم صادقين ۔ انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة
او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف
التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به ۔ فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ۔ لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا
العذاب المعد لمن كذبه فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم
الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز
وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم
ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم وخطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل

الناس لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة
بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال
فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب
عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء
لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه
وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين
بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف
اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها
الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع
المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوا او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا
يكنزونها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت
وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد
غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك
النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تعالى في سورة
التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة
معلومة. اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما
بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع
في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن
ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا لمعارضته والتجأوا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما يتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم
الى المعارضة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم
الآن. وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات. عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف
حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب
ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء
ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم
بالبشارة كما خوطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنوا بما اعد لهم وقرئ
وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر
السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم

ولدي

ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فعلى طريق التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة
التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة: كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني
وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء
عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى
الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء
الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار
التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة
قال زهير: كأن عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقي جنة سحقا. اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه
من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا
ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها
لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة
المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح
لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع
ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك
واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد هاهنا استغناء بها. تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها
كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها
واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
قالوا هذا الذي رزقنا. صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل
ان لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب
على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال
واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق
بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال
الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا
اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد
منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي

ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا جعل
ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او فى الجنة لان طعامها متشابه الصورة
كما حكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل
فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انه عليه السلام قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول
اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم
وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ فى الصورة • واتوا به متشابها • اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذى رزقنا من قبل
ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل
التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الهيئة واللون دون المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه
هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما
فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ولهم فيها
ازواج مطهرة • مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور
فملت • فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة
ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال
للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم التغذى ودفع
ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها
وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل
الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم
فيها خالدون • دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافى
والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام
كان التقييد بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب
اشتراكا او مجازا والاصل نفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له
من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك
والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل
اجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة لا يقوى شىء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده

ونشاهد

ونشاهد من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم
والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف
الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم فى الاخرة بابهى ما يستلذ به
منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم والسرور • ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا
ما بعوضة • لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون
الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس
ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه
الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل فى الانجيل
غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام
العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا
لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع
فى جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يتمثل بها
لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى الجراءة
على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه
انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما يقال نسى وحشى اذا اعتلت
نساه وحشاه واذا وصف به البارى تعالى كما جاء فى الحديث ان الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم
ان يعذبه ان الله حيى كريم يستحيى اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد
الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت فى اناء من الورد • وانما عدل به عن الترك
لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الاية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع فى كلام الكفرة وضرب
المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شىء على اخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق
التقييد كقولك اعطنى كتابا ما اى اى كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتى فى قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا
نعنى بالمزيدة اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر
مع غيرها فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ
وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف فى قوله تماما على الذى احسن
وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية هى المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم
ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو اصغر من ذلك

نظيره فلان لا يبالي بما يهب ما ديناراً وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب
غلب على هذا النوع كالخموش. فما فوقها. عطف على بعوضة أو ما إن جعل اسماً ومعناه ما زاد عليها
في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى أنه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلاً
عما هو أكبر منه أو في المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو الصغر والحقارة كجناحها فإنه عم ضربه مثلاً للدنيا
ونظيره في الاحتمالين ما روي أن رجلاً بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة سمعت رسول الله عم قال
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة فإنه يحتمل ما تجاوز الشوكة
في الألم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النملة كقوله عم ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النملة. فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم. أما حرف يفصل ما أجمل ويؤكد
ما صدر به ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء
فزيد ذاهب أي هو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء
لكن كرهوا إيلاءها حرف الشرط فأدخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظاً وفي تصدير
الجملتين به إحماد لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في أنه
للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأعيان الثابتة والأفعال الصائبة
والأقوال الصادقة من قولهم حق الأمر إذا ثبت ومنه ثوب محقق أي محكم النسج. وأما الذين كفروا فيقولون
كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلاً
واضحاً على كمال جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه. ماذا أراد الله بهذا مثلاً
يحتمل وجهين أن يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وأن يكون ما مع
ذا اسماً واحداً بمعنى أي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما أراد الله والأحسن في جوابه الرفع على الأول
والنصب على الثاني ليطابق السؤال الجواب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها
عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والأول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور
اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى إرادته فقيل إرادته لأفعاله أنه غير ساه ولا مكره
ولأفعال غيره أمره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته وقيل علمه باشتمال الأمر على النظام الأكمل
والوجه الأصلح فإنه يدعو القادر إلى تحصيله والحق أنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه أو معنى يوجب هذا الترجيح وهي أعم من الاختيار فإنه ميل مع تفضيل وفي هذا
استحقار واسترذال ومثلاً نصب على التمييز أو الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية. يضل به
كثيراً ويهدي به كثيراً. جواب ماذا أي إضلال كثير وإهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للإشعار
بالحدوث والتجدد أو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً هدى وبيان
وأن الجهل بوجه إيراده والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين
بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابليهم فإن المهديين قليلون بالإضافة إلى أهل الضلال
كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل أن يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة
المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا وقال إن الكرام
كثير في البلاد وإن قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا. وما يضل به إلا الفاسقين. أي الخارجين
عن حد الإيمان كقوله تعالى إن المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت

وأصل

وأصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقاً عن قصدها جوائراً. والفاسق في الشرع
الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الأولى التغابي وهو أن يرتكبها أحياناً
مستقبحاً إياها والثانية الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو
أن يرتكبها مستصوباً إياها فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه
ولابس الكفر وما دام في درجة التغابي أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق
الذي هو مسمى بالإيمان ولقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا
الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسماً
ثالثاً نازلاً بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الأحكام وتخصيص الإضلال
بهم مرتباً على صفة الفسق يدل على أنه الذي أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال به لأن كفرهم
وعدولهم عن الحق وإصرارهم بالباطل صرفت وجوه أفكارهم عن حكمة المثل إلى حقارة الممثل حتى رسخت
به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه واستهزؤوا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون
بالرفع. الذين ينقضون عهد الله. صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب
وأصله في طاقات الحبل واستعماله في إبطال العهد من حيث إن العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط أحد
المتعاهدين بالآخر فإن أطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحاً للمجاز وإن ذكر مع العهد كان رمزاً إلى ما هو
من روادفه وهو أن العهد حبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف
منه الناس فإن فيه تنبيهاً على أنه أسد في شجاعته بحر بالنظر إلى إفادته والعهد الموثق ووضعه لما
من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها والتاريخ
لأنه يحفظ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم أو المأخوذ بالرسل
على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ولم يخالفوا
حكمه وإليه أشار بقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلاثة عهد
أخذه على جميع ذرية آدم بأن يقروا بربوبيته وعهد أخذ على النبيين بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
وعهد أخذ على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه. من بعد ميثاقه. الضمير للعهد والميثاق
اسم لما تقع به الوثاقة وهي الإحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب أو ما
وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فإن ابتداء النقض
بعد الميثاق. ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل. يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والإعراض
عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عم والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر
ما فيه رفض خير أو تعاطي شر فإنه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل
وفصل والأمر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد
الأمور تسمية للمفعول به بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه إذا
قصدت قصده وأن يوصل يحتمل النصب والخفض على أنه بدل من ما أو ضميره والثاني أحسن لفظاً ومعنى
ويفسدون في الأرض. بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه
أولئك هم الخاسرون. الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية

واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب. كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لانه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اكفرتم واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون. وكنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة. فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي. ثم يميتكم عند تقضي آجالكم. ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور. ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه. فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون. قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته. او الخطاب مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم. فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر. قلت لما كانت وصلة الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحد من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا. او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة. وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن. هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه. وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل

لكل

لكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو. وجميعا حال من الموصول الثاني. ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق. والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر. فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة عن العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او هو في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا. سبع سماوات بدل او تفسير. فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف. وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تبددت وتفتتت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم. واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير. واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته. وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد. واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته. واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية

المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخل في حكم الصلة وعن معمر
انه مزيدة والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب
مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف
العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انهم ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها
اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها
جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم
العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به
القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية
على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس
في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجبال والجزائر اني جاعل في الارض خليفة جاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة
اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم الله
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام
ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري
تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله
او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره
عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلفا يخلفكم وفائدة
قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة
قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب
خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل
الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما
يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في خاطره صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن
في بني آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم
ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع
من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في

عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل
موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة
لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون
احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب
والتفاخر وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد
وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو
باعتبار تلك القوتين لا تقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع
منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة
للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما
يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل
الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون والتسبيح
تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد
ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي ملتبسين بحمدك
على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم
الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق
علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح
بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق
منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس
ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى
الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة
والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف
على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول
العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان
العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد
به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على
معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة
فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال
وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما

ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق
بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق
اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان
لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم
ومراعاة للادب بتفويض العلم كله الى الله تعالى سبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا
باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر
وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عم
سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الحكيم الذي لا يخفى عليه
خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم
باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم
اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اعلم ما لا
تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو
ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية
والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف
الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده
الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه لمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي
سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد
على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء
منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل
من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم باسمائهم وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل
ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على
الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع
تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى و

آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما
قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه
من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان شعر
أليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك
الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل
والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا
بانه افضل والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية
تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا
لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز
ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة
وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة
عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون
به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة
من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة
ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة
والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قال ابن عباس ولذلك صح عليه
التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة انه عم قال خلقت الملائكة
من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد
حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره
وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري
وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد

المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له الجنة
دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين
او بين فارس وكرمان خلقه الله امتحانا لادم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى
اهبطوا مصرا • وكلا منها رغدا • واسعا رافها صفة مصدر محذوف • حيث شئتما • اي مكان من الجنة
شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول
مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب
ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما
مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما
بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلت للعطف على النهي او الجواب له والشجرة
هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية
لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء • فازلهما الشيطان
عنها • اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري
او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة
مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما
بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك
رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء
لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل
في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى • فاخرجهما مما كانا فيه
اي من الكرامة والنعيم • وقلنا اهبطوا • خطاب لادم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الانس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء • بعضكم لبعض عدو • حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله • ولكم في الارض مستقر • موضع استقرار او استقرار • ومتاع • تمتع
الى حين • يريد به وقت الموت او القيامة • فتلقى ادم من ربه كلمات • استقبلها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت
ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال
يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحة • فتاب عليه • رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة
وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء في اكثر القران والسنن • انه هو التواب الرحيم • الرجاع على عباده بالمغفرة

اوالذي

او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة • الرحيم • المبالغ في الرحمة وفي الجمع
بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو • قلنا اهبطوا منها جميعا • كرر للتاكيد او لاختلاف
المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن
باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي
ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا
والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون
ولذلك لا تستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا • فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان
ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى بانزال
او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب
عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم
يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب
على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح • والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون • عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا
بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور
والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي
او من اوى اليه واصلها ايية او اوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت
او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت
الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء من وجوه الاول ان ادم كان نبيا وارتكب المنهي
عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين
والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه
التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب
لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان النهي للتنزيه
وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي
الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك
الاولى ووفاء بما قال للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق

البينة المعقودة دون المؤاخذ عنها ولام على الجهل بشأنه، وابطال انه باطل لقوله تعالى ما نهيكما ربكما وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ليس فيهما ما يدل على أن تناوله حين ما قال إبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلاً طبيعياً ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى إلى أن نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه. والرابع أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريراً وذهباً بيده وقال هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها. وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده. وفيها دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون. واعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريراً لها وتأكيداً فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والأمر وحده لا شريك له، ومن حيث إن الإخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئاً منها إخبار بالغيب معجز يدل على نبوة المخبر عنها، ومن حيث اشتمالها على خلق الإنسان وأصوله وما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادراً على الإبداء، خاطب أهل العلم والكتاب منهم وأمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد عليه السلام وما أنزل عليه فقال: يا بني إسرائيل أي أولاد يعقوب، والابن من البناء لأنه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر. وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله، وقرئ إسرائل بحذف الياء وإسرال بحذفهما وإسرايل بقلب الهمزة ياء.

اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم أي بالتفكر فيها والقيام بشكرها، وتقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط، وإن نظر إلى ما أنعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضى والشكر. وقيل أراد بها ما أنعم على آبائهم من الإنجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل، وعليهم من إدراك زمن محمد عليه السلام. وقرئ ادّكروا والأصل اذتكروا. ونعمتي بإسكان الياء وإسقاطها درجاً وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها. وأوفوا بعهدي بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم بحسن الإثابة. والعهد يضاف إلى المعاهِد والمعاهَد، ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول، فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وإنزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم، وللوفاء بهما عرض عريض، فأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة، ومن الله تعالى حقن الدم والمال، وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم. وما روي عن ابن عباس أوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام أوف بعهدكم في رفع الآصار والأغلال، وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب، أو أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم، فبالنظر إلى الوسائط. وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإثابة. وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى قوله ولأدخلنكم جنات. وقرئ أوفّ بالتشديد للمبالغة. وإياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصاً في نقض العهد، وهو آكد في إفادة التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئاً فارهبون. والرهبة خوف معه تحرز. والآية

متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف أحداً إلا الله. وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم إفراد للإيمان بالأمر به والحث عليه لأنه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود، وتقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث إنه نازل حسبما نعت فيها، أو مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش، وفيما يخالفها من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث إن كل واحد منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب بها، حتى لو نزل المتقدم في أيام المتأخر لنزل على وفقه، ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي، تنبيه على أن اتباعها لا ينافي الإيمان به بل يوجبه، ولذلك عرض بقوله: ولا تكونوا أول كافر به بأن الواجب أن تكونوا أول من آمن به، ولأنهم كانوا أهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه. وأول كافر به وقع خبراً عن ضمير الجمع بتقدير أول فريق أو فوج، أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به، كقولك كسانا حلة. فإن قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب؟ قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر، كقولك أما أنا فلست بجاهل. أو ولا تكونوا أول كافر من أهل الكتاب، أو ممن كفر بما معه، فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه، أو مثل من كفر من مشركي مكة. وأول أفعل لا فعل له، وقيل أصله أوأل من وأل، فأبدلت همزته واواً تخفيفاً غير قياسي، أو أأول من آل فقلبت همزته واواً وأدغمت. ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ولا تستبدلوا بالإيمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا، فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان. قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله عليه السلام، فاختاروها عليه. وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه. وإياي فاتقون بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا. ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى، ولأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك، والخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذي هو منتهاه. ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله، واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهاً بغيره، والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما، أو ولا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله. وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال، ونهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق والإخفاء على من لم يسمعه، أو نصب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه، ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون، أي وأنتم تكتمون الحق بمعنى كاتمين، وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق. وأنتم تعلمون عالمين بأنكم لابسون كاتمون، فإنه أقبح إذ الجاهل قد يعذر. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم، فإن غيرهما كلا صلاة ولا زكاة، أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بها. والزكاة من زكا الزرع إذا نما، فإن إخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم، أو من الزكاء بمعنى الطهارة فإنها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل. واركعوا مع الراكعين أي في جماعتهم، فإن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس، وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً

عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه • اتامرون الناس بالبر • تقرير مع توبيخ
وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة
بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب • وتنسون انفسكم • وتتركونها
من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون • وانتم تتلون الكتاب • تبكيت كقوله
وانتم تعلمون اي تتلون التورية فيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون
قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس
تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان
فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها
حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان
الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر • واستعينوا بالصبر والصلوة • متصل
بما قبله كانهم لما امروا بما يشق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك
والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر
عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة
لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة
والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة
الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب
وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء • وانها اي
الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر
او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا
على الخاشعين • اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب • الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون • اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله
تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان
اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف
جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها
ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة • يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه
بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها • واني فضلتكم • عطف على نعمتي • على العالمين
اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل ابائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من
العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك

وهو ضعيف

وهو ضعيف • واتقوا يوما • اي ما فيه من الحساب والعذاب • لا تجزي نفس عن نفس شيئا • لا تقضي
شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه
اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط
الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد
المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال
اصابوا • ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل • اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى
وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول
النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثاني اما باداء ما كان عليه وهو
ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها
سويت بالمفدي وقرا ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء • ولا هم ينصرون • يمنعون من عذاب الله
والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد
والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي
الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده
ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم • واذ نجيناكم من ال فرعون •
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة
وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك
وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف
ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة • يسومونكم • يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل
السوم الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب • افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر
ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها
ضمير كل واحد منهما • يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا • وفي ذلكم بلاء • محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصل البلاء الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة
اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما • من ربكم • بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى وبتوفيقه لتخليصكم او بهما • عظيم • صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد
من خير او شر اختبار من الله فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين • واذ فرقنا
بكم البحر • فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا
بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر
بعدد الاسباط • فانجيناكم واغرقنا ال فرعون • اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى
به وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على ال محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه

نظرون لكنا وغرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى
الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده
وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا
حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين
واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم
وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل
في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية مثل
القرآن والتحدي به والفضائل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوته دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام
عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره. واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون
وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها
غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعد
موسى المجيء للميقات الى الطور. ثم اتخذتم العجل الها معبودا. من بعده من بعد موسى او مضيه. وانتم
ظالمون باشراككم. ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ
لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه. واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه
كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او
بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله
يوم الفرقان يريد به يوم بدر. لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات. واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى
من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره
اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم
من الطين او فتوبوا. فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع وقطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها
ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روي
ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا
يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى
سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب. ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة
من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية. فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته
من كلام موسى لهم على تقدير ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا
من الله لهم على طريقة الالتفات كأنه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر
عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي
هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم.
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لن نقر لك. حتى نرى الله جهرة. عيانا وهي في الاصل مصدر

قولك

قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل
او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم
السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل عشرة آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التوراة
وكلمك او انك نبي. فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى
يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن
ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء في بعض الاحوال
في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين
ميتين يوما وليلة. وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره. ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة
وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم. لعلكم تشكرون نعمة البعث
او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة. وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه. وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج
من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت
ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى. كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول. وما ظلمونا فيه اختصار واصله
فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا. ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم
ضرره. واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا قرية بالغور امروا به بعد التيه. فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو. وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة
التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام. سجدا متطامنين مخبتين
او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه. وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة
من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا
هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها. نغفر لكم خطاياكم
بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايي
كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت
الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر. وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن
واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله
وانه يفعله لا محالة. فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب
ما يشتهون من اعراض الدنيا. فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان
الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها
الى ما يوجب هلاكها. رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز
في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات
به في ساعة اربعة وعشرون الفا. واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه. فقلنا اضرب
بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه
ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا

أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا، أو الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه
عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الأدرة فأشار إليه جبريل بحمله، أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قيل
لم يأمر أن يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته
وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا
فأوحى الله إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع
والعصا عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة. فانفجرت منه
اثنتا عشرة عينا. متعلق بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب عليكم
وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه. قد علم كل أناس كل سبط. مشربهم. عينهم التي
يشربون منها. كلوا واشربوا. على تقدير القول. من رزق الله. يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء
العيون وقيل الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به. ولا تعثوا في الأرض مفسدين. لا تعتدوا
حال إفسادكم وإنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي
بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك
حسا ومن أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فإنه لما أمكن أن يكون
من الأحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض
أو لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك. وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام
واحد. يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته أنه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام
مائدة الأمير واحد يريدون أنه لا تتغير ألوانه ولذلك أجمعوا أو ضرب واحد لأنهما معا طعام
أهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا إلى عكرهم واشتهوا ما ألفوه. فادع لنا ربك. سله لنا
بدعائك إياه. يخرج لنا. يظهر لنا ويوجد وجزمه بأنه جواب فادع فإن دعوته سبب الإجابة. مما
تنبت الأرض. من الإسناد المجازي وإقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض. من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها. تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل بإعادة الجار والبقل ما أنبتته الأرض
من الخضر والمراد به أطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهو لغة فيه. قال أي الله أو موسى. أتستبدلون الذي هو أدنى. أقرب منزلة وأدون
قدرا وأصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد
المحل بعيد الهمة وقرئ أدنأ من الدناءة. بالذي هو خير. يريد به المن والسلوى فإنه خير في اللذة والنفع
وعدم الحاجة إلى السعي. اهبطوا مصرا. انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادي إذا نزل به وهبط
منه إذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشيئين وقيل أراد به العلم
وإنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد ويؤيده أنه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل
أصله مصرايم فعرب. فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة. أحيطت بهم إحاطة القبة
بمن ضربت عليه أو ألصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود في غالب الأمر
أذلاء مساكين إما على الحقيقة أو على التكلف مخافة أن تضاعف جزيتهم. وباؤوا بغضب من الله. رجعوا
أو صاروا أحقاء بغضبه من باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به وأصل البوء المساواة
وذلك إشارة إلى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب. بأنهم كانوا يكفرون بآيات

ويقتلون النبيين بغير الحق. بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر وإظلال الغمام
وإنزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر أو بالكتب المنزلة كالإنجيل والفرقان وآية الرجم والتي
فيها نعت محمد عليه السلام من التوراة وقتلهم الأنبياء فإنهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق
عندهم إذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وإنما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا
كما أشار إليه بقوله. ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. أي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
فيه إلى الكفر بالآيات وقتل النبيين فإن صغار الذنوب سبب يؤدي إلى ارتكاب كبارها كما أن صغار الطاعات
أسباب مؤدية إلى تحري كبارها وقيل كرر الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل
فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى
مع وإنما جوزت الإشارة بالمفرد إلى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر أو تقدم للاختصار ونظيره
في الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق والذي
حسن ذلك أن تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع
إن الذين آمنوا. بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه السلام المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين
لانخراطهم في سلك الكفرة. والذين هادوا. تهودوا يقال هاد وتهود إذا دخل في اليهودية ويهود
إما عربي من هاد إذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل وإما معرب يهوذا وكأنهم سموا باسم أكبر
أولاد يعقوب عليه السلام. والنصارى. جمع نصران كندامى والياء في نصراني للمبالغة كما في أحمري سموا
بذلك لأنهم نصروا المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران أو ناصرة فسموا باسمها
أو من اسمها. والصابئين. قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم
عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو إن كان عربيا فمن صبأ إذا خرج وقرأ نافع وحده
بالياء إما لأنه خفف الهمزة أو لأنه من صبا إذا مال لأنهم مالوا من سائر الأديان إلى دينهم أو من الحق
إلى الباطل. من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا. من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه
بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا ودخل في الإسلام
دخولا صادقا. فلهم أجرهم عند ربهم. الذي وعد لهم على إيمانهم وعملهم. ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون. حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ
خبره فلهم أجرهم والجملة خبر إن أو بدل من اسم إن وخبرها فلهم أجرهم والفاء لتضمن المسند إليه معنى
الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر إن من حيث إنها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى إن الذين فتنوا
المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم. وإذ أخذنا ميثاقكم. باتباع موسى
والعمل بالتوراة. ورفعنا فوقكم الطور. حتى أعطيتم الميثاق روي أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة
فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور فظلله
فوقهم حتى قبلوا. خذوا. على إرادة القول. ما آتيناكم من الكتاب. بقوة. بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه. ادرسوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به. لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي أو رجاء منكم أن تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة أن يتعلق بالقول
المحذوف أي قلنا خذوا واذكروا إرادة أن تتقوا. ثم توليتم من بعد ذلك. أعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد أخذه. فلولا فضل الله عليكم ورحمته. بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد عليه السلام يدعوكم

الى الحق ويرديكم اليه • لكنتم من الخاسرين • المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف • ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت • اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرق فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد • فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين • جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة • فجعلناها • اي المسخة او العقوبة • نكالا • عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد • لما بين يديها وما خلفها • لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها • وموعظة للمتقين • من قومهم او لكل متق سمعها • واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة • اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت وقدم عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله • قالوا اتتخذنا هزوا • اي مكان هزؤ او اهله او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا • قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين • لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله • قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر • لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة • عوان بين ذلك • نصف قال • نواعم بين ابكار وعون • • بين ذلك • اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله • فافعلوا ما تؤمرون • تؤمرون

يعني تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها • الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب • ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع • تسر الناظرين • اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر • قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي • تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد • ان البقر تشابه علينا • اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددة وتشبه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة • وانا ان شاء الله لمهتدون • الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق • قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث • اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى • مسلمة • سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له • لاشية فيها • لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر • قالوا الآن جئت بالحق • اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام • فذبحوها • فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها • وما كادوا يفعلون • لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا واذا دخل عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل • واذ قتلتم نفسا • خطاب للجمع لوجود القتل فيهم • فادارأتم فيها • اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل • والله مخرج • مظهر لا محالة • ما كنتم تكتمون • واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية

فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تأويل الشخص او
القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن
وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر
القتل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم
وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى
انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة
التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي
بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة
المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيا
حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والتنازع ثم قست
قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار
وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب
لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة
او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر وبالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد
من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان
منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر
وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد
الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله
بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما
بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم
ان يحدثوا لكم التصديق او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة
من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول
في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي
فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء
ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك
واذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة
واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله

عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية
ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع
وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم
بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر
ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم
به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا
مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم
والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها الا اماني استثناء
منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك
يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين
او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا
اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون
ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع
وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه
واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل الويل خبره ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني
ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل
قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم مما
يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به
واللمس كالطلب له ولذلك يقال ألمسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روي ان
بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة ايام الدنيا
سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا
بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب
شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره
محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل
التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما
نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم
وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات

والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لأنه من الخطأ، والكسب استجلاب النفع، وتعليقه بالسيئة على طريقة
قوله فبشرهم بعذاب. ﴿وأحاطت به خطيئته﴾ أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها
لا يخلو عنها شيء من جوانبه، وهذا إنما يصح في شأن الكافر لأن غيره وإن لم يكن له سوى تصديق قلبه
وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به، ولذلك فسرها السلف بالكفر. وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع
عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع
قلبه فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه
عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله. وقرأ نافع
خطيئاته. وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما. ﴿فأولئك أصحاب النار﴾ ملازموها
في الآخرة كما أنهم ملازمون أسبابها في الدنيا. ﴿هم فيها خالدون﴾ دائمون أو لابثون لبثا طويلا
والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها. ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ جرت عادته سبحانه على أن يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى
عذابه. وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه. ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون
إلا الله﴾ إخبار في معنى النهي كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد، وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من اعتناء بأن
المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه، ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه، فيكون على إرادة القول.
وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى، ويدل
عليه قراءة أن لا تعبدوا، فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار. وقيل إنه جواب قسم دل عليه
المعنى كأنه قال حلفناهم لا يعبدون. وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية
لما خوطبوا به، والباقون بالياء لأنهم غيب. ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ متعلق بمضمر تقديره وتحسنون
أو أحسنوا. ﴿وذي القربى واليتامى والمساكين﴾ عطف على الوالدين، ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى
وهو قليل، ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه. ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ أي قولا حسنا، وسماه
حسنا للمبالغة. وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حَسَنا بفتحتين، وقرئ حُسُنا بضمتين وهو لغة
أهل الحجاز، وحُسنى على المصدر كبشرى، والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾
يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم. ﴿ثم توليتم﴾ على طريقة الالتفات، ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في
عهد الرسول ومن قبلهم على التغليب، أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه. ﴿إلا قليلا منكم﴾ يريد به
من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم. ﴿وأنتم معرضون﴾ قوم عادتكم الإعراض
عن الوفاء والطاعة، وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض. ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم
لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم﴾ على نحو ما سبق، والمراد به أن لا يتعرض بعضهم
بعضا بالقتل والإجلاء عن الوطن، وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا
أو لأنه يوجبه قصاصا. وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم، أو لا
تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة، ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي. ﴿ثم أقررتم﴾ بالميثاق واعترفتم بلزومه. ﴿وأنتم تشهدون﴾ توكيد
كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه، وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون
إسناد الإقرار إليهم مجازا. ﴿ثم أنتم هؤلاء﴾ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه

وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل
الذي فعل كذا، نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات، وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما حكي
عنهم غيبا. وقوله ﴿تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم﴾ إما حال والعامل فيها معنى الإشارة
أو بيان لهذه الجملة. وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة. وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع
هو الخبر. وقرئ تقتّلون على التكثير. ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾ حال من فاعل تخرجون
أو مفعوله أو كليهما، والتظاهر التعاون من الظهر. وقرأ عاصم والكسائي وحمزة بحذف إحدى
التاءين، وقرئ بإظهارهما وتظّهرون بمعنى تتظهرون. ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم﴾ روي أن قريظة
كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب
الديار وإجلاء أهلها، وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه. وقيل معناه إن يأتوكم أسارى
في أيدي الشياطين تتصدوا لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله أتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم. وقرأ حمزة أسرى بالإمالة وهو جمع أسير كجريح وجرحى، وأسارى جمعه
كسكرى وسكارى، وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم. ﴿وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض، والضمير للشأن أو مبهم ويفسره إخراجهم، أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون
من المصدر، وإخراجهم بدل أو بيان. ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ أي الفداء. ﴿وتكفرون
ببعض﴾ يعني حرمة المقاتلة والإجلاء. ﴿فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا﴾
كقتل قريظة وسبيهم وإجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم، وأصل الخزي ذل يستحيى منه
ولذلك يستعمل في كل منهما. ﴿ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ لأن عصيانهم أشد.
﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ تأكيد للوعيد أي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم. وقرأ عاصم
في رواية المفضل تعملون على الخطاب لقوله منكم، وابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب يعملون على
الضمير لمن. ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾ آثروا الحياة على الآخرة. ﴿فلا يخفف عنهم
العذاب﴾ بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة. ﴿ولا هم ينصرون﴾ بدفعهما عنهم. ﴿ولقد آتينا
موسى الكتاب﴾ التوراة. ﴿وقفينا من بعده بالرسل﴾ أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم أرسلنا
رسلنا تترى، يقال قفاه إذا أتبعه، وقفاه به إذا أتبعه إياه، من القفا نحو ذنبه من الذنب. ﴿وآتينا
عيسى ابن مريم البينات﴾ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار
بالمغيبات، أو الإنجيل. وعيسى بالعبرية أيشوع، ومريم بمعنى الخادم، وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال، قال رؤبة: قلت لزير لم تصله مريمه. ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل.
﴿وأيدناه﴾ قويناه، وقرئ آيدناه. ﴿بروح القدس﴾ بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل
صدق، وأراد به جبريل، وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته
على الله ولذلك أضافه إلى نفسه، أو لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث، أو الإنجيل أو اسم
الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى. وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن. ﴿أفكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى أنفسكم﴾ بما لا تحبه، يقال هوي بالكسر هوى إذا أحب، وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط. ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا

من بينهم ويحتمل أن يكون استئنافاً والفاء للعطف على مقدر. استكبرتم عن الإيمان واتباع
الرسل. ففريقاً كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية أو التفصيل. وفريقاً تقتلون كزكريا
ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع حكاية الحال الماضية استحضاراً لها في النفوس فإن الأمر
فظيع ومراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حول قتل محمد لولا أني أعصمه
منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة. وقالوا قلوبنا غلف مغشاة بأغطية خلقية لا يصل
إليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الأغلف الذي لم يختن وقيل أصله غلف جمع غلاف فخفف
والمعنى أنها أوعية العلم لا تسمع علماً إلا وعته ولا تعي ما تقول أو نحن مستغنون بما فيها عن غيره.
بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه والمعنى أنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله
خذلهم بكفرهم فأبطل استعدادهم أو أنها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لأن الله خذلهم بكفرهم
كما قال فأصمهم وأعمى أبصارهم أو هم كفرة ملعونون فمن أين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك
فقليلاً ما يؤمنون فإيماناً قليلاً يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو إيمانهم ببعض الكتاب
وقيل أراد بالقلة العدم. ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن. مصدق لما معهم من كتابهم
وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية. وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا أي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة
والإنجيل أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والإشعار
بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه. فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسداً وخوفاً على الرياسة. فلعنة
الله على الكافرين أي عليهم وأتى بالمظهر للدلالة على أنهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز
أن يكون للجنس ويدخلون فيه دخولاً أولياً لأن الكلام فيهم. بئسما اشتروا به أنفسهم ما نكرة
بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا أو شروا بحسب ظنهم فإنهم ظنوا
أنهم خلصوا أنفسهم من العقاب بما فعلوا. أن يكفروا بما أنزل الله هو المخصوص بالذم. بغياً
طلباً لما ليس لهم وحسداً وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل. أن ينزل الله لأن ينزل أي حسدوه
على أن ينزل الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالتخفيف. من فضله يعني الوحي. على من يشاء
من عباده على من اختاره للرسالة. فباءوا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو أفضل الخلق وقيل
لكفرهم بمحمد بعد عيسى أو بعد قولهم عزير ابن الله. وللكافرين عذاب مهين يراد به
إذلالهم بخلاف عذاب العاصي فإنه طهرة لذنوبه. وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله يعم الكتب
المنزلة بأسرها. قالوا نؤمن بما أنزل علينا أي بالتوراة. ويكفرون بما وراءه حال من الضمير
في قالوا ووراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو
خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الأضداد. وهو الحق الضمير لما
وراءه والمراد به القرآن. مصدقاً لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فإنهم لما كفروا
بما يوافق التوراة فقد كفروا بها. قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين اعتراض
عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وإنما أسنده إليهم لأنه
فعل آبائهم وأنهم راضون به عازمون عليه. ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الآيات
التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات. ثم اتخذتم العجل أي إلهاً

من بعده بعد مجيء موسى أو ذهابه إلى الطور. وأنتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
أو بالإخلال بآيات الله أو اعتراض بمعنى وأنتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية أيضاً لإبطال
قولهم نؤمن بما أنزل علينا والتنبيه على طريقتهم مع الرسول طريقة أسلافهم مع موسى لا لتكرير
القصة وكذا ما بعدها. وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا
أي قلنا لهم خذوا ما أمرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة. قالوا سمعنا قولك وعصينا
أمرك. وأشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل
الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كقوله إنما يأكلون في بطونهم
ناراً. بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لأنهم كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمكن في قلوبهم
ما سول لهم السامري. قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا
الأمر أو ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلاث إلزاماً عليهم. إن كنتم مؤمنين تقرير
للقدح في دعواهم الإيمان بالتوراة وتقديره إن كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح
ولا رخص لكم فيها إيمانكم بها أو إن كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم به إيمانكم لأن المؤمن ينبغي أن
لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان بها لا يأمر به فإذاً لستم بمؤمنين. قل إن كانت لكم الدار
الآخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ونصبها على الحال من الدار.
من دون الناس سائرهم أو المسلمين واللام للعهد. فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من أيقن أنه
من أهل الجنة اشتاقها وأحب التخلص إليها من الدار ذات الشوائب كما قال أمير المؤمنين علي لا أبالي
سقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمداً وحزبه وقال
حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني سيما إذا علم أنها سالمة له
لا يشاركه فيها غيره. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن
وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالإنسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها
أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة أخرى وهذه الجملة إخبار بالغيب وكان كما أخبر لأنهم
لو تمنوا لنقل واشتهر فإن التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو أن يقول ليت لي كذا ولو كان بالقلب
لقالوا تمنينا وعن النبي لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي
على وجه الأرض. والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على أنهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم
ونفيه عمن هو لهم. ولتجدنهم أحرص الناس على حياة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه
هم وأحرص وتنكير حياة لأنه أريد بها فرد من أفرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام. ومن الذين
أشركوا محمول على المعنى وكأنه قال أحرص من الناس على الحياة ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر للمبالغة
فإن حرصهم شديد إذ لم يعرفوا إلا الحياة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فإنهم لما زاد
حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بأنهم صائرون إلى النار ويجوز أن
يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة الأول عليه وأن يكون خبر مبتدأ محذوف صفته
يود أحدهم على أنه أريد بالذين أشركوا اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله أي ومنهم ناس يود
أحدهم وهو على الأولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف. لو يعمر ألف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان أصله لو أعمر فأجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن.

وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم
سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد
والله بصير بما يعملون فيجازيهم ۝ قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلامة
فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما
تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهور
جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل
كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين واربع في الشواذ جبرائل وجبرال
وجبرائيل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله فانه نزله البارز الاول
لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج
الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء
على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او تيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين
يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى جبريل
فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل عليك
كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فسبب عداوته انه نزل عليك
وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد
الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة
واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان
عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص
ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكال ۝ ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كأنه
متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية
فنتبعك او كلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات
وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ
عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى ولذا قال

لان كان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من
لم ينبذها لا يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام
نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما
يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القرآن
وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كأنهم
لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل
بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا
العلم وانه يسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان
في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشر
وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي
واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف
على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما
ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين
وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت
الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي
معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير
في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن
ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد
جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من

والعمل به وعلى الثاني بإعلامه حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر مثلنا • فيتعلمون منهما • الضمير
لما دل عليه من أحد • ما يفرقون به بين المرء وزوجه • أي من السحر ما يكون سبب تفريقهما • وما هم
بضارين به من أحد إلا بإذن الله لأنه وغيره من الأسباب غير مؤثرة بالذات بل بأمره تعالى وجعله وقرئ
بضاري على الإضافة إلى أحد وجعل الجار جزءاً منه والفصل بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم لأنهم يقصدون
به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالباً • ولا ينفعهم إذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين
وفيه أن التحرز عنه أولى • ولقد علموا أي اليهود • لمن اشتراه أي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب
الله والأظهر أن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل • ما له في الآخرة من خلاق • نصيب • ولبئس ما
شروا به أنفسهم • يحتمل المعنيين على ما مر • لو كانوا يعلمون • يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على التعيين أو
حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم أولاً على التأكيد القسمي العقل الغريزي أو العلم الإجمالي
بقبح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فإن من لم يعمل بما علم فهو
كمن لم يعلم • ولو أنهم آمنوا • بالرسول والكتاب • واتقوا • بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع
السحر • لمثوبة من عند الله خير • جواب لو وأصله لأثيبوا مثوبة من الله خيراً مما شروا به أنفسهم فحذف
الفعل وركب الباقي جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه إجلالاً
للمفضل من أن ينسب إليه وتنكير المثوبة لأن المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام
مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وإنما سمي الجزاء مثوبة وثواباً لأن المحسن يثوب إليه • لو كانوا يعلمون •
أن ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر أو العمل بالعلم • يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا • الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون لرسول الله راعنا أي راقبنا وتأن بنا فيما
تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته إلى الرعن أو سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر إلينا أو انتظرنا من نظره إذا انتظره وقرئ أنظرنا من الإنظار
أي أمهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعناً بالتنوين أي قولاً ذا رعن نسبة
إلى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب • واسمعوا • وأحسنوا الاستماع
حتى لا تفتقروا إلى طلب المراعاة أو واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود أو واسمعوا ما أمرتم به
بجد حتى لا تعودوا إلى ما نهيتم عنه • وللكافرين عذاب أليم • يعني الذين تهاونوا بالرسول
وسبوه • ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين • نزلت تكذيباً لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون أنهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل
منهما ومن للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين • أن ينزل عليكم من خير
من ربكم • مفعول يود ومن الأولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي
والمعنى أنهم يحسدونكم به وما يحبون أن ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به
ما يعم ذلك • والله يختص برحمته من يشاء • يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لأحد عليه
حق • والله ذو الفضل العظيم • إشعار بأن النبوة من الفضل وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله
بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته • ما ننسخ من آية أو ننسها • نزلت لما قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى
محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة إزالة الصورة عن الشيء وإثباتها

في غيره

في غيره كنسخ الظل الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الأثر ونسخت
الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها
إذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من أنسخ أي
نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجدها منسوخة وابن كثير وأبو عمرو ننسأها أي نؤخرها من النسء وقرئ
ننسها أي ننس أحداً إياها وتنسها أي أنت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها (?) بإضمار المفعول • نأت
بخير منها أو مثلها • أي بما هو خير للعباد في النفع والثواب أو مثلها في الثواب وقرأ أبو عمرو بقلب الهمزة
ألفاً • ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير • فيقدر على النسخ والإتيان بمثل المنسوخ أو بما هو خير منه والآية
دلت على جواز النسخ وتأخير الإنزال إذ الأصل اختصاص إن وما يتضمنها بالأمور المحتملة وذلك
لأن الأحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً من الله ورحمة وذلك يختلف
باختلاف الأعصار والأشخاص كأسباب المعاش فإن النافع في عصر قد يضر في عصر غيره واحتج
بها من منع النسخ بلا بدل أو ببدل أثقل ونسخ الكتاب بالسنة فإن الناسخ هو المأتي به بدلاً والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف إذ قد يكون عدم الحكم أو الأثقل أصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة
مما أتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ • والمعتزلة على حدوث القرآن فإن
التفاوت والتغير من لوازمه وأجيب بأنهما من عوارض الأمور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم
ألم تعلم • الخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وأمته لقوله وما لكم وإنما أفرده لأنه أعلمهم ومبدأ علمهم • أن الله
له ملك السموات والأرض • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله أن الله على كل شيء قدير
أو على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف • وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير • وإنما هو الذي يملك أموركم
ويجريها على مصالحكم والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً
عن المنصور • أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل • أم معادلة للهمزة في ألم تعلم أي
ألم تعلموا أنه مالك الأمور قادر على الأشياء كلها يأمر وينهى كما أراد أم تعلمون وتقترحون بالسؤال
كما اقترحت اليهود على موسى أو منقطعة والمراد أن يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في أهل الكتاب حين سألوا أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لك حتى
تنزل علينا كتاباً نقرؤه • ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل • ومن ترك الثقة
بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الإيمان ومعنى
الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال إلى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالإيمان
وقرئ يبدل من أبدل • ود كثير من أهل الكتاب • يعني أحبارهم • لو يردونكم • أن يردوكم فإن لو تنوب
عن أن في المعنى دون اللفظ • من بعد إيمانكم كفاراً • مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين • حسداً • علة ود
من عند أنفسهم • يجوز أن يتعلق بود أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع
الحق أو بحسداً أي حسداً بالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم • من بعد ما تبين لهم الحق • بالنعوت والمعجزات المذكورة
في التوراة • فاعفوا واصفحوا • العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه • حتى يأتي الله بأمره •
الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم أو قتل قريظة وإجلاء بني النضير وعن ابن عباس أنه منسوخ
بآية السيف وفيه نظر إذ الأمر غير مطلق • إن الله على كل شيء قدير • فيقدر على الانتقام منهم • وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة • عطف على فاعفوا كأنه أمرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء إلى الله تعالى بالعبادة والبر

وما تقدموا لأنفسكم من خير كصلاة أو صدقة وقرئ تقدموا من أقدم تجدوه عند الله أي ثوابه
إن الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيداً وقالوا عطف على ود والضمير
لأهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قوله وقالوا كونوا هوداً أو نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك أمانيهم إشارة إلى الأماني المذكورة وهي أن لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وأن يردوهم كفاراً وأن لا يدخل الجنة غيرهم أو إلى ما في الآية على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية
أمانيهم والجملة اعتراض والأمنية أفعولة من التمني كالأضحوكة والأعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم فإن كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى إثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة من أسلم وجهه لله أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو وهو محسن في عمله فله أجره الذي
وعد له على عمله عند ربه ثابتاً عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة
والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم
فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء أي على أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله ﷺ وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو
للحال واللام في الكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فإن قيل لم وبخهم
وقد صدقوا فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد به كل فريق
إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب
مسجداً أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلاة وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
أهله أو المشركين لما منعوا رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية أن يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي
منع وسعى في خرابها بالهدم أو التعطيل أولئك أي المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين
ما كان ينبغي أن يدخلوها إلا بخشية وخشوع فضلاً أن يجترئوا على تخريبها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا خائفين
من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعداً للمؤمنين
بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الأئمة فيه فجوزه أبو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي
أو ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما
ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان دون مكان فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى
فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فأينما تولوا ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله
أي جهته التي أمر بها فإن إمكان التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أي عالم مطلع بما يفعل فيه
إن الله واسع بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم وأعمالهم
في الأماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة

فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه
التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله
ولداً نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه
على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله ومن أظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك
فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها وفنائها لما
كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختياراً أو طبعاً بل له
ما في السماوات والأرض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه تعالى خالق ما في السماوات
والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن
من حق الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما الذي لغير أولي العلم وقال قانتون على تغليب أولي
العلم تحقيراً لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه ولداً
له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون إلزاماً بعد إقامة الحجة والآية مشعرة بفساد ما قالوه من ثلاثة أوجه
واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه تعالى نفى الولد بإثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما
بديع السماوات والأرض مبدعهما ونظيره السميع في قوله أمن ريحانة الداعي السميع أو بديع
سماواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الأشياء كلها فاعل على الإطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والداً
والإبداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو أليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة
بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالباً وقرئ بديع مجروراً على البدل من الضمير في له
ومنصوباً على المدح وإذا قضى أمراً أي أراد شيئاً وأصل القضاء إتمام الشيء قولاً كقوله
وقضى ربك أو فعلاً كقوله فقضاهن سبع سماوات وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء
من حيث إنه يوجبه فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة
أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير
لمعنى الإبداع وإيماء إلى حجة خامسة وهو أن اتخاذ الولد يكون بأطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني
عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم أن السبب في هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة
كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنه السبب الأول حتى قالوا إن الأب هو الرب الأصغر والله سبحانه
هو الأب الأكبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليداً ولذلك كفر
قائله ومنع منه مطلقاً حسماً لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون أي جهلة المشركين أو
المتجاهلين من أهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة أو يوحي إلينا بأنك رسوله
أو تأتينا آية حجة على صدقك والأول استكبار والثاني جحود بأن ما أتاهم آيات الله استهانة به وعناداً
كذلك قال الذين من قبلهم من الأمم الماضية مثل قولهم فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك
أن ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ
بتشديد الشين قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم

شبهة وعناداً وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتواً
وعناداً. انا ارسلناك بالحق ملتبساً مؤيداً به. بشيراً ونذيراً فلا عليك ان اصروا او كابروا. ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تَسأل على انه نهي للرسول
عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر
على استماع خبرها فنهاه عن السؤال. والجحيم المتأجج من النار. ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول من اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال. قل تعليماً للجواب. ان هدى الله هو
الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه. ولئن اتبعت اهواءهم
آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من أمللت الكتاب اذا امليته والهوى
رأي يتبع الشهوة. بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته. ما لك من الله من ولي
ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن. الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب
يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنو اهل الكتاب. اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين
ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه. فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان. يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح
وايذاناً بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة. واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه
والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظاً وان تأخر رتبة لان الشرط احد
التقديرين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله تعالى
التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون
كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سنته وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين
وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة المختبر وبما تضمنه الآيات التي بعدها
وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمناً ليرى
هل يجيبه. وقرأ ابن عامر ابراهام. فاتمهن فأداهن كملاً وقام بهن حق القيام لقوله وابراهيم
الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه. قال اني جاعلك للناس اماماً
استئناف ان اضمرت ناصب اذ كأنه قيل فماذا قال ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله
ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال
فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة
مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأموراً باتباعه. قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي
وبعض ذريتي كما تقول وزيداً في جواب سأكرمك. والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها

الثالثة ياء كما في تقضيت من القض او فعلية من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى
الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة. قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون
من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة
الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح
للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته. واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها
كالنجم على الثريا. مثابة للناس مرجعاً يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثوبون بحجه
واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل واحد. وامناً وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرماً آمناً
ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤخذ الجاني
الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة. واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول او
عطف على المقدر عاملاً لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا
الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم
فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواضع الحج واتخاذها
مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا
اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها. وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما
ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس
وما لا يليق به او اخلصاه. للطائفين حوله. والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه. والركع
السجود اي المصلين جمع راكع وساجد. واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلداً
آمناً ذا امن كقوله عيشة راضية او آمناً اهله كقولك ليل نائم. وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم
بالله واليوم الآخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص. قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق
من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط. فامتعه قليلاً خبره والكفر وان لم يكن
سبب التمتع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصوراً بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف
عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلاً
نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر
فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام
الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس. وبئس المصير المخصوص
بالذم محذوف وهو العذاب. واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع
قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله
ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها ساقات
البناء فان كل ساق قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته ودعاء الناس الى حجه

ودعاء الناس إلى حجه. وفي إبهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها. وإسماعيل: كان يناوله الحجارة، ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه، وقيل كانا يبنيان في طرفين، أو على التناوب. ربنا تقبل منا: أي يقولان ربنا تقبل منا، وقد قرئ به، والجملة حال منهما. إنك أنت السميع لدعائنا. العليم بنياتنا. ربنا واجعلنا مسلمين لك: مخلصين لك، من أسلم وجهه، أو مستسلمين، من أسلم إذا استسلم وانقاد، والمراد طلب الزيادة في الإخلاص والإذعان أو الثبات عليه، وقرئ مسلمين على أن المراد أنفسهما وهاجر، أو لأن التثنية من مراتب الجمع. ومن ذريتنا أمة مسلمة لك: أي واجعل بعض ذريتنا، وإنما خص الذرية بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع، وخصا بعضهم لما أعلما أن في ذريتهما ظلمة، وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله، فإنه مما يشوش المعاش، ولذلك قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا. وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله: وعد الله الذين آمنوا منكم، قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله: خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن. وأرنا: من رأى بمعنى أبصر أو عرف، ولذلك لم يتجاوز مفعولين. مناسكنا: متعبداتنا في الحج أو مذابحنا، والنسك في الأصل غاية العبادة، وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة. وقرأ ابن كثير ويعقوب: أرنا قياسا على فخذ في فخذ، وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها. وتب علينا: استتابة لذريتهما، أو عما فرط منهما سهوا، ولعلهما قالاه هضما لأنفسهما وإرشادا لذريتهما. إنك أنت التواب الرحيم: لمن تاب. ربنا وابعث فيهم: في الأمة المسلمة. رسولا منهم: ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم، فهو المجاب به دعوتهما، كما قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي. يتلو عليهم آياتك: يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة. ويعلمهم الكتاب: القرآن. والحكمة: ما تكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام. ويزكيهم: عن الشرك والمعاصي. إنك أنت العزيز: الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد. الحكيم: المحكم له. ومن يرغب عن ملة إبراهيم: استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب عن ملته الواضحة الغراء، أي لا يرغب أحد عن ملته. إلا من سفه نفسه: إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها. قال المبرد وثعلب: سفه بالكسر متعد وبالضم لازم، ويشهد له ما جاء في الحديث: الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس. وقيل أصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه، وقول جرير: ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام. أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض. والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لأنه في معنى النفي. ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين: حجة وبيان لذلك، فإن من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين: ظرف لاصطفيناه، وتعليل له، أو منصوب بإضمار اذكر، كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم، وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام. روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة وأبى مهاجر. ووصى بها إبراهيم بنيه: التوصية هو التقدم إلى الغير بما فيه صلاح وقربة، وأصلها الوصل، يقال وصاه إذا وصله، وفصاه إذا فصله، كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي، والضمير في بها للملة، أو لقوله أسلمت على تأويل

الكلمة أو الجملة. وقرأ نافع وابن عامر: وأوصى، والأول أبلغ. ويعقوب: عطف على إبراهيم، أي ووصى بها يعقوب بنيه، وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم. يا بني: على إضمار القول عند البصريين، متعلق بوصى عند الكوفيين لأنه نوع منه، ونظيره: رجلان من ضبة أخبرانا، إنا رأينا رجلا عريانا. بالكسر. كان بنو إبراهيم أربعة: إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان، وقيل ثمانية، وقيل أربعة وعشرون، وبنو يعقوب اثنا عشر: روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوانى وتفتونى وكودا وأوشير وبنيامين ويوسف. إن الله اصطفى لكم الدين: دين الإسلام الذي هو صفوة الأديان لقوله: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون: ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام، والمقصود هو النهي عن أن يكونوا على خلاف تلك الحال إذا ماتوا، والأمر بالثبات على الإسلام كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع، وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه، وأن من حقه أن لا يحل بهم، ونظيره في الأمر: مت وأنت شهيد. روي أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب أوصى بنيه باليهودية يوم مات، فنزلت. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت: أم منقطعة، ومعنى الهمزة فيها الإنكار، أي ما كنتم حاضرين إذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه. أو متصلة بمحذوف تقديره: أكنتم غائبين أم كنتم شهداء. وقيل الخطاب للمؤمنين، والمعنى ما شاهدتم ذلك وإنما علمتموه من الوحي. وقرئ حضر بالكسر. إذ قال لبنيه: بدل من إذ حضر. ما تعبدون من بعدي: أي شيء تعبدونه، أراد به تقريرهم على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما، وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف، فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن تعيينه، وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه أم طبيب. قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق: المتفق على وجوده وألوهيته ووجوب عبادته. وعد إسماعيل من آبائه تغليبا للأب والجد، أو لأنه كالأب لقوله عليه الصلاة والسلام: عم الرجل صنو أبيه، كما قال في العباس: هذا بقية آبائي. وقرئ إله أبيك، على أنه جمع بالواو والنون كما قال: وفديننا بالأبينا، أو مفرد وإبراهيم وحده عطف بيان. إلها واحدا: بدل من إله آبائك كقوله: بالناصية ناصية كاذبة، وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور، والتأكيد، أو نصب على الاختصاص. ونحن له مسلمون: حال من فاعل نعبد، أو مفعوله، أو منهما، ويحتمل أن يكون اعتراضا. تلك أمة قد خلت: يعني إبراهيم ويعقوب وبنيهما، والأمة في الأصل المقصود، وسمي بها الجماعة لأن الفرق تؤمها. لها ما كسبت ولكم ما كسبتم: لكل أجر عمله، والمعنى أن انتسابكم إليهم لا يوجب انتفاعكم بأعمالهم، وإنما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام: لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم. ولا تسألون عما كانوا يعملون: ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم. وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا: الضمير الغائب لأهل الكتاب، وأو للتنويع، والمعنى مقالتهم أحد هذين القولين، قالت اليهود كونوا هودا، وقالت النصارى كونوا نصارى. تهتدوا: جواب الأمر. قل بل ملة إبراهيم: أي بل نكون ملة إبراهيم، أي أهل ملته، أو بل نتبع ملة إبراهيم، وقرئ بالرفع أي ملته ملتنا، أو نحن ملته بمعنى نحن أهل ملته. حنيفا: مائلا عن الباطل إلى الحق، حال من المضاف أو المضاف إليه كقوله: ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا. وما كان من المشركين: تعريض بأهل الكتاب وغيرهم، فإنهم يدعون اتباعه وهم مشركون. قولوا آمنا بالله: الخطاب للمؤمنين لقوله: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به. وما أنزل إلينا: القرآن، قدم ذكره لأنه أول بالإضافة إلينا، أو سبب للإيمان بغيره. وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط: الصحف، وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت دعوته

فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب
او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما
بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون
جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن
ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون
مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى
فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم
كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او
بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم
الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم
الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام
الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما
يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغة وهي فطرة الله التي
فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته
او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم
تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون
هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل
من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم
اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها
على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا
حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا
من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو
ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان
كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة
على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال
ونحن له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة
ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين
تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم
بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده

وهو اولى

وهو اولى بالمعطوفون عليه اتباعهم في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني
شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم
من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض
بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما
كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع
من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذير عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين
النفس واعداد الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة
في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة
قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما
العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل
والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل
لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل
اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح
السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات
والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين
فيؤتى بامة محمد فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه
الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدم الصلة
للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الجهة التي
كنت عليها وهي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا
لليهود او الصخرة لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما
جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم

من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفاً لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه
وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام
ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالماً
قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا
وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التميز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء
للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اي لنعلم
من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة
وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه عم لما وجه الى الكعبة قالوا
كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع
اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل قد نرى
ربما نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله
يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسال فلنولينك قبلة فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها
لمقاصد دينية وافقت مشيته وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل
الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اي منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما
ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج
عليه بخلاف القريب روي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب
بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة
واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا
لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم
بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير
للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المضمر وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي
ننتظره تقريرا لاطماعهم في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم

بتابع

بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب
فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم
مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة
اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب
عن الانبياء الذين آتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق
ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه
باوصافه كمعرفتهم ابناءهم ولا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رض انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله عم
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق
اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى
ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن
من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه
لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة
باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين
جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها
وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها
واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها
فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومتفرقها
يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا
من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير
فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك
شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون
وقرا ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته
وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع
حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا
مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها
مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا
والمشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس
اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى

وحبا للبلد أو بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة
عند ربهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كقوله ولا عيب فيهم
غير أن سيوفهم ‌ بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بأن الظالم لا حجة له وقرئ ألا الذين ظلموا على أنه استئناف
بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فإن مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما أمرتكم به
ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف أي وأمرتكم لإتمامي النعمة عليكم وإرادتي اهتداءكم
أو عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لأحفظكم عنهم ولأتم نعمتي عليكم أو لئلا يكون وفي الحديث تمام
النعمة دخول الجنة وعن علي تمام النعمة الموت على الإسلام كما أرسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله
أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة كما أتممتها بإرسال رسول منكم أو بما بعده أي كما ذكرتكم
بالإرسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به أزكياء قدمه باعتبار القصد
وأخره في دعوة إبراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر
والنظر إذ لا طريق إلى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على أنه جنس آخر فاذكروني بالطاعة
أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الأمر يا أيها
الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلاة التي هي أم العبادات ومعراج
المؤمنين ومناجاة رب العالمين إن الله مع الصابرين بالنصرة وإجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله أموات أي هم أموات بل أحياء بل هم أحياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على
أن حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وإنما هي أمر لا يدرك بالعقل بل بالوحي
وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما
تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل إليهم الوجع والألم والآية نزلت في شهداء
بدر وكانوا أربعة عشر وفيها دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس من البدن
تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم إصابة
من يختبر أحوالكم هل تصبرون وعلى البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع أو بقليل
من ذلك وإنما قلله بالإضافة إلى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم أن رحمته لا تفارقهم أو بالنسبة إلى ما
يصيب به معانديهم في الآخرة وإنما أخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الأموال
والأنفس والثمرات عطف على شيء أو الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان
والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبي
إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون الخطاب للرسول
أو لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الإنسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة
وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بأن يتصور ما خلق لأجله وأنه راجع إلى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ليرى أن ما أبقى الله عليه أضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف
دل عليه أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة في الأصل الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة

للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والإحسان وعن النبي من استرجع عند المصيبة
جبر الله تعالى مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وأولئك هم المهتدون للحق
والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى إن الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت أو اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه أن يطوف بهما كان إساف على الصفا
ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج
المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والإجماع على أنه مشروع في الحج والعمرة وإنما الخلاف في وجوبه
فعن أحمد أنه سنة وبه قال أنس وابن عباس لقوله فلا جناح عليه فإنه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لأن نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن أبي حنيفة أنه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
أنه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيرا أي فعل طاعة فرضا كان أو
نفلا أو زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف أو تطوع بالسعي إن قلنا إنه سنة وخيرا نصب على أنه
صفة مصدر محذوف أو بحذف الجار وإيصال الفعل إليه أو بتعدية الفعل لتضمنه معنى أتى أو فعل وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب يطوع وأصله يتطوع فأدغم مثل يطوف فإن الله شاكر عليم مثيب على الطاعة
لا يخفى عليه إن الذين يكتمون كأحبار اليهود ما أنزلنا من البينات كالآيات الشاهدة على أمر محمد
والهدى وما يهدي إلى وجوب اتباعه والإيمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التوراة
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين إلا الذين
تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب أن يتاب عنه وأصلحوا ما أفسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم
لتتم توبتهم وقيل ما أحدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن أنفسهم ويقتدي بهم أضرابهم فأولئك
أتوب عليهم بالقبول والمغفرة وأنا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة إن الذين
كفروا وماتوا وهم كفار أي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات أولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم
أمواتا وقرئ والملائكة والناس أجمعون عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني من
زيد وعمرو أو فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها أي في اللعنة أو في النار
وإضمارها قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا أو اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد
خطاب عام أي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد أو يسمى إلها لا إله إلا هو تقرير
للوحدانية وإزاحة لأن يتوهم أن في الوجود إلها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها
فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره
وهما خبران آخران لقوله إلهكم أو لمبتدأ محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فائتنا
بآية نعرف بها صدقك فنزلت إن في خلق السماوات والأرض إنما جمع السماوات وأفرد الأرض لأنها طبقات
متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل
الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس أو بنفعهم والقصد به الاستدلال بالبحر
وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر

والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب الأمر وتأنيث الفلك لأنه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الأصل أو الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين . وما أنزل الله من السماء من ماء من الأولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو . فأحيا به الأرض بعد موتها . بالنبات وبث فيها من كل دابة . عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الأرض أو على أحيا فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق . وتصريف الرياح . في مهابها وأحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الإفراد . والسحاب المسخر بين السماء والأرض لا ينزل ولا ينقشع مع أن الطبع يقتضي أحدهما حتى يأتي أمر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لأن بعضه يجر بعضا . لآيات لقوم يعقلون . يتفكرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها واعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة إذ كان من الجائز أن لا تتحرك السماوات أو بعضها كالأرض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلا أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام وأهله وحث على البحث والنظر فيه . ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا . من الأصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد أعم منهما وهو ما يشغله عن الله . يحبونهم . يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله . كتعظيمه والميل إلى طاعته أي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله إرادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد إرادة إكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي . والذين آمنوا أشد حبا لله . لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف محبة الأنداد فإنها لأغراض فاسدة موهومة تزول بأدنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم إلى الله عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره . ولو يرى الذين ظلموا . ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الأنداد . إذ يرون العذاب . إذ عاينوه يوم القيامة وأجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى أصحاب الجنة . أن القوة لله جميعا . ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف أي لو يعلمون أن القوة لله جميعا إذا عاينوا العذاب لندموا أشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا أندادهم لا تنفع لعلموا أن القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على أنه خطاب للنبي أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وابن عامر إذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب إن بالكسر وكذا . وأن الله شديد العذاب . على الاستئناف أو إضمار القول . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا . بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ المتبوعون من الأتباع وقرئ بالعكس أي تبرأ الأتباع من الرؤساء . ورأوا العذاب . أي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ . وتقطعت بهم الأسباب .

يحتمل العطف على تبرأ أو رأوا أو الحال والأول أظهر والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا . لو للتمني ولذا أجيب بالفاء أي ليت لنا كرة إلى الدنيا فنتبرأ منهم . كذلك . مثل ذلك الإراء الفظيع . يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فحال . وما هم بخارجين من النار . أصله وما يخرجون فعدل به إلى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والإقناط عن الخلاص والرجوع إلى الدنيا . يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا . نزلت في قوم حرموا على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا أو صفة مصدر محذوف أو حال مما في الأرض ومن للتبعيض إذ لا يؤكل كل ما في الأرض . طيبا . يستطيبه الشرع أو الشهوة المستقيمة إذ الحلال دل على الأول . ولا تتبعوا خطوات الشيطان . لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والبزي بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بفتحتين على أنه جمع خطوة وهي المرة من الخطو . إنه لكم عدو مبين . ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله أولياؤهم الطاغوت . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء . بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فإنه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه إياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يتجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الأول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد . وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون . كاتخاذ الأنداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظن مستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الأصولية . وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت إلى العقلاء وقال لهم انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون . قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله عليه السلام إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم وعلى هذا فيعم ما أنزل الله التوراة لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام . أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . الواو للحال أو للعطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف أي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله . ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء . على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى أن الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه . وقيل هو تمثيلهم في اتباع

آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين حقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته أو تمثيلهم في دعائهم
الأصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الإضمار ولكن لا يساعده قوله إلا دعاء
ونداء لأن الأصنام لا تسمع إلا أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب. صم بكم عمي رفع على الذم. فهم لا يعقلون
أي بالفعل للإخلال بالنظر. يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح
لهم ما في الأرض سوى ما حرم عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله
على ما رزقكم وأحل لكم. إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تخصونه بالعبادة فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الأمر
وعن النبي يقول الله تعالى إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق فيعبد غيري وأرزق ويشكر غيري.
إنما حرم عليكم الميتة أكلها أو الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما أبين من حي والسمك
والجراد أخرجهما العرف عنها أو استثناء الشرع عنها والحرمة المضافة إلى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا إلا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ. والدم ولحم الخنزير إنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما
يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه كالتابع له. وما أهل به لغير الله أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم و
الإهلال أصله رؤية الهلال يقال أهل الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رؤي
سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره. فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
آخر ولا عاد سد الرمق أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح
للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول أحمد رح. فلا إثم عليه في تناوله. إن الله غفور
لما فعل. رحيم بالرخصة فيه. فإن قيل إنما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على حال الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء
ما لم تضطروا إليها. إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكأنهم أكلوا النار كقوله شعر أكلت دما إن لم أرعك بضرة ... بعيدة مهوى القرط طيبة النشر
يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون يوم القيامة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه
وأكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا. ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم
وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله. ولا يزكيهم ولا يثني عليهم. ولهم عذاب أليم
مؤلم. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا. والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان
الحق للمطامع والأغراض الدنيوية. فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار
من غير مبالاة. وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب أو استفهامية
وما بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف. ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق أي ذلك
العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب أو الكتمان. وإن الذين اختلفوا في الكتاب
اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض أو للعهد والإشارة إما إلى التوراة
واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو خلفوا خلاف ما أنزل الله مكانه أي حرفوا
ما فيها وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين. لفي شقاق
بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق. ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب
لأهل الكتاب وأنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة أو ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره

أمرها

أمرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب. ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين
أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو لكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والأول
أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس أو القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر. وآتى المال
على حبه أي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر
وتأمل الغنى وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال. ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج
منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لأن إيتاءهم أفضل كما قال عليه السلام صدقتك
على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة وصلة. والمساكين جمع مسكين وهو الذي أسكنه
الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير الدائم السكر. وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لأن السبيل يرعف به. والسائلين الذين ألجأتهم الحاجة
إلى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وإن جاء على فرسه. وفي الرقاب وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين
أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها. وأقام الصلاة المفروضة. وآتى الزكاة يحتمل أن يكون
المقصود منه ومن قوله تعالى وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها وبالثاني
أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت في المال سوى
الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا عطف على من آمن
والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الأعمال
وعن الأزهري البأساء في الأموال كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض. وحين البأس وقت مجاهدة
العدو. أولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر. وأولئك هم المتقون عن الكفر
وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا
فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس
وقد أشير إلى الأول بقوله من آمن إلى والنبيين وإلى الثاني بقوله وآتى المال إلى وفي الرقاب وإلى الثالث
بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا إلى إيمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد
فقد استكمل الإيمان. يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر
فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلعم فنزلت
وأمرهم أن يتباوءوا ولا تدل على أن لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا
إلى رسول الله كما لا يدل على عكسه فإن المفهوم إنما يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم
وقد بينا ما كان الغرض وإنما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده أو عبد غيره لما روى علي رضي
قتل عبده فجلده الرسول عليه السلام ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد ولأن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الأطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لأنه حكاية ما في التوراة فلا ينسخ ما في القرآن
واحتجت الحنفية به على أن مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف إذ الواجب على التخيير يصدق عليه أنه وجب
وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص

وكذا الكلام في الفرق • فمن عفي له من اخيه شيء • اي شيء من العفو لان عفي لازم وفائدته الاشعار بان
بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفي
الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله
عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه
يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه • فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان • اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب
الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية
احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان • ذلك • اي
الحكم المذكور في العفو والدية • تخفيف من ربكم ورحمة • لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص
وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية • فمن اعتدى بعد ذلك • قتل بعد العفو واخذ
الدية • فله عذاب اليم • في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ
الدية • ولكم في القصاص حيوة • كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة
بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص
وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ
في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب • يا اولي الالباب •
ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس • لعلكم
تتقون • في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل • كتب عليكم اذا
حضر احدكم الموت • اي حضر اسبابه وظهر اماراته • ان ترك خيرا • مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي
ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير
وعن عائشة ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك فقال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك • الوصية للوالدين والاقربين •
مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن
بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم
في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه
نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد
وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين
والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم • بالمعروف • بالعدل
فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث • حقا على المتقين • مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا • فمن بدله • غيره
من الاوصياء والشهود • بعد ما سمعه • وصل اليه وتحقق عنده • فانما اثمه على الذين يبدلونه • فما اثم

المغير

المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين حافوا وخالفوا الشرع • ان الله سميع عليم • وعيد للمبدل
بغير حق • فمن خاف من موص • اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب وابو بكر موص • جنفا • ميلا بالخطأ في الوصية • او اثما • تعمدا للحيف • فاصلح بينهم
بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع • فلا اثم عليه • في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق
بخلاف الاول • ان الله غفور رحيم • وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل
من جنس ما يؤثم • يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم • يعني الانبياء والامم
من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس • الصوم في اللغة الامساك
عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس • لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء
او الاخلال باداءها لاصالتها وقدمها • اياما معدودات • موقتات بعدد معلوم او قلائل
فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما
بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ
به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم
على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى
فوقع في برد وحر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك
لموتان اصابهم • فمن كان منكم مريضا • مرضا يضره الصوم ويعسر معه • او على سفر • او راكب سفر
وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر • فعدة من ايام اخر • فعليه صوم عدة ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ
بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال
ابو هريرة • وعلى الذين يطيقونه • وعلى المطيقين للصيام ان افطروا • فدية طعام مسكين •
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام و
يطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطوقونه ويتطوقونه وعلى هذه
القراآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في
الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم • فمن تطوع
خيرا • فزاد في الفدية • فهو • فالتطوع • خير له • وان تصوموا • ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم
طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر • خير لكم • من الفدية او تطوع الخير
او منهما ومن التأخير للقضاء • ان كنتم تعلمون • ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك
شهر رمضان • مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام
على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا

على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف أو بدل من أيام معدودات والرمضان مصدر رمض إذا احترق
فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع داية في ابن داية
علماً للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وإنما سموه
بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام رمض
الحر حينما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة. الذي أنزل فيه القرآن أي ابتدئ فيه إنزاله وكان
ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو
قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة
لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ
أو صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه إشعار بأن الإنزال
فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن
أي أنزل وهو هداية للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل
بما فيه من الحكم والأحكام. فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافراً فليصم فيه
والأصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الأول للتعظيم ونصب على الظرف
وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه
مفعول به كقولك شهدت الجمعة أي صلاتها فيكون ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر
مخصصاً له لأن المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ
قرينه. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك أباح الفطر
للسفر والمرض. ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل
محذوف دل عليه ما سبق أي وشرع جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة
عدة ما أفطر فيه والترخيص لتكملوا العدة إلى آخرها على سبيل اللف فإن قوله ولتكملوا علة الأمر
بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الأمر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير أو لأفعال كل لفعله أو معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعملون
ولتكملوا ويجوز أن يعطف على اليسر أي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير الفطر وقيل التكبير عند الإهلال
وما تحتمل المصدر والخبر أي الذي هداكم إليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد. وإذا سألك
عبادي عني فإني قريب أي فقل لهم إني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه
على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي أن أعرابياً قال للرسول عليه السلام أقريب ربنا فنناجيه
أو بعيد فنناديه فنزلت. أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة.
فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم. وليؤمنوا بي أمر بالثبات
والمداومة عليه. لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين
وكسرها واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير
والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على
أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم بين أحكام الصوم فقال. أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم

روي أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا
ثم إن عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي عليه السلام واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا
بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لأنه
لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإيثاره
هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث. هن لباس لكم وأنتم لباس لهن
استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة
الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي
إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا أو لأن كل واحد منهما يستر حال صاحبه
ويمنعه عن الفجور. علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص
حظها من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب. فتاب عليكم لما تبتم مما
اقترفتموه. وعفا عنكم ومحا عنكم أثره. فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل
على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع. وابتغوا ما كتب
الله لكم واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد
فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن
غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم. وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض
من الخيط الأسود من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل
بخيطين أسود وأبيض واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته
عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن تكون من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما
روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز
أو اكتفى باجتهادهم في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح
الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنباً. ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان آخر
وقته وإخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال. ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد
معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة
كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف
يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن النهي في
العبادات يوجب الفساد. تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت. فلا تقربوها نهى
أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلاً عن أن يتخطى كما قال عليه السلام إن لكل ملك حمى
وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها
ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه. كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس
لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي. ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم
مال البعض على الوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على الظرف أو الحال من الأموال. وتدلوا بها
إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام

لتأكلوا بالتحاكم • فريقا طائفة • من أموال الناس بالإثم • بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة
أو ملتبسين بالإثم • وأنتم تعلمون • أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روي أن
عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف
امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا فارتدع
عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام
للمختصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما
أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من نار • يسألونك عن الأهلة • سأل
معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم
لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا • قل هي مواقيت للناس والحج • فإنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال
القمر وتبدل أمره فأمره الله تعالى أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يؤقتون
بها أمورهم ومعالم للعبادات الموقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء
وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك
من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر • وليس البر بأن تأتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى • كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا
من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه ليس ببر وإنما
البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت
الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن اللائق بهم أن
يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حال من ترك
باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر أن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر
على مثله • وأتوا البيوت من أبوابها • إذ ليس في العدول برّ فباشروا الأمور من وجوهها • واتقوا الله
في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله • لعلكم تفلحون • لكي تظفروا بالهدى والبر • وقاتلوا في سبيل الله
جاهدوا لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه • الذين يقاتلونكم • قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم
من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم أو الشهر الحرام
وكرهوا ذلك فنزلت • ولا تعتدوا • بابتداء القتال أو بقتال المعاهد أو المفاجأة به من غير دعوة
أو المثلة وقتل من نهيتم عن قتله • إن الله لا يحب المعتدين • لا يريد بهم الخير • واقتلوهم حيث ثقفتموهم
حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق في إدراك الشيء علما كان أو عملا فهو يتضمن
معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود • وأخرجوهم
من حيث أخرجوكم • أي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح • والفتنة أشد من القتل • أي المحنة
التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه

شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من قتلكم إياهم فيه • ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه • لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام • فإن قاتلوكم فاقتلوهم • فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم
الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم
كقولهم قتلنا بنو أسد • كذلك جزاء الكافرين • مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا • فإن انتهوا
عن القتال والكفر • فإن الله غفور رحيم • يغفر لهم ما قد سلف • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة • شرك
ويكون الدين لله • خالصا ليس للشيطان فيه نصيب • فإن انتهوا • عن الشرك • فلا عدوان إلا على الظالمين
أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم أو سمي جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس
الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء • الشهر الحرام بالشهر الحرام • قاتلهم المشركون عام
الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم
هذا الشهر بذلك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به • والحرمات قصاص • احتجاج عليه أي كل حرمة وهو
ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم •
وهو فذلكة التقرير • واتقوا الله • في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم • واعلموا أن الله
مع المتقين • فيحرسهم ويصلح شأنهم • وأنفقوا في سبيل الله • ولا تمسكوا كل الإمساك • ولا
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة • بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه
فإنه يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال
لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك
وحب المال فإنه يؤدي إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء
في الفساد والإلقاء طرح الشيء وعدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي
الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم
في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها فحذف المفعول
وأحسنوا • أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج • إن الله يحب المحسنين • وأتموا الحج والعمرة
لله • ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة
من قرأ وأقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن
أن تعتمر خير لك فمعارض بما روي أن رجلا قال لعمر إني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا
فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب
بسبب إهلاله بهما لأنه رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس وقيل
إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض
دنيوي أو أن تكون النفقة حلالا • فإن أحصرتم • منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه
ومنعه عن المضي مثل صده وأصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فإذا أمنتم ولنزوله
في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما عند أبي حنيفة
لما روي من كسر أو عرج فقد حل فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما إذا شرط الإحلال به لقوله

لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني • فما استيسر من الهدي • فعليكم ما تيسر
او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح
هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عم ذبح عام الحديبية بها وهي
من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم فظن انه ذبح تحلل لقوله
• ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله • اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله
اي مكانه الذي يجب نحره فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان
او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان
والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية • فمن كان
منكم مريضا • مرضا يحوجه الى الحلق • او به اذى من راسه • كجراحة وقمل • ففدية • فعليه فدية ان حلق
• من صيام او صدقة او نسك • بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك
شاة والفرق ثلثة اصوع • فاذا امنتم • الاحصار وكنتم في حال امن وسعة • فمن تمتع بالعمرة الى الحج •
فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن تمتع بعد
التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج • فما استيسر من الهدي • فعليه دم استيسره
بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك
فهو كالاضحية • فمن لم يجد • الهدي • فصيام ثلثة ايام في الحج • في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه
وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر • وسبعة اذا رجعتم • الى اهليكم وهو مذهب
الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو القول الثاني وهو مذهب ابي حنيفة وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام • تلك عشرة • فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب ولان المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما • كاملة • صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها
من الهدي • ذلك • اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند الشافعي لانه لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عندنا فمن فعل ذلك منهم فعليه جناية • لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام • وهو من كان
من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات
عندنا واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك • واتقوا الله • في المحافظة على اوامره ونواهيه
وخصوصا في الحج • واعلموا ان الله شديد العقاب • لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان • الحج
اشهر • اي وقته كقولك البرد شهران • معلومات • معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع
ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته
وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة
في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين
وبعض الشهر اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد • فمن فرض فيهن الحج •

على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة وهو دليل على ما
ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام • فلا رفث • فلا جماع او فلا فحش من الكلام
• ولا فسوق • ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات • ولا جدال •
ولا مراء مع الخدام والرفقة • في الحج • في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة
على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة • وقرأ ابن
كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار
بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة • وما تفعلوا من خير يعلمه الله • حث على الخير عقيب النهي
عن الشر ليستدل به ويستعمل مكانه • وتزودوا فان خير الزاد التقوى • وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس •
واتقون يا اولي الالباب • فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون
المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك
خص اولي الالباب بهذا الخطاب • ليس عليكم جناح ان تبتغوا • في ان تبتغوا اي تطلبوا • فضلا
من ربكم • عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في
الجاهلية يقيمونها مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت • فاذا افضتم
من عرفات • دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول
كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة يتبع ذهاب التنوين
من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست
تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح
تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف
عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت
او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء
المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعد الوقوف
بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر به عن مطلق
• فاذكروا الله • بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين • عند المشعر الحرام • جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى
الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر ما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر • واذكروه كما هداكم • كما علمكم اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة • وان كنتم من قبله •

اى الهدى. من الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين. ثم افيضوا من حيث افاض الناس
اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون
ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قولك احسن الى الناس
ثم لا تحسن الى غير الكريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ
الناس بالكسر اى الناسى يريد ادم من قوله فنسى والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم
فلا تغيروه. واستغفروا الله من جاهليتكم فى تغيير المناسك ونحوه. ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه. فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم فى المفاخرة وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا
كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب
بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه
المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم. فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه. ربنا اتنا
فى الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا فى الدنيا. وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان همه مقصور
بالدنيا او من طلب خلاق. ومنهم من يقول ربنا اتنا فى الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق
الخير وفى الاخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله عنه الحسنة
فى الدنيا المراة الصالحة وفى الاخرة الحوراء وعذاب النار المراة السوء وقول الحسن الحسنة فى الدنيا
العلم والعبادة وفى الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار امثلة للمراد بها. اولئك اشارة الى الفريق الثانى وقيل اليهما. لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه
وهو جزاؤه او من اجله كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء
كسبا لانه من الاعمال. والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة
او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات. واذكروا الله
فى ايام معدودات كبروه فى ادبار الصلوات وعند رمى الجمار وغيرها فى ايام
التشريق. فمن تعجل فمن استعجل النفر فى يومين يوم القر والذى بعده اى فمن نفر فى ثانى ايام
التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده. فلا اثم عليه باستعجاله. ومن تاخر فلا اثم عليه
ومن تاخر فى النفر حتى رمى فى اليوم الثالث بعد الزوال وعند ابى حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى
الاثم بالتعجيل والتاخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر
لمن اتقى اى الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما. واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعبأ بكم. واعلموا انكم اليه تحشرون
للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق. ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم
فى نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه. فى الحياة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله

فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك
قوله فى الدنيا حلاوته وفصاحته ولا يعجبك فى الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له
فى الكلام. ويشهد الله على ما فى قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق لكلامه. وهو الد الخصام
شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد
الخصوم خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله
ويدعى الاسلام وقيل فى المنافقين كلهم. واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم
واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه
القطر فيهلك الحرث والنسل. والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه. واذا قيل له اتق
الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه. فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب
وهو فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب. ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم
محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب. ومن الناس من يشرى نفسه يبيعها يبذلها
فى الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل. ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه. وقيل انها
نزلت فى صهيب بن سنان الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم
ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة
والله رؤوف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشرى وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة
والشهداء. يا ايها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة
ولذلك يطلق فى الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائى وكسره الباقون وكافة اسم
للجملة لانها يكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ
منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا
والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب
فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او فى شرائع الله كلها بالايمان
بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشئ
والخطاب للمسلمين. ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق. انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة. فان زللتم عن الدخول فى السلم. من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة
على انه الحق. فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام. حكيم لا ينتقم الا بالحق. هل ينظرون استفهام
فى معنى النفى ولذلك جاء بعده الا. الا ان ياتيهم الله اى ياتيهم امره او باسه كقوله او ياتى امر ربك
فجاءهم باسنا او ياتيهم الله ببأسه فحذف المأتى به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم. فى ظلل
جمع ظلة كقلة وقلل وهو ما اظلك وقرئ ظلال كقلال. من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب
فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف
اذا جاء من حيث يحتسب الخير. والملائكة فانهم الواسطة فى اتيان امره او الاتيان على الحقيقة بهم وقرئ
بالجر عطفا على ظلل او الغمام. وقضى الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضى موضع المستقبل

لدونه ويتفق وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة • والى الله ترجع الامور • قرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب
على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول • سل بني اسرائيل • امر للرسول عم او لكل احد
والمراد بهذا السؤال تقريعهم • كم آتيناهم من آية بينة • معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب
على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء
على حذف العائد الى المبتدا وآية مميزها ومن للفصل • ومن يبدل نعمة الله • اي آيات الله فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ
من بعد ما جاءته • من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعدما عقلوها ولذلك
قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل • فان الله شديد العقاب • فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد
جريمة • زين للذين كفروا الحيوة الدنيا • حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء
للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين
بالعرض • ويسخرون من الذين آمنوا • يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم و
يستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبداء السخرية مبتدأ
منهم • والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة • لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة
وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين
اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى • والله يرزق من يشاء
في الدارين • بغير حساب • بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى • كان الناس
امة واحدة • متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة
والكفر في فترة ادريس او نوح • فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين • اي فاختلفوا فبعث
الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون • وانزل
معهم الكتاب • يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب
يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم • بالحق • حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به • ليحكم بين
الناس • اي الله او النبي المبعوث او كتابه • فيما اختلفوا فيه • في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم
وما اختلف فيه • في الحق او الكتاب • الا الذين اوتوه • اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر
فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه • من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم • حسدا بينهم و
ظلما لحرصهم على الدنيا • فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه • اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف •
من الحق • بيان لما اختلفوا فيه • باذنه • بامره او بارادته ولطفه • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم •
لا يضل سالكه • ام حسبتم ان تدخلوا الجنة • خاطب به النبي عم والمؤمنين بعدما ذكر اختلاف الامم
على الانبياء بعد مجيء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
الانكار • ولما يأتكم • ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد • مثل الذين خلوا
من قبلكم • حالهم التي هي مثل في الشدة • مستهم البأساء والضراء • بيان له على الاستيناف • وزلزلوا •

وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد • حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه • لتناهي الشدة
واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك
مرض حتى لا يرجونه • متى نصر الله • استبطاء له لتاخره • الا ان نصر الله قريب • استيناف على ارادة القول
اي فقيل لهم ذلك اسعافا الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة
عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات • يسئلونك ماذا ينفقون • عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت • قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل • سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة
باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه
قوله ما انفقتم من خير • وما تفعلوا من خير • في معنى الشرط • فان الله به عليم • جوابه اي ان تفعلوا خيرا
فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به • كتب عليكم القتال وهو كره
لكم • شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح
على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته
كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها • وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم • وهو جميع ما كلفوا فان
الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم • وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم • وهو جميع ما نهوا
عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس
الامر عليها • والله يعلم • ما هو خير لكم • وانتم لا تعلمون • ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها • يسئلونك عن الشهر الحرام • روي انه عم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته
على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة
معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه
من جمادى الاخرى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله عم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون
كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية • قتال فيه • بدل الاشتمال عن الشهر وقرئ
عن قتال فيه بتكرير العامل • قل قتال فيه كبير • اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع
دلالة الآية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم • وصد •
صرف ومنع • عن سبيل الله • اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات • وكفر به • اي بالله • والمسجد
الحرام • على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد
بالليل نارا • ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف
على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة
الجار • واخراج اهله منه • اهل المسجد وهم النبي عم والمؤمنون • اكبر عند الله • مما فعلته السرية
خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي

الواحد والجمع والذكر والمؤنث. والفتنة أكبر من القتل، أي ما ارتكبوه من الإخراج والشرك أفظع
مما ارتكبوه من قتل الحضرمي. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم، إخبار عن دوام عداوة
الكفار لهم وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم، وحتى للتعليل كقولك أعبد الله حتى أدخل الجنة
إن استطاعوا، وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق
علي، وإيذان بأنهم لا يردونهم. ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم، قيد
الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي، والمراد بها الأعمال النافعة، وقرئ حبطت
بالفتح وهي لغة فيه. في الدنيا، لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للإسلام من الفوائد الدنيوية. والآخرة،
بسقوط الثواب. وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، كسائر الكفرة. إن الذين آمنوا، نزلت أيضا في السرية
لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر. والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء. أولئك يرجون رحمة الله، ثوابه، أثبت لهم الرجاء
إشعارا بأن العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم. والله غفور، لما فعلوا خطأ
وقلة احتياط. رحيم، بإجزال الأجر والثواب. يسألونك عن الخمر والميسر، روي أنه نزل بمكة قوله ومن ثمرات
النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فأخذ المسلمون يشربونها ثم إن عمر ومعاذا في نفر من الصحابة
قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا
عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم أحدهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة
وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا فأنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا
يا رب. والخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره، سمي بها عصير العنب والتمر إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل كما
سمي سكرا لأنه يسكره أي يحجزه، وهو حرام مطلقا وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء، وقال أبو حنيفة نقيع
الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر. والميسر أيضا مصدر كالموعد
سمي به القمار لأنه أخذ مال الغير بيسر أو سلب يساره، والمعنى يسألونك عن تعاطيهما. قل فيهما، أي في تعاطيهما
إثم كبير، من حيث إنه يؤدي إلى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور. ومنافع للناس، من كسب المال والطرب
والالتذاذ ومصادقة الفتيان، وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة. وإثمهما أكبر
من نفعهما، أي المفاسد التي تنشأ منهما أعظم من المنافع المتوقعة منهما، ولهذا قيل إنها المحرمة للخمر فإن المفسدة
إذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل، والأظهر أنه ليس كذلك لما مر من إبطال مذهب المعتزلة. ويسألونك
ويسألونك ماذا ينفقون، قيل سائله أيضا عمرو بن الجموح سأل أولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية
الإنفاق. قل العفو، العفو نقيض الجهد ومنه يقال للأرض السهلة، وهو أن ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي. وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها مغضبا فأخذها فحذفها حذفا
لو أصابه لشجه ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى. كذلك
يبين الله لكم الآيات، أي مثل ما بين أن العفو أصلح من الجهد أو ما ذكر من الأحكام، والكاف في موضع النصب صفة
لمصدر محذوف أي تبيينا مثل هذا التبيين، وإنما وحد العلامة والمخاطب جمع على تأويل القبيل والجمع. لعلكم

تتفكرون

تتفكرون، في الدلائل والأحكام. في الدنيا والآخرة، في أمور الدارين فتأخذون بالأصلح
والأنفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم أو يضركم أكثر مما ينفعكم. ويسألونك عن اليتامى، لما نزلت
إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بأمرهم فشق ذلك عليهم
فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت. قل إصلاح لهم خير، أي مداخلتهم لإصلاحهم أو إصلاح أموالهم
خير من مجانبتهم. وإن تخالطوهم فإخوانكم، حث على المخالطة، أي إنهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ
أن يخالط الأخ، وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة. والله يعلم المفسد من المصلح، وعيد ووعد لمن خالطهم
لإفساد وإصلاح، أي يعلم أمره فيجازيه عليه. ولو شاء الله لأعنتكم، أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم
أي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم. إن الله عزيز، غالب يقدر على الإعنات
حكيم، يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة. ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن، أي ولا تتزوجوهن، وقرئ
بالضم أي ولا تزوجوهن من المسلمين، والمشركات تعم الكتابيات لأن أهل الكتاب مشركون لقوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون، ولكنها خصت
عنها بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب. روي أنه صلى الله عليه وسلم بعث مرثدا الغنوي إلى مكة ليخرج منها
أناسا من المسلمين فأتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت ألا تخلو فقال إن الإسلام حال
بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي فقال نعم ولكن أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمره فنزلت. ولأمة
مؤمنة خير من مشركة، أي ولامرأة مؤمنة حرة كانت أو مملوكة فإن الناس كلهم عبيد الله وإماؤه.
ولو أعجبتكم، بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى إن وهو كثير. ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا،
ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه. ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم، تعليل
للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين. أولئك، إشارة إلى المذكورين من المشركين والمشركات
يدعون إلى النار، أي الكفر المؤدي إلى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم. والله يدعو، أي أولياؤه
يعني المؤمنين، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تفخيما لشأنهم. إلى الجنة والمغفرة، أي
الاعتقاد والعمل الموصلين إليهما فهم الأحقاء بالمواصلة. بإذنه، بتوفيق الله وتيسيره أو بقضائه
وإرادته. ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون، لكي يتذكروا أو ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر
لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى. ويسألونك عن المحيض، روي أن أهل الجاهلية كانوا
لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك إلى أن سأل أبو الدحداح
في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت، والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت، ولعله سبحانه إنما ذكر يسألونك
بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لأن السؤالات الأول كانت في أوقات متفرقة والثلاثة الأخيرة كانت
في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع. قل هو أذى، أي الحيض شيء مستقذر يؤذي من يقربه
نفرة منه. فاعتزلوا النساء في المحيض، فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام إنما أمرت أن تعتزلوا مجامعتهن
إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، وهو الاقتصاد بين إفراط اليهود وتفريط
النصارى فإنهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، وإنما وصفه بأنه أذى ورتب الحكم عليه
بالفاء إشعارا بأنه العلة. ولا تقربوهن حتى يطهرن، تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغتسلن
بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن أي
يتطهرن بمعنى يغتسلن، والتزاما قوله. فإذا تطهرن فأتوهن، فإنه يقتضي تأخر جواز الإتيان عن الغسل

وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل «من حيث امركم الله» اي المأتي الذي امركم
به وحلله لكم «ان الله يحب التوابين» من الذنوب «ويحب المتطهرين» المتنزهين عن الفواحش والاقذار
كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى «نساؤكم حرث لكم» مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما
يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور «فأتوا حرثكم» اي فأتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فأتوهن من حيث امركم الله «انى شئتم» من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون من جامع
امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله عم فنزلت «وقدموا لانفسكم» ما
يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطي «واتقوا الله» بالاجتناب عن معاصيه «واعلموا
انكم ملاقوه» فتزودوا ما لا تفتضحون به «وبشر المؤمنين» الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم
الدائم امر الرسول ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل منهم «ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس» نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة
او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الآية على الاول ولا تجعلوا
الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن سمرة
واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف
بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل
او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة
للنهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ
عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين «والله سميع» لايمانكم «عليم» بنياتكم
«لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم» اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد
معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله
«ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم» والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن
يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو
ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما
تعمدتم الكذب فيها «والله غفور» حيث لم يؤاخذ باللغو «حليم» حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد
تربصا للتوبة «للذين يؤلون من نسائهم» اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف
وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن «تربص اربعة اشهر» مبتدأ ما قبله
خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع
اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء الا في اكثر
من اربعة اشهر ويؤيده «فان فاؤا» اي رجعوا في اليمين بالحنث «فان الله غفور رحيم» للمولي اثم حنثه
اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التي كالتوبة «وان عزموا الطلاق» وصمموا
قصده «فان الله سميع» لطلاقهم «عليم» بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه
ان المولي ان فاء في المدة بالوطي ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطي ان يكفر والا

بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم «والمطلقات»
يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر «يتربصن»
خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب
قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ مما زاده فضل تأكيد
«بانفسهن» تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فأمرن ان يقمعنها ويحملنها
على التربص «ثلاثة قروء» نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو
يطلق للحيض لقوله عم دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال
على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق
المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم
ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء
امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان
القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين
مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها «ولا يحل
لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن» من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه
دليل على ان قولها مقبول في ذلك «ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر» ليس المراد منه تقييد نفي الحل
بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل «وبعولتهن»
اي ازواج المطلقات «احق بردهن» الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق
رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه
والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة
نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل «في ذلك» في
زمان التربص «ان ارادوا اصلاحا» بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح
للرجعة بل التحريض عليه والمنع عن قصد الضرار «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف» اي ولهن حقوق
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس «وللرجال عليهن
درجة» زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار
ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون
بفضيلة الرعاية والانفاق «والله عزيز» يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام «حكيم» يشرعها لحكم
«الطلاق مرتان» اي التطليق الرجعي اثنان لما روي انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح
باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع
بين الطلقتين والثلاث بدعة «فامساك بمعروف» بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول
«او تسريح باحسان» بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ
وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق «ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا» روي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتت رسول الله عم

وقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما أعيبه في دين ولا خلق ولكني أكره الكفر في الإسلام
ما أطيقه بغضًا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فإذا هو أشدهم سوادًا وأقصرهم قامة وأقبحهم
وجهًا فنزلت واختلعت منه بحديقة أصدقها إياها والخطاب مع الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم
الآمرون بهما عند الترافع وقيل إنه خطاب للأزواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
إلا أن يخافا أي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ألا يقيما حدود الله بترك إقامة
أحكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وإبدال ألا بصلته عن الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فإن خفتم أيها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به على الرجل في أخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في إعطائه تلك حدود
الله إشارة إلى ما حد من الأحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله
فأولئك هم الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم أن ظاهر الآية يدل على أن الخلع
لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج إليها فضلًا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عم
أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي أنه عم قال لجميلة أتردين
حديقته فقالت أردها وأزيد عليها فقال عم أما الزائد فلا والجمهور استكرهوا ولكن نفذوه فإن
المنع عن العقد لا يدل على فساده وأنه يصح بلفظ المفاداة فإنه تعالى سماه افتداء واختلف في أنه إذا جرى بغير
لفظ الطلاق فسخ أو طلاق ومن جعله فسخًا احتج بقوله فإن طلقها فإن تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي
أن يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقًا والأظهر أنه طلاق لأنه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان أو تفسير لقوله أو تسريح بإحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة
على أن الطلاق يقع مجانًا تارة وبعوض أخرى والمعنى فإن طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك
الطلاق حتى تنكح زوجًا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند إلى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على أنه لا بد من الإصابة لما روي أن امرأة رفاعة قالت لرسول الله عم
إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإن ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله أتريدين
أن ترجعي إلى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل
أن يفسر النكاح بالإصابة ويكون العقد مستفادًا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع
إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثًا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الأكثر وجوزه أبو حنيفة
مع الكراهة وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
أن يتراجعا أن يرجع كل من المرأة والزوج الأول إلى الآخر بالزواج إن ظنا أن يقيما حدود الله
إن كان في ظنهما أنهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لأن عواقب
الأمور غيب تظن ولا تعلم ولأنه لا يقال علمت أن يقوم زيد لأن أن الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم
وتلك حدود الله أي الأحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وإذا
طلقتم النساء فبلغن أجلهن آخر عدتهن والأجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الإنسان وللموت
الذي ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أجله والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد
يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح أن يرتب عليه فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن
بمعروف إذ لا إمساك بعد انقضاء الأجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار أو خلوهن حتى ينقضي عدتهن

من غير

من غير تطويل لها هو إعادة للحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارًا ولا تراجعوهن إرادة
الإضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهى عنه
بعد الأمر بضده مبالغة ونصب ضرارًا على العلة أو الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل
والإلجاء إلى الافتداء واللام متعلقة بضرارًا إذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه
بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوًا بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم
لمن لم يجد في الأمر إنما أنت هازئ كأنه نهى عن الهزء وأراد به الأمر بضده وقيل كان الرجل يتزوج
ويطلق ويعتق ويقول كنت ألعب فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح
والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عم بالشكر والقيام بحقوقها
وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة أفردهما بالذكر إظهارًا لشرفهما يعظكم به بما أنزل عليكم
واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم تأكيد وتهديد وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي انقضت
عدتهن وعن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن
المخاطب به الأولياء لما روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جميلاء أن ترجع إلى زوجها
الأول بالاستئناف فيكون دليلًا على أن المرأة لا تزوج نفسها إذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي
معنى ولا يعارض بإسناد النكاح إليهن لأنه بسبب توقفه على إذنهن وقيل الأزواج الذين يعضلون
نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانًا وقسرًا لأنه جواب قوله وإذا طلقتم وقيل الأولياء
والأزواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الأمر فإنه إذا وجد بينهم وهم راضون
به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج
إذا تراضوا بينهم أي الخطاب والنساء وهو ظرف لأن ينكحن أو لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه
الشرع وتستحسنه المروءة حال من الضمير المرفوع أو صفة مصدر محذوف أي تراضيًا كائنًا بالمعروف
وفيه دلالة على أن العضل عن التزوج من غير كفء غير منهي عنه ذلك إشارة إلى ما مضى ذكره والخطاب
للجميع على تأويل القبيل أو كل واحد أو أن الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون
تعيين المخاطبين أو للرسول على طريقة قوله يا أيها النبي إذا طلقتم للدلالة على أن حقيقة المشار إليه
أمر لا يكاد يتصوره كل أحد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لأنه المتعظ به والمنتفع
ذلكم أي العمل بمقتضى ما ذكر أزكى لكم أنفع وأطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وأنتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن أولادهن أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب أو الوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار
والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن إذ الكلام فيهن حولين كاملين أكده بصفة
الكمال لأنه مما يتسامح فيه لمن أراد أن يتم الرضاعة بيان للمتوجه إليه الحكم أي ذلك لمن أراد إتمام
الرضاعة أو متعلق بيرضعن فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة والأم ترضع له وهو دليل على
أن أقصى مدة الإرضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وأنه يجوز أن ينقص عنه وعلى المولود له أي الذي
يولد له يعني الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه وتغيير العبارة للإشارة إلى المعنى المقتضي لوجوب
الإرضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن أجرة لهن واختلف في استئجار الأم فجوزه
الشافعي ومنعه أبو حنيفة ما دامت زوجة أو معتدة نكاح بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه

لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اى لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدة بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبالتخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى يمون الوارث من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا عن الرضاع صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما أتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهم انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة والمسلمون جميعا

فيما فعلن

فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هى الدلالة على الشىء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطء لانه يسر ثم عن العقد لانه سببه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر اذ لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعولة والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفى الوجوب فى الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة فى الجملة ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصارى طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال

بالتمتيع وسماهم محسنين قبل الفعل للمشارفة ترغيباً وتحريضاً. وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن
وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها أي فلهن
أو فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على أن الجناح المنفي تبعة المهر وأن لا متعة مع
التشطير لأنه قسيمها. إلا أن يعفون أي المطلقات فلا يأخذن شيئاً والصيغة تحتمل التذكير
والتأنيث والفرق أن الواو في الأول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون
ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه أن ونصب المعطوف عليه. أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح
أي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود إليه بالتشطير فيسوق المهر إليها كاملاً وهو مشعر بأن الطلاق
قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر بنفسه وإليه ذهب بعض أصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي
عقد نكاحهن وذلك إذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي. وأن تعفوا أقرب للتقوى
يؤيد الوجه الأول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة في الحق
وتسميتها عفواً إما على المشاكلة وإما لأنهم يسوقون المهر إلى النساء عند التزوج فمن طلق قبل
المسيس استحق استرداد النصف فإذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم أنه تزوج
امرأة وطلقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو. ولا تنسوا الفضل
بينكم أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض. إن الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم و
إحسانكم. حافظوا على الصلوات بالأداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الأمر بها في تضاعيف
أحكام الأولاد والأزواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها. والصلاة الوسطى أي
الوسطى بينها أو الفضلى منها خصوصاً وهي صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة
الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة
وقيل صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق الصلاة عليهم فكانت أفضل لقوله عليه السلام
أفضل العبادات أحمزها وقيل الفجر لأنها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك
بينهما ولأنها مشهودة. وقيل المغرب لأنها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لأنها
بين جهريتين واقعتين في طرفي الليل وعن عائشة أنه عليه السلام كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر
فتكون صلاة من الأربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص
والمدح. وقوموا لله في الصلاة. قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين
وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح. فإن خفتم من عدو أو غيره فرجالاً أو ركباناً فصلوا
راجلين أو راكبين ورجال جمع راجل أو رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلاة
حال المسايفة وإن لم يمكن الوقوف وهو مذهبنا وقال أبو حنيفة لا يصلي حال المسايفة والمشي ما لم يمكن الوقوف
فإذا أمنتم وزال خوفكم. فاذكروا الله صلوا صلاة الأمن أو اشكروه على الأمن. كما علمكم ذكراً
مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والأمن أو شكراً يوازيه وما مصدرية أو موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم. والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم
قرأها بالنصب أبو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون
وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة
كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعاً إلى الحول مكان لأزواجهم وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين

يتوفون منكم أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب عليهم وصية وقرئ متاع لأزواجهم
متاعاً إلى الحول نصب بيوصون إن أضمرت وإلا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأ لأنه بمعنى التمتيع
غير إخراج بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم أي غير مخرجات
والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم بأن يمتعن بعدهم حولاً بالسكنى
وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشراً وهو وإن كان متقدماً في التلاوة فهو
متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافاً لأبي حنيفة
فإن خرجن عن منزل الأزواج فلا جناح عليكم أيها الأئمة فيما فعلن في أنفسهن كالتطيب
وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن
الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله
عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم. وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين
أثبت المتعة للمطلقات جميعاً بعدما أوجبها لواحدة منهن وإفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه إلا إذا
جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن يكون اللام للعهد والتكرير لتأكيد
أو لتكرير القصة. كذلك إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة. يبين الله لكم آياته وعد
بأنه سيبين لعباده من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً. لعلكم تعقلون
لعلكم تفهمونها وتستعملون العقل فيها. ألم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب
التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فإنه صار مثلاً في التعجب. إلى الذين خرجوا من ديارهم
يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم
ليعتبروا ويتيقنوا أن لا مفر من قضاء الله وقدره أو قوماً من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد
ففروا حذر الموت فأماتهم ثمانية أيام ثم أحياهم. وهم ألوف أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل
ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف أو ألف كقاعد وقعود والواو للحال. حذر الموت
مفعول له. فقال لهم الله موتوا أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى أنهم ماتوا ميتة
رجل واحد من غير علة بأمر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وإنما أسند إلى الله تعالى تخويفاً وتهويلاً
ثم أحياهم قيل مر حزقيل على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب
من ذلك فأوحى الله إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا إله إلا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل
والاستسلام للقضاء. إن الله لذو فضل على الناس حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليهم
حالهم ليستبصروا. ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار
والاستبصار. وقاتلوا في سبيل الله لما بين أن الفرار من الموت غير مخلص وأن المقدر لا محالة واقع
أمرهم بالقتال إذ لو جاء أجلهم ففي سبيل الله وإلا فالنصر والثواب. واعلموا أن الله سميع لما يقوله
المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء. من ذا الذي يقرض الله من استفهامية
مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا أو بدله وإقراض الله مثل لتقديم العمل الذي
يطلب به ثوابه. قرضاً حسناً إقراضاً حسناً مقروناً بالإخلاص وطيب النفس أو مقرضاً حلالاً طيباً

وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله. فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على
صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله
في معنى أيقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب
اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف
اسم مصدر وجمعه للتنويع. والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت
حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم. واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم. الم تر
الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض.
من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء. اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم
نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما
ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا. قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين
عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا. قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان
والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر
وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة
واربعين. فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر. والله
عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد. وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم
لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت. قالوا انى يكون
له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستأهل. ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال
والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به. وانما قالوا ذلك لانه
كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت
النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من الاسباط خلق. قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا
تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة
البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم
وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق
فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك
من النسيب وغيره. وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية
ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس

وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأها بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب
نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين. فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة
او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن
نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس
الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا
وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه
من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن. وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما او
انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما. تحمله الملائكة قيل رفعه الله
بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى
افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت
خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت. ان في ذلك لآية
لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله
فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما
كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم
نهرا. قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه. فمن شرب منه فليس مني فليس
من اشياعي او ليس بمتحد معي. ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا
او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا. وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار
النبي عليه السلام. الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها
كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير
فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الرخصة
الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى
فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا وقيل الفا روي ان من اقتصر
على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي
وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة. فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل المطيعون.
قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم. قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا
في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما. كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه
اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة

لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم
الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما
غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل
داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا
يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة
احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله
الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام
الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
اي ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت
واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع
تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى ومحمد
كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد
وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة
للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم خصه
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله
هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة
لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا
ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق
من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل
بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان
او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما وجب عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا
بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به
ولا شفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذمتكم وانما
رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو

ويعقوب

ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الذين ظلموا
انفسهم او وضعوا المال غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله
ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة
خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما
يصح له فهو واجب لا يزول امتناعه عن الموت والاضمحلال القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة ولا نوم
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي
للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير
ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السماوات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
فهو ابلغ من قوله له السماوات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه
عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السماوات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون
بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي
التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السماوات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا
محيط بالسماوات السبع لقوله عليه السلام ما السماوات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم
لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله
مأخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السماوات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر
الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه
الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير
والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع
ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها
واسع الملك والقدرة كل ما من شأنه ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شأن متعال عن تدرك الاوهام
عظيم لا يحيط به الافهام ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي وقال من قرأها بعد كل صلاة مكتوبة

ويجوز ... الى العذر من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا
لا يرى فيه خيرا ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت
الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه
والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل
البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله
فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة
الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمستمسك الحق من النظر الصحيح
والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم
من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع
الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة
خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك
في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام
واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته وارادته تعالى به اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذي
حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمروذ وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء
الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني فلان لاني احسنت اليه
او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم
ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابراهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى
الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال
خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمروذ زعم
انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد
الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه
وحاجه فيه فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي

القوم

القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
او على سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او أرأيت مثل الذي
فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف
مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر على قرية وقيل انه
عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا
لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر
بالبعث ويؤيده نظمه مع نمروذ والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف
وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على
سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما
لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى في موضع النصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث مائة عام
ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث
او شارف الايمان وقيل ملك او نبي قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى
وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم
على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه
من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن
من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضي البازي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائي
بغير الهاء في الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته
حفظناه بلا ماء ولا علف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما
بعده ولنجعلك آية للناس اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير
فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع
الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام
يعني عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها على بعض
وتركيبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما
فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم
ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه او ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه
وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ
قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمروذ انا احيي
واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمروذ هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر
على الاحياء باعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس في الايمان ليجيب بما

الساهون عنه. قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب
بمضامة العيان إلى الوحي والاستدلال. قال فخذ أربعة من الطير قيل كان طاوسا وديكا وغرابا وحمامة
ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات
والزخارف الذي هو صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما
الغراب والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بها الحمام. وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع
لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب. فصرهن إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف
شأنها لئلا يلتبس عليك بعد الإحياء. وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان. قال ولكن أطراف الرماح
تصورها. أي تميلها. وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح. وقرئ
فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهما جمع أيضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا. أي ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل
سبعة. وقرأ أبو بكر بضم الزاي حيث وقع. ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله. يأتينك سعيا.
ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا. روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم
أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن. وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فتطاوعه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل
أو الشرع. وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى
أراه ما أراد أن يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام. واعلم أن الله عزيز
لا يعجز عما يريد. حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره. مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله
كمثل حبة. أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف. أنبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة. أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والماء والمنبت على الحقيقة هو الله
والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه
وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الأراضي المغلة. والله يضاعف تلك المضاعفة. لمن يشاء.
بفضله وعلى حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب. والله واسع
لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة. عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم
لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى. نزلت في عثمان فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها
وعبد الرحمن بن عوف فإنه أتى النبي بأربعة آلاف درهم صدقة. والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه
والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه. وثم للتفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى. لهم أجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط
إيهاما بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا. قول معروف. رد جميل. ومغفرة. وتجاوز عن السائل
إلحاحه أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده. خير من صدقة يتبعها
أذى. خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة. والله غني عن إنفاق بمن وإيذاء. حليم
عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة. يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى. لا تحبطوا
أجرها بكل واحد منهما. كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر. كإبطال المنافق الذي

يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضا الله ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب
على المصدر أو الحال ورئاء نصب على المفعول له أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أي إنفاقا رئاء. فمثله.
فمثل المرائي في إنفاقه. كمثل صفوان. كمثل حجر أملس. عليه تراب فأصابه وابل. مطر عظيم القطر فتركه صلدا.
أملس نقيا من التراب. لا يقدرون على شيء مما كسبوا. لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون
ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت بفلج دماؤهم
والله لا يهدي القوم الكافرين. إلى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفات
الكفار ولا بد للمؤمن أن يجتنب عنها. ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم
وتثبيتا بعض أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه
ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من أصل أنفسهم وفيه تنبيه
على أن حكمة الإنفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال. كمثل جنة بربوة. أي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاة
كمثل بستان بموضع مرتفع فإن شجره يكون أحسن منظرا وأزكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح
وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها. أصابها وابل. مطر عظيم القطر. فآتت أكلها. ثمرتها وقرأ ابن كثير
ونافع وأبو عمرو بالسكون للتخفيف. ضعفين. مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما أريد
بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل أربعة أمثاله ونصبه على الحال أي مضاعفا. فإن لم يصبها
وابل فطل. فيصيبها أو فالذي يصيبها طل أو فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها
وهو المطر الصغير القطر والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وإن كانت تتفاوت باعتبار
ما ينضم إليها من أحوالهم ويجوز أن يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة
الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل. والله بما تعملون بصير. تحذير عن الرئاء وترغيب في الإخلاص.
أيود أحدكم. الهمزة فيه للإنكار. أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الأشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر أن فيها كل الثمرات
ليدل على احتوائها على سائر أنواع الأشجار ويجوز أن يكون المراد بالثمرات المنافع. وأصابه الكبر. أي كبر السن
فإن الفاقة والعالة في الشيخوخة أصعب والواو للحال أو للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له
جنة وأصابه الكبر. وله ذرية ضعفاء. صغار لا قدرة لهم على الكسب. فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت. عطف
على أصابه أو تكون باعتبار المعنى والإعصار ريح عاصفة تنعكس من الأرض إلى السماء مستديرة كعمود والمعنى
تمثيل حال من يفعل الأفعال الحسنة ويضم إليها ما يحبطها كرئاء وإيذاء في الحسرة والأسف فإذا كان يوم القيامة
واشتد حاجته إليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه وأشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره
إلى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه إلى عالم الزور والتفت إلى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا. كذلك
يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون. أي تتفكرون فيها فتعتبرون بها. يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من
طيبات ما كسبتم. من حلاله أو جياده. ومما أخرجنا لكم من الأرض. أي ومن طيبات ما أخرجنا من الحبوب
والثمر والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره. ولا تيمموا الخبيث. ولا تقصدوا الرديء. منه. أي من المال أو مما
أخرجنا وتخصيصه بذلك لأن التفاوت فيه أكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء. تنفقون. حال مقدرة
من فاعل تيمموا ويجوز أن يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه. ولستم بآخذيه. أي وحالكم
أنكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته. إلا أن تغمضوا فيه. إلا أن تتسامحوا فيه مجاز من أغمض بصره إذا غضه

وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن علي رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر
وشراره فنهوا عنه • واعلموا ان الله غني • عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم • حميد • بقبوله
واثابته • الشيطان يعدكم الفقر • في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ
الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين • ويامركم بالفحشاء • ويغريكم على البخل والعرب
تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي • والله يعدكم مغفرة منه • اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم
وفضلا • خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة • والله واسع • اي واسع الفضل لمن انفق
عليم • بانفاقه • يؤتي الحكمة • تحقيق العلم واتقان العمل • من يشاء • مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني • ومن يؤت الحكمة • بناه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله • فقد اوتي
خيرا كثيرا • اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين • وما يذكر • وما يتعظ بما قص من الآيات او ما
يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة • الا اولوا الالباب •
ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى • وما انفقتم من نفقة • قليلة
او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل • او نذرتم من نذر • بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية • فان الله
يعلمه • فيجازيكم عليه • وما للظالمين • الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور • من انصار • من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه • ان تبدوا الصدقات فنعما
هي • اي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو عمرو
وابو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو الاقيس
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء • اي تعطوها مع الاخفاء • فهو خير لكم • فالاخفاء خير لكم وهذا
في التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع
تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا •
ويكفر عنكم من سيئاتكم • قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر عنكم او الاخفاء وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية
معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده
وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات • والله بما تعملون خبير • ترغيب في الاسرار
ليس عليك هداهم • لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين • وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن
والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث • ولكن الله يهدي من يشاء • صريح بان الهداية
من الله وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم • وما تنفقوا من خير • من نفقة معروفة • فلانفسكم
فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث • وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله • حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا ابتغاء وجه الله وطلب
ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل
نفي في معنى النهي • وما تنفقوا من خير يوف اليكم • ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة
او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوا
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار • وانتم لا تظلمون • بتنقيص

ثواب

ثواب نفقتكم • للفقراء • متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء • الذين احصروا في سبيل الله • احصرهم الجهاد • لا يستطيعون ضربا في الارض • ذهابا
فيها للكسب قيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم
بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله • يحسبهم الجاهل • بحالهم • اغنياء
من التعفف • من اجل تعففهم عن السؤال • تعرفهم بسيماهم • من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل احد • لا يسألون
الناس الحافا • الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره •
ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال • وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • ترغيب في الانفاق
وخصوصا على هؤلاء • الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية • اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير • نزلت في ابي بكر رضي الله عنه تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر
وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها • فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون • خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك
جوز الوقف على وعلانية • الذين يأكلون الربوا • اي الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان
الربوا في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان
يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع • لا يقومون • اذا بعثوا من قبورهم • الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان • الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق
كخبط العشواء • من المس • اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن
الرجل وهو متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون
نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا • اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد
لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كأنهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما
ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن
واحل الله البيع وحرم الربوا • انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص • فمن جاءه موعظة من ربه •
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا • فانتهى • فاتعظ وتبع النهي • فله ما سلف • تقدم اخذه
التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية
على رأي سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله • وامره الى الله • يجازيه على انتهائه ان كان من قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه • ومن عاد • الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه • فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون • لانهم كفروا به • يمحق الله الربوا • يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل
فيه • ويربي الصدقات • يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط • والله لا يحب • لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين

مصر على تحليل المحرمات. أثيم: منهمك في ارتكابه. إن الذين آمنوا: بالله ورسله وبما جاءهم منه. وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة: عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة. لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم: من آت. ولا هم يحزنون: على فائت. يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا: واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا. إن كنتم مؤمنين: بقلوبكم فإن دليله امتثال ما أمرتم به. روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله: أي فاعلموا بها، من أذن بالشيء إذا علم به، وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش: فآذنوا، أي فأعلموا بها غيركم، من الإذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم. وتنكير حرب للتعظيم، وذلك يقتضي أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي، ولا يقتضي كفره. روي أنها لما نزلت قالت ثقيف: لا يدي لنا بحرب الله ورسوله. وإن تبتم: من الارتباء واعتقاد حله. فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون: بأخذ الزيادة. ولا تظلمون: بالمطل والنقصان، ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم، وهو سديد على ما قلناه، إذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء. وإن كان ذو عسرة: وإن وقع غريم ذو عسرة، وقرئ ذا عسرة، أي وإن كان الغريم ذا عسرة. فنظرة: فالحكم نظرة، أو فعليكم نظرة، أو فليكن نظرة، وهي الإنظار. وقرئ فناظره على الخبر، أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره، أو صاحب نظرته على طريق النسب، وعلى الأمر أي فسامحه بالنظرة. إلى ميسرة: يسار، وقرأ نافع وحمزة بضم السين، وهما لغتان كمشرقة ومشرقة، وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله: وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا. وأن تصدقوا: بالإبراء. خير لكم: أكثر ثوابا من الإنظار، أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه. وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام: لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة. إن كنتم تعلمون: ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل. واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله: يوم القيامة أو يوم الموت، فتأهبوا لمصيركم إليه. وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم. ثم توفى كل نفس ما كسبت: جزاء ما عملت من خير أو شر. وهم لا يظلمون: بنقص ثواب وتضعيف عقاب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال: ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة. وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما، وقيل أحدا وثمانين، وقيل سبعة أيام، وقيل ثلاث ساعات. يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين: أي إذا داين بعضكم بعضا، تقول: داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا. وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة، ويعلم تنوعه إلى المؤجل والحال، وأنه الباعث على الكتبة، ويكون مرجع ضمير فاكتبوه. إلى أجل مسمى: معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج. فاكتبوه: لأنه أوثق وأدفع للنزاع، والجمهور على أنه استحباب، وعن ابن عباس أن المراد به السلم، وقال: لما حرم الله الربا أباح السلم. وليكتب بينكم كاتب بالعدل: من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص، وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع. ولا يأب كاتب: ولا يمتنع أحد من الكتاب. أن يكتب كما علمه الله: مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق، أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها، كقوله: وأحسن كما أحسن الله إليك. فليكتب: تلك الكتابة المعلمة، أمر بها بعد النهي عن الإباء عنها تأكيدا، ويجوز أن تتعلق الكاف بالأمر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقا ثم الأمر بها مقيدا. وليملل الذي عليه الحق: وليكن المملي من عليه الحق لأنه المقر المشهود عليه، والإملال والإملاء واحد. وليتق الله ربه: أي المملي أو الكاتب. ولا يبخس منه شيئا: أي من الحق أو مما أملى عليه. فإن كان الذي عليه الحق

سفيها

سفيها: ناقص العقل مبذرا. أو ضعيفا: صبيا أو شيخا مختلا. أو لا يستطيع أن يمل هو: أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس أو جهل باللغة. فليملل وليه بالعدل: أي الذي يلي أمره ويقوم مقامه من قيم إن كان صبيا أو مختل عقل، أو وكيل أو مترجم إن كان غير مستطيع، وهو دليل جريان النيابة في الإقرار، ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم أو الوكيل. واستشهدوا شهيدين: واطلبوا أن يشهد على الدين شاهدان. من رجالكم: من رجال المسلمين، وهو دليل اشتراط إسلام الشهود، وإليه ذهب عامة العلماء، وقال أبو حنيفة: تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض. فإن لم يكونا رجلين: فإن لم يكن الشهيدان رجلين. فرجل وامرأتان: فليشهد أو فالمستشهد رجل وامرأتان، وهذا مخصوص بالأموال عندنا، وبما عدا الحدود والقصاص عند أبي حنيفة. ممن ترضون من الشهداء: لعلمكم بعدالتهم. أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى: علة اعتبار العدد، أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى، والعلة في الحقيقة التذكير، ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته، كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه، فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، وفيه إشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن. وقرأ حمزة: إن تضل على الشرط، فتذكر بالرفع، وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: فتذكر من الإذكار. ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا: لأداء الشهادة أو التحمل، وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع، وما مزيدة. ولا تسأموا أن تكتبوه: ولا تملوا من كثرة مدايناتكم أن تكتبوا الدين أو الحق أو الكتاب، وقيل كنى بالسأم عن الكسل لأنه صفة المنافق، ولذلك قال عليه السلام: لا يقول المؤمن كسلت. صغيرا أو كبيرا: صغيرا كان الحق أو كبيرا، أو مختصرا كان الكتاب أو مشبعا. إلى أجله: إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون. ذلكم: إشارة إلى أن تكتبوه. أقسط عند الله: أكثر قسطا. وأقوم للشهادة: وأثبت لها وأعون على إقامتها، وهما مبنيان من أقسط وأقام على غير قياس، أو من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم، وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده. وأدنى أن لا ترتابوا: وأقرب في أن لا تشكوا في جنس الدين وقدره وأجله والشهود ونحو ذلك. إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها: استثناء عن الأمر بالكتابة، والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين أو عين، وإدارتها بينهم تعاطيهم إياها يدا بيد، أي إلا أن تتبايعوا يدا بيد فلا بأس أن لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان. ونصب عاصم تجارة على أنه الخبر والاسم مضمر تقديره: إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة، كقوله: بني أسد هل تعلمون بلاءنا، إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا. ورفعه الباقون على أنه الاسم والخبر تديرونها، أو على كان التامة. وأشهدوا إذا تبايعتم: هذا التبايع أو مطلقا لأنه أحوط، والأوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند أكثر الأئمة، وقيل إنها للوجوب، ثم اختلف في إحكامها ونسخها. ولا يضار كاتب ولا شهيد: يحتمل البناءين، ويدل عليه أنه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح، وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة، أو النهي عن الضرار بهما مثل أن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما، ولا يعطى الكاتب جعله، والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان. وإن تفعلوا: الضرار وما نهيتم عنه. فإنه فسوق بكم: خروج عن الطاعة لاحق بكم. واتقوا الله: في مخالفة أمره ونهيه. ويعلمكم الله: أحكامه المتضمنة لمصالحكم. والله بكل شيء عليم: كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها، فإن الأولى حث على التقوى، والثانية وعد بإنعامه، والثالثة تعظيم لشأنه، ولأنه أدخل في التعظيم من الكناية. وإن كنتم على سفر: أي مسافرين. ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة: فالذي يستوثق به رهان، أو فعليكم رهان، أو فليؤخذ رهان، وليس هذا التعليق لاشتراط السفر

فرهان فخالفه مجاهد والضحاك لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعاً من شعير
أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة إعوازه
والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرُهُن كسُقُف وكلاهما جمع رهن بمعنى
مرهون وقرئ بإسكان الهاء على التخفيف فإن أمن بعضكم بعضاً أي بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بأمانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن أمانته أي دينه سماه أمانة لائتمانه عليه بترك
الارتهان به وقرئ الذي اتمن بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة
عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه في الخيانة وإنكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة
أيها الشهود أو المديونون والشهادة شهادتهم على أنفسهم ومن يكتمها فإنه آثم قلبه أي يأثم قلبه أو قلبه
يأثم والجملة خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والأذن زانية أو
للمبالغة فإنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال وكأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وأخذ أشرف أجزائه
وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السماوات
وما في الأرض خلقاً وملكاً وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من أنكر الحساب كالمعتزلة والروافض
فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما
ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفاً على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلها
بدلاً منه بدل البعض من الكل أو الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا
وإدغام الراء في اللام لحن إذ الراء لا تدغم إلا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الإحياء
والمحاسبة آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة إيمانه والاعتداد به وأنه جازم
في أمره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من أن يعطف المؤمنون على الرسول
فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعاً إلى الرسول والمؤمنين أو يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين
وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون إفراد الرسول بالحكم إما لتعظيمه أو لأن إيمانه
عن مشاهدة وعيان وإيمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن أو الجنس والفرق
بينه وبين الجمع أنه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب لا نفرق بين أحد
من رسله أي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على أن الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملاً
على معناه كقوله وكل أتوه داخرين وأحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من أحد
عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا أجبنا
وأطعنا أمرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك أو نطلب غفرانك وإليك المصير المرجع بعد الموت وهو
إقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفساً إلا وسعها إلا ما تسعه قدرتها فضلاً ورحمة أو ما دون مدى
طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف
بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر
بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لأن الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس
وتنجذب إليه فكانت أجد في تحصيله وأعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
أي لا تؤاخذنا بما أدى بنا إلى نسيان أو خطأ من تفريط وقلة مبالاة أو بأنفسهما إذ لا تمتنع المؤاخذة

بهما عقلاً فإن الذنوب كالسموم فكما أن تناولها يؤدي إلى الهلاك وإن كان خطأ فتعاطي
الذنوب لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وتفضلاً
فيجوز أن يدعو الإنسان به استدامة واعتداداً بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن أمتي
الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا إصراً عبئاً ثقيلاً يأصر صاحبه أي يحبسه في مكانه يريد
به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملاً مثل حملك إياه
من قبلنا أو مثل الذي حملته إياهم فيكون صفة لإصراً والمراد به ما كلف به بنو إسرائيل من قتل الأنفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد
والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة
البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية
الفعل إلى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا أنت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فإن من حق المولى
أن ينصر مواليه على الأعداء والمراد به عامة الكفرة روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت
وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو
يرد قول من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي تذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا هو إنما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن يوقف
عليها لإلقاء حركة الهمزة عليها ليدل على أنها في حكم الثابت لأنها أسقطت للتخفيف لا للدرج فإن الميم
في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فإنه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك
في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها
على الأصل الحي القيوم روي أنه عليه السلام قال إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا إله إلا هو الحي
القيوم وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك
الكتاب القرآن نجوماً بالحق بالعدل أو بالصدق في أخباره أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو
في موضع الحال مصدقاً لما بين يديه من الكتب وأنزل التوراة والإنجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل تعسف لأنهما أعجميان ويؤيد ذلك أنه قرئ
الأنجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العربية وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائي التوراة بالإمالة في جميع
القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين إلا قالون فإنه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل
تنزيل القرآن هدى للناس على العموم إن قلنا إنا متعبدون بشرائع من قبلنا وإلا فالمراد به قومهما
وأنزل الفرقان يريد به جنس الكتب الإلهية فإنها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة
ليعم ما عداها كأنه قال وأنزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره
بما هو نعت له مدحاً وتعظيماً وإظهاراً لفضله من حيث إنه يشاركهما في كونه وحياً منزلاً ويتميز بأنه معجز
يفرق به بين الحق والباطل أو المعجزات إن الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد

بسبب كفرهم. والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة
المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه. ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض
اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا. وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته. لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما
يفعله. العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته. قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى
كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية
تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم. هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال. هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة. واخر متشابهات محتملات لا يتضح
مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب
القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه
انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ما لم يعرف لانه في معنى
المعرف او عن اخر من. فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة. فيتبعون ما تشابه منه
فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل. ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه. وابتغاء تاويله وطلب ان يؤولوه على ما يشتهونه ويحتمل
ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب
المعاند والثاني يلائم الجاهل. وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه. الا الله والراسخون
في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء
الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد
ولم يدل على ما هو المراد. يقولون امنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته
مبتدا. كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده. وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن
غواشي الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير
الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
توهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه واجيب بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب
ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور. ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال

الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه
قال عليه السلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا. بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان. وهب لنا من لدنك رحمة
تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب. انك انت الوهاب
لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه
شيء. ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه. لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه
من الحشر والجزاء نبه به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال.
ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعد لون الخطاب واستدل به
الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم التوبة وفاقا. ان الذين كفروا عام في الكفرة
وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب. لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه. واولئك هم وقود النار حطبها
وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها. كداب ال فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره داب هؤلاء كدابهم
في الكفر والعذاب وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان. والذين من
قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استئناف. كذبوا باياتنا حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم
او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم. فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة
وزيادة تخويف للكفرة. قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة
ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب
الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي
لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه. وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد
جهنم او ما مهدوه لانفسهم. قد كان لكم اية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين.
في فئتين التقتا يوم بدر. فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المؤمنين مثلي عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة
عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في
اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا
ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله في قوله وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم
ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا. راي العين
رؤية ظاهرة معاينة. والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر. ان في ذلك اي التقليل
والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكونه

وتعلم ووقوع الامر على ما اخبر به رسول الله عم لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر او لعبرة لمن ابصرهم
وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم
انهمكوا في حبها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال
والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح
والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث
بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلفوا في انه
فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي
العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع
الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن الماب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات
الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير
من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان
ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج
مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم برواية ابي بكر في جميع القران بضم الراء
وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر
واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة
للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في
استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالكين على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب
والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو
اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل
الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة
على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب
الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون
الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج
عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه
وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على
المدح او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير
وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد الاعتناء
بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما

وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل
شهد وقد روي في فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله
ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل الكل ان فسر
الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل اشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع
الفعل على الثاني واعتراض بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم
حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب
وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوا فيه بعدما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي
لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات
والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن
عطف على التاء في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الذين لا كتاب لهم
من مشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون
وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا نفعوا انفسهم بان اخرجوها
من الضلال وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله
بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره عم قتل اولهم الانبياء
ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي عم والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه
لا يغير معنى الابتداء بخلافهما اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض
او للبيان وتنكير النصيب للتعظيم او للتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عم وكتاب الله
القران او التوراة لما روي انه عم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اي دين انت فقال على ملة ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها
بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع
علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق
وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما

بسبب تسهيلهم أمر العقاب على أنفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ • وغرهم في دينهم
ما كانوا يفترون من أن النار لن تمسهم إلا أياما قلائل أو أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم أو
أن الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم • فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار إلا أياما قلائل وأن آباءهم
الأنبياء يشفعون لهم وأن الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم
روي أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد
ثم يأمر بهم إلى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • جزاء ما كسبت وفيه دليل على أن العبادة لا تحبط
وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن توفية إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فإذن هي
بعد الخلاص منها • وهم لا يظلمون • الضمير لكل نفس على المعنى لأنه في معنى كل إنسان • قل اللهم
الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل أصله يا الله أمنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته
مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فإن الميم عنده
تمنع الوصفية • تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء • تعطي منها ما تشاء من تشاء وتسترد
فالملك الأول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى قوم
وتعز من تشاء وتذل من تشاء • في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما بالنصر والإدبار والتوفيق والخذلان
بيدك الخير إنك على كل شيء قدير • ذكر الخير وحده لأنه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض إذ لا يوجد
شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا أو لمراعاة الأدب في الخطاب أو لأن الكلام وقع فيه إذ روي أنه عليه السلام
لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله يخبره فجاء فأخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور
الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي منها قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي
ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب
قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا
فنزلت ونبه على أن الشر أيضا بيده بقوله إنك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار وتولج النهار
في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب • عقب ذلك ببيان قدرته
على معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة
الذل والعز وإيتاء الملك ونزعه والولوج إدخال الشيء في الآخر وإيلاج الليل والنهار إدخال أحدهما
في الآخر بالتعقيب في الزيادة والنقص وإخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوانات من موادها
وإماتتها أو إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر الميت بالتخفيف • لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء • نهوا
عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما حتى يكون حبهم وبغضهم في الله أو عن الاستعانة
بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية • من دون المؤمنين • إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في

مندوحة

مندوحة عن موالاة الكفرة • ومن يفعل ذلك • أي اتخاذهم أولياء • فليس من الله في شيء • أي من ولايته
في شيء يصح أن يسمى ولاية فإن موالاة المتعادين لا يجتمعان • قال: تود عدوي ثم تزعم أنني
صديقك ليس النوك عنك بعازب • إلا أن تتقوا منهم تقاة • إلا أن تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه
أو اتقاء والفعل معدى بمن لأنه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم
ظاهرا وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام
كن وسطا وامش جانبا • ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير • فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه
وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه
عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة • قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه
يعلمه الله • أي إنه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها • ويعلم ما في السموات
وما في الأرض • فيعلم سركم وعلنكم • والله على كل شيء قدير • فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما
نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكأنه قال ويحذركم نفسه لأنها متصفة بعلم ذاتي
محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية
إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها • يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
تود لو أن بينها وبينه • يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها
من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله • أمدا بعيدا • وما عملت عطف على ما ذكر وتود
حال من الضمير في عملت أو خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه
حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة • ويحذركم الله نفسه • كرره للتأكيد والتذكير • والله رؤوف
بالعباد • إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه لذو مغفرة
وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه • قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله • المحبة ميل النفس
إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه
كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله وذلك
يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته • يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم • جواب للأمر أي
يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار
قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة • والله غفور رحيم • لمن تحبب إليه بطاعته
واتباع نبيه روي أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد
نجران لما قالوا إنما نعبد المسيح حبا لله وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه السلام أنهم يحبون الله فأمروا
بجعل قولهم تصديقا من العمل • قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا • يحتمل المضي والمضارعة
بمعنى فإن تتولوا • فإن الله لا يحب الكافرين • لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وإنما لم يقل لا يحبهم لقصد
العموم والدلالة على أن التولي كفر وأنه من هذه الجهة ينفي محبة الله وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين
إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين • بالرسالة والخصائص الروحانية
والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما أوجب طاعة الرسول وبين أنها الجالبة لمحبة

عقبه بذكر بيان مناقبهم تحريضا عليها وقيل اراد بآل ابراهيم اسماعيل واسحق
واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عليه السلام وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان
بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزاريا بن يورام بن ساقط
بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشى بن عوبد بن سلمون بن باعز بن عمياد
بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية
بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها
من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة
من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران
رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا
جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته
ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى
وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم
فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم
في الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء
او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم لقولي
ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس
والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره
والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها
اي ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها وليس الذكر
كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما
للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه
دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي عليه السلام ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع
في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو

اقامتها

اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما
ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس
كالحجبة في الكعبة فقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم
فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا
القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم
فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن
تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصر
زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا
بمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي
بنيت لها او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كأنها وضعت في
اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف و
بالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك
وهو دليل كرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة لزكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم فرجع بها
اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني
اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
فاطمة على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث
للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة
العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل
وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء
مجيبه فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده
وقرأ حمزة والكسائي فناديه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما في الصلوة
ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخرى او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله
وقرأ حمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي
بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة
كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم
بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه

الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم او كائنا من عداد من لم يات بكبيرة
ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او
استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر فيّ وكان له تسع وتسعون سنة
وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت
عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدا وخبر اي الله على مثل
هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر كذلك والله يفعل
ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة
الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكلم الناس ثلثا وانما حبس عن كلامهم خاصة
ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء
منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل
جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة
يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب
صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم
ان ذلك كانت معجزة زكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها
ولم يتقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر
من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير
اب وتبرئتها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع
اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان
بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو
قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالاقلام التي كانوا يكتبون بها
التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة
والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل
ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ
قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع
كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب

المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما
من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبرئيل
ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت
في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف
ويتميز عن غيره هذه الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدا
محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب
الى آبائها ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة فهي
وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة
ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم
الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله
وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث
من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد
عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله
وجبريل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر
ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت
انها تلد من غير زوج او عطف على يبشرك او وجيها او يخلق والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة
وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية
من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف
على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني
اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة
الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم
واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بكسر الهمزة فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل
فيكون طيرا باذن الله فيصير طيرا حيا باقدار الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي
المائدة طائرا بالالف والهمز وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او ممسوح العين
روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداويهم
الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس
من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي
لا تشكون فيها ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات
او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على رسولا على الوجهين
او منصوب على اضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار فعل او مردود
على قوله اني قد جئتكم بآية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك

بعض الذي حرم عليكم • أي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل وكل ذي ظفر والعمل في السبت وهو يدل على أن شرعه كان ناسخاً لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقاً للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فإن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان • وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم • أي وجئتكم بآية أخرى ألهمنيها ربكم وهي قولي إن الله ربي وربكم فإنه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر أو جئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لقوله قد جئتكم بآية من ربكم أي قد جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم والأول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله أي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعوني فيما أدعوكم إليه ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال إن الله ربي وربكم إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه إشارة إلى استكمال القوة العملية فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم • فلما أحس عيسى منهم الكفر • تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس • قال من أنصاري إلى الله • ملتجئاً إلى الله أو ذاهباً أو ضاماً إليه ويجوز أن يتعلق الجار بأنصاري مضمناً معنى الإضافة أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري وقيل إلى ههنا بمعنى مع أو في أو اللام • قال الحواريون • حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن سمي به أصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها • نحن أنصار الله • أي أنصار دين الله • آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون • لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم • ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين • أي مع الشاهدين بوحدانيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو أمة محمد عليه السلام فإنهم شهداء على الناس • ومكروا • أي الذين أحس عيسى منهم الكفر من اليهود بأن وكلوا عليه من يقتله غيلة • ومكر الله • حين رفع عيسى وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إلى الله إلا على سبيل المقابلة والازدواج • والله خير الماكرين • أقواهم مكراً وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب • إذ قال الله • ظرف لمكر الله أو خير الماكرين أو لمضمر مثل وقع ذلك • يا عيسى إني متوفيك • أي مستوفي أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً إياك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالي أو متوفيك نائماً إذ روي أنه رفع نائماً أو مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وقيل أماته الله سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى • ورافعك إلي • إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي • ومطهرك من الذين كفروا • من سوء جوارهم أو قصدهم • وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة • يعلونهم بالحجة أو السيف في غالب الأمر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى وإلى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة • ثم إلي مرجعكم • الضمير لعيسى ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطبين على الغائبين • فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون

من أمر الدين • فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم • تفسير للحكم وتفصيله وقرأ حفص فيوفيهم بالياء • والله لا يحب الظالمين • تقرير لذلك • ذلك • إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره • نتلوه عليك • وقوله • من الآيات • حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتلوه حالاً على أن العامل معنى الإشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه • والذكر الحكيم • المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه يريد به القرآن وقيل اللوح • إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم • إن شأنه الغريب كشأن آدم • خلقه من تراب • جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب إفحاماً للخصم وقطعاً لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب • ثم قال له كن • أي أنشأه بشراً كقوله ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر • فيكون • حكاية حال ماضية • الحق من ربك • خبر محذوف أي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أي الحق المذكور من الله • فلا تكن من الممترين • خطاب للنبي عليه السلام على طريق التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع • فمن حاجك • من النصارى • فيه • في عيسى • من بعد ما جاءك من العلم • أي من البينات الموجبة للعلم • فقل تعالوا • هلموا بالرأي والعزم • ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم • أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحمل عليها وإنما قدمهم على النفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم • ثم نبتهل • أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله الترك من قولهم بهلت الناقة إذا تركتها بلا صرار • فنجعل لعنة الله على الكاذبين • عطف فيه بيان روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله عليه السلام وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو عليه السلام يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله عليه السلام وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته • إن هذا • أي ما قص من نبأ عيسى ومريم • لهو القصص الحق • بجملتها خبر إن أو هو فصل يفيد أن ما ذكر في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت عليه لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل على المبتدأ • وما من إله إلا الله • صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم • وإن الله لهو العزيز الحكيم • لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية • فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين • وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد النفس بل وإلى فساد العالم • قل يا أهل الكتاب • يعم أهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران أو يهود المدينة • تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم • لا يختلف فيها الرسل والكتب ويفسرها ما بعدها • ألا نعبد

اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة
ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله
ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا
بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك
فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون
دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم
بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء
والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده
تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق منهم انه منهم وترافعوا الى رسول الله فنزلت والمعنى
ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى
بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم
فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم
مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم
جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل
ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه
وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرر
من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان
على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم
عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم
به واقربهم من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم
له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على
ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون
الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله
بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق

بالباطل

بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد
وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد
ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل
على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون
واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل
اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في
كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التوراة والانجيل لعل اصحابه
يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا
ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به
من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك
وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر
ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه
الاول اي أألان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على
الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص
برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية
ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه
قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن
من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم
ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون في ذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التوراة
حرمة وقيل عامل اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم
سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير

الجحود لمن آمن وعد وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك
الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي. ان الذين يشترون.
يستبدلون. بعهد الله. بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات. وايمانهم.
وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه. ثمنا قليلا. متاع الدنيا. اولئك لا خلاق
لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله. بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة
او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم
يوم القيمة. فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما
ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه. ولا يزكيهم. ولا يثني عليهم. ولهم عذاب اليم.
على ما فعلوا قيل انه نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرها
واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما
لم يشترها به. وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف
على اليهودي. وان منهم لفريقا. يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي. يلوون السنتهم بالكتاب.
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون
على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها. لتحسبوه
من الكتاب وما هو من الكتاب. الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين. ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله. تأكيد لقوله وما هو
من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا
من عنده وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله. ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.
تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه. ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله. تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل
ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ
الله ان نعبد غير الله وان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل
يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد
من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله. ولكن كونوا ربانيين. ولكن يقول كونوا
ربانيين. والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل
في العلم والعمل. بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون
من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
وبما تدرسونه على الناس. ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا. نصبه ابن عامر وحمزة
ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر اي ما كان لبشر
ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة
على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة

ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال. ايأمركم بالكفر. انكار والضمير للبشر وقيل لله.
بعد اذ انتم مسلمون. دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له. واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه.
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق
من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر
على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ
لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث
استثقالا. قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري. اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد ويعقد
وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به. قالوا اقررنا قال فاشهدوا.
اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة. وانا معكم من الشاهدين. وانا
ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو تأكيد وتحذير عظيم. فمن تولى بعد ذلك. بعد الميثاق
والتوكيد بالاقرار والشهادة. فاولئك هم الفاسقون. المتمردون من الكفرة. افغير دين الله
يبغون. عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره اتتولون فغير
دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي
عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم. وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها. اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة
ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم. واليه يرجعون. وقرأ
حفص بالياء على ان الضمير لمن. قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم. امر الرسول
بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم
وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا
له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه
على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والمعيار عليه. لا نفرق بين احد منهم. بالتصديق
والتكذيب. ونحن له مسلمون. منقادون او مخلصون في عبادته. ومن يبتغ غير الاسلام
دينا. اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله. فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.
الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع
في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام

اذ لو كان غيره لم يقبل والحق انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين
ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل
ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان
خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس
المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها
في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له
مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في
الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به
قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهار
التوبة لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه
واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم
ملء الارض ذهبا تغليظا في شأنهم وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة لما كان الموت على
الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا
نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى
كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من
منه العذاب ربما يتعلق بكرم وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة
الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبه فقال هذا في سبيل الله فحمل عليه رسول الله اسامة

فقال زيد

فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق
احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما
تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره
ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها
كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث قال الله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها
قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول
ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما
نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن
في دعوى الرسول موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم
ما لم يكن محرما روي انه لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته
فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل
ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم
ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم
او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض
الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان
اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض
بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط
والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه
او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم
ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه
ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم
امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السماوات
وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد به اول في الشرف لا في الزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن
حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم

وتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة كما قال **فيه آيات بينات** كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وأن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن كل جبار قصده بسوء قهره كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى **مقام إبراهيم** مبتدأ محذوف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه **ومن دخله كان آمنا** جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبي حنيفة من لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له ولكن ألجئ إلى الخروج **ولله على الناس حج البيت** قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد **من استطاع إليه سبيلا** بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك أنها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة أنها بمجموع الأمرين والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل ما أتى إلى الشيء فهو سبيله **ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإيراده في صورة الاسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم أولا وتخصيصه ثانيا فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث إنه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وذكر العالمين بدلا عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله روي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب الملل فخطبهم وقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزلت ومن كفر **قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله** بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب دليل على أن كفرهم أقبح وأنهم وإن زعموا أنهم يؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما **والله شهيد على ما تعملون** والحال أن الله شهيد مطلع على أعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار **قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن** كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم وإشعارا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الإسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي

والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه **تبغونها عوجا** حال من الواو أي باغين طالبين لها اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيها عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم **وأنتم شهداء** أنها سبيل الله والصد عنها ضلال وإضلال أو أنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الأولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الإسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون **يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين** نزلت في نفر من الأوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما خاطبهم الله بنفسه بعدما أمر الرسول بأن يخاطب أهل الكتاب إظهارا لجلالة قدرهم وإشعارا بأنهم الأحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم **وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله** إنكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الأسباب الداعية إلى الإيمان الصارفة عن الكفر **ومن يعتصم بالله** ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ إليه في مجامع أموره **فقد هدي إلى صراط مستقيم** فقد اهتدى لا محالة **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الأمر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء ألفا **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** أي ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت فإن النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي **واعتصموا بحبل الله** بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث إن التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز **جميعا** مجتمعين عليه **ولا تفرقوا** أي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الألفة **واذكروا نعمة الله عليكم** التي من جملتها الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الغل **إذ كنتم أعداء** في الجاهلية متقاتلين **فألف بين قلوبكم** بالإسلام **فأصبحتم بنعمته إخوانا** متحابين مجتمعين على الأخوة في الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم **وكنتم على شفا حفرة من**

مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه
أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو في المذكر
وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون
إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولأنه لا يصلح
لكل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب
على الكل حتى لو تركوه رأسا أثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية
أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
والدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي وعطف الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان بفضله وأولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال
الفلاح روي أنه سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم
للرحم والأمر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله
لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه
وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في الأصول
دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتي رحمة ولقوله من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ
فله أجر واحد وأولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا واختلفوا وتهديد على التشبه بهم
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل أو بإضمار اذكر وبياض الوجه
وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه
والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك فأما الذين
اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول الله بعد إيمانهم به قبل مبعثه
أو جميع الكفار كفروا بعد ما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا من الإيمان بالنظر في
الدلائل والآيات فذوقوا العذاب أمر إهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو جزاء لكفركم
وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها
على أن المؤمن وإن استغرق عمره في طاعة الله فإنه لا يدخل
الجنة إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم لكن قصد أن يكون مطلع الكلام ومقطعه
حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق
ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين إذ يستحيل الظلم منه لأنه لا يحق عليه شيء

فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لأنه المالك على الإطلاق كما قال ولله ما في السموات
وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور فيجازي كلا بما وعد له وأوعده كنتم خير أمة دل على
خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله
أو في اللوح أو فيما بين الأمم المتقدمين أخرجت للناس أظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استئناف بين به كونهم خير أمة أو خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الإيمان بكل ما
يجب أن يؤمن به وإنما أخره وحقه أن يقدم لأنه قصد بذكره الدلالة على أنهم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
إيمانا بالله وتصديقا به وإظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على أن الإجماع حجة لأنها تقتضي كونهم
آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر إذ اللام للاستغراق فلو أجمعوا على باطل كان أمرهم على خلاف
ذلك ولو آمن أهل الكتاب إيمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم إلا أذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل وأسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون أحد
ينصرهم عليكم أو يدفع بأسكم عنهم نفى إضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بأنهم لو قاتلوا
إلى القتال كانت الدبرة عليهم ثم أخبر بأنه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا
على يولوا على أن ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي
وافقها الواقع إذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر
النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل والجزية أينما ثقفوا وجدوا إلا بحبل من الله وحبل
من الناس استثناء من أعم عام الأحوال أي ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا معتصمين أو ملتبسين بذمة الله وكتابه
الذي آتاهم وذمة المسلمين أو بدين الإسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءوا بغضب من الله
رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم إحاطة البيت المضروب على أهله
واليهود في غالب الأمر فقراء مساكين ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء والتقييد
بغير حق مع أنه كذلك في نفس الأمر للدلالة على أنه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم أيضا ذلك أي الكفر
والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فإن الإصرار على الصغائر
يفضي إلى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي إلى الكفر وقيل معناه أن ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب
الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث إنهم مخاطبون
بالفروع أيضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لأهل الكتاب من أهل الكتاب أمة قائمة
استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من أقمت العود فقام وهم الذين أسلموا منهم
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات
الليل مع السجود ليكون أبين وأبلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب
لا يصلونها لما روي أنه عليه السلام أخرها ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما إنه ليس من أهل
الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات أخر لأمة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود

فإنهم منحرفون عن الحق غير متعبدين في الليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر
بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات. وأولئك من الصالحين أي الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت أحوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه. وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن
يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرانا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته إلى مفعولين لتضمنه
معنى الحرمان. وقرأ حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء. والله عليم بالمتقين
بشارة لهم وإشعار بأن التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وأن الفائز عند الله هو أهل التقوى. إن الذين
كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا من العذاب أو من الغناء فيكون مصدرا.
وأولئك أصحاب النار ملازموها. هم فيها خالدون. مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة أو مفاخرة
أو سمعة أو المنافقون رياء وخوفا. في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع
إطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو في الأصل مصدر نعت به أو نعت وصف به البرد للمبالغة
كقولك برد بارد. أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي. فأهلكته عقوبة لهم لأن
الإهلاك عن سخط أشد والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم
فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
أن يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث. وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون أي ما ظلم المنفقين بضياع
نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها أو ما ظلم أصحاب الحرث بإهلاكه ولكنهم ظلموا
أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن أي ولكن أنفسهم يظلمون ولا يجوز أن يقدر ضمير
الشأن لأنه لا يحذف إلا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام
الأنصار شعار والناس دثار. من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف هو
صفة بطانة أي بطانة كائنة من دونكم. لا يألونكم خبالا أي لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير
وأصله أن يعدى بالحرف ثم عدي إلى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع أو النقص. ودوا
ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية. قد بدت البغضاء من أفواههم أي في كلامهم
لأنهم لا يتمالكون أنفسهم لفرط بغضهم. وما تخفي صدورهم أكبر مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار.
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين. إن كنتم تعقلون
ما بين لكم والجمل الأربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز أن تكون الثلاث الأول صفات لبطانة. ها أنتم
أولاء تحبونهم ولا يحبونكم أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم
في موالاتهم وهو خبر ثان أو خبر لأولاء والجملة خبر أنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلته أو حال والعامل فيها
معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا. وتؤمنون بالكتاب كله بجنس
الكتب كلها وهو حال من لا يحبونكم والمعنى أنهم لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم أيضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم. وإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا و
تغريرا. وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا.
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به.
إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من المقول أي

وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم
ذلك ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم. إن تمسسكم حسنة
تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير
ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للإصابة. وإن تصبروا وتتقوا
موالاتهم أو ما حرم الله عليكم. لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء
للاتباع كضمة مُدَّ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره.
إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ
بالياء أي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه. وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت. من أهلك
من حجرة عائشة. تبوئ المؤمنين تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام. مقاعد
للقتال مواقف وأماكن وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى
في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك. والله سميع لأقوالكم. عليم بنياتكم روي أن المشركين
نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله عليه السلام أصحابه وقد
دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج
إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا
فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال عليه السلام رأيت في منامي بقرا مذبوحة حولي
فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة
فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر فأكرمهم الله بالشهادة
يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم
وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم
السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن
جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا. إذ همت متعلق بقوله سميع
عليم أو بدل من إذ غدوت. طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا
جناحي العسكر. أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه عليه السلام خرج في زهاء ألف رجل ووعدهم
النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلثمائة وقال علام نقتل
أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله والإسلام في نبيكم وأنفسكم
فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
والظاهر أنها ما كانت عزيمة. والله وليهما أي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز أن يراد
والله ناصرهما فما لهما تفشلان. وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر. ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما أفادهم التوكل وبدر
ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به. وأنتم أذلة حال من الضمير وإنما قال أذلة

ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح • فاتقوا الله
في الثبات • لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون
فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه • اذ تقول للمؤمنين • ظرف لنصركم وقيل بدل
ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة • الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين • انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف
ثم صاروا خمسة آلاف وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج • بلى ايجاب لما بعد لن
اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم • اي المشركون • من فورهم هذا • من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر
اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال • يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة • في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير • مسومين • معلمين من التسويم الذي هو
اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى
الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو • وما جعله الله • وما جعل امدادكم بالملائكة
الا بشرى لكم • الا بشارة لكم بالنصر • ولتطمئن قلوبكم به • ولتسكن اليه من الخوف • وما النصر
الا من عند الله • لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم
به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا على ان لا يبالوا بمن تأخر
عنهم • العزيز • الذي لا يغالب في اقضيته • الحكيم • الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والمصلحة • ليقطع طرفا من الذين كفروا • متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى
لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم • او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب والتنويع دون الترديد • فينقلبوا
خائبين • فينهزموا منقطعي الآمال • ليس لك من الامر شيء • اعتراض • او يتوب عليهم او يعذبهم • عطف
على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا
على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ان يكون
او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم
روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن
فانهم ظالمون • قد استحقوا التعذيب بظلمهم • ولله ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا فله الامر
كله • يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء • صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له • والله
غفور رحيم • لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم • يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة
لا لتقييد النهي به بل لما كان عليه الحال من عادتهم كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة
اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة • واتقوا

فيما نهيتم عنه • لعلكم تفلحون • راجين الفلاح • واتقوا النار التي اعدت للكافرين • بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة • واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون • اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى
في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له • وسارعوا • وبادروا واقبلوا • الى مغفرة
من ربكم • الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا
واو • وجنة عرضها السموات والارض • اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها
ببعض • اعدت للمتقين • هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم • الذين
ينفقون في السراء والضراء • في حالتي الرخاء والشدة او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير • والكاظمين الغيظ • الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعنه عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملأ الله قلبه امنا وايمانا • والعافين عن الناس • التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه السلام
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت • والله يحب المحسنين • يحتمل
الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم • والذين اذا فعلوا فاحشة • فعلة بالغة
في القبح كالزنا • او ظلموا انفسهم • بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك • ذكروا الله • تذكروا وعيده او
حكمه او حقه العظيم • فاستغفروا لذنوبهم • بالندم والتوبة • ومن يغفر الذنوب الا الله • استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة • ولم يصروا على ما فعلوا • ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة • وهم يعلمون • حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم
عالمين به • اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • خبر للذين
ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد
الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء
لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات
المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله • ونعم اجر العاملين • لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن
والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات • قد خلت من قبلكم سنن • وقائع سنها الله في الامم
المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل
كفضلكم • ولا رأوا مثله في سالف الامم • فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم • هذا بيان للناس • اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين

د ان يلحقهم من الشقوة ما لحقهم وهو فصل اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم
ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة
وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي
اي ولا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما
لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد
فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول ﷺ وتلك
الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما علينا
ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه
والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة
وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا
بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف
تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه
ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان وقيل معناه ليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم
بالشهادة يريد شهداء احد او ويتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر
على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصرهم على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين
وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين
لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم
الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا
وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب
للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة
فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه
وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على تمنيهم
الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله

وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته
وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل رسول الله ﷺ يدعو
الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا
الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا
يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك
منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده
بل يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس
اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام
عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول ﷺ بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر
مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم
واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم
من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين من نبي اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون
تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة
كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاولى الفا
كما ابدلت من طائي قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ
ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا
وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض
لما اصابهم عند الارجاف بقتله ﷺ والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله

وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم بسبب الاستغفار واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز
وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به
عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم
فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما
قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقوب الرعب
بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة
ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطان
القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده
اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل
الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم
باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت اميرهم في نفر
دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر
والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون
المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عم ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم
من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها
سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا
والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد
ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة
في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم عطف على صرفكم
والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم
لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا زيدة
والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير في فاثابكم للرسول عم اي فآساكم في الاغتمام واغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه

ولم يثربكم

ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة
والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله
عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط
من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او
هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع
كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير نصب على المصدر
اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله
ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون
لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون
او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع
على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدين
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا
لما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة
ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي
او عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها
قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين
واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا
ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبي عم فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى

انما هم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به
ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا
وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم
خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل
انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد
لقولهم اى هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر والغازى
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اى متم في سبيله
وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم
وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك
في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا
ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم
اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع
وحمزة والكسائى متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتأكيد والدلالة
على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم
بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك
لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم
في الامر اى في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا
لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء
وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم
من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى
للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبى ان يغل وما صح لنبى ان يخون
في الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال
بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
خشوا ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهى للرسول
على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون
تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى

ويعقوب

ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة يأتى بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه
ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى
ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا
بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء بسخط من الله بسبب المعاصى ومأواه جهنم
وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات
عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون
عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن
مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه
خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم
ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم
اى من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم آياته اى القرآن بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى
وان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها
قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم
يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا
الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان
مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله عنه باختياركم الفداء
يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم
يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته
الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ
تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس
والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع
العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخذالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم
لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين
يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم ألسنتهم بالايمان
واضافة القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم
الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون

او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير بافواههم او قلوبهم كقوله على حالة
حاتم • لاخوانهم • اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او جنسهم • وقعدوا • حال مقدرة بقد
اي قالوا قاعدين عن القتال • لو اطاعونا • في القعود • ما قتلوا • كما لم نقتل • قل فادرءوا عن انفسكم
الموت ان كنتم صادقين • اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم
الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون
سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس • ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا •
نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده
الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف
عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين • بل احياء • بل هم احياء وقرئ بالنصب
على بل احسبهم احياء • عند ربهم • ذوو زلفى منه • يرزقون • من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء • فرحين
بما آتاهم الله من فضله • وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم
الجنة • ويستبشرون • يسرون بالبشارة • بالذين لم يلحقوا بهم • اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا
فيلحقوا بهم • من خلفهم • اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة • الا خوف عليهم ولا هم يحزنون • بدل من الذين
والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا
كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب • والآية تدل على ان الانسان
غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه
والتذاذه • ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وما روى عنه عليه السلام انه قال
ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل
معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة
وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه • او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين
بالفلاح • يستبشرون • كرره للتأكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم • بنعمة من الله • ثوابا لاعمالهم • وفضل • زيادة عليه
كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة • وتنكيرهما للتعظيم • وان الله لا يضيع اجر المؤمنين •
من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك
اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة • الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح • صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره • للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم • بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد
لان المستجيبين كلهم محسنون متقون • روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا
وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من
حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال
من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت • الذين قال لهم الناس • يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود

الاشجعي

الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه
ناس من المدينة واذاعوا كلامه • ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم • يعني ابا سفيان واصحابه روي
انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله
فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع
فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم
ابن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله • فزادهم ايمانا • الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم
وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله
وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد
وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل
صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا
ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج • وقالوا حسبنا الله • محسبنا
وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك
هذا رجل حسبك • ونعم الوكيل • ونعم الموكول اليه هو • فانقلبوا • فرجعوا من بدر • بنعمة من الله • عافية
وثبات على الايمان وزيادة فيه • وفضل • وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا
فاتجروا وربحوا • لم يمسسهم سوء • من جراحة وكيد عدو • واتبعوا رضوان الله • الذي هو مناط
الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم • والله ذو فضل عظيم • قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما
يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة
رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به • انما ذلكم الشيطان • يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان
خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير
مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس • يخوف اولياءه • القاعدين عن الخروج مع الرسول
او يخوفكم اولياءه • الذين هم ابو سفيان واصحابه • فلا تخافوهم • الضمير للناس الثاني على الاول
والى الاولياء على الثاني • وخافون • في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي • ان كنتم مؤمنين •
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس • ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر • يقعون فيه سريعا
حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله • انهم لن يضروا الله شيئا • اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر
وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر • يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة •
نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وانهم
الى الكفر لانه قد مر انه لم يرد بهم ان لا يكون لهم حظ في الآخرة • ولهم عذاب عظيم • مع الحرمان عن الثواب

إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم تكرير للتأكيد أو تعميم للكفرة بعد
تخصيص من نافق من المتخلفين أو ارتد من الأعراب. ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم
خطاب للرسول عم أو لكل من يحسب والذين مفعول وأنما نملي لهم بدل منه وإنما اقتصر على مفعول واحد
لأن التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو المفعول الثاني
على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو ولا يحسبن حال
الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم وما مصدرية وكان حقها أن تفصل في الخط ولكنها وقعت
متصلة في الإمام فاتبع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على أن الذين فاعل
وأن مع ما في حيزه مفعول وفتح سين يحسب في جميع القرآن ابن عامر وعاصم وحمزة والإملاء الإمهال
وإطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من أملى لفرسه إذا أرخى له الطول ليرعى كيف شاء إنما نملي
لهم ليزدادوا إثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام
العاقبة وقرئ إنما بالفتح هاهنا وبكسر الأولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا
أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم بل للتوبة والدخول في الإيمان وإنما نملي لهم خير اعتراض معناه
أن إملاءنا خير لهم إن انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون
حالا من الواو أي ليزدادوا إثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم
من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي إلى نبيه بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها
ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس في سبيل الله ليختبر بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي
أحدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات أو ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الإخلاص
أو بأن تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يقولون
إلا ما أوحى إليهم روي أن الكفرة قالوا إن كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وعن السدي أنه عم قال عرضت علي أمتي وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون إنه يزعم أنه يعرف
من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وإن تؤمنوا حق الإيمان وتتقوا النفاق فلكم
أجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه
ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم
وكذا من قرأ بالياء إن جعل الفاعل ضمير الرسول عم أو ضمير من يحسب وإن جعله الموصول كان المفعول
الأول محذوفا لدلالة يبخلون عليه أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب
العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك ولله ميراث السماوات والأرض وله ما
فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله أو وأنه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيل الله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والإعطاء
خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو أبلغ
في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي

يقرض

يقرض الله قرضا حسنا روي أنه عم كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء إن الله فقير حين سأل
القرض فلطمه أبو بكر وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله عم وجحد ما قاله
فنزلت والمعنى أنه لم يخف عليه وأنه أعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق
سنكتبه في صحائف الحفظة أو سنحفظه في علمنا لا نهمله لأنه كلمة عظيمة إذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن
والرسول ولذلك نظمه مع قتل الأنبياء وفيه تنبيه على أنه ليس أول جريمة ارتكبوه وأن من اجترأ
على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء
وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق أي وننتقم منهم بأن نقول لهم ذوقوا
العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق إدراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لإدراك
سائر المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لأن العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على
المال وغالب حاجات الإنسان إليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الأكل مع
ذلك إشارة إلى العذاب بما قدمت أيديكم من قتل الأنبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالأيدي
عن الأنفس لأن أكثر أعمالها بهن وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب
من حيث إن نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي إثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الأشرف
ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا إن الله عهد إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا ألا نؤمن لـ
رسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي
كانت لأنبياء بني إسرائيل وهو أن يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله
أي تحيله إلى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان
إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم
فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين تكذيب وإلزام بأن رسلا جاؤوهم قبلي كزكريا ويحيى بمعجزات
أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الإتيان به وكان توقفهم
وامتناعهم عن الإيمان لأجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات أخر واجترؤوا على قتله فإن كذبوك
فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عم من تكذيب قومه
واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء إذا حسنته والكتاب في عرف
القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل
الزبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر بإعادة الجار للدلالة على أنها
مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت
بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا وإنما توفون أجوركم تعطون جزاء أعمالكم
خيرا كان أو شرا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بأنه قد يكون قبلها بعض الأجور ويؤيده
قوله عم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة
بعد عن النار يومئذ وأصل الزحزحة تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية
وعن النبي عم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور أي لذاتها وزخارفها كالمتاع الذي يدلس به على المستام

الذين يدلس على السلام ويتحقق نفيه به وهذا الى ازرما على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة
فهو متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف
الانفاق وبما يصيبها من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف
والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء
الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا
انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك
وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي
يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو
امضائه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق
وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم
الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا
واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن علي ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب
لرسول الله ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني
بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان
الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة
بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول
وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده فكانه
قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي
انه عليه السلام سال اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه
وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء
قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على
هذه الثلاثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه
اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج
عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله

قياما

قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين
ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل يصلون على الهيئات
الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع
فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا
بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات
كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق
على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر
لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا
على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الى الخلق على انه اريد به
المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة
بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك
ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث
وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة
الفاء الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب
الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصر دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل
على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع
وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القرآن والنداء
والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم
فآمنا اي آمنوا او بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر
عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين
بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار
جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك
من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون
من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف
تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل على السنة رسلك ولا تخزنا يوم
القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس
الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو
شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم
وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع عمل عامل منكم

بالكسر على ارادة القول. من ذكر او انثى بيان عامل. بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين. وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال. روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت. فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين. واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله. وقاتلوا الكفار. وقتلوا في الجهاد. وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا. وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير. لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي لاثيبنهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد. والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه. لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل احد. والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم. روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت. متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وحقارته في جنب ما اعد الله للمؤمنين. قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع. ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ما مهدوا لانفسهم. لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو الشعراء الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا. وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا. وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله. وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت. وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى. لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم. اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين. ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء. يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد. وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى تخصيص بعد تعميم. ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة. وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل

عن صلوته

عن صلوته الا لحاجة. واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم. وعنه من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس.

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية. بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم. اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم. وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة انشأها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة. وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع. وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها. وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث. واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها. والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها. وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة. وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به. وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه. وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله. ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا. وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وهو اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى. والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ. ووروده في الآية اما للبلوغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لنزول الآية قبل بلوغهم والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا. روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير. ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها. وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل. ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله

فتأكلوا بالموروث. (إنه) الضمير للأكل (كان حوبا كبيرا) ذنبا عظيما. وقرئ حَوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا. (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء) أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن، إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن. أو إن خفتم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه، لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي أنه تعالى لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن فنزلت. وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم. وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن، ونظيره (أو ما ملكت أيمانكم). وقرئ تقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا. (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا، غير منصرفة للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن كانت أصولها لم تبن لها. وقيل لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير، منصوبة على الحال من فاعل طاب، ومعناها الإذن لكل ناكح يريد الجمع أن ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة. ولو أفردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع، ولو ذكرت بأو لذهب تجويز الاختلاف في العدد. (فإن خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الأعداد أيضا (فواحدة) فاختاروا أو فانكحوا واحدة وذروا الجمع. وقرئ بالرفع على أنه فاعل محذوف أو خبره تقديره فيكفيكم واحدة أو فالمقنع واحدة. (أو ما ملكت أيمانكم) سوّى بين الواحدة من الأزواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن. (ذلك) أي التقليل منهن أو اختيار الواحدة أو التسري (أدنى ألا تعولوا) أقرب من أن لا تميلوا، من قولهم عال الميزان إذا مال، وعال الحاكم إذا جار، وعول الفريضة الميل عن حد السهام. وفسر بأن لا تكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم إذا مانهم، فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية. ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله. ولعل المراد بالعيال الأزواج، وإن أريد الأولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالإضافة إلى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع. (وآتوا النساء صدقاتهن) مهورهن. وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة، وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة. (نحلة) عطية، يقال نحله كذا نحلة ونحلا إذا أعطاه إياه عن طيب نفس بلا توقع عوض. ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر إلى مفهوم الآية لا إلى موضوع اللفظ. ونصبها على المصدر لأنها في معنى الإيتاء، أو الحال من الواو أو الصدقات أي آتوهن صدقاتهن ناحلين أو منحولة. وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات. وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا إذا دان به، على أنه مفعول له أو حال من الصدقات أي دينا من الله شرعه. والخطاب للأزواج، وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم. (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) الضمير للصداق حملا على المعنى، أو يجري مجرى اسم الإشارة. وقيل للإيتاء. ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد، والمعنى فإن وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس، لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى

التجافي والتجاوز، وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب. (فكلوه هنيئا مريئا) فخذوه وأنفقوه حلالا بلا تبعة. والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا ساغ من غير غصص، أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير. وقيل الهنيء ما يلذه الإنسان والمريء ما تحمد عاقبته. روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساق إليها فنزلت. (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها. وإنما أضاف الأموال إلى الأولياء لأنها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة. وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم. وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم، وهو أوفق لقوله (التي جعل الله لكم قياما) أي تقومون بها وتنتعشون، وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما، وسمي ما به القيام قياما للمبالغة. وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ، وقرئ قواما وهو ما يقام به. (وارزقوهم فيها واكسوهم) واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه. (وقولوا لهم قولا معروفا) عدة جميلة تطيب بها نفوسهم. والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن، والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه. (وابتلوا اليتامى) اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف بأن يكل إليه مقدمات العقد، وعند أبي حنيفة بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه. (حتى إذا بلغوا النكاح) حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يستكمل خمس عشرة سنة عندنا، لقوله عليه السلام إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه الحدود، وثماني عشرة سنة عند أبي حنيفة. وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده. (فإن آنستم منهم رشدا) فإن أبصرتم منهم رشدا. وقرئ أحستم بمعنى أحسستم. (فادفعوا إليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ. ونظم الآية أن ما بعد حتى إلى فادفعوا جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء، وكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إيناس الرشد منهم، وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد. وقال أبو حنيفة إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة، دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد. (ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا) مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم. (ومن كان غنيا فليستعفف) من أكلها (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه. ولفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي. وعنه عليه السلام أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله؟ قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله. وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا ويتبسطوا على أنفسهم أموال اليتامى. (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة ووجوب الضمان، وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة، وهو المختار عندنا ومذهب مالك، خلافا لأبي حنيفة. (وكفى بالله حسيبا) محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم. (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) يريد بهم المتوارثين بالقرابة. (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بإعادة العامل. (نصيبا مفروضا) نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله، أو حال إذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا، أو على الاختصاص

بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه
روي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن
نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل
على جواز تأخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل
بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على
اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم
او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة
فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم
لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه
والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة
للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم
بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة
الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في
بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه السلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج
افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابو بكر بضم الياء مخففا وقرئ
مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته
فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم
في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين
حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان
فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة [illegible]
منهم [illegible] فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار
الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء [illegible] فلهن

ثلثا ما ترك

ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة
واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم
ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك
ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين
امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل
بعد الاجمال تأكيدا السدس مما ترك ان كان له ولد والولد يقع على الذكر والانثى [illegible]
بالفرضية وما بقي [illegible] بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب
الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما
احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قال ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه
السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن
ابن عباس انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة
من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون
الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة
التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه
الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على
انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ
ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم
به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة
سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته
ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر
مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب
حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى
منكم او من غيركم من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان
لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف
ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه

[illegible] ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليس من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امرأة عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في آخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين وحد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذ

يأتيانها

واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتقريع والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها وعاشروهن بالمعروف

بالإنصاف في الفعل والإجمال في القول فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا أي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فإنها قد تكره ما هو أصلح دينا وأكثر خيرا
وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم إلى ما هو أصلح للدين وأدنى إلى الخير وعسى في الأصل علة
الجزاء فأقيم مقامه والمعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج أخرى وآتيتم إحداهن
أي إحدى الزوجات جمع الضمير لأنه أراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا أي من القنطار أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا استفهام إنكار وتوبيخ أي أتأخذونه
باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لأن الأخذ بسبب بهتانهم
واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها
إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب
الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف
تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض إنكار لاسترداد المهر والحال أنه وصل إليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة
أو ما أوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي
أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي
نكحها آباؤكم وإنما ذكر ما دون من لأنه أريد به الصفة وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول
من النساء بيان ما نكح على الوجهين إلا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل
وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم إلا ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم
كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم إلا ما قد سلف
إن أمكنكم أن تنكحوا وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما سلف فإنه لا مؤاخذة عليه لا أنه مقرر
إنه كان فاحشة ومقتا علة للنهي أي إن نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لأمة من الأمم
ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة أبيه المقتي وساء سبيلا سبيل
من يراه ويفعله حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت
ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لأنه معظم ما يقصد منهن ولأنه المتبادر إلى الفهم كتحريم الأكل
من قوله حرمت عليكم الميتة ولأن ما قبله وما بعده في النكاح وأمهاتكم تعم من ولدتك أو ولدت من ولدك
وإن علت وبناتكم تتناول من ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفلت وأخواتكم الأخوات من الأوجه
الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل أنثى ولدها
من ولد أنثى ولدتك قريبا أو بعيدا وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القربى والبعدى وأمهاتكم اللاتي
أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة نزل الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة أما والمراضعة
أختا وأمرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه السلام يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب واستثنى أخت ابن الرجل وأم أخيه من الرضاع من هذا الأصل ليس بصحيح
فإن حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن ذكر أولا محرمات النسب ثم الرضاعة لأن لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة

فإن تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربه
كما يرب ولده في غالب الأمر فعيل بمعنى مفعول وإنما لحقه التاء لأنه صار اسما من نسائكم متعلق
بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالإجماع قضية للنظم ولا يجوز
تعليقها بالأمهات أيضا لأن من إذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وإن علقتها بالأمهات
لم يجز ذلك لأن وجهان يعني بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الأدباء
اللهم إلا إذا جعلتها للاتصال كقوله فإني لست منك ولست مني على أن أمهات النساء
وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن
يدخل بها إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وإليه ذهب عامة العلماء
غير أنه روي عن علي تقييد التحريم فيهما ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لأن عاملهما
مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن
وهن في احتضانكم أو بصدده قوي الشبه بينها وبين أولادكم فصارت أحقاء بأن تجروها
مجراهم لا تقييد الحرمة وإليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي أنه جعله شرطا والأمهات والربائب
تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن أي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع و
يؤثر في الحرمة المس بما كان بشهوة عند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه لا يجوز
فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعاره دفعا للقياس وحلائل
أبنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج الذين من أصلابكم احتراز
عن المتبنين لا عن أبناء الأولاد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر
أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك
اليمين ولذلك قال عثمان وعلي حرمتهما آية وأحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله أو ما ملكت أيمانكم
فرجح علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله
ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام إلا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى أو منقطع معناه
لكن ما سلف مغفور لقوله إن الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الأزواج
أحصنهن التزويج أو الأزواج وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن إلا في قوله إلا ما ملكت
أيمانكم يريد ما ملكت أيمانهم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع
بالسبي لقول أبي سعيد أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا
النبي فنزلت الآية فاستحللناهن وإياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل أنكحتنا رماحنا
والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ
كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل وأحل لكم
عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم
على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة
وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة
وعمتها وخالتها أن تبتغوا بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن
محصنين غير مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم

محصنين غير مسافحين أو بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لا بد أن يكون مالا
ولا حجة فيه ✱ محصنين متزوجين غير مسافحين غير زانين فإن السفاح الزنا من السفح
وهو صب المني فإنه الغرض منه ✱ فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم
به منهن من جماع أو عقد عليهن ✱ فآتوهن أجورهن مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع
فريضة ✱ حال من الأجور بمعنى مفروضة أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر
مؤكد ✱ ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي
أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت ثلاثة أيام حين
فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح المؤقت بوقت معلوم سمي
بذلك إذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة أو تمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع ✱ إن الله كان
عليما بالمصالح حكيما ✱ فيما شرع من الأحكام ✱ ومن لم يستطع منكم طولا ✱ غنى واعتلاء
وأصله الفضل والزيادة ✱ أن ينكح المحصنات المؤمنات ✱ في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر
صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني
الحرائر لقوله ✱ فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ✱ يعني الإماء المؤمنات وظاهر الآية
حجة للشافعي في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية
مطلقا وأول أبو حنيفة طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل
قوله من فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا
من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة
حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الأمة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج ✱ والله أعلم بإيمانكم ✱ فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر
وبتفاضل ما بينكم في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل
الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده
✱ بعضكم من بعض ✱ أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الإسلام ✱ فانكحوهن
بإذن أهلهن ✱ يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقا لا إشعار له على أن لهن أن يباشرن
العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية ✱ وآتوهن أجورهن ✱ أي أدوا إليهن مهورهن
بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره أو إلى مواليهن فحذف المضاف للعلم بأن المهر
للسيد لأنه عوض حقه فيجب أن يؤدى إليه وقال مالك المهر للأمة ذهابا إلى الظاهر
✱ بالمعروف ✱ بغير مطل وضرار ونقصان ✱ محصنات ✱ عفائف ✱ غير مسافحات ✱ غير مجاهرات
بالسفاح ✱ ولا متخذات أخدان ✱ أخلاء في السر ✱ فإذا أحصن ✱ بالتزويج ✱ فإن أتين
بفاحشة ✱ زنا ✱ فعليهن نصف ما على المحصنات ✱ يعني الحرائر ✱ من العذاب ✱ من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على أن حد العبد نصف حد الحر وأنه لا يرجم
لأن الرجم لا ينتصف ✱ ذلك ✱ أي نكاح الإماء ✱ لمن خشي العنت منكم ✱ لمن خاف الوقوع
في الزنا وهو في الأصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر

أعظم

أعظم من مواقعة الإثم بأفحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط للعمل بالأحكام
✱ وأن تصبروا خير لكم ✱ أي وصبركم عن نكاح الإماء متعففين خير لكم قال عليه السلام الحرائر صلاح
البيت والإماء هلاكه ✱ والله غفور ✱ لمن لم يصبر ✱ رحيم ✱ بأن رخص له ✱ يريد الله ليبين لكم
ما تعبدكم به من الحلال والحرام أو ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن أعمالكم وليبين
مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة كما في قول قيس بن سعد
أردت لكيما يعلم الناس أنه ✱ سراويل قيس والوفود شهود ✱ وقيل المفعول محذوف
وليبين مفعول له أي يريد الخلق لأجله ✱ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ✱ مناهج من
تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طرقهم ✱ ويتوب عليكم ✱ ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم
إلى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم ✱ والله عليم
بها ✱ حكيم ✱ في وضعها ✱ والله يريد أن يتوب عليكم ✱ كرره للتأكيد والمبالغة ✱ ويريد
الذين يتبعون الشهوات ✱ يعني الفجرة فإن اتباع الشهوات الائتمار لها وأما المتعاطي لما
سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل
اليهود فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ والأخت ✱ أن تميلوا عن الحق
ميلا ✱ بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ✱ عظيما ✱ بالإضافة إلى
ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها ✱ يريد الله أن يخفف عنكم ✱ فلذلك شرع لكم الشرعة
الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة ✱ وخلق الإنسان
ضعيفا ✱ لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثماني آيات
في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث و
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة
ومن يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم ✱ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم
بالباطل ✱ بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار ✱ إلا أن تكون تجارة عن تراض
منكم ✱ استثناء منقطع أي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه أو اقصدوا
كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص
التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لأنها أغلب وأوفق لذوي المروءات ويجوز
أن يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه
الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون بالنصب على كان الناقصة وإضمار الاسم
أي إلا أن تكون التجارة أو الجهة تجارة ✱ ولا تقتلوا أنفسكم ✱ بالبخع كما يفعله جهلة الهند
أو بإلقاء النفس إلى التهلكة ويؤيده ما روي أن عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي عليه السلام أو بارتكاب ما يؤدي إلى قتلها أو باقتراف ما يذللها ويرديها
فإنه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالأنفس من كان من أهل دينهم فإن المؤمنين كنفس
واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث إنه سبب قوامها
استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما أشار إليه
بقوله ✱ إن الله كان بكم رحيما ✱ أي أمر ما أمر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم وقيل معناه إنه كان
بكم يا أمة محمد رحيما لما أمر بني إسرائيل بقتل الأنفس ونهاكم عنه ✱ ومن يفعل ذلك ✱ أي القتل

الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه
وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب
فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم
سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة
كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع
وعن النبي عم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة
واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي
الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد هنا انواع الشرك لقوله ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة
الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما
وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر
ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب
نبيه في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها
وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع
هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي
للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة عن عدم الرضا بما قسم الله له
وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع
ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك
اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل
لا بالحسد والتمني كما قال عم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة
بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله
من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله
بما يقربه ويسوقه اليكم ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان
فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا
نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون
اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل
او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل

والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون
لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان
والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ
وخبر والذين عقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف
فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد
رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورثه او الازواج على ان العقد عقد
النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره
ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة
المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم
ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله
بعضهم على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد
القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم
في الميراث والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكا فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال
اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج
ما يجب حفظه في النفوس والاموال وعنه عم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظه لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن
وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى
بالامر الذي حفظ حق الله وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون
نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز فعظوهن واهجروهن
في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن
والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم
منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو

عن ازواجكم او انه تعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه • وان خفتم شقاق بينهما • خلافا
بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف
اما لاجرائه مجرى المفعول به كقولك يا سارق الليلة او الفاعل كقولك نهارك صائم • فابعثوا حكما
من اهله وحكما من اهلها • فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل
الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او
لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح
فيه • ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما • الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا
الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح و
زوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه
ان الله كان عليما خبيرا • بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق •
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا • صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا • وبالوالدين احسانا
واحسنوا بهما احسانا • وبذي القربى • وبصاحب القرابة • واليتامى والمساكين والجار ذي
القربى • الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص
تعظيما لحقه • والجار الجنب • البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار
وهو المشرك من اهل الكتاب • والصاحب بالجنب • الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة
وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة • وابن السبيل • المسافر او الضيف • وما ملكت ايمانكم
العبيد والاماء • ان الله لا يحب من كان مختالا • متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت
اليهم • فخورا • يتفاخر عليهم • الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل • بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويأمرون الناس بالبخل • وقرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله • الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة • واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله
فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس • عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد
لان البخل والسرف الذي هو الانفاق على ما لا ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء
في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان •
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر • ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل
المنافقون • ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا • تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك

وزين لهم

وزين لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار • وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله • اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق
في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه
وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد
الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع
وانما قدم الايمان هاهنا واخره في الآية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص هاهنا
والتعليل ثم • وكان الله بهم عليما • وعيد لهم • ان الله لا يظلم مثقال ذرة • لا ينقص من الاجر
ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء
والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه • وان تك
حسنة • وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان
التامة • يضاعفها • يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها وكلاهما
بمعنى • ويؤت من لدنه • ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة
العمل • اجرا عظيما • عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر لا يوجد الا به • فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد • فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة
بشهيد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول
الامر وتعظيم الشأن • وجئنا بك • يا محمد • على هؤلاء شهيدا • تشهد على صدق هؤلاء
الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة
الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا • يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم
الارض • بيان لحالهم ثمة اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا
هم والارض سواء • ولا يكتمون الله حديثا • ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد
عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا
ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر
تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء
الثانية يقال سويته فتسوى • يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون • لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون
في صلاتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة
فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد
ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد به نهي السكران

عن قربان الصلاة، وإنما المراد النهي عن الإفراط في الشرب. وقرئ سُكارى وهو جمع
سكارى بالفتح وسكرى على أنه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى أو جماعة سكرى، وسُكرى كحبلى على
صفة الجماعة. ولا جنبا عطف على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب على الحال
والجنب الذي أصابته الجنابة، يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأنه يجري مجرى المصدر
إلا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من أعم الأحوال، أي لا تقربوا الصلاة
جنبا في عامة الأحوال إلا في السفر، وذلك إذا لم يجد الماء وتيمم، ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم، أو صفة لقوله جنبا أي جنبا غير عابري سبيل، وفيه دليل على أن التيمم لا يرفع الحدث، ومن
فسر الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها، وجوز للجنب عبور المسجد، وبه قال الشافعي
وقال أبو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد إلا إذا كان فيه الماء أو الطريق. حتى تغتسلوا
غاية النهي عن القربان حال الجنابة، وفي الآية تنبيه على أن المصلي ينبغي أن يتحرز عما يلهيه ويشغل
قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه. وإن كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فإن
الواجد له كالفاقد، أو مرضا يمنعه عن الوصول إليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم. أو على سفر
لا تجدونه فيه. أو جاء أحد منكم من الغائط فأحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين، وأصل
الغائط المطمئن من الأرض. أو لامستم النساء أو ماسستم بشرتهن ببشرتكم، وبه استدل الشافعي
على أن اللمس ينقض الوضوء، وقيل أو جامعتموهن، وقرأ حمزة والكسائي لمستم، واستعماله كناية
عن الجماع أقل من الملامسة. فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله إذ الممنوع عنه كالمفقود، ووجه
هذا التقسيم أن المترخص بالتيمم إما محدث أو جنب، والحال المقتضية له في غالب الأمر مرض أو سفر
والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله، والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر أسبابه ما يحدث بالذات
وما يحدث بالعرض، واستغنى عن تفصيل أحواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا، فكأنه قيل وإن كنتم
جنبا مرضى أو على سفر أو محدثين جئتم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء. فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم أي فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا، ولذلك
قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح أجزأه، وقال أصحابنا لا بد من أن يعلق
باليد شيء من التراب لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه أي من بعضه، وجعل من
لابتداء الغاية تعسف إذ لا يفهم من نحو ذلك إلا التبعيض، واليد اسم للعضو إلى المنكب، وما روي
أنه عليه السلام تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على أن المراد ها هنا وأيديكم إلى المرافق
إن الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الأمر عليكم ورخص لكم. ألم تر إلى الذين أوتوا من رؤية
البصر أي ألم تنظر إليهم، أو القلب وعدي بإلى لتضمين معنى الانتهاء. نصيبا من الكتاب حظا
يسيرا من علم التوراة لأن المراد أحبار اليهود. يشترون الضلالة يختارونها على الهدى
أو يستبدلونها به بعد تمكنهم منه أو حصوله لهم بإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل يأخذون
الرشى ويحرفون التوراة. ويريدون أن تضلوا أيها المؤمنون السبيل سبيل الحق. والله أعلم
منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم. وكفى بالله
وليا يلي أمركم. وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره، والباء تزاد في فاعل
كفى لتوكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي. من الذين هادوا بيان للذين أوتوا

نصيبا

نصيبا فإنه يحتملهم وغيرهم، وما بينهما اعتراض، أو بيان لأعدائكم، أو صلة لنصيرا
أي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم، أو خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته
عنها وإثبات غيره فيها، أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه. وقرئ الكلم
بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة. ويقولون سمعنا قولك وعصينا
أمرك. واسمع غير مسمع أي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم أو موت، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو
إليه، أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه، أو اسمع غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به
أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان إذا سبه، وإنما قالوه نفاقا. وراعنا
انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك. ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب
حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا، وغير مسمع موضع لا أسمعت
مكروها، أو فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا
وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية. ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه. لكان خيرا لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
وأعدل، وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه
ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم. فلا يؤمنون
إلا قليلا إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان ببعض الآيات والرسل، ويجوز أن
يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه، أو إلا قليلا منهم آمنوا أو
سيؤمنون. يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس
وجوها فنردها على أدبارها من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها
يعني الأقفاء، أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة. وأصل الطمس إزالة الأعلام
الماثلة، وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة، ولمطلق القلب والتغيير، ولذلك قيل
معناه من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار، أو
نردها إلى حيث جاءت منه وهي أذرعات الشام، يعني إجلاء بني النضير، ويقرب منه قول
من قال المراد بالوجوه الرؤساء، أو من قبل أن نطمس وجوها بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار
ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع، ونردها عن الهداية إلى الضلالة.
أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت، أو نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود. والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات
أو للوجوه إن أريد به الوجهاء، وعطفه على الطمس بالمعنى الأول يدل على أن المراد به ليس تحقيق
في الدنيا، ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب، أو كان وقوعه مشروطا
بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة. وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيد أو ما حكم به
مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا. إن الله لا يغفر أن يشرك به
لأنه بت الحكم على خلود عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره.
ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيرا كان أو كبيرا. لمن يشاء تفضلا عليه وإحسانا

وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه
لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه
ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية
كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق
بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين
يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
الى النبي صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه
واثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هي المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوي عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل
التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق
فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر
كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا
او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى
عند الله مما يدعو اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف في جمع من اليهود خرجوا
الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل اسم صنم
فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه
تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم
هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك
ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك
سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم بخلوا
بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا
نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا
لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون
الناس بل يحسدون رسول الله وصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة
فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل
وكان بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز
وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب

والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود
من آمن به بمحمد او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل
معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن
كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة
فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير
لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى
كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس
العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده
حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام
فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه
ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده
كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب
يعم المكلفين والامانات وان نزل يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة
وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه
وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له
السقاية والسدانة فامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه
ونزل الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به
فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به
من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما
تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد
بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس
بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم
انتم واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه
فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده
واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس
واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك
الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب

وثبت بالسنة وثبت بالرد إليهما على وجه القياس. إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فإن الإيمان يوجب ذلك. ذلك أي الرد خير لكم. وأحسن تأويلا عاقبة أو أحسن تأويلا
من تأويلكم بلا رد. ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي إلى النبي عليه السلام ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله فحكم لليهودي
فلم يرض المنافق وقال نتحاكم إلى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله فلم يرض
بقضائه وخاصم إليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر رضي الله عنه مكانكما حتى أخرج
إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا أقضي
لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الأشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لأجله فسمي بذلك لفرط طغيانه أو لتشبهه بالشيطان أو لأن التحاكم إليه تحاكم
إلى الشيطان من حيث إنه الحامل عليه كما قال. وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم
ضلالا بعيدا. وقرئ أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كقوله أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم. وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول. وقرئ تعالوا
بضم اللام على أنه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير. رأيت المنافقين
يصدون عنك صدودا. هو مصدر أو اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين
السد أنه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال. فكيف يكون حالهم
إذا أصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق أو النقمة من الله. بما قدمت أيديهم من التحاكم
إلى غيرك وعدم الرضا بحكمك. ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على أصابتهم وقيل
على يصدون وما بينهما اعتراض. يحلفون بالله حال. إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا
ما أردنا بذلك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء
أصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن إلى صاحبنا ويوفق بينه
وبين خصمه. أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب. فأعرض عنهم أي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم أو عن قبول معذرتهم. وعظهم
بلسانك وكفهم عما هم عليه. وقل لهم في أنفسهم أي في معنى أنفسهم أو خاليا بهم فإن النصح
في السر أنجع. قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم أمرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه
بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الأنبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في أنفسهم
مؤثرا فيها ضعيف لأن معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الأصل هو الذي يطابق
مدلوله المقصود به. وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذنه في طاعته وأمره
المبعوث إليهم بأن يطيعوه. وكأنه احتج بذلك على أن الذي لم يرض بحكمه وإن أظهر الإسلام كان
كافرا مستوجب القتل وتقريره أن إرسال الرسول لما لم يكن إلا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض
بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل. ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم
بالنفاق والتحاكم إلى الطاغوت. جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر أن وإذ متعلق به.

فاستغفروا

فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص. واستغفر لهم الرسول واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم
شفيعا وإنما عدل عن الخطاب تفخيما لشأنه وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن من حق الرسول أن يقبل اعتذار
التائب وإن عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب. لوجدوا الله توابا رحيما
لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وإن فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما
بدلا منه أو حالا من الضمير فيه. فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم لا لتظاهر
لا في قوله لا يؤمنون لأنها تزاد أيضا في الإثبات كقوله لا أقسم بهذا البلد. حتى يحكموك
فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه. ثم لا يجدوا في أنفسهم
حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به أو من حكمك أو شكا من أجله فإن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له
تسليما. وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم. ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد أو اقتلوها كما قتل بنو إسرائيل وأن مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا
في معنى أمرنا. أو اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ أبو عمرو ويعقوب أن اقتلوا
بكسر النون على أصل التحريك أو اخرجوا بضم الواو للإتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله ولا تنسوا
الفضل وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما على الأصل والباقون بضمهما إجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة
بالفعل. ما فعلوه إلا قليل منهم إلا أناس قليل وهم المخلصون لما بين أن إيمانهم لا يتم إلا بأن يسلموا
حق التسليم نبه على قصور أكثرهم ووهن إسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا أو لأحد
مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء أو على إلا فعلا قليلا. ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة. لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم. وأشد تثبيتا
في دينهم لأنه أشد لتحصيل العلم ونفي الشك أو تثبيتا لثواب أعمالهم ونصبه على التمييز والآية أيضا مما
نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل إنها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن أبي بلتعة خاصم زبيرا
في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فقال حاطب
لأن كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء إلى الجدر واستوف حقك ثم أرسله إلى جارك
وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقيل
وإذا لو تثبتوا لآتيناهم لأن إذا جواب وجزاء. ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة أكرم الخلائق وأعظمهم قدرا. من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بيان للذين أو حال منه أو من ضميره قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم
والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل
المتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر
في الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء
وأخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجد في إظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته
ولك أن تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء إما أن يكونوا بالغين درجة العيان أو
واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والأولون إما أن ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون
كمن يرى الشيء قريبا وهم الأنبياء أو لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون

والآخرون إما أن يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين
هم شهداء الله في أرضه وإما أن يكون بأمارات وإقناعات تطمئن إليها نفوسهم وهم
الصالحون. وحسن أولئك رفيقا. في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ولم
يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي
أن ثوبان مولى رسول الله عم أتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله
فقال ما بي وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك
ثم ذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن
أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبدا
فنزلت. ذلك إشارة إلى ما للمطيعين من الأجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم
أو إلى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم. الفضل من الله خبره والفضل صفته ومن الله
حال والعامل فيه معنى الإشارة. وكفى بالله عليما بجزاء من أطاع أو بمقادير الفضل
واستحقاق أهله. يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للأعداء
والحذر والحذر كالأثر والإثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح. فانفروا فاخرجوا
إلى الجهاد. ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية إذا ذكرت متفرق
محاسنه ويجمع أيضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه. أو انفروا جميعا مجتمعين كوكبة
واحدة والآية وإن نزلت في الحرب يقتضي إطلاق لفظها وجوب المبادرة إلى الخيرات
كلها كيف ما أمكن قبل الفوات. وإن منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله عم
المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ
بمعنى أبطأ وهو لازم أو ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن أبي ناسا يوم أحد من بطأ منقولا
من بطؤ كثقل من ثقل واللام الأولى للابتداء دخلت اسم إن للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن. فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة. قال أي المبطئ
قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما أصابهم. ولئن أصابكم
فضل من الله كفتح وغنيمة. ليقولن أكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام
إعادة للضمير على معنى من. كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله
وهو يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وأن قولهم هذا
قول من لا مواصلة بينكم وبينه وإنما يريد أن يكون معكم لمجرد المال أو حال عن الضمير
في ليقولن أو داخل في المقول أي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
تضريبا وحسدا كأن لم يكن بينكم وبينه مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز
يا ليتني كنت معهم وقيل إنه متصل بالجملة الأولى وهو ضعيف إذ لا يفصل أبعاض الجملة
بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة اسمه ضمير الشأن وهو محذوف
وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع وأفوز نصب على جواب

التمني

التمني وقرئ بالرفع على تقدير فأنا أفوز في ذلك الوقت أو العطف على كنت
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي الذين يبيعونها
بها والمعنى إن بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون أنفسهم في طلب
الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم
على ترك ما حكي عنهم. ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما
وعد له الأجر العظيم غلب أو غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد أنعم الله علي
إذ لم أكن معهم شهيدا وإنما قال فيقتل أو يغلب تنبيها على أن المجاهد ينبغي أن يثبت
في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة أو الدين بالظفر والغلبة وأن لا يكون قصده
بالذات إلى القتل بل إلى إعلاء الحق وإعزاز الدين. وما لكم مبتدأ وخبر. لا تقاتلون
في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل. والمستضعفين عطف على
اسم الله أي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الأسر وصونهم عن العدو أو
على السبيل بحذف المضاف أي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص
فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من أيدي الكفار أعظمها وأخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم تخليصهم عن الأسر وصونهم
المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وإنما ذكر
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان وأن
دعوتهم أجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية
وقيل المراد به العبيد والإماء وهو جمع وليد. الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم
بأن يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه عم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها
والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل أو المفعول
إذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه. الذين آمنوا
يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به إلى الله. والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم إلى الشيطان. فقاتلوا أولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين أمر
أولياءه أن يقاتلوا أولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله إن كيد الشيطان كان
ضعيفا أي إن كيده للمؤمنين بالإضافة إلى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به
فلا تخافوا أولياءه فإن اعتمادهم على أضعف شيء وأوهنه. ألم تر إلى الذين قيل
لهم كفوا أيديكم أي عن القتال. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واشتغلوا
بما أمرتم به. فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار
أن يقتلوهم كما يخشون الله أن ينزل عليهم بأسه وإذا للمفاجأة جواب لما وفريق
مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول وقع موقع
المصدر أو الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل أهل خشية الله منه أو [illegible]

عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن
من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم
الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله
او خشية اشد خشية من خشية الله • وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل
قريب • استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن
قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم • قل متاع الدنيا قليل • سريع التقضي • والاخرة خير
لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا • ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم
المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة • اينما تكونوا يدرككم الموت
وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها • او على انه كلام مبتدا
واينما متصل بلا تظلمون • ولو كنتم في بروج مشيدة • في قصور او حصون مرتفعة والبروج
في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها
بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه • وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله • وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة
على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة
كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك كما قالت
اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها • قل كل من عند الله • يبسط ويقبض
حسب ارادته • فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا • يوعظون به وهو القران
فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما كانهم بهائم لا افهام لهم او حادثا
من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله • ما اصابك يا انسان
من نعمة • فمن الله • تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود
فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا •
وما اصابك من سيئة • من بلية فمن نفسك • لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله
كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتنان • والسيئة مجازاة
وانتقام كما قالت عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما
لنا وللمعتزلة • وارسلناك للناس رسولا • حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم
ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه
على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام • وكفى بالله شهيدا • على رسالتك بنصب
المعجزات • من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله روي انه عليه السلام
قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو
ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت • ومن تولى • عن طاعته
فما ارسلناك عليهم حفيظا • تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وهو حال من الكاف • ويقولون • اذا امرتهم بامر • طاعة • اي امرنا طاعة او منا طاعة

واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات • فاذا برزوا من عندك خرجوا
بيت طائفة منهم غير الذي تقول • اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول
وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او
البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما
في المخرج • والله يكتب ما يبيتون • يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحي اليك لتطلع على
اسرارهم • فاعرض عنهم • قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم • وتوكل على الله • في الامور
كلها سيما في شانهم • وكفى بالله وكيلا • يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم • افلا يتدبرون
القران • يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء
ولو كان من عند غير الله • ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار • لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا • من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه
يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض
وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة
البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام والمصالح
ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح • واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف • مما يوجب الامن او الخوف • اذاعوا به • افشوه كان يفعله قوم من ضعفة
المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء
مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث • ولو ردوه • ولو ردوا ذلك الخبر • الى الرسول
والى اولي الامر منهم • الى رايه وراي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء
لعلمه • لعلمه على اي وجه يذكر • الذين يستنبطونه منهم • يستخرجون تدبيرهم بتجاربهم وانظارهم
وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو
ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك
من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل
الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر • ولولا فضل الله عليكم
ورحمته • بارسال الرسول وانزال الكتاب • لاتبعتم الشيطان • بالكفر والضلال •
الا قليلا • الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه
عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور
فقاتل في سبيل الله • ان تثبطوا وتركوك وحدك • لا تكلف الا نفسك • الا فعل نفسك
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك
لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون
على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسك لقوله
وحرض المؤمنين • على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض • عسى الله ان يكف

باس الذين كفروا • يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا
والله اشد باسا • من قريش • واشد تنكيلا • تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد
لمن لم يتبعه • من يشفع شفاعة حسنة • راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه
نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لمسلم قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك • يكن له نصيب منها • وهو ثواب الشفاعة والتسبب
الى الخير الواقع بها • ومن يشفع شفاعة سيئة • يريد بها محرما • يكن له كفل منها • نصيب
من وزرها مساو لها في القدر • وكان الله على كل شيء مقيتا • مقتدرا من اقات على الشيء
اذا قدر قال وذي ضغن كففت السوء عنه • وكنت على اساءته مقيتا • او شهيدا حافظا
واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه • واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها • الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه
ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها
ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب
على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام
وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة
ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية
العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي • ان الله كان على كل شيء
حسيبا • يحاسبكم على التحية وغيرها • الله لا اله الا هو • مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر
ليجمعنكم الى يوم القيامة • وما بينهما اعتراض • اي والله ليجمعنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين
اليه او في يوم القيمة والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب • لا ريب فيه • في اليوم او الجمع وهو حال من اليوم
او صفة للمصدر • ومن اصدق من الله حديثا • انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال • فما لكم في المنافقين • فما لكم تفرقتم
في امر المنافقين • فئتين • اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة
مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين
يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن
او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة • وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما
وفي المنافقين حال من فئتين اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى
الافتراق مستفاد من فئتين • والله اركسهم بما كسبوا • ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم

بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا • اتريدون ان تهدوا من اضل الله
ان تجعلوه من المهتدين • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • الى الهدى • ودوا لو تكفرون
كما كفروا • تمنوا ان تكفروا ككفرهم • فتكونون سواء • في الضلال وهو عطف
على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز • فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
في سبيل الله • فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتتحقق ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله
لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه • فان تولوا • عن الايمان الظاهر بالهجرة
او عن اظهار الايمان • فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم • كسائر الكفرة
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية
ولا نصرة • الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون
محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من لجا اليه فله من الجوار مثل ما له
وقيل بنو بكر بن زيد مناة • او جاؤوكم • عطف على الصلة اي او الذين جاؤوكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين
فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه
قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون
او استئناف • حصرت صدورهم • حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم
وحصرات او بيان لجاؤوكم وقيل صفة محذوف اي جاؤوكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض • ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم • اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم • ولو شاء الله لسلطهم عليكم
بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم • فلقاتلوكم • ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم • فان لم يتعرضوا لكم • والقوا اليكم السلم • الاستسلام
والانقياد • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم • ستجدون
آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم • هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار
اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا • كلما ردوا الى الفتنة
دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين • اركسوا فيها • عادوا اليها وقلبوا فيها
قلب • فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم • وينبذوا اليكم العهد • ويكفوا ايديهم
عن قتالكم • فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم • حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف
لا يوجب نفي التعرض • واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة في التعرض
لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا
ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم • وما كان لمؤمن • وما صح له وليس من شانه • ان يقتل
مؤمنا بغير حق • الا خطا • فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في

في جميع الأحوال إلا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي إلا قتلاً خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالباً أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله • ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة • أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر العتيق والكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في الأحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس • مؤمنة • محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة • ودية مسلمة إلى أهله • مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله • إلا أن يصدقوا • يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثاً عليه وتنبيهاً على فضله وعن النبي عليه السلام كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليها فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو الظرف • فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة • أي إن كان المقتول مؤمناً من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم ولأنهم محاربون • وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة • وإن كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول معاهداً أو كان له وارث مسلم • فمن لم يجد • رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها • فصيام شهرين متتابعين • فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين • توبة • نصب على المفعول له أي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب الله عليكم توبة أو حال بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة • من الله • صفتها • وكان الله عليماً • بحاله • حكيماً • فيما أمر في شأنه • ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً • لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمداً ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله وإني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتداً أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين لا يدوم

عذابهم

عذابهم • يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله • سافرتم وذهبتم للغزو • فتبينوا • فاطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تعجلوا فيه • ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام • لمن حياكم بتحية الإسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم أي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام أيضاً • لست مؤمناً • وإنما فعلت ذلك متعوذاً وقرئ مؤمَناً بالفتح أي مبذولاً له الأمان • تبتغون عرض الحياة الدنيا • تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت • فعند الله مغانم كثيرة • تغنيكم عن قتل أمثاله لماله • كذلك كنتم من قبل • أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم • فمن الله عليكم • بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين • فتبينوا • وافعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا إلى قتلهم ظناً بأنهم دخلوا فيه اتقاء وخوفاً فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم • إن الله كان بما تعملون خبيراً • عالماً به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي أن سرية لرسول الله عليه السلام غزت أهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فأراد قتله فقال لا إله إلا الله فقتله وقال ود لو فر بأهله وماله وفيه دليل على صحة إيمان المكره وأن المجتهد قد يخطئ وأن خطأه مغتفر • لا يستوي القاعدون • عن الحرب • من المؤمنين • في موضع الحال من القاعدين أو من الضمير الذي فيه • غير أولي الضرر • بالرفع صفة للقاعدون لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال أو الاستثناء وقرئ بالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه وعن زيد بن ثابت أنها نزلت ولم يكن فيها غير أولي الضرر فقال ابن أم مكتوم وكيف وأنا أعمى فغشي رسول الله عليه السلام في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر • والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم • أي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعاً لرتبته وأنفة عن انحطاط منزلته • فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة • جملة موضحة لما نفي من الاستواء فيه والقاعدين على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض أي بدرجة أو على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوي درجة • وكلاً • من القاعدين والمجاهدين • وعد الله الحسنى • المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة

العمل المستدعي لمزيد الثواب • وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما • درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعليهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم • رحيما بما وعد لهم • ان الذين توفاهم الملائكة • يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها • ظالمي انفسهم • في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة • قالوا • اي الملائكة توبيخا لهم • فيم كنتم • في اي شيء كنتم من امر دينكم • قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمته • قالوا • اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا • الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة • فاولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها • وساءت مصيرا • مصيرهم او جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام • الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان • استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت • لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا • صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل • فاولئك عسى

يعفو عنهم

ان يعفو عنهم • ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه • وكان الله عفوا غفورا • ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا • متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام • وسعة • في الرزق واظهار الدين • ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت • وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا • فقد وقع اجره على الله • الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات • وكان الله غفورا رحيما • واذا ضربتم في الارض • سافرتم • فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة • بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عائشة اعتمرت مع رسول الله عليه السلام وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عائشة اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح فيه لتطيب به نفوسهم وتطمئن اليه واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش • ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا • شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم يعتبر في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره • واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة • تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول عليه السلام لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره • فلتقم طائفة منهم معك • فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو • وليأخذوا اسلحتهم • اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليها • فاذا سجدوا

يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم
بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة
مرة كما فعله ع م ببطن النخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين
فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم منفردين ويذهبوا الى وجه
العدو ويأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا
صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله ع م بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رح
يصلي بالامام ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي
معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى وتؤدي الركعة
الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر
آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
والذين تبوؤا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم
شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتتقوى
قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا
في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر
في جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم
سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها
واتوا بها تامة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا
الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان
المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب
في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة رح لا يصلي
حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع
على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله
بسبب الاسلام واظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب
منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون

ويكون

ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى
وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة
بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين
اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه
واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله ع م فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ع م
ان يفعل بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر
الله مما هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت
ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا
على برائته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط
الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله
وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم ولا طريق معه الا
ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي
البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه
شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع
اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون
عليهم وكيلا محاميا يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم
نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما
متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثما
فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليما
حكيما فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما
كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او او تذكير
بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما
وان كان مقترف احداهما دون مقترف الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق
مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء

عصمتك وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم • ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر • وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم • من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام • وكان فضل الله عليك عظيما • اذ لا فضل اعظم من النبوة • لا خير في كثير من نجواهم • من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله • الا من امر بصدقة او معروف • على حذف المضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به • او اصلاح بين الناس • او اصلاح ذات بين • ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما • بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات من عرض الدنيا • ومن يشاقق الرسول • يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر • من بعد ما تبين له الهدى • ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات • ويتبع غير سبيل المؤمنين • غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل • نوله ما تولى • نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره • ونصله جهنم • وندخله فيها وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه • وساءت مصيرا • جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادئ الاحكام • ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله عم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت • ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا • عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله • ان يدعون من دونه الا اناثا • يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال • وما ذكر فان يكبر فانثى • شديد الازم ليس له ضروس • فانه عنى القراد وهو ما كان

صيغة

صغيرا يسمى قرادا فاذا كبر يسمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبيث وخبث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو همزة • وان يدعون • وان يعبدون بعبادتها • الا شيطانا مريدا • لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته في ذلك عبادة له والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها • لعنه الله • صفة ثانية للشيطان • وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا • عطف عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان الله تعالى ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء • ولاضلنهم • عن الحق • ولامنينهم • الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب • ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام • يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة • ولآمرنهم فليغيرن خلق الله • عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواطة والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا • ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله • بايثاره ما يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته • فقد خسر خسرانا مبينا • اذ ضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار • يعدهم • ما لا ينجز • ويمنيهم • ما لا ينالون • وما يعدهم الشيطان الا غرورا • وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه • اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا • معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا

ولا يعمل بعضا فيما قبله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا • اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول
مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز
ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى
نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر • ومن اصدق من الله قيلا • جملة
مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الله الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله
ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب • اي ليس ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم
ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم
اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم وان كان الامر كما
يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ثم قرر ذلك وقال • من يعمل سوءا يجز به • عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل
قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما
يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا • ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره
في دفع العذاب عنه • ومن يعمل من الصالحات • بعضها او شيئا منها فان كل احد
لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها • من ذكر او انثى • في موضع الحال من المستكن في يعمل
ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء • وهو
مؤمن • حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه
لا اعتداد به دونه فيه • فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا • بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي
ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب • ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله • اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية • وهو محسن •
آت بالحسنات تارك للسيئات • واتبع ملة ابراهيم • الموافقة لدين الاسلام المتفق
على صحتها • حنيفا • مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او الملة او ابراهيم
واتخذ الله ابراهيم خليلا • اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة

من الخلال

من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين
يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب
في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر وروي ان ابراهيم عم
بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم
يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز
غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم ساءه
الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصري
فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا • ولله ما في السماوات وما في الارض
خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال الصالحين مقرر لوجوب
طاعته على اهل السماوات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال • وكان
الله بكل شيء محيطا • احاطة علم وقدرة وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها • ويستفتونك في النساء • في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصن اتى
النبي عم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من
يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت • قل الله يفتيكم فيهن • يبين لكم
حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم • وما يتلى عليكم في الكتاب • عطف على اسم الله او ضميره
المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن
من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او
استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد
به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم
كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا
ومعنى • في يتامى النساء • صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في
شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب
يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد والاضافة بمعنى من لانها اضافة
الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء • اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن • اي فرض لهن من الميراث • وترغبون ان تنكحوهن • في ان تنكحوهن او عن
ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن
والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو تحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل
على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريانه في عصره
والمستضعفين من الولدان • عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا
يورثون النساء • وان تقوموا لليتامى بالقسط • ايضا عطف عليه اي يفتيكم او
يتلى في ان تقوموا هو اذا جعلت في يتامى صلة لا ورد منها وان جعلته بدلا

نصبها عطفاً على موضع فيهن ويجوز أن ينصب بأن تقوموا بإضمار فعل أي ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب
للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم أو للقوام بالنصفة في شأنهم • وما تفعلوا من خير
فإن الله كان به عليماً • وعد لمن آثر الخير في ذلك • وإن امرأة خافت من بعلها • توقعت منه لما
ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر • نشوزاً • تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها
كراهة لها ومنعاً لحقوقها • أو إعراضاً • بأن يقل مجالستها ومحادثتها • فلا جناح
عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً • أن يتصالحا بأن تحط له بعض المهر أو القسم أو تهب له شيئاً تستميله
به وقرأ الكوفيون أن يصلحا من أصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز أن ينتصب صلحاً على المفعول به
وبينهما ظرف أو حال منه أو على المصدر كما في القراءة الأولى والمفعول بينهما وقرئ يصلحا
من اصلح بمعنى اصطلح • والصلح خير • من الفرقة وسوء العشرة • أو من الخصومة ولا يجوز أن يراد
التفضيل بل بيان أنه من الخيور كما أن الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله • وأحضرت
الأنفس الشح • ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والأول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد
العذر والمماكسة ومعنى إحضار الأنفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد
المرأة تسمح بالإعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بأن يمسكها ويقوم بحقها
على ما ينبغي إذا كرهها أو أحب غيرها • وإن تحسنوا • في العشرة • وتتقوا • النشوز والإعراض
ونقص الحق • فإن الله كان بما تعملون • من الإحسان والخصومة • خبيراً • عليماً به وبالغرض
فيه فيجازيكم عليه أقام كونه عالماً بأعمالهم مقام إثابته إياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط إقامة السبب مقام المسبب • ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء • لأن العدل أن لا يقع
ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله عم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه
قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك • ولو حرصتم • على تحري ذلك وبالغتم فيه
فلا تميلوا كل الميل • بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فإن ما لا يدرك كله لا يترك
كله • فتذروها كالمعلقة • التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي عم من كانت
له امرأتان فمال مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل • وإن تصلحوا • ما كنتم تفسدون
من أمورهن • وتتقوا • فيما يستقبل • فإن الله كان غفوراً رحيماً • يغفر لكم ما مضى من ميلكم
وإن يتفرقا • وقرئ وإن يتفارقا أي وإن يفارق كل منهما صاحبه • يغن الله كلاً منهما
من الآخر ببدل أو سلوة • من سعته • غناه وقدرته • وكان الله واسعاً حكيماً • مقتدراً متقناً
في أفعاله وأحكامه • ولله ما في السموات وما في الأرض • تنبيه على كمال سعته وقدرته •
ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم • يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا ومساق الآية لتأكيد الأمر بالإخلاص • وإياكم • عطف
على الذين • أن اتقوا الله • بأن اتقوا الله ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن التوصية بمعنى القول
وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض • على إرادة القول أي وقلنا لهم ولكم
إن تكفروا فإن لله الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وإنما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله • وكان الله غنياً • عن الخلق وعبادتهم
حميداً • في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه • ولله ما في السموات وما في الأرض • ذكره ثالثاً للدلالة

على كونه

على كونه غنياً حميداً فإن جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما فاض عليها
من الوجود وأنواع الخصائص والكمالات على كونه حميداً • وكفى بالله وكيلاً •
راجع إلى قوله يغن الله كلاً من سعته فإنه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك •
إن يشأ يذهبكم أيها الناس • يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب
ويأت بآخرين • ويوجد قوماً آخرين مكانكم أو خلقاً آخرين مكان الإنس • وكان
الله على ذلك • من الإعدام والإيجاد • قديراً • بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا
أيضاً تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله عم من العرب ومعناه معنى قوله وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم لما روي
أنه لما نزل ضرب رسول الله عم يده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا • من كان
يريد ثواب الدنيا • كالمجاهد يجاهد للغنيمة • فعند الله ثواب الدنيا والآخرة
فماله يطلب أخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصاً لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما
هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلاً ما يريده كقوله من كان يريد
حرث الآخرة نزد له في حرثه • وكان الله سميعاً بصيراً • عارفاً بالأغراض فيجازي
كلاً بحسب قصده • يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط • مواظبين على العدل
مجتهدين في إقامته • شهداء لله • بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان
أو حال • ولو على أنفسكم • ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها لأن الشهادة
بيان الحق سواء كان عليه أو على غيره • أو الوالدين والأقربين • ولو على والديكم
وأقاربكم • إن يكن • أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له • غنياً أو فقيراً • فلا
تمتنعوا عن إقامة الشهادة ولا تجوروا فيها ميلاً وترحماً • فالله أولى بهما • بالغني
والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها وهو علة
الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا إليه وإلا لوحد ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم • فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا •
لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا من العدل • وإن تلووا • ألسنتكم عن شهادة
الحق أو حكومة العدل وقرئ وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة الشهادة • أو تعرضوا •
عن أدائها • فإن الله كان بما تعملون خبيراً • فيجازيكم عليه • يا أيها الذين آمنوا • خطاب
للمسلمين أو للمنافقين أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه قالوا
يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة ونكفر بما سواه فنزلت
آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل • اثبتوا
على الإيمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا إيماناً
عاماً يعم الكتب والرسل فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني
الجنس • ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر • أي ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالاً بعيداً • عن المقصود بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه • إن الذين آمنوا

يعني اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا
على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد
منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم
عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال
ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم
عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة
بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر
مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب
او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة اي يتعززون
بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في
الكتاب يعني القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم آيات الله وهي المخففة
والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من آيات الله جيء بهما لتقييد النهي
عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط
بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو وهذا تذكار لما نزل
عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا الآية والضمير في معهم للكفرة
المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على
الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين
في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر
ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع
وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم
مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم
مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال
قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم
والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل
ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على
فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه

لا ينبغي ان يكون الا عائدا الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراؤن
الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة
فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا
اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لا يذكرونه باللسان قليلا
بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون
فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون
اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى
الطرد وقرئ بكسر الدال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم
صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة
في دبة وهو الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى
الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم
دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا
الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها
متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر
والسطر والتحريك اوجه لانه جمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه
الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال
النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم الا وجه الله فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعالي عن
النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا
زال بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر
يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان
الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم • الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي
ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه • وكان الله سميعا عليما
بالظالم • ان تبدوا خيرا • طاعة وبرا • او تخفوه • او تفعلوه سرا • او تعفوا عن سوء
لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله • فان
الله كان عفوا قديرا • اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى
بذلك • وهو حث للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله • بان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله • ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض • نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم • ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا • طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا
فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك هم الكافرون • هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا • حقا • مصدر مؤكد
لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا • واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم • اضدادهم ومقابلوهم
وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي •
اولئك سوف يؤتيهم اجورهم • الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة
على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب
بالياء على تلوين الخطاب • وكان الله غفورا • لما فرط منهم • رحيما • عليهم بتضعيف حسناتهم
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء • نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا
فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت
التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله • فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك • جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى
اكبر منه • وهذا السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين
لهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم •
فقالوا ارنا الله جهرة • عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له • فأخذتهم
الصاعقة • نار جاءت من السماء فاهلكتهم • بظلمهم • بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم
لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا • ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات • هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات
المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد • فعفونا عن ذلك وآتينا موسى
سلطانا مبينا • تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم
العجل • ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم • بسبب ميثاقهم ليقبلوه • وقلنا لهم ادخلوا الباب
سجدا • على لسان موسى والطور مظل عليهم • وقلنا لهم لا تعدوا في السبت • على لسان

داود

داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن
كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود • وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على
اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال • واخذنا منهم ميثاقا غليظا • على ذلك
وهو قولهم سمعنا واطعنا • فبما نقضهم ميثاقهم • اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم
ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان
يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا
بما دل عليه بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة
قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره • وكفرهم بآيات الله • بالقرآن او بما
في كتابهم • وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف • اوعية للعلوم او في اكنة
مما تدعونا اليه • بل طبع الله عليها بكفرهم • فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ • فلا يؤمنون الا قليلا • منهم كعبد الله
بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه • وبكفرهم • بعيسى وهو معطوف على
بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا
وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرار ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم
كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد • وقولهم على مريم بهتانا عظيما • يعني نسبتها
الى الزنا • وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله • اي بزعمه ويحتمل انهم
قالوا استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا
من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح • وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم • روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم قردة
وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه
ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم
فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى
عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان فيه فلم يجده والقى
الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد
في زمان النبوة وانما ذمهم الله بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم
قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه
مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او
في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير
المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا • وان الذين اختلفوا فيه • في شأن عيسى
فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه
رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت • لفي شك منه • لفي تردد

والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك أكده بقوله ما لهم به من علم إلا اتباع الظن استثناء منقطع أي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزما كان
أو غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم إنا قتلنا المسيح
أو متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي
ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله إليه
رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر
لعيسى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به
فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لأحد ويعود إليه الضمير الثاني والأول لعيسى والمعنى ما
من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت ولو حين تزهق
روحه ولا ينفعه إيمانه ويؤيد ذلك أنه قرئ إلا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لأن أحدا
في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الإيمان به قبل أن يضطروا إليه
ولا ينفعهم إيمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى إذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا
روي أنه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به
حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا أي فبأي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات أحلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا ناسا كثيرا أو صدا كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه كان محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم وأكلهم أموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر
الوجوه المحرمة وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون
في العلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه والمؤمنون أي منهم أو من المهاجرين والأنصار
يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح
إن جعل يؤمنون الخبر لأولئك أو عطف على ما أنزل إليك والمراد بهم الأنبياء أي يؤمنون
بالكتب والأنبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون أو على الضمير في يؤمنون أو على أنه مبتدأ
والخبر أولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفعه لأحد الأوجه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر قدم عليه الإيمان بالأنبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لأنه
المقصود بالآية أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما على جمعهم بين الإيمان الصحيح والعمل الصالح
إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم
عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء وأوحينا إلى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان
خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فإن إبراهيم أول أولي العزم منهم وعيسى آخرهم

ورسلا

والباقون أشرف الأنبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا
بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه أوحينا إليك كأرسلنا أو
فسره قد قصصناهم عليك من قبل أي من قبل هذه السورة أو اليوم ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل
الله محمدا بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت
بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا أرسلت إلينا
رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على أن بعثة الأنبياء إلى الناس
ضرورة لقصور الكل عن إدراك جزئيات المصالح والأكثر عن إدراك كلياتها واللام
متعلقة بأرسلنا أو بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس أو على
الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لأنه مصدر وتعلق الظرف لها أو صفة وكان
الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من أمر النبوة وخص كل نبي
بنوع من الوحي والإعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله وكأنه
لما تعنتوا عليه بسؤال الكتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله إنا أوحينا إليك
قال إنهم لا يشهدون ولكن الله يشهد أو إنهم أنكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما أنزل
إليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي أنه لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد
لك فنزلت أنزله بعلمه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز
عنه كل بليغ أو بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه أو بعلمه الذي
يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل
وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون أيضا
بنبوتك وفيه تنبيه على أنهم يودون أن يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر
والتأمل وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للإنسان إلى العلم بأمثاله سوى
الفكر والنظر فلو أتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا أي وكفى بما أقام من الحجج على صحة نبوتك عن
الاستشهاد بغيره إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين
الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال وأبعد من الانقلاع عنه إن الذين
كفروا وظلموا محمدا بإنكار نبوته أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم أو
بأعم من ذلك والآية تدل على أن الكفار مخاطبون بالفروع إذ المراد بهم الجامعون بين الكفر
والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا
جرى حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال
مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا أيها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق من ربكم لما قرر أمر النبوة وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ووعيد من أنكرها
خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم

أي إيماناً خيراً لكم أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه وقيل تقديره يكن الإيمان خيراً لكم ومنعه البصريون لأن كان لا يحذف مع اسمه إلا فيما لا بد منه ولأنه يؤدي إلى حذف الشرط وجوابه • وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض يعني وإن تكفروا فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بإيمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والأرض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه • وكان الله عليماً • بأحوالهم • حكيماً • فيما دبر لهم • يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بأنه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه إلهاً وقيل للنصارى خاصة فإنه أوفق لقوله ولا تقولوا على الله إلا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد • إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم • أوصلها إليها وحصلها فيها • وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له وقيل سمي روحاً لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب • فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة • أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس ويريدون بالأب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة • انتهوا عن التثليث خيراً لكم نصبه كما سبق • إنما الله إله واحد • أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما • سبحانه أن يكون له ولد أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد فإنه يتصور لمن يماثله ويتطرق إليه الفناء • له ما في السموات وما في الأرض • ملكاً وخلقاً لا يماثله شيء منه لكي يتخذه ولداً • وكفى بالله وكيلاً • تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلاً لأبيه والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه • لن يستنكف المسيح • لن يأنف من نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعك كيلا يرى أثره عليك • أن يكون عبداً لله • من أن يكون عبداً لله فإن عبوديته شرف يتباهى به وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت • ولا الملائكة المقربون • عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً والنزاع فيه • ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر • ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر

فإنه قد يكون

فإنه قد يكون باستحقاق • فسيحشرهم إليه جميعاً • فيجازيهم • فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله • وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً • تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعاً يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة • يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً • عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين الحق أو رسول الله أو القرآن • فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه • ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب • وفضل • إحسان زائد عليه • ويهديهم إليه • إلى الله وقيل إلى الموعود • صراطاً مستقيماً • هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة • يستفتونك • أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الأحكام • قل الله يفتيكم في الكلالة • سبق تفسيرها في أول السورة • إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك • ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف • وهو يرثها • أي المرء يرث إن كان الأمر بالعكس • إن لم يكن لها ولد • ذكراً كان أو أنثى إن أريد بيرثها جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ والآية كما لا تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لا تدل على عدم سقوطهم وقد بينت السنة أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة إن فسرت بالميت • فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك • الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة الإخبار عنها باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما • وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين • أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر • يبين الله لكم أن تضلوا • أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطبعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين • والله بكل شيء عليم • فهو عالم بمصالح العباد في محياهم ومماتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم • [وآيها مائة وعشرون آية]

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود • الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة: قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم • شدوا العناج وشدوا

وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود
التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الأمانات والمعاملة ونحوهما مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك
بين الوجوب والندب • أحلت لكم بهيمة الأنعام • تفصيل للعقود والبهيمة كل حي
لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه
البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل
هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها
إلى الأنعام لملابسة الشبه • إلا ما يتلى عليكم • إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم
الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه • غير محلي الصيد • حال من الضمير في لكم وقيل من واو
أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول • وأنتم حرم •
حال مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم • إن الله يحكم ما يريد • من تحليل وتحريم
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله • يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر
أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحاج وأعلام النسك وقيل
دين الله لقوله ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده • ولا الشهر
الحرام • بالقتال فيه أو بالنسيء • ولا الهدي • ما أهدي إلى الكعبة جمع هدية كجدي في
جمع جدية السرج • ولا القلائد • أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص
فإنها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء
شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له • ولا آمين البيت الحرام • قاصدين لزيارته
يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا • أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في آمين وليست صفة لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار
تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا
بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا
لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة
وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين • وإذا حللتم فاصطادوا • إذن في الاصطياد بعد
زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من دلالة الأمر على الإباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال
حل المحرم وأحل • ولا يجرمنكم • لا يحملنكم أو لا يكسبنكم • شنآن قوم • شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع وأبو بكر
عن عاصم بسكون النون هو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان
في النعت أكثر • أن صدوكم عن المسجد الحرام • لأن صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم • أن تعتدوا • بالانتقام
ثاني مفعولي يجرمنكم فإنه يتعدى إلى واحد وإلى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله

منقولا

منقولا من المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين • وتعاونوا على البر والتقوى • على العفو
والإغضاء ومتابعة الأمر ومجانبة الهوى • ولا تعاونوا على الإثم والعدوان •
للتشفي والانتقام • واتقوا الله إن الله شديد العقاب • فانتقامه أشد • حرمت عليكم
الميتة • بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية • والدم • أي الدم
المسفوح لقوله أو دما مسفوحا وكان أهل الجاهلية يصبونه في الأمعاء ويشوونها
• ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به • أي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى
عند ذبحه • والمنخنقة • التي ماتت بالخنق • والموقوذة • المضروبة بنحو خشب أو حجر حتى تموت
من وقذته إذا ضربته • والمتردية • التي تردت من علو أو في بئر فماتت • والنطيحة • التي
نطحتها أخرى فماتت والتاء فيها للنقل • وما أكل السبع • أي وما أكل منه السبع فمات
وهو يدل على أن جوارح الصيد إذا أكلت مما اصطادته لم يحل • إلا ما ذكيتم • إلا ما أدركتم
ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما أكل السبع والذكاة في الشرع
بقطع الحلقوم والمريء بمحدد • وما ذبح على النصب • النصب واحد الأنصاب وهي أحجار
كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الأصنام
وعلى بمعنى اللام أو على أصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الأصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب • وأن تستقسموا بالأزلام • أي وحرم عليكم الاستقسام بالأقداح وذلك أنهم
إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني
ربي والثالث غفل فإن خرج الآمر مضوا على ذلك وإن خرج الناهي تجنبوا عنه وإن
خرج الغفل أجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالأزلام وقيل هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة وواحد الأزلام
زلم كجمل وزلم كصرد • ذلكم فسق • إشارة إلى الاستقسام وكونه فسقا لأنه دخول في علم
الغيب وضلال باعتقاد أن ذلك طريق إليه وافتراء على الله إن أريد بربي الله وجهالة وشرك
إن أريد به الصنم أو الميسر المحرم أو إلى تناول ما حرم عليهم • اليوم • لم يرد به يوما بعينه وإنما
أراد الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الآتية وقيل أراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة يوم عرفة حجة الوداع • يئس الذين كفروا من دينكم • أي من إبطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها أو من أن يغلبوكم عليه • فلا تخشوهم • أن يظهروا عليكم • واخشون •
وأخلصوا الخشية لي • اليوم أكملت لكم دينكم • بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص
على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد • وأتممت عليكم
نعمتي • بالهداية والتوفيق أو بإكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية
• ورضيت لكم الإسلام • اخترته لكم • دينا • من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير
• فمن اضطر • متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو أن تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام المرضي والمعنى فمن اضطر
إلى تناول شيء من هذه المحرمات • في مخمصة • مجاعة • غير متجانف لإثم • غير مائل له ومنحرف
إليه بأن يأكلها تلذذا أو مجاوزا حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد • فإن الله غفور رحيم

لا يؤاخذون بالأكل. يسألونك ماذا أحل لهم لما تضمن السؤال معنى القول أوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وإنما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لأن يسألونك بلفظ الغيبة وكذا التوحيد شائع في أمثاله والمسؤول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما أحل لهم. قل أحل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب أو ما لم يدل نص أو قياس على حرمته. وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات إن جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية إن جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على أهلها من سباع ذوات الأربع والطير. مكلبين معلمين إياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لأن التأديب يكون أكثر فيه وآثر أو لأن كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم. تعلمونهن حال ثانية أو استئناف. مما علمكم الله من الحيل وطرق التأديب فإن العلم به إلهام من الله أو مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه أو مما علمكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه. فكلوا مما أمسكن عليكم وهو ما لم يأكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وإن أكل منه فلا تأكل إنما أمسك على نفسه وإليه ذهب أكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لأن تأديبها إلى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا. واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند إرساله أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه إذا أدركتم ذكاته. واتقوا الله في محرماته إن الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق. اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وإن ألحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم. وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم وتبيعوا منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك. والمحصنات من المؤمنات أي الحرائر أو العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الأولى. والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإن كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات. إذا آتيتموهن أجورهن مهورهن وتقييد الحل بإيتائها لتأكيد وجوبها والحث على الأولى وقيل المراد بإيتائها التزامها. محصنين أعفاء بالنكاح. غير مسافحين مجاهرين بالزنا. ولا متخذي أخدان مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والأنثى. ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالإيمان شرائع الإسلام وبالكفر به إنكاره والامتناع عنه. يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة أي إذا أردتم القيام كقوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها للإيجاز والتنبيه على أن من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن الإرادة أو إذا

قصدتم

قصدتم الصلاة لأن التوجه إلى الشيء والقيام إليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم إلى الصلاة وإن لم يكن محدثا والإجماع على خلافه لما روي أنه عليه السلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته. فقيل مطلق أريد به التقييد والمعنى إذا قمتم إلى الصلاة محدثين وقيل الأمر فيه للندب وقيل كان ذلك أول الأمر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها. فاغسلوا وجوهكم أمروا الماء عليها ولا حاجة إلى الدلك خلافا لمالك. وأيديكم إلى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل إلى بمعنى مع كقوله ويزدكم قوة إلى قوتكم أو متعلقة بمحذوف تقديره وأيديكم مضافة إلى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لأن مطلق اليد يشتمل عليها وقيل إلى تفيد الغاية مطلقا وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الأيدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل إلى من حيث إنها تفيد الغاية تقتضي خروجها وإلا لم تكن غاية كقوله فنظرة إلى ميسرة وقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل لكن لما لم تتميز الغاية هاهنا عن ذي الغاية وجب إدخالها احتياطا. وامسحوا برؤوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فإنه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه أن يقال إنها تدل على تضمين الفعل معنى الإلصاق فكأنه قيل وألصقوا المسح برؤوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فإنه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فأوجب الشافعي أقل ما يقع عليه الاسم أخذا باليقين وأبو حنيفة مسح ربع الرأس لأنه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله أخذا بالاحتياط. وأرجلكم إلى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول أكثر الأئمة والتحديد إذ المسح لم يعهد محدودا وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليهما ويغسلا غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين أخواته إيماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وأرجلكم مغسولة. وإن كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان أنواع الطهارة. ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي ما يريد الأمر بالطهارة للصلاة أو الأمر بالتيمم تضييقا عليكم. ولكن يريد ليطهركم لينظفكم أو ليطهركم عن الذنوب فإن الوضوء تكفير للذنوب أو ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله أن يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد أن يطهركم وهو ضعيف لأن أن لا تقدر بعد المزيدة. وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لأبدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين أو ليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه. لعلكم تشكرون

تعدد الآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان
مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل
محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان
المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة
واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره ۰۰ وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم
رسول الله صلعم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة
وبيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور
اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم ۰ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ۰ عداه بعلى لتضمنه معنى
الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب
ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم ۰ اعدلوا
هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا للعدل مع الكفار فما ظنك
بالعدل مع المؤمنين ۰ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم
اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ ۰ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم ۰ انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استيناف يبينه
وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ۰ هذا من عادته تعالى ان يتبع
حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب
لقلوبهم ۰ يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ۰ روي ان المشركين راوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا
عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف
والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة
يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم
يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه
جبريل من يده فاخذه الرسول فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله فنزلت ۰ اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه
يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه ۰ فكف ايديهم عنكم ۰ منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها
عنكم ۰ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۰ فانه الكافي لايصال الخير ودفع

الشر ۰ ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ۰ شاهدا من كل
سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي
ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام بان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم
الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون
ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم
الا كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف ۰ وقال الله اني
معكم بالنصر لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم ۰ اي نصرتموهم
وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير ۰ واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير
وقرضا يحتمل المصدر والمفعول ۰ لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام
في لئن ساد مسد جواب الشرط ۰ ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم ۰ منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة
فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة ۰
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية ۰
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي
اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة
فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين ۰ يحرفون الكلم عن مواضعه
استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه
ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ۰ ونسوا حظا وتركوا
نصيبا وافيا ۰ مما ذكروا به ۰ من التورية او من اتباع محمد صلعم والمعنى انهم حرفوا التورية
وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء
منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
ولا تزال تطلع على خائنة منهم ۰ خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى
ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم ۰ الا قليلا منهم
لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية ۰ فاعف
عنهم واصفح ۰ ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف
ان الله يحب المحسنين ۰ تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن
احسان فضلا عن العفو عن غيره ۰ ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ۰ اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
ميثاقهم وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله ۰
فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا ۰ فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به ۰ بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية

بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب. يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحّد الكتاب لأنه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى بأحمد في الإنجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به إذا لم يضطر إليه أمر ديني أو عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فإنه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الإعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام. يهدي به الله وحّد الضمير لأن المراد بهما واحد أو لأنهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالإيمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب أو سبل الله. ويخرجهم من الظلمات إلى النور من أنواع الكفر إلى الإيمان بإذنه بإرادته أو بتوفيقه. ويهديهم إلى صراط مستقيم طريق هو أقرب الطرق إلى الله ومؤدٍّ إليه لا محالة. لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به أحد منهم ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم. قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وإرادته شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره أن المسيح مقدور ومقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية. ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير إزاحة لما عرض لهم من الشبهة في أمره والمعنى أنه تعالى قادر على الإطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السماوات والأرض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كما خلق حواء أو من أنثى وحدها كعيسى أو منهما كسائر الناس. وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لأشياع ابن الزبير الخبيبيون أو مقربون عنده قرب الأولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران. قل فلم يعذبكم بذنوبكم أي فإن صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والأسر والمسخ واعترفتم أنه سيعذبكم بالنار أياما معدودة. بل أنتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى أنه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه. ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له. وإليه المصير فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم أي الدين وحذف لظهوره أو ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز أن لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال أي جاءكم رسولنا مبينا لكم. على فترة من الرسل متعلق بجاءكم أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي أو حال من الضمير فيه. أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة

ان تقولوا

أن تقولوا ذلك وتعتذروا به. فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم. والله على كل شيء قدير فيقدر على الإرسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكونون إليه. وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء فأرشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء. وجعلكم ملوكا أي وجعل منكم أو فيكم وقد تكاثر فيكم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله وجعلهم مالكين لأنفسهم سماهم ملوكا. وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم. يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل الشام. التي كتب الله لكم قسمها لكم أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكنا لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله لهم بعدما عصوا فإنها محرمة عليهم. ولا ترتدوا على أدباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله. فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب. قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون إذ لا طاقة لنا بهم. قال رجلان من الذين يخافون أي يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة أسلما وصارا إلى موسى فعلى هذا الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف أي من الذين يخافهم بنو إسرائيل ويشهد له أنه قرئ الذين يخافون بالضم أي المخوفين وعلى المعنى الأول يكون هذا من الإخافة أي من الذين يخوفون من الله بالتذكرة أو يخوفهم الوعيد. أنعم الله عليهما بالإيمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان أو اعتراض. ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم أي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار. فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم أجسامهم ولأنهم أجسام لا قلوب فيها ويجوز أن يكون علمهما بذلك من إخبار موسى وقوله تعالى كتب الله لكم أو مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر أعدائه. وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين مؤمنين به ومصدقين لوعده. قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد

ما داموا فيها بدل من أبدا بدل البعض فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا
هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره
اذهب أنت وربك يعينك قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي قاله شكوى بثه وحزنه
إلى الله لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موثوق به غير هارون والرجلان
المذكوران وإن كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز أن يراد بأخي
من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي أو على اسم إن ورفعه
عطفا على الضمير في لا أملك أو على إن واسمها وجره عطفا على الضمير في نفسي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بأن تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه
أو بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فإنها فإن الأرض المقدسة محرمة
عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم أربعين سنة يتيهون في الأرض
عامل الظرف إما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب
الله لكم ويؤيد ذلك ما روي أن موسى عليه السلام سار بعد بمن بقي من بني إسرائيل ففتح أريحا
وأقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل إنه قبض في التيه فلما احتضر أخبرهم بأن يوشع
بعده نبي وأن الله أمره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام
كله لبني إسرائيل وإما يتيهون أي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم
مطلقا وقد قيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها بل هلكوا في التيه
وإنما قاتل الجبابرة أولادهم روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح
إلى المساء فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع
عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والأكثر
على أن موسى وهارون كانا معهم في التيه إلا أنه كان ذلك لهما روحا وزيادة في درجتهما
وعقوبة لهم وأنهما ماتا فيه مات هارون ومات موسى بعده بسنة ثم دخل يوشع أريحا بعد
ثلاثة أشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين أنهم أحقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ
ابني آدم قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط
منه قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل
لم يرد بهما ابني آدم لصلبه وإنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني إسرائيل
بالحق صفة مصدر محذوف أي تلاوة ملتبسة بالحق أو حال من الضمير في اتل أو من نبأ
أي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين إذ قربا قربانا ظرف لنبأ أو حال
منه أو بدل على حذف مضاف أي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب
به إلى الله من ذبيحة أو غيرها كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى وهو في الأصل مصدر
ولذلك لم يثن وقيل تقديره إذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع
وقرب أردأ ما عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من

لأنه سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد إلى أخس ما عنده قال لأقتلنك توعده
بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك قال إنما يتقبل الله من المتقين في جوابه أي إنما
أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى
حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في إزالة حظه فإن ذلك مما
يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا
بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج
عن قتله واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يبح بعد أو تحريا لما هو الأفضل قال عليه السلام
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وإنما قال ما أنا بباسط في جواب لئن بسطت
للتبري من هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من أن يوصف به ويطلق عليه ولذلك أكد
النفي بالباء إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين
تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى إنما استسلمت لك إرادة أن تحمل إثمي لو بسطت
إليك يدي وإثمك ببسطك يدك إلي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى بإثمي بإثم قتلي وبإثمك الذي لم يتقبل من أجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
أي ترجع ملتبسا بالإثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام إلى أن ذلك إن كان لا محالة واقعا فأريد أن يكون لك لا لي فالمراد بالذات
أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي
جائزة فطوعت له نفسه قتل أخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع إذا اتسع
وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على أن قتل أخيه كأنه دعاها إلى الإقدام عليه
فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فأصبح من الخاسرين
دينا ودنيا إذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة
عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض
ليريه كيف يواري سوءة أخيه روي أنه لما قتله تحير في أمره ولم يدر ما يصنع إذ كان
أول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم ألقاه في الحفرة والضمير في ليريه لله أو للغراب وكيف حال من الضمير في يواري والجملة
ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة أخيه جسده الميت فإنه مما يستقبح أن يرى قال يا ويلتا
كلمة جزع وتحسر والألف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك
والويل والويلة الهلكة أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأهتدي
إلى ما اهتدى إليه وقوله فأواري عطف على أكون وليس جواب الاستفهام إذ ليس المعنى
لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا أواري أو على التسكين في موضع النصب تخفيفا
فأصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة
أو أكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري أبويه منه إذ روي أنه لما قتله
اسود جسده فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل
شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب
وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص
او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل
الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث
ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا
عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات
الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد
الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل
محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة
باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه
على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا
ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل
ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك
او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث
لا يتمكنون من القرار ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفي بالحبس واو في الآية
على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل
عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة
وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا
تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك
تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي
من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله
بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله والفوز بكرامته

ان الذين

ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به
ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والكلام متعلق بمحذوف يسد عليه
لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكوران شيئان اما
لاجرائه مجرى اسم الاشارة في قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى
مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه
لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج
وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي
حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى
والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا
الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كان من حرز
والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع
موضع المثنى كما في قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم
لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام
اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او
المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
اي سرقته واصلح امره بالتقصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب
عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
الخطاب للنبي عليه السلام او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير
قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم
او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو تحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين
او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم
سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اي قابلون
لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك
فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك

عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم
او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني
مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه
عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله
على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة لقوم او صفة لسماعون او
حال من الضمير فيه او استئناف ولا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي
هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف
فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا
قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله عم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن
صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى
ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه
هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب فامر رسول الله عم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته
ضلالته وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية
والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين
هادوا ان جعلته مبتدا والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير
لرسول الله عم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان
الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه اذا كان المترافعان
او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل
الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي
امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب
الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا
به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان
رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمؤمنين

بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها
هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء
بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية
تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان
المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين
هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم
والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف
على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع
والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون
ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون
نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم
بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا
بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على
خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلث باعتبار حال
انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها
بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا
على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة
على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة
بالعين والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن
او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل
مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اي ذات
قصاص وقرأ الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به من المستحقين بالقصاص اي فمن عفا عنه
فالتصدق فهو كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه
وقرئ فهو كفارته له اي التي تستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما
انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اي واتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم
مفعول ثان عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية واتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما
بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين

نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف أو تعليقا به عطف • وليحكم أهل الإنجيل
بما أنزل الله فيه • وقرأ حمزة وليحكم باللام متعلقة بمحذوف أي وآتيناه ليحكم
وقرئ وأن ليحكم على أن أن موصولة بالأمر كقولك أمرتك بأن قم أي وأمرنا بأن يحكم • ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون • عن حكمه أو عن الإيمان إن كان مستهينا به
والآية تدل على أن الإنجيل مشتمل على الأحكام وأن اليهودية منسوخة ببعثة عيسى
وأنه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة
خلاف الظاهر • وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب • من جنس
الكتب المنزلة فاللام الأولى للعهد والثانية للجنس • ومهيمنا عليه • ورقيبا على سائر
الكتب المحفوظة عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول أي
هو من عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى أو الحفاظ في كل عصر • فاحكم
بينهم بما أنزل الله • أي بما أنزل إليك • ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق • بالانحراف
عنه إلى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف أو حال من فاعله أي لا تتبع أهواءهم
مائلا عما جاءك • لكل جعلنا منكم • أيها الناس • شرعة • شريعة وهي الطريق إلى الماء
شبه بها الدين لأنه طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية وقرئ بفتح الشين • ومنهاجا •
وطريقا واضحا في الدين من نهج الأمر إذا وضح واستدل به على أنا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة • ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة • جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار
من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم
على الإسلام لأجبركم عليه • ولكن ليبلوكم فيما آتاكم • من الشرائع المختلفة المناسبة لكل
عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين أن اختلافها بمقتضى الحكمة الإلهية أم تزيغون
عن الحق وتفرطون في العمل • فاستبقوا الخيرات • فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة
لفضل السبق والتقدم • إلى الله مرجعكم جميعا • استئناف فيه تعليل الأمر بالاستباق ووعد
ووعيد للمبادرين والمقصرين • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل
والعامل والمقصر • وأن احكم بينهم بما أنزل الله • عطف على الكتاب أي وأنزلنا إليك الكتاب
والحكم أو على الحق أي أنزلناه بالحق وبأن احكم ويجوز أن يكون جملة بتقدير وأمرنا أن احكم
ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك • أي أن يضلوك
ويصرفوك عنه وأن بصلته بدل من هم بدل اشتمال أي احذرهم فتنتهم أو مفعول له
أي احذرهم مخافة أن يفتنوك روي أن أحبار اليهود قالوا اذهبوا بنا إلى محمد
لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا إن اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وأن بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت • فإن تولوا • عن الحكم المنزل
وأرادوا غيره • فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم • يعني ذنب التولي
عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على أن لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود
من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد أو يرتبط بعض النفوس

حمامها

وإن كثيرا من الناس لفاسقون • لمتمردون في الكفر معتدون فيه • أفحكم الجاهلية يبغون •
الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة
الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحكم بما كان
يحكم به أهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على أنه مبتدأ
ويبغون خبره وإسقاط الراجع محذوف في الصلة في قوله هذا الذي بعث الله
رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية أي يبغون حاكما كما
يحاكم الجاهلية يحكم حسب شهوتهم وقرأ ابن عامر بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية
تبغون • ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون • أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت
لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء
بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله • يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء • فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الأحباب • بعضهم أولياء بعض •
إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين
واجتماعهم على مضادتكم • ومن يتولهم منكم فإنه منهم • أي ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم
وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما أو لأن الموالين لهم كانوا
منافقين • إن الله لا يهدي القوم الظالمين • أي الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار أو
المؤمنين بموالاة أعدائهم • فترى الذين في قلوبهم مرض • يعني ابن أبي وأضرابه • يسارعون
فيهم • أي في موالاتهم ومعاونتهم • يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة • يعتذرون بأنهم
يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر ويكون الدولة للكفار روي
أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن لي موالي من اليهود كثيرا عددهم وإني أبرأ
إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ
من ولاية مواليّ فنزلت • فعسى الله أن يأتي بالفتح • لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار
المسلمين • أو أمر من عنده • بقطع شأفة اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار
أسرار المنافقين وقتلهم • فيصبحوا • أي هؤلاء المنافقون • على ما أسروا في أنفسهم نادمين •
على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر الرسول فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم
ويقول الذين آمنوا • بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ
ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول
فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار
المعنى وكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعل بدلا من اسم
الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى أن يأتي
بالفتح وبقول المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به • أهؤلاء الذين
أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم • يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين
وتبجحا بما من الله عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما
حكى الله عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر

وتنصب على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهدا أيمانهم فحذف الفعل وأقيم
المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت
أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم
وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم • يا أيها الذين آمنوا من
يرتد منكم عن دينه • قرأه نافع وابن عامر يرتدد وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام
وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الخمار الأسود العنسي تنبأ
باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها
وأخبر الرسول عليه السلام في تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو
حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله
أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب
أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه
أبو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث إليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن إسلامه وسبع
في عهد أبي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم
قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث بن قيس وبنو بكر
بن وائل قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر رضي الله عنه غسان
قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام • فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم أهل اليمن لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال هم قوم هذا
وقيل الفرس لأنه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه
وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة
وثلاثة آلاف من أفناء الناس والراجع إلى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم
مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب
في الآخرة ومحبة العباد له تعالى إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه • أذلة على المؤمنين
عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل واستعماله
مع على إما لتضمين معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم
على المؤمنين خافضون لهم أو للمقابلة • أعزة على الكافرين • شداد متغلبين عليهم
من عزه إذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال • يجاهدون في سبيل الله • صفة أخرى
لقوم أو حال من الضمير في أعزة • ولا يخافون لومة لائم • عطف على يجاهدون
بمعنى أنهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه أو حال بمعنى أنهم
يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فإنهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين
ملامة أوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة

من اللوم

من اللوم وفيهما وفي تنكير لائم مبالغتان • ذلك إشارة إلى ما تقدم من الأوصاف •
فضل الله يؤتيه من يشاء • يمنحه ويوفق له • والله واسع • كثير الفضل • عليم • بمن
هو أهله • إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا • لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه
من هو حقيق بها وإنما قال وليكم ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة
ولرسوله وللمؤمنين على التبع • الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة • صفة للذين
آمنوا فإنه جرى مجرى الاسم أو بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح • وهم راكعون •
متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أي يؤتون الزكاة
في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الإحسان ومسارعة إليه وإنها نزلت في علي
رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما
ذكرناه مع أن حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر وإن صح أنه نزل فيه فلعله جيء
بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على أن الفعل
القليل في الصلاة لا يبطلها وأن صدقة التطوع تسمى زكاة • ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا • ومن يتخذهم أولياء • فإن حزب الله هم الغالبون • أي فإنهم الغالبون
ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء
فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا
الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بأنه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون
لأمر حزبهم • يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء • نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهرا
الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذ
دينهم هزوا ولعبا إيماء على العلة وتنبيها على أن من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم أبو عمرو والكسائي ويعقوب
والكفار وإن عم أهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه
على الذين اتخذوا على أن النهي عن موالاة من ليس على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع
فيه الهوى وحرفه عن الصواب كأهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين • واتقوا الله • بترك
المناهي • إن كنتم مؤمنين • لأن الإيمان حقا يقتضي ذلك وقيل إن كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده • وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا • أي اتخذوا الصلاة أو
المناداة وفيه دليل على أن الأذان مشروع للصلاة روي أن نصرانيا بالمدينة
كان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه
ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطاير شرارة في البيت فأحرقته وأهله • ذلك بأنهم قوم لا يعقلون •
فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه • قل يا أهل الكتاب هل
تنقمون منا • هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا إذا أنكره وانتقم إذا كافأه وقرئ
تنقمون بفتح القاف وهي لغة • إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل • لا يمان

بالكتب المنزلة كلها • وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين
وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
منه وكان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي
وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير
هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل
تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية
خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم
قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم • مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله
والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله تحية
بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر • من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
القردة والخنازير • بدل من بشر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله
او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم
الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ
بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير • وعبد
الطاغوت • عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم
ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد
الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة
ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر او جر التاء عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله • اولئك اي الملعونون شر مكانا • جعل
مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا • واضل عن
سواء السبيل • قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
بصيغة التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا آمنا • نزلت في اليهود نافقوا رسول الله او في عامة المنافقين
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر
فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا
وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال [illegible] ان يتبع حاله فادت ايضا
لما فيه من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك
قال والله اعلم بما كانوا يكتمون • اي من الكفر وفيه وعيد لهم • وترى كثيرا منهم • اي
من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم • اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم

والعدوان

والعدوان • الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعدى الى غيرهم • واكلهم السحت • اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة • لبئس ما
كانوا يعملون • لبئس شيئا عملوه • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم
واكلهم السحت • تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي
افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض • لبئس ما كانوا يصنعون • ابلغ من
لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة
ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل
اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم • وقالت اليهود يد الله مغلولة •
اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات
يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل
شكرت نداه تلاعه ووهاده • ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل
معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء • غلت ايديهم
ولعنوا • دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون
اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبني سب الله دابره • بل يداه مبسوطتان • ثنى اليد مبالغة في الرد
ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه
وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام • ينفق كيف
يشاء • تأكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته
ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء
للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما
لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود
ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عليه الصلاة والسلام واشرك فيه الآخرون
لانهم رضوا بقوله • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • اي
هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد
المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء • والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيامة • فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم • كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفأها الله • كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا
حكم التوراة سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين • ويسعون
في الارض فسادا • اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن
وهتك المحارم • والله لا يحب المفسدين • فلا يجازيهم الا شرا • ولو ان اهل الكتاب
آمنوا • بمحمد عليه السلام وبما جاء به • واتقوا • ما عددنا من معاصيهم ونحوه • لكفرنا عنهم

أي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولأدخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وأن الإسلام يجب ما قبله وإن جل
وأن الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل بإذاعة
ما فيهما والقيام بأحكامهما وما أنزل إليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فإنها
من حيث إنهم مكلفون بالإيمان بها كالمنزل إليهم أو القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت
أرجلهم لوسع عليهم أرزاقهم بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض أو يكثر ثمرة
الأشجار وغلة الزروع أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رؤوس الشجر
ويلتقطون ما تساقط على الأرض بين بذلك أن ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور
الفيض ولو أنهم آمنوا وأقاموا ما أمروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم
أمة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد عم وقيل مقتصدة
متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون أي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب
أي ما أسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والإعراض عنه والإفراط في العداوة
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك جميع ما أنزل إليك غير مراقب أحدا ولا خائف مكروها
وإن لم تفعل وإن لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فما أديت شيئا منها
لأن كتمان بعضها يضيع ما أدي منها كترك بعض أركان الصلاة فإن غرض الدعوة
ينتقض به أو فكأنك ما بلغت شيئا منها كقوله فكأنما قتل الناس جميعا من حيث إن
كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس
عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الأعادي وإزاحة لمعاذيره إن الله
لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي عم بعثني الله برسالته فضقت
بها ذرعا فأوحى الله تعالى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
وعن أنس رض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه
من قبة أدم فقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الآية
يوجب تبليغ كل ما أنزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد
بإنزاله إطلاعهم عليه فإن من الأسرار الإلهية ما يحرم إفشاؤه قل يا أهل الكتاب
لستم على شيء أي دين يعتد به ويصح أن يسمى شيئا لأنه باطل حتى تقيموا التوراة
والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ومن إقامتها الإيمان بمحمد عم والإذعان لحكمه فإن
الكتب الإلهية بأسرها آمرة بالإيمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد إقامة أصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل
إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة
طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين
مندوحة لك عنهم إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التأخير عما في حيز إن والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى

حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فإني وقيار بها لغريب وقوله وإلا فاعلموا
أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على أنه لما كان الصابئون
مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الأديان كلها يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح
كان غيرهم أولى بذلك ويجوز أن يكون والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما
وخبر إن مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف
ولا يجوز عطفه على محل إن واسمها فإنه مشروط بالفراغ من الخبر إذ لو عطف عليه قبله
كان الخبر خبر المبتدأ وخبر إن معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم
التأكيد والفصل ولأنه يوجب كون الصابئين هودا وقيل إن بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر إن أو خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف أي من آمن منهم أو
النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون
بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بإبدال الهمزة ألفا أو من صبوت لأنهم صبوا
إلى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل
وأرسلنا إليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم أمر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف أي رسول منهم وقيل الجواب محذوف
دل عليه ذلك وهو استئناف وإنما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة
على رؤوس الآي وحسبوا ألا تكون فتنة أي وحسب بنو إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء
وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون
بالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن
وإدخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وأن أو أن
بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين أو الدلائل والهدى وصموا
عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم أي ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة أخرى وقرئ بالضم فيهما على أن الله عماهم وصمهم أي رماهم بالعمى
والصمم وهو قليل واللغة الفاشية أعمى وأصم كثير منهم بدل من الضمير أو فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم أكلوني البراغيث أو خبر مبتدأ محذوف أي العمى والصم كثير منهم
وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لأن تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير
بما يعملون فيجازيهم وفق أعمالهم لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم أي إني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما يختص به من الصفات والأفعال فقد حرم الله عليه الجنة
يمنعه دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فإنها دار الموحدين ومأواه النار

وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع
المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون
تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تعالى نبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى
وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره • لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون
بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد • وما من اله الا اله واحد
وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق • وان لم ينتهوا عما يقولون
ولم يوحدوا • ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر
او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم
وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله • افلا
يتوبون الى الله ويستغفرونه • اى الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال
الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد
والله غفور رحيم • يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل • اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه
الله بايات كما خصهم بها فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى
على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب
وامه صديقة • كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء • كانا
ياكلان الطعام • ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل
على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصانهما
وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب
ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال • انظر كيف نبين لهم
الايات ثم انظر انى يؤفكون • كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين
العجبين اى ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب • قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا • يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته
ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على
انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية
وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع • والله هو السميع العليم •
بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر • قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم غير الحق • اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالوهية
او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة • ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل • يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عم فى شريعتهم

واضلوا

واضلوا كثيرا • ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم • وضلوا عن سواء السبيل • عن قصد السبيل
الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع • لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم • اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل
اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم الله على لسان داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا
دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل • ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون • اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه • اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه
او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع • لبئس ما كانوا يفعلون • تعجيب من سوء فعلهم مؤكدا بالقسم • ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب • يتولون الذين كفروا • يوالون المشركين بغضا لرسول الله عم والمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم • اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة • ان سخط
الله عليهم وفى العذاب هم خالدون • هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله
والخلود فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط
والخلود • ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى • يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد
نبينا • وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء • اذ الايمان يمنع ذلك • ولكن كثيرا منهم فاسقون •
خارجون عن دينهم او متمردون فى نفاقهم • لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود
والذين اشركوا • لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم فى اتباع الهوى
وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى • للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله • ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون • عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون
ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر • واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع • عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع
موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها
مما عرفوا من الحق • من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه
بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله • يقولون
ربنا امنا • بذلك او بمحمد • فاكتبنا مع الشاهدين • من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته
الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين • استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم او حال

قال لهم اسلم وكان من رجال من العبيد والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل اي واي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او بنؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآية روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل

فكفارته

فكفارته اي فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاثة كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذا لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف

وقال ﴿فهل أنتم منتهون﴾ إيذانا بأن الأمر في المنع والتحذير بلغ الغاية وأن
الأعذار قد انقطعت ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فيما أمرا به ﴿واحذروا﴾ ما
نهيا عنه أو مخالفتهما ﴿فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ أي
فاعلموا أنكم لم تضروا الرسول بتوليكم فإنما عليه البلاغ وقد أدى وإنما ضررتم
به أنفسكم ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ مما لم يحرم عليهم
كالخمر ﴿وآمنوا﴾ بتحريمه ﴿ثم اتقوا﴾ ثم استمروا وثبتوا على الإيمان والأعمال الصالحة
﴿ثم اتقوا﴾ ما حرم عليهم إنما في المعاصي ﴿وأحسنوا﴾ وتحروا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها
روي أنه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل أن يكون هذا التكرير باعتبار الأوقات الثلاثة
أو باعتبار الحالات الثلاث استعمال الإنسان التقوى والإيمان بينه وبين نفسه وبينه وبين
الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الإيمان بالإحسان في الكرة الثالثة إشارة إلى ما
قاله عليه السلام في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى
فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض
المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة ﴿والله يحب المحسنين﴾
فلا يؤاخذهم بشيء وفيه أن من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا
﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا
بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على أنه ليس من العظائم
التي تدحض الأقدام كالابتلاء ببذل الأنفس والأموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت
عندما هو أشد منه ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة
إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة إيمانه فذكر العلم وأراد وقوع المعلوم وظهوره
أو تعلق العلم ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ بعد ذلك الابتلاء بالصيد ﴿فله عذاب أليم﴾
فالوعيد لاحق به فإن من لا يملك جأشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون
النفس أميل إليه وأحرص عليه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ أي محرمون
جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم وأراد بالصيد
ما يؤكل لحمه لأنه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب
والعقرب والفأرة والكلب العقور وفي رواية أخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه
على جواز قتل كل مؤذ واختلف في أن هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم
بالميتة ومذبوح الوثني أو لا فيكون كالشاة المغصوبة إذا ذبحها الغاصب ﴿ومن قتله منكم
متعمدا﴾ ذاكرا لإحرامه عالما بأنه حرام عليه قتل ما يقتله والأكثر على أن ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فإن إتلاف العامد والمخطئ واحد في إيجاب الضمان بل لقوله ﴿ومن عاد فينتقم
الله منه﴾ ولأن الآية نزلت فيمن تعمد إذ روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه
أبو اليسر برمحه فقتله فنزلت ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين

ويعقوب

ويعقوب بمعنى فعليه أو فالواجب جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار به
للفصل بينهما بالصفة فإن متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف ما لم يتم بها
وإنما يكون صفته وقرأ الباقون على إضافة المصدر إلى المفعول وإقحام مثل كما في
قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه أن يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء أو فعليه أن يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل والمماثلة
باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند أبي حنيفة وقال يقوم الصيد
حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي خير بين أن يهدي ما قيمته قيمته وبين أن يشتري بها
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما
وإن لم يبلغ خير بين الإطعام والصوم واللفظ للأول أدل ﴿يحكم به ذوا عدل
منكم﴾ صفة جزاء ويحتمل أن يكون حالا من ضميره في خبره أو منه إذا أضفته أو وصفته
وفيه تخصيص لمن وكما أن التقويم يحتاج إلى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة
والهيئة إليهما فإن الأنواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على إرادة الجنس أو الإمام
﴿هديا﴾ حال من الهاء في به أو من جزاء وإن نون لتخصصه بالصفة أو بدل من مثل باعتبار
محله أو لفظه فيمن نصبه ﴿بالغ الكعبة﴾ وصف به هديا لأن إضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال أبو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به
حيث شاء ﴿أو كفارة﴾ عطف على جزاء إن رفعته وإن نصبته فخبر محذوف ﴿طعام
مساكين﴾ عطف بيان أو بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف أي هي طعام وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالإضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي
أو كفارة بإطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
﴿أو عدل ذلك صياما﴾ أو ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الأصل
مصدر أطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل
وذلك إشارة إلى الطعام وصياما تمييز للعدل ﴿ليذوق وبال أمره﴾ متعلق بمحذوف أي
فعليه الجزاء أو الطعام أو الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الإحرام
أو الثقل الشديد على مخالفة أمره وأصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل
﴿عفا الله عما سلف﴾ من قتل الصيد محرما في الجاهلية أو قبل التحريم أو في هذه المرة ﴿ومن عاد﴾
إلى مثل هذا ﴿فينتقم الله منه﴾ فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد
كما حكي عن ابن عباس وشريح ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ ممن أصر على عصيانه ﴿أحل لكم صيد
البحر﴾ ما صيد منه مما لا يعيش إلا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل
ميتته وقال أبو حنيفة لا يحل منه إلا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر
﴿وطعامه﴾ ما قذفه أو نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه أكله ﴿متاعا لكم﴾ تمتيعا لكم نصب
على الغرض ﴿وللسيارة﴾ أي ولسيارتكم يتزودونه قديدا ﴿وحرم عليكم صيد البر﴾
أي ما صيد فيه فعلى هذا حل للمحرم ما صاده الحلال وإن لم يصد له ﴿ما دمتم
حرما﴾ أي محرمين وقرئ بكسر الدال ﴿واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾

الكعبة وانما سمي البيت كعبة لتكعبه. البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني. قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه بما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال. والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرينيه وقيل الجنس. ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره. لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه. وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق. اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه. ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط. والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة. قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال. ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل. لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين. يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا الرسول عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه. واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّء كهيّن او شيء كصديق جمع كخليل وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه. عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت. او استئناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها. والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت. قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف

الجار

الجار. من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها. ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا. ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره. ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو بحيرة ومن مزيدة. ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه. واكثرهم لا يعقلون اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر من الناهي لكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به. واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه. اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد. يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء. لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك فنزلت. ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره. الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره. يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم. اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة. حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر. اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف. ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان. او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا. ان انتم ضربتم في الارض

أي سافرتم فيها • فأصابتكم مصيبة الموت • أي قاربتم الأجل • تحبسونهما • تقفونهما
وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم
اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم
أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما • من بعد الصلاة •
صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار
وقيل أي صلاة كانت • فيقسمان بالله إن ارتبتم • إن ارتاب الوارث منكم • لا نشتري
به ثمنا • مقسم عليه وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا لطمع • ولو كان ذا قربى •
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري • ولا نكتم شهادة الله •
أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد
على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لأفعلن
إنا إذا لمن الآثمين • أي إن كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام
وإدغام النون فيها • فإن عثر • فإن اطلع • على أنهما استحقا إثما • أي فعلا ما أوجب إثما
كتحريف • فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم • من الذين جني عليهم
وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو • الأوليان • الأحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الأوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو
بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الأولين على أنه
صفة للذين أو بدل منه أي من الأولين الذين استحق عليهم وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه
على المدح والأولان والأولين بالتعريف • فيقسمان بالله لشهادتنا
أحق من شهادتهما • أصدق منها وأولى بأن تقبل • وما اعتدينا • وما تجاوزنا فيها الحق
إنا إذا لمن الظالمين • الواضعين الباطل موضع الحق ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد
الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو
يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم
إن وقع ارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فإن اطلع على أنهما
كذبا بأمارة ومظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين
فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين
إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى
إذ روي أن تميما الداري وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في
صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات
ففتشاه • وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه • فأصاب
أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله عليه السلام فنزلت يا أيها الذين
آمنوا الآية فحلفهما رسول الله عليه السلام بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء

في أيديهما فأتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة
فكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله عليه السلام فنزلت فإن عثر فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن أبي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة • ذلك • أي
الحكم الذي تقدم أو تحليف الشاهد • أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها • على نحو ما تحملوها
من غير تحريف • وخيانة فيها • أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم • أن ترد اليمين على
المدعين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وإنما جمع الضمير لأنه حكم
يعم الشهود كلهم • واتقوا الله واسمعوا • ما توصون به سمع إجابة • والله لا يهدي القوم
الفاسقين • أي فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين
أي لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة • يوم يجمع الله الرسل • ظرف له وقيل بدل
من مفعول اتقوا بدل الاشتمال أو مفعول واسمعوا على حذف المضاف أي واسمعوا
خبر يوم جمعهم أو منصوب بإضمار اذكر • فيقول • أي للرسل • ماذا أجبتم • أي إجابة
أجبتم على أن ماذا في موضع نصب أو بأي شيء أجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ
قومهم كما أن سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك • قالوا لا علم لنا • أي لا علم
لنا بما كنت تعلمه • إنك أنت علام الغيوب • فتعلم ما نعلمه مما أجابونا وأظهروا لنا وما
لم نعلمه مما أضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الأمر إلى علمه بما كابدوا منهم
وقيل المعنى لا علم لنا إلى جنب علمك أو لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة
وقرئ علام بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك
المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص أو النداء • إذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك • بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى أصحاب
الجنة والمعنى أنه يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهر
عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة
أو نصب بإضمار اذكر • إذ أيدتك • قويتك وهو ظرف لنعمتي أو حال منه وقرئ آيدتك
بروح القدس • بجبريل عليه السلام أو بالكلام الذي يحيا به الدين أو النفس حياة أبدية
ويطهر من الآثام ويؤيده قوله • تكلم الناس في المهد وكهلا • أي كائنا في المهد
وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى إلحاق حاله في
الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم وبه استدل على أنه سينزل فإنه
رفع قبل التكهل • وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين
كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني
وإذ تخرج الموتى بإذني • [illegible] وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل
الإفراد والجمع كالباقر • وإذ كففت بني إسرائيل عنك • يعني اليهود حين هموا بقتله •
إذ جئتهم بالبينات • ظرف لكففت • فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين • أي ما هذا
الذي جئت به إلا سحر وقرأ حمزة والكسائي إلا ساحر فالإشارة إلى عيسى عليه السلام •
وإذ أوحيت إلى الحواريين • أي أمرتهم على ألسنة رسلي أن آمنوا بي وبرسولي

ان يكون من مصاحبة وان يكون بتقدير. قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون
اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم. منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على
ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم. هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة. وقيل هذه استطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة. وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب. وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله
ذلك من غير صارف. والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده
اذا اعطاه كأنها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة. قال اتقوا الله من امثال
هذا السؤال. ان كنتم مؤمنين بكمال القدرة وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان.
قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا باكلها
وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال القدرة. ونعلم
ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا. ونكون عليها من الشاهدين
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر. قال عيسى ابن مريم لما رأى
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها. اللهم
ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل
العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر. لاولنا
وآخرنا. بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي انها نزلت
يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للاكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لأولانا
وأخرانا بمعنى الامة والطائفة. وآية عطف على عيدا. منك صفتها اي آية
منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي. وارزقنا المائدة او الشكر عليها.
وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض. قال الله
اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم. فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة. لا اعذبه ضمير المصدر او العذاب ان اريد
ما يعذب به على حذف حرف الجر. احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا
فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة
حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال
اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام
وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله
امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا
ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من

آية اخرى

آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون
في ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى
الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء
فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بشرط
استعفوا وقالوا لا نريد فلم ينزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله [illegible]
بعض الصوفية المائدة عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها
فقال لهم عيسى ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع
عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل
ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله
ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا. واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله. يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم. ومن دون الله
صفة الهين او صلة اتخذوا ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله
مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور
فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكأنه قيل اتخذوني وامي الهين متوسلين بنا الى الله. قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك. ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق. ما ينبغي
لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله. ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك. تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات. انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه. ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم
ما يدل عليه. ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس من شرط
البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او
مفعوله مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله من ما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول
ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول
لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكأنه قيل ما امرتهم الا بما امرتني به
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه
او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان. فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم. المراقب
لاحوالهم تمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسل وانزال الآيات. وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له. ان تعذبهم فانهم
عبادك. اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل

بلكك وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك • وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم • فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب
والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم
فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع
فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان • قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا
والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته
الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف • لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم • بيان للنفع • لله ملك السماوات والارض
وما فيهن وهو على كل شيء قدير • تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح
وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على ان ما عداهم
في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيه
على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة
العموم عن النبي عليه السلام من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له
عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية بسم الله الرحمن الرحيم غير ست ايات وهي مائة وخمس وستون اية

الحمد لله الذي خلق السماوات والارض • اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه
المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السماوات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها • وجعل الظلمات والنور •
انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل
فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان
بانفسهما كما زعمت الثنوية وافراد النور لارادة الجنس وجمع الظلمات لكثرة اسبابها
والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال
متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور
احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما
خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها
على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر
او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء
منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة
يعدلون محذوف اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة

يعدلون

بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به • هو الذي خلقكم
من طين • اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم الذي هو اصل البشر
خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف • ثم قضى اجلا • اجل الموت • واجل مسمى عنده
اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل
كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن
مضى والثاني لمن بقي ولمن ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم
الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل
التغيير واخبر عنه بانه عنده لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه
ثم انتم تمترون • استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى
اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء
كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع
وهو الله • الضمير لله والله خبره • في السماوات وفي الارض • متعلق باسم الله
والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله
او بقوله • يعلم سركم وجهركم • والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة
الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه
او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم
بيان وتقرير له وليس متعلقا بالمصدر لان صلته لا تتقدم عليه • ويعلم ما تكسبون •
من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعل المراد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال
الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح • وما تاتيهم من اية من ايات ربهم • من الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة
او اية من ايات القران • الا كانوا عنها معرضين • تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه
فقد كذبوا بالحق لما جاءهم • يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم
لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما
اعرضوا عن القران وكذبوا به وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك
رتب عليه بالفاء • فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون • اي سيظهر لهم ما كانوا به
يستهزئون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع
امره • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار
الناس وهي سبعون سنة وقيل اربعون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في
العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت • مكناهم في الارض • جعلنا لهم مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع التصرف
فيها • ما لم نمكن لكم • ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم
من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب • وارسلنا السماء عليهم •

أي المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها «مدرارا» مغزارا «وجعلنا الأنهار
تجري من تحتهم» فعاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار «فأهلكناهم بذنوبهم»
أي لم يغن ذلك عنهم شيئا «وأنشأنا» وأحدثنا «من بعدهم قرنا آخرين» بدلا منهم
والمعنى أنه تعالى كما قدر أن يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر
بهم بلاده يقدر أن يفعل ذلك بكم «ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس» مكتوبا
في ورق «فلمسوه بأيديهم» فمسوه وتخصيص اللمس لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع وتقييده بالأيدي
لدفع التجوز فإنه قد يتجوز به للفحص كقوله وأنا لمسنا السماء «لقال الذين كفروا
إن هذا إلا سحر مبين» تعنتا وعنادا «وقالوا لولا أنزل عليه ملك» هلا أنزل معه ملك
يكلمنا أنه نبي كقوله لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا «ولو أنزلنا ملكا لقضي
الأمر» جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى أن الملك
لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق إهلاكهم فإن سنة الله قد جرت بذلك
فيمن قبلهم «ثم لا ينظرون» بعد نزوله طرفة عين «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون» جواب ثان إن جعل الهاء للمطلوب وإن جعل للرسول
فهو جواب اقتراح ثان فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون
لو شاء ربنا لأنزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه أو الرسول
ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فإن القوة البشرية لا تقوى
على رؤية الملك في صورته وإنما رآهم كذلك الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسية
«وللبسنا» جواب محذوف أي ولو جعلناه رجلا للبسنا أي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على أنفسهم فيقولون ما هذا إلا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبّسنا
بالتشديد للمبالغة «ولقد استهزئ برسل من قبلك» تسلية لرسول الله عليه السلام على
ما يرى من قومه «فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون» فأحاط بهم الذي
كانوا يستهزئون به حيث أهلكوا لأجله أو فنزل بهم وبال استهزائهم «قل سيروا في الأرض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين» كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الأرض فانظروا أن السير ثمة
لأجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه إباحة السير للتجارة وغيرها وإيجاب
النظر في آثار الهالكين «قل لمن ما في السماوات والأرض» خلقا وملكا وهو سؤال
تبكيت «قل لله» تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم أن
يذكروا غيره «كتب على نفسه الرحمة» التزمها تفضلا وإحسانا والمراد بالرحمة
ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الأدلة وإنزال
الكتب والإمهال على الكفر «ليجمعنكم إلى يوم القيامة» استئناف وقسم للوعيد
على إشراككم وإغفالكم النظر أي ليجمعنكم في القبور مبعوثين إلى يوم القيامة فيجازيكم
على شرككم أو في يوم القيامة وإلى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فإنه من رحمته

بعثه اياكم

بعثه إياكم وإنعامه عليكم «لا ريب فيه» في اليوم أو الجمع «الذين خسروا أنفسهم» بتضييع
رأس مالهم وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم أو
رفع على الخبر أي وأنتم الذين أو على الابتداء والخبر «فهم لا يؤمنون» والفاء للدلالة
على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسرانهم فإن إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد وإغفال النظر أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان
«وله» عطف على الله «ما سكن في الليل والنهار» من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه أو من السكون أي ما سكن فيهما
وتحرك فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر «وهو السميع» لكل مسموع «العليم» بكل
معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز أن يكون وعيدا للمشركين على أقوالهم وأفعالهم
«قل أغير الله أتخذ وليا» إنكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم و
أولي الهمزة والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك «فاطر السماوات والأرض»
مبدعهما عن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر
فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وجره على الصفة لله فإنه بمعنى الماضي ولذلك
قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح «وهو يطعم ولا يطعم» يرزق ولا
يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة إليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس
الأول على أن الضمير لغير الله والمعنى كيف أشرك بمن هو فاطر السماوات والأرض ما هو
نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على أن الثاني من أطعم بمعنى استطعم أو على
يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله يقبض ويبسط «قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم»
لأن النبي سابق أمته في الدين «ولا تكونن من المشركين» وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه
على قل «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» مبالغة أخرى في قطع أطماعهم
وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول
وجوابه محذوف دل عليه الجملة «من يصرف عنه يومئذ» أي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وأبو بكر عن عاصم يصرف على أن الضمير لله وقد قرئ بإظهاره
والمفعول به محذوف أو يومئذ بحذف المضاف «فقد رحمه» نجاه وأنعم عليه «وذلك الفوز
المبين» أي الصرف أو الرحمة «وإن يمسسك الله بضر» ببلية كمرض وفقر «فلا كاشف
له» فلا قادر على كشفه «إلا هو وإن يمسسك بخير» بنعمة كغنى «فهو على كل شيء قدير»
فكان قادرا على حفظه وإدامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله
«وهو القاهر فوق عباده» تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة «وهو الحكيم»
في أمره وتدبيره «الخبير» بالعباد وخفايا أحوالهم «قل أي شيء أكبر شهادة» نزلت
حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر
ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه في سورة البقرة «قل الله شهيد بيني وبينكم» أي هو شهيد ويجوز أن يكون
الله شهيد هو الجواب لأنه تعالى إذا كان الشهيد كان أكبر شيء شهادة و

اوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود
والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو
دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ
بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد
قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو
وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اي
يعرفون رسول الله عليه السلام بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم
بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة
وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا بالقرآن والمعجزات
وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده
بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشرهم
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من
الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي
علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم لكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي توهموا
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب
او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع
على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا
والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين
يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا ينافي
قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا
تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ
حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء
ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله عليه السلام يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي
جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم
وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه وفي
آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل آية

لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاءوك يجادلونك
اي بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاءوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل
لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين
فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون
الجارة ويكون اذا جاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال وقوله يقول تفسير له والاساطير الاباطيل
جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر اصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون
الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول
الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا
انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه
محذوف اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف
عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي
وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف
ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا
لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والوقوف لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف
على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي
الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز
عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم ح والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد
باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم
او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان
خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء
قالوا يا حسرتنا اي يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة
اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون
بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اي وما اعمالها الا لعب

ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم
إن هي إلا حياتنا الدنيا. وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر
ولدار الآخرة. أفلا يعقلون أي الأمرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء
على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين. قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في أنه
للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن. فإنهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي
لا يكذبونك من أكذبه إذا وجده كاذبا أو نسبه إلى الكذب. ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير
للدلالة على أنهم ظلموا بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى
التكذيب روي أن أبا جهل كان يقول ما نكذبك وإنك عندنا لصادق وإنما نكذب
ما جئتنا به فنزلت. ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله ﷺ وفيه دليل
على أن قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا. فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
على تكذيبهم وإيذائهم فتأس بهم واصبر. حتى أتاهم نصرنا فيه إيماء بوعد النصر للصابرين
ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات.
ولقد جاءك من نبإ المرسلين أي من قصصهم وما كابدوا من قومهم. وإن كان كبر عليك
عظم وشق إعراضهم عنك وعن الإيمان بما جئت به. فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض
أو سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه إلى جوف الأرض فتطلع لهم آية
أو مصعدا تصعد به إلى السماء فتنزل منها آية وفي الأرض صفة لنفقا وفي السماء
صفة لسلما ويجوز أن يكونا متعلقين بتبتغي أو حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني
محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام
قومه وأنه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم على الإيمان
حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بأنه لو شاء الله
لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة. فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فإن ذلك من دأب الجهلة. إنما يستجيب الذين
يسمعون إنما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله أو ألقى السمع وهو شهيد وهؤلاء
كالموتى الذين لا يسمعون. والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الإيمان. ثم إليه
يرجعون للجزاء. وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه أي آية مما اقترحوه أو آية أخرى
سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا. قل إن الله قادر
على أن ينزل آية مما اقترحوه أو آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل أو آية إن جحدوها
هلكوا. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزلها وأن إنزالها يستجلب عليهم البلاء
وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد. وما من دابة

في الأرض

في الأرض تدب على وجهها. ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز
السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل. إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها
مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الأمم للحمل على المعنى.
ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق
لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فإنه قد دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا
أو مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فإن فرط لا يتعدى بنفسه وقد
عدي بفي إلى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف. ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها فينصف
بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها. والذين كذبوا
بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته
سماعا تتأثر به نفوسهم. وبكم لا ينطقون بالحق. في الظلمات خبر ثالث أي خابطون
في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون حالا من المستكن
في الخبر. من يشإ الله يضلله من يشأ الله إضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة
ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه. قل أرأيتكم استفهام
تعجيب والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك
زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل
وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول محذوف تقديره أرأيتكم
آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها. إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم. أو أتتكم الساعة وهولها ويدل
عليه. أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم. إن كنتم صادقين أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف
أي فادعوه. بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لإفادة التخصيص. فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه. إن شاء أن يتفضل
عليهم ولا يشاء في الآخرة. وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك لما ركز
في العقول أنه القادر على كشف العذاب دون غيره أو تنسونه من شدة الأمر وهوله. ولقد
أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة. فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين
فأخذناهم. بالبأساء بالشدة والفقر. والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث
لا مذكر لهما. لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم. فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم. ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قساوة
قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان. فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء
ولم يتعظوا به. فتحنا عليهم أبواب كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء
والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء إلزاما للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي
أنه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه
يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف. حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا

عن البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه. أخذناهم بغتة فإذا هم
مبلسون متحسرون آيسون. فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق
منهم أحد من دبره دبرا ودبورا إذا تبعه. والحمد لله رب العالمين على إهلاكهم
فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم
وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها. قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم
أصمكم وأعماكم. وختم على قلوبكم بأن غطى عليها بما يزول به عقلكم وفهمكم. من إله
غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات.
انظر كيف نصرف الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب
وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين. ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد
الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها. قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة
من غير مقدمة. أو جهرة بتقدمها أمارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة
أو جهرة. هل يهلك أي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب. إلا القوم الظالمون ولذلك صح
الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء. وما نرسل المرسلين إلا مبشرين المؤمنين
بالجنة. ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم. فمن آمن وأصلح
ما يجب إصلاحه على ما شرع لهم. فلا خوف عليهم من العذاب. ولا هم يحزنون بفوات
الثواب. والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول
إليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف. بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق
والطاعة. قل لا أقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته أو خزائن رزقه. ولا أعلم الغيب
ما لم يوح إلي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول. ولا أقول لكم إني ملك أي من جنس الملائكة
أو أقدر على ما يقدرون عليه. إن أتبع إلا ما يوحى إلي تبرأ عن دعوى الألوهية والملكية
وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه.
قل هل يستوي الأعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل والعالم أو مدعي المستحيل
كالألوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة. أفلا تتفكرون فتهتدوا
أو فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل أو فتعلموا أن اتباع الوحي مما لا محيص عنه. وأنذر به
الضمير لما يوحى. الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل
أو المجوزون للحشر مؤمنا كان أو كافرا مقرا به أو مترددا فيه فإن الإنذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته. ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال
من يحشروا فإن المخوف هو الحشر على هذه الحال. لعلهم يتقون لكي يتقوا. ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما أمره بإنذار غير المتقين ليتقوا أمره بإكرام
المتقين وتقريبهم وأن لا يطردهم ترضية لقريش. روي أنهم قالوا لو طردت هؤلاء الأعبد
يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا إليك وحادثناك
فقال ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا قال نعم فروي أن عمر قال له لو فعلت
حتى ننظر إلى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت. والمراد بذكر الغداة

والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر. وقرأ ابن عامر بالغدوة. يريدون وجهه
حال من يدعون أي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالإخلاص تنبيها على أنه ملاك
الأمر ورتب النهي عليه إشعارا بأنه يقتضي إكرامهم وينافي إبعادهم. ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي ليس عليك حساب إيمانهم فلعل إيمانهم عند الله
أعظم من إيمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في إيمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم و
إخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا
في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم وقيل ما عليك
من حساب رزقهم أي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك
حتى يهمك إيمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه. فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي. فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر. وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا فتنا أي ابتلينا بعضهم ببعض
في أمر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على أشراف قريش بالسبق إلى الإيمان. ليقولوا
أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أي أهؤلاء من أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما
يسعدهم دوننا ونحن الأكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو إنكار لأن يخص
هؤلاء من بينهم بإصابة الحق والسبق إلى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه واللام للعاقبة
أو للتعليل على أن فتنا متضمن معنى خذلنا. أليس الله بأعلم بالشاكرين بمن يقع منه الإيمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله. وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالإيمان
بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وأمره بأن يبدأهم بالتسليم
أو يبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم إيذانا
بأنهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا
يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل إن قوما جاؤوا إلى النبي
فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت. أنه من عمل منكم
سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها. بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد
كمن فعله آثر إليه أو ملتبسا بفعل الجهالة فإن ارتكاب ما يؤدي إلى الضرر من أفعال أهل
السفه والجهل. ثم تاب من بعده بعد العمل أو السوء. وأصلح بالتدارك والعزم على أن لا يعود
إليه. فأنه غفور رحيم فتحه من فتح الأول غير نافع على إضمار مبتدأ أو خبر أي فأمره أو فله
غفرانه. وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين. ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل
على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وقرأ ابن
كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون
بالياء والرفع على تذكير السبيل فإنه يذكر ويؤنث ويجوز أن يعطف على علة مقدرة أي نفصل

لتظهر الحق ولتستبين. قل إني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الأدلة وأنزل علي
من الآيات في أمر التوحيد أن أعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون
من دون الله أو ما تدعونها آلهة أي تسمونها. قل لا أتبع أهواءكم تأكيد
لقطع أطماعهم وإشارة إلى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم
وبيان مبدأ ضلالهم وأن ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على أن يتبع
الحجة ولا يقلد. قد ضللت إذا أي إن اتبعت أهواءكم فقد ضللت. وما أنا من المهتدين
أي في شيء من الهدى حتى أكون من عدادهم وفيه تعريض بأنهم كذلك. قل إني على بينة تنبيه
على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل
وقيل المراد بها القرآن والوحي أو الحجج العقلية أو ما يعمها. من ربي من معرفته وأنه لا معبود
سواه. ويجوز أن يكون صفة لبينة. وكذبتم به الضمير لربي أي كذبتم به حيث أشركتم به
غيره أو للبينة باعتبار المعنى. ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. إن الحكم إلا لله في تعجيل العذاب
وتأخيره. يقض الحق أي القضاء الحق أو يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع إذا
صنعها فيما يقضي من تعجيل وتأخير وأصل القضاء الفصل بتمام الأمر وأصل الحكم المنع
فكأنه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الأثر أو قص الخبر. وهو
خير الفاصلين القاضين. قل لو أن عندي أي في قدرتي ومكنتي. ما تستعجلون به
من العذاب. لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم
والله أعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كأنه قال ولكن الأمر إلى الله وهو أعلم
بمن ينبغي أن يؤخذ وبمن ينبغي أن يمهل منهم. وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح
بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح
بالكسر وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح والمعنى أنه المتوصل إلى المغيبات المحيط
علمه بها. لا يعلمها إلا هو فيعلم أوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها. ويعلم ما في البر والبحر
عطف للإخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات. وما
تسقط من ورقة إلا يعلمها مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات. ولا حبة في ظلمات الأرض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله إلا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الأول بدل
الكل على أن الكتاب المبين علم الله أو بدل الاشتمال إن أريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف
على محل من ورقة أو رفعا بالابتداء والخبر إلا في كتاب مبين. وهو الذي يتوفاكم بالليل
ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز
فإن أصله قبض الشيء بتمامه. ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار
بالكسب جريا على المعتاد. ثم يبعثكم يوقظكم أطلق البعث ترشيحا للتوفي. فيه في النهار ليقضى
أجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر أجله المسمى له في الدنيا. ثم إليه مرجعكم بالموت. ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى أنكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون

الآثام

الآثام في النهار وأنه تعالى مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به
أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى
وجزائهم على أعمالهم ثم إليه مرجعكم بالجزاء ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء. وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ أعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه أن
المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد
إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه. حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بالإمالة. وهم لا يفرطون
بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة أو نقصان.
ثم ردوا إلى الله إلى حكمه وجزائه. مولاهم الذي يتولى أمرهم. الحق العدل الذي لا يحكم
إلا بالحق وقرئ بالنصب على المدح. ألا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه. وهو أسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب. قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وإبطال الإبصار فقيل لليوم الشديد
يوم مظلم ويوم ذو كواكب أو من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف
والمعنى واحد. تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين أو إعلانا وإسرارا وقرأ أبو بكر خفية
بالكسر. لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أي يقولون لئن أنجيتنا
وقرأ الكوفيون لئن أنجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه إشارة إلى الظلمة. قل الله ينجيكم
منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون. ومن كل كرب غم سواها. ثم أنتم تشركون تعودون
إلى الشرك ولا توفون بالعهد وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على أن من أشرك
في عبادة الله فكأنه لم يعبده رأسا. قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم
كما فعل بقوم نوح ولوط وأصحاب الفيل. أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف
بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم. أو يلبسكم يخلطكم
شيعا فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى إذا التبست نفضت لها يدي. ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا. انظر
كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد. لعلهم يفقهون. وكذب به قومك أي بالعذاب
أو بالقرآن. وهو الحق الواقع لا محالة أو الصدق. قل لست عليكم بوكيل بحفيظ
وكل إلي أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ. لكل نبإ
يريد إما العذاب أو الإيعاد به. مستقر وقت استقرار ووقوع. وسوف تعلمون
عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة. وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها. فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم. حتى يخوضوا في
حديث غيره أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن. وإما ينسينك الشيطان بأن يشغلك
بوسوسته حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد. فلا تقعد بعد الذكرى
بعد أن تذكره. مع القوم الظالمين أي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على أنهم ظلموا
بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام. وما على الذين يتقون

وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم • من حسابهم من شيء
مما يحاسبون عليه • ولكن ذكرى ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض
وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن
عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لأن من حسابهم يأباه ولا على شيء لأن من
لا تزاد بعد الإثبات • لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم
ويحتمل أن يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم
نزل لما قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد
ونطوف فنزلت • وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي بنوا أمر دينهم على التشهي
وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الأصنام وتحريم البحائر
والسوائب أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به وجعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم
ويجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية
السيف حمله على الأمر بالكف عنهم وترك التعرض لهم • وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا
البعث • وذكر به أي بالقرآن • أن تبسل نفس بما كسبت مخافة أن تسلم إلى الهلاك
وترهن بسوء عملها وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام • ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع • يدفع عنها العذاب • وإن تعدل كل عدل • وإن تفد كل
فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر
لا يؤخذ منها • الفعل مسند إلى منها لا إلى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل
فإنه المفدى به • أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا • أي سلموا إلى العذاب بسبب أعمالهم القبيحة
وعقائدهم الزائغة • لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون • تأكيد وتفصيل
لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم • قل
أندعو أنعبد • من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا • ما لا يقدر على نفعنا وضرنا •
ونرد على أعقابنا • ونرجع إلى الشرك • بعد إذ هدانا الله • فأنقذنا منه
كالذي استهوته الشياطين • كالذي ذهبت به مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي
هويا إذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال
من فاعل نرد أي مشبهين الذي استهوته أو على المصدر أي ردا مثل رد الذي استهوته
في الأرض حيران • متحيرا ضالا عن الطريق • له أصحاب • لهذا المستهوى رفقة • يدعونه
إلى الهدى • أي يهدونه الطريق المستقيم أو إلى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول
بالمصدر • ائتنا • يقولون له ائتنا • قل إن هدى الله هو الهدى • وحده وما عداه
ضلال • وأمرنا لنسلم لرب العالمين • من جملة المقول عطف على إن هدى الله واللام
لتعليل الأمر أي أمرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة • وأن أقيموا الصلاة
عطف على لنسلم أي للإسلام ولإقامة الصلاة أو على موقعه كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا الصلاة

نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر دعا أباه إلى عبادة الأوثان فنزلت ولعل هذا كان
أمر الرسول بهذا القول إجابة عن الصديق وتعظيما لشأنه وإظهارا للاتحاد الذي
كان بينهما • وهو الذي إليه تحشرون يوم القيامة • وهو الذي خلق السماوات والأرض
بالحق • قائما بالحق والحكمة • ويوم يقول كن فيكون قوله الحق • جملة اسمية قدم فيها
الخبر أي قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى أنه الخالق للسماوات والأرض
وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السماوات أي وعلى الهاء في
واتقوه أو بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر أو فاعل يكون على معنى وحين
يقول لقوله الحق أي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الأشياء ويحدثها أو حين تقوم
القيامة فيكون التكوين حشر الأموات وإحياءها • وله الملك يوم ينفخ في الصور • كقوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار • عالم الغيب والشهادة • أي هو عالم الغيب • وهو الحكيم الخبير •
كالفذلكة للآية • وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر • عطف بيان لأبيه وفي كتب التواريخ
أن اسمه تارخ فقيل هما علمان له كإسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف
معناه الشيخ أو المعوج ولعل منع صرفه لأنه أعجمي حمل على موازنه أو نعت مشتق من الأزر
أو الوزر والأقرب أنه علم أعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته
أو أطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي أتعبد
آزر ثم قال • أتتخذ أصناما آلهة • تفسيرا وتقريرا ويدل عليه أنه قرئ أأزرا تتخذ أصناما
بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على أنه علم
إني أراك وقومك في ضلال مبين • عن الحق بين الضلالة • وكذلك نري إبراهيم • ومثل
هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره
دلائل الربوبية • ملكوت السماوات والأرض • ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها
والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة • وليكون من الموقنين • أي ليستدل وليكون أو
وفعلنا ذلك ليكون • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي • تفصيل وبيان لذلك
وقيل عطف على قال إبراهيم وكذلك نري اعتراض فإن أباه وقومه كانوا يعبدون الأصنام
والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن
عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة أو المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع
فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالإفساد أو على وجه النظر
والاستدلال وإنما قاله زمان مراهقته أو أول أوان بلوغه • فلما أفل • أي غاب • قال
لا أحب الآفلين • فضلا عن عبادتهم فإن الانتقال والاحتجاب بالأستار يقتضي الإمكان
والحدوث وينافي الألوهية • فلما رأى القمر بازغا • مبتدئا في الطلوع • قال هذا ربي
فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • استعجز نفسه واستعان بربه في درك
الحق فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه إرشادا لقومه وتنبيها لهم على أن القمر أيضا لتغير
حاله لا يصلح للألوهية وأن من اتخذه إلها فهو ضال • فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي • ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث • هذا أكبر

استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون
من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها ثم لما تبرأ عنها
توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي
للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء
حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال اتحاجوني في الله
في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف
ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي
شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله
وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما كانه علة الاستثناء
اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق
به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع
بالصانع وتسوية بين العاجز بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا
ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون
او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق
ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه
او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الآية لما نزلت شق
ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان
لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع
الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم
على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني حجتنا آتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف
ان جعل بدله اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ
الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل اي
من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى
الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابراهيم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية والتي
بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن
اموص من اسباط عيصا بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي
جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى
وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل

هو ادريس

هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط
هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي
والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي
والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت
الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى
ولوطا هو لوط بن هاران ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه
دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او
نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم
فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم
الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به
يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو
اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شأنهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا
كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس
والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه
الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي وكل من آمن به او الفرس
وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده
فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها
كناية المصدر قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل
من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في
الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة
الانبياء وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم
حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن
بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى
للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ
بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة
وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه
وروي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه الرسول بقوله انشدك الله الذي انزل التوراة
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وعلمتم

والزامهم بانزال التوراة لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم • وعلمتم على لسان محمد • ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم • زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون • وقيل الخطاب
لمن امن من قريش • قل الله • اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب
متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب • ثم ذرهم في خوضهم
في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة • يلعبون • حال من هم الاولى والظرف
صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعول ذرهم او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول • وهذا كتاب انزلناه • مبارك • كثير الفائدة والنفع • مصدق الذي بين يديه
يعني التوراة او الكتب التي قبله • ولتنذر ام القرى • عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه • وانما سميت مكة بذلك
لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت
من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء اي ولينذر
الكتاب • ومن حولها • اهل الشرق والغرب • والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي
والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق
عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه • او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء • كعبد الله بن سعد
بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق
الانسان فقال عم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال • ومن قال سانزل مثل ما انزل الله • كالذين قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا • ولو ترى اذ الظالمون • حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
في غمرات الموت • شدائده من غمره الماء اذا غشيه • والملائكة باسطوا ايديهم • بقبض ارواحهم
كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب • اخرجوا انفسكم • اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا • اليوم • يريد
به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له • تجزون عذاب الهون • اي
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه • بما كنتم تقولون
على الله غير الحق • كادعاء الولد والشريك ودعوى النبوة والوحي كاذبا • وكنتم عن اياته
تستكبرون • فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون • ولقد جئتمونا للحساب • فرادى • منفردين عن
الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم
وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى
كما خلقناكم اول مرة • بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية

التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او
صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم • وتركتم ما خولناكم • ما تفضلنا به عليكم في
الدنيا فشغلتم به عن الاخرة • وراء ظهوركم • ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا • وما نرى معكم
شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء • اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم •
لقد تقطع بينكم • اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل
وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له
قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او
اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به • وضل عنكم • ضاع وبطل •
ما كنتم تزعمون • انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء • ان الله فالق الحب والنوى • بالنبات
والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة • يخرج الحي من الميت • يريد به ما ينمو من الحيوان
والنبات ليطابق ما قبله • من الميت • مما لا ينمو كالنطف والحب • ومخرج الميت من الحي • ومخرج ذلك
من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له • ذلكم الله • اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة • فانى تؤفكون •
تصرفون عنه الى غيره • فالق الاصباح • شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار
او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح
اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب
على المدح • وجاعل الليل سكنا • يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان
اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لانه
في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا
يجوز ان يكون • والشمس والقمر • عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن
نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي مجعولان • حسبانا •
اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمي الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان • ذلك •
اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحسبان المعلوم • تقدير العزيز • الذي
قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص • العليم • بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة •
هو الذي جعل لكم النجوم • خلقها لكم • لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر • في ظلمات الليل
في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم • قد فصلنا الايات • بيناها
فصلا فصلا • لقوم يعلمون • فانهم المنتفعون به • وهو الذي انشاكم من نفس واحدة •
وهو ادم • فمستقر ومستودع • اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض و
استيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير و
البصريون بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم

أي الاستقرار منها ومن الاستيداع. قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم
يعلمون لأن أمرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لأن إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة وتدقيق نظر. وهو الذي أنزل من السماء ماء
من جانب السماء أو السحاب. فأخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات
والمعنى إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الأكل. فأخرجنا منه من النبات أو الماء. خضرا. نخرج منه من الخضر
حبا متراكبا. وهو السنبل. ومن النخل من طلعها قنوان أي وأخرج من النخل نخلا من طلعها قنوان
أو من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز أن يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة
من طلع النخل قنوان وهو الأعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان
وبفتحها على أنه اسم جمع إذ ليس فعلان من أبنية الجمع. دانية قريبة من المتناول أو ملتفة قريب
بعضها من بعض وإنما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها. وجنات من أعناب
عطف على نبات كل شيء. وقرئ بالرفع على الابتداء أي ولكم أو ثم جنات أو من الكرم جنات ولا يجوز
عطفه على قنوان إذ العنب لا يخرج من النخل. والزيتون والرمان أيضا عطف على نبات أو نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم. مشتبها وغير متشابه حال من الرمان أو من الجميع
أي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة واللون والقدر والطعم. انظروا
إلى ثمره أي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة
وخشب أو ثمار ككتاب وكتب. إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه وإلى حال نضجه أو إلى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الأصل
مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه
ويانعه. إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون أي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده
فإن حدوث الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد ونقلها من حال إلى حال
لا يكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه أو ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به والرد عليه فقال
وجعلوا لله شركاء الجن أي الملائكة بأن عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم
تحقيرا لشأنهم أو الشياطين لأنهم أطاعوهم كما أطاعوا الله أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم
أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية
ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء أو شركاء الجن ولله متعلق بشركاء أو حال منه وقرئ
الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة للتبيين. وخلقهم حال بتقدير قد
والمعنى وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على
الجن أي وما يخلقونه من الأصنام أو على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم للإفك حيث نسبوه
إليه. وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء وقرئ وحرفوا أي وزوروا
بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة
بنات الله. بغير علم من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال

او الصفة

أو المصدر أي خرقا بغير علم. سبحانه وتعالى عما يصفون وهو أن له شريكا أو ولدا
بديع السماوات والأرض من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أو إلى الظرف كقولهم ثبت
الغدر بمعنى أنه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقرئ بالجر ورفعه على الخبر
والمبتدأ محذوف أو على الابتداء وخبره. أنى يكون له ولد أي من أين أو كيف يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل أو لأن الاسم ضمير الله أو ضمير الشأن
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وإنما لم يقل به لتطرق التخصيص إليه
وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه الأول أن مبدعاته السماوات والأرض وهي
مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو أولى بأن يتعالى
عنها والثاني أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين والله سبحانه منزه عن المجانسة
والثالث أن الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين الأول أن كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه
والثاني أنه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالإجماع. ذلكم إشارة إلى
الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ. الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أخبار مترادفة
ويجوز أن يكون البعض بدلا أو صفة والبعض خبرا. فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فإن
من استجمع هذه الصفات استحق العبادة. وهو على كل شيء وكيل وهو مع تلك الصفات
متولي أموركم فكلوها إليه وتوسلوا بعبادته إلى إنجاح مآربكم ورقيب على أعمالكم فيجازيكم
عليها. لا تدركه الأبصار لا تحيط به الأبصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث
إنها محلها. واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لأنه ليس الإدراك مطلق
الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الأوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الأشخاص
فإنه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع أن النفي لا يوجب الامتناع. وهو يدرك الأبصار
يحيط علمه بها. وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الأبصار كالأبصار ويجوز أن يكون
من باب اللف أي لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لأنه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها. قد جاءكم بصائر
من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لأنها تجلي لها
الحق وتبصرها. فمن أبصر أي أبصر الحق وآمن به. فلنفسه أبصر لأن نفعه لها. ومن عمي عن الحق
وضل فعليها وبالها. وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ أعمالكم
ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول. وكذلك نصرف الآيات ومثل
ذلك التصريف نصرف وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل
الشيء من حال إلى حال. وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة من التصريف والدرس
القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب
وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس أي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم
أساطير الأولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست بمعنى درست أو دارست اليهود محمدا وجاز إضمارهم بلا
ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن أي عفون ودرس أي درس محمد ودارسات

أو ذات درس كقوله عيشة راضية • ولنبينه • واللام على أصله لأن التبيين مقصود التصريف
والضمير للآيات باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر لكونه معلوما أو للمصدر • لقوم
يعلمون • فإنهم المنتفعون به • اتبع ما أوحي إليك من ربك • بالتدين به • لا إله إلا هو •
اعتراض أكد به إيجاب الاتباع أو حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا بالالوهية • وأعرض
عن المشركين • ولا تحتفل بأقوالهم ولا تلتفت إلى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم • ولو شاء الله • توحيدهم وعدم إشراكهم • ما أشركوا •
وهو دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر وأن مراده واجب الوقوع • وما جعلناك
عليهم حفيظا • رقيبا • وما أنت عليهم بوكيل • تقوم بأمرهم • ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله • أي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح • فيسبوا الله عدوا •
تجاوزا عن الحق إلى الباطل • بغير علم • على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به • وقرأ يعقوب
عُدُوًّا يقال عدا فلان عدوا وعُدُوًّا وعداء وعدوانا • روي أنه عليه السلام كان يطعن في
آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية
راجحة وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر • كذلك زينا لكل أمة عملهم • من الخير
والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا أو تخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل أمة بالكفرة لأن الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم • ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون • بالمحاسبة والمجازاة عليه • وأقسموا بالله جهد أيمانهم • مصدر في موضع الحال
والداعي لهم إلى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول في طلب الآيات واستحقار
ما رأوا منها • لئن جاءتهم آية • من مقترحاتهم • ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله • هو
قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وإرادتي • وما يشعركم • وما يدريكم
استفهام إنكار • أنها • أي الآية المقترحة • إذا جاءت لا يؤمنون • أي لا تدرون أنهم لا يؤمنون
أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على أنه تعالى إنما لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت
لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل أن بمعنى لعل إذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وأبو بكر عن عاصم ويعقوب إنها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم
منهم والخطاب للمؤمنين فإنهم يتمنون مجيء الآية طمعا في إيمانهم فنزلت وقيل للمشركين إذ قرأ
ابن عامر وحمزة بالتاء وقرئ وما يشعرهم أنها إذا جاءتهم فيكون إنكارا لهم على حلفهم
أي وما يشعرهم أن قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون
بها • ونقلب أفئدتهم وأبصارهم • عطف على لا يؤمنون أي وما يشعركم أنا حينئذ نقلب أفئدتهم
عن الحق فلا يفقهونه وأبصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها • كما لم يؤمنوا به • أي بما
أنزل من الآيات • أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون • وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين
وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والإسناد إلى الأفئدة • ولو أننا
نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا • كما اقترحوا فقالوا لولا أنزل علينا
الملائكة فأتوا بآبائنا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل أي كفلاء

بما بشروا به وأنذروا به أو جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلة
كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجهين حال من كل وإنما جاز ذلك لعمومه • ما كانوا
ليؤمنوا • لما سبق عليهم القضاء بالكفر • إلا أن يشاء الله • استثناء من أعم الأحوال أي لا يؤمنون
في حال إلا حال مشيئة الله تعالى إيمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة • ولكن أكثرهم
يجهلون • أنهم لو أوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون ولذلك
أسند الجهل إلى أكثرهم مع أن مطلق الجهل يعمهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الآية طمعا في إيمانهم • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا • أي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على أن عداوة الكفرة للأنبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الإنس والجن • مردة الفريقين وهو بدل من عدوا أو أول مفعولي جعلنا وعدوا
مفعوله الثاني ولكل متعلق به أو حال منه • يوحي بعضهم إلى بعض • يوسوس شياطين الجن
إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض • زخرف القول • الأباطيل
المموهة من زخرفه إذا زينه • غرورا • مفعول له أو مصدر في موقع الحال • ولو شاء ربك إيمانهم
ما فعلوه • أي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الأنبياء وإيحاء الزخارف ويجوز أن يكون
الضمير للإيحاء أو الزخرف أو الغرور وهو أيضا دليل على المعتزلة • فذرهم وما يفترون •
وكفرهم • ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة • عطف على غرورا إن جعل
علة أو متعلق بمحذوف أي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا
فيه قالوا اللام لام العاقبة أو لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون أو لام الأمر
وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه • وليرضوه • لأنفسهم • وليقترفوا •
وليكتسبوا • ما هم مقترفون • من الآثام • أفغير الله أبتغي حكما • على إرادة القول أي قل
لهم يا محمد أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق من المبطل وغير مفعول أبتغي
وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما أبلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل • وهو
الذي أنزل إليكم الكتاب • القرآن المعجز • مفصلا • مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينتفي التخليط
والالتباس وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه وتقرره مغن عن سائر الآيات • والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق • تأييد لدلالة الإعجاز على أن القرآن حق منزل
من عند الله يعلم أهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع أنه عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم لأن أكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى
تأمل وقيل المراد مؤمنو أهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد •
فلا تكونن من الممترين • في أنهم يعلمون ذلك أو في أنه منزل لجحود أكثرهم وكفرهم به فيكون من
باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين أو خطاب الرسول والمراد خطاب الأمة وقيل الخطاب لكل أحد
على معنى أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه • وتمت كلمة ربك •
بلغت الغاية أخباره وأحكامه ومواعيده • صدقا • في الأخبار والمواعيد • وعدلا •
في الأقضية والأحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له • لا مبدل لكلماته • لا
أحد يبدل شيئا منها بما هو أصدق وأعدل أو لا أحد يقدر أن يحرفها شائعا ذائعا كما فعل

بالتورية على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او
لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم
به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من
في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه
ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم
الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله
فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة و
تحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل
ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم
اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال
ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف
انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله واجتناب ما حرمه
وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم
على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة
وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون
بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم
بالمعتدين بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه
ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله
عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله
وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي
دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار
ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد

التأويل

التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة
الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ
الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله
وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق و الباطل
والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو
مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا
من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما
زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل
وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في
كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل
التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص
الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله
يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا
وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده
لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير و
حفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم
او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها
مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع
وابو بكر عن عاصم حرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر
كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود
السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع عنه كما يمتنع عنه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك

كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق. يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب أو الخذلان عليهم، فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل. وهذا إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو الإسلام أو ما سبق من التوفيق والخذلان. صراط ربك الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته. مستقيما لا عوج فيه أو عادلا مطردا، وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا، أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة. قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون فيعلمون أن القادر هو الله وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه، وأنه عالم بأحوال العباد حكيم عادل بما يفعل بهم. لهم دار السلام دار الله، أضاف الجنة إلى نفسه تعظيما لها، أو دار السلامة من المكاره، أو دار تحيتهم فيها سلام. عند ربهم في ضمانه، أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره. وهو وليهم مواليهم أو ناصرهم. بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم، أو متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم. ويوم يحشرهم جميعا نصب بإضمار اذكر أو نقول، والضمير لمن يحشر من الثقلين. وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء. يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم، كقولهم استكثر الأمير من الجنود. وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم. ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع الإنس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها، والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم. وقيل استمتاع الإنس بهم أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف، واستمتاعهم بالإنس اعترافهم بأنهم يقدرون على إجارتهم. وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي البعث، وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم. قال النار مثواكم منزلكم أو ذات مثواكم. خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم إن جعل مصدرا، ومعنى الإضافة إن جعل مكانا. إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير. وقيل إلا ما شاء الله قبل الدخول، كأنه قيل النار مثواكم أبدا إلا ما أمهلكم. إن ربك حكيم في أفعاله عليم بأحوال الثقلين وأعمالهم. وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم، أو أولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا. بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي. يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم الرسل من الإنس خاصة، لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك، ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، والمرجان يخرج من الملح دون العذب. وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم. وقيل الرسل من الجن رسل الرسل إليهم لقوله ولوا إلى قومهم منذرين. يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة. قالوا شهدنا على أنفسنا بالجرم والعصيان، وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب. وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم، فإنهم اغتروا بالحياة الدنيا واللذات المخدجة وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد، تحذيرا

للسامعين

للسامعين من مثل حالهم. ذلك إشارة إلى إرسال الرسل، وهو خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك. أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون تعليل للحكم، وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة، أي الأمر ذلك لانتفاء كون ربك، أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم فعلوه، أو ملتبسين بظلم، أو ظالما، وهم غافلون لم ينبهوا برسول، أو بدل من ذلك. ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من أعمالهم، أو من جزائها، أو من أجلها. وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل أو قدر ما يستحق به من ثواب أو عقاب. وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة. وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم، ويمهلهم على المعاصي، وفيه تنبيه على أن ما سبق ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد، وتأسيس لما بعده، وهو قوله إن يشأ يذهبكم أي ما به إليكم حاجة، إن يشأ يذهبكم أيها العصاة. ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق. كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين قرنا بعد قرن، لكنه أبقاكم ترحما عليكم. إن ما توعدون من البعث وأحواله لآت لكائن لا محالة. وما أنتم بمعجزين طالبكم. قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم، يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن، أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها، من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة. وقرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن. وهو أمر تهديد، والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم. إني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الإسلام، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد، كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه، وتسجيل بأن المهدد لا يأتي منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه. فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من يحتمل الاستفهام بمعنى أينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار، والخبر بمعنى الذي تكون له العاقبة، فيكون محله النصب، وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب، وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لأن تأنيث العاقبة غير حقيقي. إنه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم وأكثر فائدة. وجعلوا لله مما ذرأ خلق من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم. روي أنهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين، وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها، ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حبا لآلهتهم. وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم، فإنهم أشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء، ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزكي له. وفي بزعمهم تنبيه على أن ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به. وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين، وهو لغة فيه، وقد جاء فيه الكسر أيضا كالود والود. ساء ما يحكمون حكمهم هذا. وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن أو من السدنة

وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زُيِّن على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الأولاد وجر
الشركاء بإضافة القتل إليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من
الضرورات ... وقرئ بالبناء للمفعول وجر أولادهم
ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين. ليردوهم ليهلكوهم بالإغواء. وليلبسوا
عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به
واللام للتعليل إن كان التزيين من الشياطين وللعاقبة إن كان من السدنة. ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم أو الشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك. فذرهم وما يفترون
افتراءهم أو وما يفترونه من الإفك. وقالوا هذه إشارة إلى ما جعل لآلهتهم. أنعام وحرث
حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والأنثى وقرئ
حُجر بالضم وحرج أي مضيق. لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدم الأوثان والرجال
دون النساء. بزعمهم من غير حجة. وأنعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي.
وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها وقيل
لا يحجون على ظهورها. افتراء عليه نصب على المصدر لأن ما قالوا تقول على الله والجار متعلق
بقالوا أو بمحذوف هو صفة له أو على الحال أو المفعول له والجار متعلق به أو بالمحذوف.
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه أو بدله. وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعنون أجنة
البحائر والسوائب. خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا حلال للذكور خاصة دون الإناث
إن ولد حيا لقوله وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والإناث فيه سواء وتأنيث الخالصة
للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذلك وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء
وخالصة ... مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو
حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا لأنها لا تتقدم على العامل
المعنوي وعلى هذه القراءة ... بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والإضافة
إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لأن المراد
بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الذكر. سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله
في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتكم الكذب. إنه حكيم عليم. قد خسر الذين قتلوا أولادهم
سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون أولادهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير
وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير. سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله
رازق أولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال أو المصدر. وحرموا ما رزقهم الله من البحائر
ونحوها. افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله. قد ضلوا وما كانوا مهتدين
إلى الحق والصواب. وهو الذي أنشأ جنات من الكروم. معروشات مرفوعات على ما يحملها.
وغير معروشات ملقيات على وجه الأرض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري. والنخل والزرع مختلفا أكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه أو للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا

عليه

عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما. ومختلفا حال مقدرة لأنه لم يكن
كذلك عند الإنشاء. والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض أفرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها. كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم
يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله. وآتوا حقه يوم حصاده
يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لأنها فرضت بالمدينة والآية مكية
وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت
الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي
حِصاده بالكسر وهو لغة فيه. ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط. إنه لا يحب
المسرفين لا يرتضي فعلهم. ومن الأنعام حمولة وفرشا عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام
ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها. كلوا مما رزقكم
الله كلوا ما أحل لكم منه. ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند أنفسكم.
إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة. ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا أو مفعول كلوا
ولا تتبعوا معترض بينهما أو فعل دل عليه أو حال من ما بمعنى مختلفة أو متعددة والزوج ما معه
آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الأول. من الضأن اثنين زوجين اثنين
الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس
كالإبل وجمعه ضئين أو جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه.
ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى. قل آلذكرين ذكر الضأن
وذكر المعز. حرم أم الأنثيين أم أنثييهما. أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أو ما حملت إناث الجنسين ذكرا كان
أو أنثى. نبئوني بعلم بأمر معلوم يدل على أن الله حرم شيئا من ذلك. إن كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه.
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام
الأنثيين كما سبق. والمعنى إنكار أن الله حرم شيئا من الأجناس الأربعة ذكرا كان أو أنثى أو ما تحمل
الإناث ردا عليهم فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيف
كانت تارة زاعمين أن الله حرمها. أم كنتم شهداء بل أكنتم شاهدين حاضرين
إذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم إلى معرفة
أمثال ذلك إلا المشاهدة والسماع. فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم
والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك. ليضل الناس بغير علم إن الله
لا يهدي القوم الظالمين. قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما أي طعاما محرما. على طاعم يطعمه
تنبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى. إلا أن يكون ميتة إلا أن يكون
الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر
بالياء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله أو دما مسفوحا عطف على أن مع ما في حيزه

في خبر أي إلا وجود ميتة أو دما مسفوحا أي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد
والطحال. أو لحم خنزير فإنه رجس فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات أو
خبيث مخبث. أو فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل. أهل لغير الله به
صفة موضحة وإنما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز أن يكون فسقا
مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع إلى ما رجع إليه المستكن في يكون.
فمن اضطر فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء من ذلك. غير باغ على مضطر مثله. ولا عاد
قدر الضرورة. فإن ربك غفور رحيم لا يؤاخذه. والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد
فيما أوحي إلى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء بعد ذلك فلا
يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء غيرها إلا مع
الاستصحاب. وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له إصبع كالإبل والسباع
والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم. ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والإضافة لزيادة
الربط. إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما. أو الحوايا أو ما اشتملت على الأمعاء
جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو
عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو. أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص.
ذلك جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم. وإنا لصادقون في الإخبار أو الوعد
والوعيد. فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله
فإنه لا يهمل. ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة على
المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال
البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب بهم لا يمكن رده عنهم. سيقول الذين أشركوا إخبار
عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على إعجازه. لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا
حرمنا من شيء أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم أجمعين
لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب القبائح بإرادة الله إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد
ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد
للفصل بلا. حتى ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم. قل هل عندكم من علم من أمر
معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم. فتخرجوه لنا فتظهروه لنا. إن تتبعون إلا الظن
ما تتبعون في ذلك إلا الظن. وإن أنتم إلا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على
المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه. قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات أو بلغ
بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه. فلو شاء
لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين. قل هلم

شهداءكم

شهداءكم أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع
عند بني تميم وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون
في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو
بعيد لأن هل لا يدخل الأمر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم إلينا. الذين
يشهدون أن الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم
ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم.
فإن شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة
لهم في الشهادة الباطلة. ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر
موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن متبع الحجة لا يكون
إلا مصدقا بها. والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان. وهم بربهم يعدلون
يجعلون له عديلا. قل تعالوا أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو
لمن كان في سفل فاتسع فيها بالتعميم. أتل ما حرم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل
الخبرية والمصدرية ويجوز أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لأنه
بمعنى أقل أي شيء حرم ربكم. عليكم متعلق بحرم أو أتل. ألا تشركوا به أي لا تشركوا
به ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر
يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء أو بالبدل
من ما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة أو الجر بتقدير اللام أو الرفع على تقدير
المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا. شيئا يحتمل المصدر والمفعول. وبالوالدين
إحسانا أي وأحسنوا بهم إحسانا ووضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة
وللدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما. ولا تقتلوا أولادكم
من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق. نحن نرزقكم وإياهم منع لموجبية
ما كانوا يفعلون لأجله واحتجاج عليه. ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب أو الزنا
ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه. ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله إلا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن. ذلكم إشارة إلى ما ذكر مفصلا. وصاكم به
بحفظه. لعلكم تعقلون ترشدون فإن كمال العقل هو الرشد. ولا تقربوا مال اليتيم
إلا بالتي هي أحسن إلا بالفعلة التي هي أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره. حتى يبلغ
أشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد كصر وأصر وقيل هو مفرد
كآنك. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية. لا نكلف نفسا
إلا وسعها إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الأمر معناه أن إيفاء الحق
عسير عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم. وإذا قلتم فاعدلوا فيه. ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم. وبعهد الله أوفوا يعني ما عهد
إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع. ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به. وأن هذا صراطي مستقيما الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات

التوحيد والنبوة وبيان الشريعة. وقرأ حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئناف
وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على أنه
علة لقوله فاتبعوه. وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك. ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى
فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات. فتفرق
بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان. ذلكم الاتباع
وصاكم به لعلكم تتقون الضلالة والتفرق عن الحق. ثم آتينا موسى الكتاب عطف على
وصاكم وثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما
وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب. تماما للكرامة والنعمة. على الذي أحسن
على من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو
موسى أو تماما على ما أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه إتماما له وقرئ
بالرفع على أنه خبر مبتدأ أي على الذي هو أحسن دين أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون
عليه الكتب. وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على
تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر. وهدى ورحمة لعلهم لعل بني إسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون أي بلقائه للجزاء. وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مبارك
كثير النفع. فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه. أن تقولوا
كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه. إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى
ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم. وإن كنا
عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي أو لا نعرف مثلها. أو تقولوا عطف على الأول
لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك
تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون. فقد جاءكم بينة
من ربكم حجة واضحة تعرفونها. وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به. فمن أظلم ممن كذب
بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها. وصدف عنها أعرض أو صد عنها فضل
وأضل. سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته. بما كانوا يصدفون
بإعراضهم وصدهم. هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين
لذلك ولكن لما يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين. إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة
الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء. أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب أو كل
آية يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله. أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط الساعة
عن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله عم فقال ما
تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان
والدابة وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع
الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن. يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذا صار الأمر عيانا والإيمان برهاني وقرئ

تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث. لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا. أو كسبت
في إيمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة
إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو حجة لمن لم يعتبر الإيمان المجرد
عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع
بأحد الأمرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما إيمانها والعطف على لم يكن بمعنى لا ينفع
إيمانها الذي أحدثته حينئذ وإن كسبت فيه خيرا. قل انتظروا إنا منتظرون وعيد
لهم أي انتظروا إتيان أحد الثلاثة فإنا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل.
إن الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عم
افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى
على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين
كلها في الهاوية إلا واحدة. وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي باينوا. وكانوا
شيعا فرقا كل فرقة تشيع إماما. لست منهم في شيء أي من السؤال عنهم وعن
تفرقهم أو عن عقابهم أو أنت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية
السيف. إنما أمرهم إلى الله يتولى جزاءهم. ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب.
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أي عشر حسنات أمثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب
عشر بالتنوين وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد. ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها قضية للعدل. وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب. قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم بالوحي والإرشاد إلى ما نصب من الحجج. دينا
بدل من محل إلى صراط إذ المعنى هداني صراطا مستقيما أو مفعول فعل مضمر دل عليه
الملفوظ. قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على أنه مصدر نعت به
وكان قياسه قوما كعوض فأعل لإعلال فعله كالقيام. ملة إبراهيم عطف بيان لدينا
حنيفا حال من إبراهيم. وما كان من المشركين عطف عليه. قل إن صلاتي ونسكي عبادتي
كلها أو قرباني أو حجي. ومحياي ومماتي وما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان
والطاعة أو طاعات الحياة والخيرات المضافة إلى الممات كالوصية والتدبير أو الحياة
والممات أنفسهما. وقرأ نافع محياي بإسكان الياء إجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا أشرك فيها غيره. وبذلك القول أو
الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته.
قل أغير الله أبغي ربا فأشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم.
وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للإنكار والدليل له أي وكل ما سواه مربوب مثلي
لا يصلح للربوبية. ولا تكسب كل نفس إلا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه
من ذلك. ولا تزر وازرة وزر أخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم

ثم الى ربكم مرجعكم • يوم القيمة • فينبئكم بما كنتم تختلفون • بتبيين الرشد من الغي وتمييز
المحق من المبطل • وهو الذي جعلكم خلائف الارض • يخلف بعضكم بعضا او خلفاء
الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب للمؤمنين • ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى • ليبلوكم فيما آتيكم • من الجاه والمال • ان ربك سريع العقاب
لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده • وانه لغفور رحيم • وصف العقاب ولم
يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة
واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ
فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة
واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى
عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة
سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وهي من قوله واسألهم عن القرية الى قوله واذ نتقنا
وهي مائتان بسم الله الرحمن الرحيم • وخمس او ست آية
المص • سبق الكلام في مثله • كتاب • خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به
السورة او القرآن • انزل اليك • صفته • فلا يكن في صدرك حرج منه • اي شك فان
الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه
وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكانه
قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك • لتنذر به • متعلق بانزل او بلا يكن لانه
اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه
وذكرى للمؤمنين • يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير
والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف • اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم • يعم القرآن والسنة لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى • ولا تتبعوا
من دونه اولياء • يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا
من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا • قليلا ما تذكرون • اي تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت
مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف
التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي عم • وكم من قرية • وكثيرا من القرى
اهلكناها • اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان • فجاءها • فجاء اهلها • بأسنا
عذابنا • بياتا • بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال • او هم قائلون •
عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع
حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي
التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت
دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع • فما كان دعواهم • دعاؤهم واستغاثتهم
او ما كانوا يدعونه من دينهم • اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين • الا اعترافهم

بظلمهم

بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه • فلنسألن الذين ارسل اليهم • عن قبول الرسالة
واجابتهم الرسل • ولنسألن المرسلين • عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ
الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول
في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة • فلنقصن عليهم • على الرسل حين يقولون
لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه • بعلم • عالمين بسرهم
وبواطنهم او بمعلومنا منهم • وما كنا غائبين • عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم • والوزن
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم
فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص
لما روي عنه عم انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة • يومئذ
خبر المبتدأ الذي هو الوزن • الحق • صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي • فمن ثقلت
موازينه • حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فهو جمع
موزون او ميزان • فاولئك هم المفلحون • الفائزون بالنجاة والثواب • ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم • بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون • فيكذبونها بدل التصديق • ولقد مكناكم في الارض • اي مكناكم من سكناها
وزرعها والتصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش • اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع
انه همز تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف • قليلا ما تشكرون • فيما صنعت اليكم • ولقد
خلقناكم ثم صورناكم • اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه • نزل خلقه وتصويره
منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه
ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقيل ثم لتأخير الاخبار • فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين • ممن سجد لآدم • قال ما منعك الا تسجد • اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم
مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع
عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد • اذ امرتك • دليل على ان
الامر للوجوب والفور • قال انا خير منه • جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان
يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كانه قيل المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف
يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا • خلقتني من نار
وخلقته من طين • تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص
ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق

الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب • قال فاهبط منها من السماء او الجنة
فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه • فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله • قال انظرني
الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني او لا تعجل عقوبتي • قال انك من المنظرين يقتضي
الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو
النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم
للثواب بمخالفته • قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق
يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء
متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم • لاقعدن لهم
ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة • صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب • وقيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن • ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده
اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك
لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم
لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث
يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث
يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يتحرزوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه • ولا تجد اكثرهم شاكرين
مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ
الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة • قال اخرج منها مذؤوما • من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما
كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما • مدحورا • مطرودا • لمن تبعك منهم •
اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه • لاملأن جهنم منكم اجمعين • وهو ساد مسد جواب الشرط
وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب • ويا آدم • اي وقلنا يا آدم اسكن
انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة • وقرئ هذي الشجرة
وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء • فتكونا من الظالمين • فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب • فوسوس لهما الشيطان • اي فعل الوسوسة
لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسواس الحلي وقد سبق في البقرة
كيفية وسوسته • ليبدي لهما • ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند

من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع • ما ووري عنهما من سوآتهما • ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو
المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ
سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وسوتهما بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة
فيها • وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا • الا كراهة ان تكونا •
ملكين او تكونا من الخالدين • الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل
الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما
في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة
وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا • وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين • اي اقسم لهما على ذلك
وانما اخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة • فدلاهما • فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما
بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى
اسفل • بغرور • بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين
بغرور • فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما • اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا
وطفقا يخصفان • اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة • عليهما من ورق الجنة •
قيل ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين •
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم
قالا ربنا ظلمنا انفسنا • اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة • وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين • دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة
لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين
في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات • قال اهبطوا • الخطاب لآدم وحواء
وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا
بعضكم لبعض عدو • في موضع الحال اي متعادين • ولكم في الارض مستقر • استقرار او موضع
استقرار • ومتاع • وتمتع • الى حين • الى ان تنقضي آجالكم • قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون • للجزاء • يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا • اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب
نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام وقوله وانزلنا الحديد • يواري سوآتكم • التي قصد
الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة و
يقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى
يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى
ابويهم • وريشا • ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترئش الرجل اذا تمول

وزينة ريشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب. ولباس التقوى خشية الله وقيل الإيمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير أو خير وذلك
صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس
بالنصب عطفاً على لباساً. ذلك أي إنزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح. يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم. كما أخرج أبويكم من الجنة كما محن
أبويكم بأن أخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به.
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من أبويكم أو من فاعل أخرج وإسناد النزع
إليه للتسبب. إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير من فتنته
وقبيله جنوده ورؤيتهم إيانا من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم
لنا. إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بإرسالهم
عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
وإذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء
على الله فأعرض عن الأول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء
لأن عادته تعالى جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على
أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلاً عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها
لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا والله أمرنا بها
وعلى الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل على خلافه لا مطلقاً. أتقولون على الله ما
لا تعلمون إنكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله. قل أمر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل أمر المتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط. وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين
غير عادلين إلى غيرها أو أقيموها نحو القبلة. عند كل مسجد في كل وقت سجود أو مكانه وهو
الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم. وادعوه
واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن إليه مصيركم. كما بدأكم كما أنشأكم ابتداء
تعودون بإعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة وإنما شبه الإعادة بالإبداء تقريراً لإمكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة
غرلاً تعودون وقيل كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم. فريقاً هدى بأن وفقهم للإيمان
وفريقاً حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
أي وخذل فريقاً. إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانهم أو تحقيق
لضلالهم. ويحسبون أنهم مهتدون يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق
الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر. يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وفيه دليل

على وجوب ستر العورة في الصلاة. وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي أن بني عامر في أيام
حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون
به. ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة. وقال علي بن الحسين
بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا. إنه لا يحب المسرفين
أي لا يرتضي فعلهم. قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به. التي أخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع. والطيبات
من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب. وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس
وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار. قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فتبع. خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم
وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر. كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون أي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لهم. قل إنما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج. ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها. والإثم
والبغي ما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم أو الكبر أفرده بالذكر
للمبالغة. بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى. وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون
بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها. ولكل أمة أجل مدة أو وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لأهل مكة. فإذا جاء أجلهم انقرضت مدتهم أو حان
وقتهم. لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أي لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت
أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول. يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي شرط ذكر حرفه بإن للتنبيه على أن إتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما
ظنه أهل التعليم وضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه
فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وإدخال الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في
الوعد والمسامحة في الوعيد. فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته ممن تقول على الله
ما لم يقله أو كذب ما قاله. أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار
وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه. حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي يتوفون
أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام وهو ههنا
جواب إذا. قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله أي الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت
بأين في خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة. قالوا ضلوا عنا غابوا عنا.
وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه.
قال ادخلوا أي قال الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة. في أمم قد خلت من قبلكم

اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية
من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي
ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار
قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة
فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل
فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا
من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل
لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم
كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث
غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان
الفعل للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنفل والجمل
كالنغل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة
وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية
والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء
المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد
بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه
طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم
اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه
واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا

بان ما علموا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها
من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها
بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم
وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل
ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم
كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة
القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة
او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح
وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله فضرب بينهم بسور او
بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف
الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف
ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا
في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين او علماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى
من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او وسمها على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا
عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء
الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق
وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي
فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة وتعليله بحجة
الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم
ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله
او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا على البناء للمفعول وتدخلوا

دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء
اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار • او مما رزقكم الله من سائر الاشربة
ليلائم الافاضة • او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا • قالوا ان الله
حرمهما على الكافرين • منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف • الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا •
كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب
طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب • وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم • نفعل بهم فعل
الناسين فنتركهم فى النار • كما نسوا لقاء يومهم هذا • فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له
وما كانوا باياتنا يجحدون • وكما كانوا منكرين انها من عند الله • ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه • بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة • على علم • عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلمه او مشتملا على علم فيكون حالا من
المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك • هدى ورحمة لقوم
يؤمنون • حال من الهاء • هل ينظرون • هل ينتظرون • الا تاويله • الا ما يؤول اليه امره من تبيين
صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد • يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل • تركوه
ترك الناسى • قد جاءت رسل ربنا بالحق • اى قد تبين انهم جاؤا بالحق • فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • اليوم • او نرد • وهل نرد الى الدنيا • وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين الشفاعة او رد وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او
لامر واحد وهو الرد • فنعمل غير الذى كنا نعمل • جواب الاستفهام الثانى • وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل • قد خسروا انفسهم • بصرف اعمارهم فى الكفر • وضل عنهم ما كانوا يفترون • بطل عنهم
فلم ينفعهم • ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام • اى فى ستة اوقات كقوله
ومن يولهم يومئذ دبره • او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار
للنظار وحث على التانى فى الامور • ثم استوى على العرش • استوى امره او استولى وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى
عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك • يغشى الليل النهار • يغطيه به ولم يذكر
عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار
وقرا حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا • يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة
مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا • والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره • بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات
على الحال وقرا ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر • الا له الخلق والامر • فانه الموجد
والمتصرف • تبارك الله رب العالمين • تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتفرد بالربوبية
وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية

واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب
قويم • وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضيهن سبع
سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق
الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها
اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لقوله فى سورة السجدة
الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية • اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص • انه لا يحب
المعتدين • المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب
ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب
فيه وعن النبى عم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا
انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا فى الارض • بالكفر والمعاصى • بعد اصلاحها • ببعث الانبياء
وشرع الاحكام • وادعوه خوفا وطمعا • ذوى خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته • ان رحمة الله قريب من المحسنين • ترجيح للطمع
وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف
اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض او للفرق بين
القريب من النسب والقريب من غيره • وهو الذى يرسل الرياح • وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى
الريح على الوحدة • نشرا • جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع
وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات
او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ
بشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى • بين يدى رحمته • قدام
رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه • حتى
اذا اقلت • حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله • سحابا ثقالا • بالماء جمعه
لان السحاب بمعنى السحائب • سقناه • اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ • لبلد ميت •
لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الماء • بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك • فاخرجنا به • ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى
الاول والظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما • من كل الثمرات • من كل
انواعها • كذلك نخرج الموتى • الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه

القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج
نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا
على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن
لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد
تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما
صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين
فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي
غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان
قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي
وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه
رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث
وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما
اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم
كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجبة للترحم من الله تفضل
وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه
وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وسبعة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين

واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد
اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم
يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن خلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
استئنافه ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم
افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال فقال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة
الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة
وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم
في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان
خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا
آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى
قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله
بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى
المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على
المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان
كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم
على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب
ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
اي اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل
وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم
وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق
الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى
وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة
لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على
العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا
عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض
لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا

الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث
سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت
الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا
عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا
له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل
ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون
الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدم معنا مكة فانه قد اتبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ
الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه
فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا ● والى ثمود ● قبيلة اخرى من العرب سموا باسم
ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو
الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى
وادي القرى ● اخاهم صالحا ● صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ● قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ● معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية ● استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة
ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية
الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية
فذروها تاكل في ارض الله ● العشب ● ولا تمسوها بسوء ● نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر ● فياخذكم عذاب اليم ● جواب
للنهي ● واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ● ارض الحجر ● تتخذون من سهولها
قصورا ● اي تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر ● وتنحتون الجبال
بيوتا ● وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون ● فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الارض مفسدين ● قال الملأ الذين استكبروا من قومه ● اي عن الايمان ● للذين استضعفوا ● اي
للذين استضعفوهم واستذلوهم ● لمن آمن منهم ● بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان
الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين ● أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ● قالوا انا بما
ارسل به مؤمنون ● عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله
اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال

قال الذين

قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون ● على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل
به ردا لما جعلوه معلوما مسلما ● فعقروا الناقة ● فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة
او لانه كان برضاهم ● وعتوا عن امر ربهم ● واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح
بقوله فذروها ● وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ● فاخذتهم
الرجفة ● الزلزلة ● فاصبحوا في دارهم جاثمين ● خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم
وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه
آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن
استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة
يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت
صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين
من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم ويشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا
اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب
فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا
ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا
بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا ● فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ● ظاهره ان توليه عنهم
كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل
قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك
على سبيل التحسر ● ولوطا ● اي وارسلنا لوطا ● اذ قال لقومه ● وقت قوله لهم او واذكر لوطا
واذ بدل منه ● أتأتون الفاحشة ● توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح
● ما سبقكم بها من احد من العالمين ● ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد
النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان
الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ ● انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء ●
بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم
على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم

بالبهيمة الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة بل أنتم قوم مسرفون إضراب عن الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف

وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم أي وما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالأمر بإخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا إنهم أناس يتطهرون أي من الفواحش فأنجيناه وأهله أي من آمن به إلا امرأته فإنها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي أن لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل بالأردن فأرسله الله إلى أهل سدوم ليدعوهم إلى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فأمطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن إبراهيم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن أنها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها إليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى أو إرهاصا لنبوته فأوفوا الكيل أي آلة الكيل على الإضمار أو إطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود أوفوا المكيال والميزان أو الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وإنما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعدما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والإضافة إليها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن الأحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الإيمان بالله من آمن به أي بالله أو بكل صراط على الأول ومن مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم

بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو وصفها للناس بأنها معوجة واذكروا إذ كنتم قليلا عددكم أو عُدَدكم فكثركم بالبركة في النسل أو المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم قبلكم فاعتبروا بهم وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين إذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم عن القرية أو عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجري الجواب في قوله قال أولو كنا كارهين أي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لأنه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أي قد افترينا الآن إن هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن لله ندا وأنه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل إنه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما أي أحاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويخلصنا من الأشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل إذا بينه وأنت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فأخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فأصبحوا في دارهم جاثمين أي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فإنهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون حتى يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه

الحمية والسعة ابتلاء لهم بالأمرين حتى عفوا كثروا عَدداً وعُدداً يقال عفا النبات إذا كثر
ومنه إعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه
مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو أن أهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا
مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا فأخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا
أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيَّتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا أوأمن أهل القرى
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار
وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما
لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد
وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك
النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم
ويرثون ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم
أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون
جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لافضائه إلى
نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى
يعني قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبرا ويكون إفادته
بالتقييد بها وخبر إن جعلت صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها
ولها أنباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا
عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا
ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة
والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للإيمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر
وما وجدنا لأكثرهم لأكثر الناس والآية اعتراض أو لأكثر الأمم المذكورين من عهد من وفاء عهد
فإن أكثرهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان والتقوى بإنزال الآيات ونصب الحجج أو ما عهدوا
إليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وإن وجدنا
أكثرهم أي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول إن المخففة واللام الفارقة
وذلك لا يسوغ إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين إن للنفي
واللام بمعنى إلا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم

بآياتنا يعني المعجزات إلى فرعون وملئه فظلموا بها بأن كفروا بها مكان الإيمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب
لمن ملك مصر ككسرى ولمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول
من رب العالمين إليك حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق لعله جواب لتكذيبه
في دعوى الرسالة وإنما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق علي
أن لا أقول كما قرأ نافع فقلب لأمن الإلباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
أو لأن ما لزمك فقد لزمته أو للإغراق في الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول
الحق أن أكون أنا قائله لا يرضى إلا بمثلي ناطقا به أو ضمّن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان
الباء لإفادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة
أبي بالباء وقرئ حقيق أن لا أقول قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم
في الأعمال قال إن كنت جئت بآية من عند من أرسلك فأت بها فأحضرها عندي ليثبت
بها صدقك إن كنت من الصادقين في الدعوى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين
ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روي أنه لما ألقاها صارت ثعبانا
أشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون ألفا وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن بك وأرسل
معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء
للناظرين أي بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظار أو بيضاء للنظار
لا أنها كانت بيضاء في جبلتها روي أنه كان آدم شديد الأدمة فأدخل يده في جيبه
أو تحت إبطه ثم نزعها فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملأ
من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في
أمره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون تشيرون
أن تفعل قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه
اتفقت عليه آراؤهم فأشاروا به على فرعون والإرجاء التأخير أي أخر أمره وأصدره عنه
قرأ أبو بكر وأبو عمرو ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجئه على قراءة ابن كثير على الأصل في الضمير
أو أرجه من أرجيت كما قرأ نافع في رواية ورش وإسماعيل والكسائي وأما قراءته في رواية
قالون أرجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم أرجه بسكون الهاء
فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كإبل في إسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئهِ
بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فإن الهاء لا تكسر إلا إذا كان قبلها كسرة أو ياء
ساكنة ووجهه أن الهمزة لما كانت تقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار
فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما أرسل

الشرط في طلبهم. قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين استئناف به كأنه جواب
سائل قال ما قالوا إذ جاؤوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص إن لنا على الإخبار وإيجاب
كأنهم قالوا لا بد لنا من أجر والتنكير للتعظيم. قال نعم وإنكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم. قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون
نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للأدب أو إظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا
قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك. قال ألقوا كرما وتسامحا أو ازدراء بهم ووثوقا على شأنه
فلما ألقوا سحروا أعين الناس بأن خيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه. واسترهبوهم وأرهبوهم
إرهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم. وجاؤوا بسحر عظيم في فنه. روي أنهم ألقوا حبالا
غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا. وأوحينا إلى موسى
أن ألق عصاك فألقاها فصارت حية. فإذا هي تلقف ما يأفكون ما يزورونه من الإفك
وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا
وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا. فوقع الحق فثبت لظهور أمره. وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة. فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة
مقهورين والضمير لفرعون وقومه. وألقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها
على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه
حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر موسى وينقلب الأمر عليه أو مبالغة في سرعة خرورهم وشدته
قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به
فرعون. قال فرعون آمنتم به بالله أو بموسى والاستفهام فيه للإنكار وقرأ حمزة والكسائي
وأبو بكر وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الأصل وقرأ حفص منهم على الإخبار
قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه أي إن هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى
في المدينة قبل أن تخرجوا إلى الميعاد. لتخرجوا منها أهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل
فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله. لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف
من كل شق طرفا. ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم قيل إنه أول من سن ذلك
فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب
لفرط رحمته. قالوا إنا إلى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك أو إنا منقلبون
إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله أو مصيرنا ومصيرك
إلى ربنا فيحكم بيننا. وما تنقم منا وما تنكر منا. إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو خير الأعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا إلى
الله فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا ما يغمرنا كما يفرغ الماء أو صب علينا
ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون. وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام

قيل إنه

قيل إنه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل إنه لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض بتغيير الناس عليك
ودعوتهم إلى مخالفتك. ويذرك عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو
كقول الحطيئة: ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والإخاء. ويذرك على معنى
أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر
أو استئناف أو حال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فأصدق وأكن
وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم
أن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى وقرئ إلاهتك أي عبادتك
قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه
من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده
وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف. وإنا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت
أيدينا. قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للأمر بالاستعانة بالله والتثبت
في الأمر. والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من إهلاك القبط وتوريثهم
ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم إن واللام في الأرض تحتمل العهد
والجنس. قالوا أي بنو إسرائيل أوذينا من قبل أن تأتينا بالرسالة بقتل الأبناء ومن بعد
ما جئتنا بإعادته. قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض تصريحا بما كنى
عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بأنهم
المستخلفون بأعيانهم أو أولادهم وقد روي أن مصر إنما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر
كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد
منكم. ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الأمطار والمياه والسنة غلبت
على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنتت القوم إذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات. لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا أو لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده. فإذا جاءتهم
الحسنة من الخصب والسعة. قالوا لنا هذه لأجلنا ونحن مستحقوها. وإن تصبهم سيئة
جدب وبلاء. يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم
وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل
العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهو لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وإنما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق
الإرادة بإحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها
إلا بالتبع. ألا إنما طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته
أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم
وقرئ إنما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع. ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيبهم

من الله تعالى او من شؤم اعمالهم • وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة
للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف
وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره • تاتنا به اى اى شيء تحضرنا
تاتنا به من آية • بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين • اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل
التبيين باعتبار اللفظ وانثه باعتبار المعنى • فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى
اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون • والجراد والقمل
قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها • والضفادع والدم روى
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم
حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد
على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا
ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا
اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي
جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في اطعمتهم ويدخل
بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل
الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم
وتثب الى قدورهم وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود
ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى
كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء
من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف • آيات مفصلات
مبينات لا تشكل على عاقل انها آيات الله ونقمة عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان
بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم
بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل • فاستكبروا عن الايمان • وكانوا قوما
مجرمين • ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسل الله عليهم
بعد ذلك • قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله
متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله • لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن • فلما
كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه • الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون
وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم • اذا هم ينكثون جواب لما اى
كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتامل فيه • فانتقمنا منهم • فاردنا الانتقام منهم

فاغرقناهم في اليم • اى البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته • بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين • اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم • مشارق الارض ومغاربها • يعني ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها • التي باركنا فيها بالخصب
وسعة العيش • وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل • ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته
اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات
ربك لتعدد المواعيد • بما صبروا • بسبب صبرهم على الشدائد • ودمرنا • وخربنا • ما كان يصنع
فرعون وقومه • من القصور والعمارات • وما كانوا يعرشون • من الجنات او ما كانوا يرفعون
من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم • وهذا آخر قصة فرعون
وقومه وقوله • وجاوزنا ببني اسرائيل البحر • وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور
الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله
مما رآه منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى
ان موسى عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا • فاتوا على قوم
فمروا عليهم • يعكفون على اصنام لهم • يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك
اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ
حمزة والكسائي يعكفون بالكسر • قالوا يا موسى اجعل لنا الها • مثالا نعبده • كما لهم آلهة •
يعبدونها وما كافة للكاف • قال انكم قوم تجهلون • وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد
ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل • ان هؤلاء • اشارة الى القوم •
متبر • مكسر مدمر • ما هم فيه • يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها
رضاضا • وباطل • مضمحل • ما كانوا يعملون • من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله
تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار
لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا
قال اغير الله ابغيكم الها • اطلب لكم معبودا • وهو فضلكم على العالمين • والحال انه خصكم
بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم
بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته • واذ انجيناكم
من آل فرعون • واذكروا صنيع الله معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم • يسومونكم
سوء العذاب • استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما •
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بدل منه مبين • وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم • وفي الانجاء او
العذاب نعمة او محنة عظيمة • وواعدنا موسى ثلاثين ليلة • ذا القعدة وقرأ ابو عمرو
ويعقوب ووعدنا • واتممناها بعشر • من ذي الحجة • فتم ميقات ربه اربعين ليلة • بالغا اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون

فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة
كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره
أن يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح في أمورهم أو
كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك
إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص
مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عم
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام
المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر
إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء
محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن أريك
أو لن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية
ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا
يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها
أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه
غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة
الرؤية قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة
أن التعليق على الممكن ممكن وقيل الجبل جبل أردن فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته
وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء أي قطعا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت
إليك من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا أول المؤمنين مر تفسيره وقيل
معناه وأنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى إني اصطفيتك اخترتك على الناس
أي الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا
صاحب شرع برسالاتي يعني أسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي
وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي
أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له في الألواح
من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور أي وكتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في أن الألواح
كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوتة حمراء أو صخرة صماء لينها الله

لموسى فقطعها بيده أو شققها بأصابعه وكان فيها التورية أو غيرها فخذها على إضمار
القول عطفا على كتبنا أو بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء
فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا
بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص
على طريقة الندب والحث على الأفضل كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم أو بواجباتها
فإن الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالأحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالإضافة
وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه
بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود وأضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم
في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند سأورثكم ويؤيده
قوله وأورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والأنفس الذين يتكبرون في الأرض بالطبع
على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد
فرعون فعاد عليه بإعلائها أو بإهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل أو حال من فاعله وإن يروا كل آية منزلة أو معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم أو اختلال
عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الأول وإن يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ
الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم
للآيات ويجوز أن ينتصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو ما وعد الله في الآخرة حبطت أعمالهم
لا ينتفعون بها هل يجزون إلا ما كانوا يعملون إلا جزاء أعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده
من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر وإضافتها
إليهم لأنها كانت في أيديهم أو ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة
والكسائي بالكسر بالإتباع كدلي ويعقوب على الإفراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب
خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي أن السامري لما صاغ العجل
ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه
ويصوت وإنما نسب الاتخاذ إليهم وهو فعله إما لأنهم رضوا به أو لأن المراد اتخاذهم إياه إلها
وقرئ جؤار أي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
وإخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يقدر على كلام ولا على إرشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الأجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم أي اتخذوه إلها
وكانوا ظالمين واضعين الأشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط
في أيديهم كناية عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها
وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في أنفسهم
ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باعتبار [illegible]

... عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء
ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني
من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة أو قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة
والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي أو من بعد ما رأيتم
مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم أتركتموه غير تام كأنه
ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم وألقى الألواح أي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر
حمية للدين وروي أن التوراة كانت سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة
أسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه
بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في كفهم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا و
لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن أم ذكر الأم ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء
بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها
بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل
بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة
التقصير قال رب اغفر لي مما صنعت بأخي ولأخي إن فرط في كفهم ضمه إلى نفسه في الاستغفار
ترضية له ورفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين
فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل
أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين
على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا
بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم وإن عظم الجرم كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ
عن موسى الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه
جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها
وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح
المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون
دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير
يرهبون معاصيه لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار

من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم
الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها
قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى
أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر
وغيرها فترحمت عليهم بالإنقاذ منها فلو ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم
إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك
قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات
التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك
فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم
كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله
بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا
القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة
وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة
إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده إذا أماله
ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا إليك ويجوز أن يكون
المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء
تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها
فأثبتها في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي
ويؤتون الزكاة خصها بالذكر لإنافتها ولأنها كانت أشق عليهم والذين هم بآياتنا
يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي الأمي مبتدأ خبره يأمرهم أو
خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو الكل والمراد من آمن منهم
بمحمد وإنما سماه رسولا بالإضافة إلى الله ونبيا بالإضافة إلى العباد والأمي الذي لا
يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير
أو كالربا والرشوة ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ويخفف عنهم
ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من
التحرك وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أي مع نبوته يعني القرآن وإنما سماه نورا
لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه
متعلقا باتبعوا أي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون إشارة إلى اتباع الكتاب

والسنة. أولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الأبدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى. قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا إلى كافة الثقلين وسائر الرسل إلى أقوامهم. جميعا حال من إليكم. الذي له ملك السماوات والأرض صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق بالمضاف الذي أضيف إليه فإنه كالمتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره لا إله إلا هو وهو على الوجه الأول بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره. يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالألوهية. فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ما أنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على إرادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر إيمانه وإنما عدل عن التكلم إلى الغيبة لإجراء هذه الصفات الداعية إلى الإيمان به والاتباع له. واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة. ومن قوم موسى يعني بني إسرائيل. أمة يهدون بالحق يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق. وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الإيمان القائمون بالحق من أهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل في كل أمة ديدن قديم وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به. وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض. اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فإنه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الأمة أو القطعة. أسباطا بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحد من اثنتي عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين وإسكانها. وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه في التيه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست أي فضرب فانبجست وحذفه للإيماء على أن موسى لم يتوقف في الامتثال وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته. منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا أي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة. وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بإضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيه بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له هنا اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله وقولوا على وادخلوا فلا أثر له في المعنى لأنه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما. نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالإثابة وإنما أخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فإنه وحده وقرأ أبو عمرو خطاياكم. فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها. واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بتعليم أو وحي ليكون لك

معجزة

معجزة عليهم. عن القرية عن خبرها وما وقع بأهلها. التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي أيلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية. إذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت وإذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل الاشتمال. إذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الإعداد أي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغيره. يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيد الأول أن قرئ يوم إسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت. وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا إذا دنا وأشرف. كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أي لا تأتيهم مثل إتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون. وإذ قالت عطف على إذ يعدون. أمة منهم جماعة من أهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم. لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم. أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم. قالوا معذرة إلى ربكم جواب للسؤال أي موعظتنا إنهاء عذر إلى الله حتى لا ننسب إلى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أي اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة. ولعلهم يتقون إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك. فلما نسوا تركوا ترك الناسي. ما ذكروا به ما ذكرهم صلحاؤهم. أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة أمر الله. بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على أنه بئس كحذر فخفف عينه بنقل حركتها إلى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم إدغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس. بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم. فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم. قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للأولى. روي أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فأصبحوا يوما ولم يخرج إليهم أحد من المعتدين فقالوا إن لهم شأنا فدخلوا عليهم فإذا هم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتي أنسباءها وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم. وإذ تأذن ربك أي أعلم تفعل من الإيذان بمعنى الإفعال كالتوعد والإيعاد أو عزم لأن العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله فأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم

وآمن وإذا وجدت تلك مخالفة ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالإذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث
محمد صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر.
إن ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وإنه لغفور رحيم لمن تاب وآمن. وقطعناهم في الأرض
أمما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لإدبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قط. وأمما
مفعول ثان أو حال. منهم الصالحون صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم. ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك أي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم.
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه.
فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم. ورثوا الكتاب التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها. يأخذون
عرض هذا الأدنى حطام هذا الشيء الأدنى يعني الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة. وهو
ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلام والجملة حال من الواو. ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند
إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون. وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا أي
يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين إلى مثله غير تائبين عنه. ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
أي في الكتاب. أن لا يقولوا على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا
والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق
الكتاب. ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض.
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء. أفلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا
الأدنى الدنيء المؤدي إلى العقاب بالنعيم المخلد. وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على التلوين. والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة عطف على الذين يتقون وقوله أفلا تعقلون
اعتراض أو مبتدأ خبره. إنا لا نضيع أجر المصلحين على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على أن الإصلاح كالمانع من التضييع. وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وإفراد
الإقامة لإنافتها على سائر أنواع التمسكات. وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي قلعناه ورفعناه
فوقهم وأصل النتق الجذب. كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما أظلك. وظنوا أنه واقع بهم
ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به. وإنما أطلق الظن لأنه لم يقع
متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم
إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم. خذوا على إضمار القول أي قلنا خذوا أو قائلين
خذوا. ما آتيناكم بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو. واذكروا ما فيه
بالعمل ولا تتركوه كالمنسي. لعلكم تتقون قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق. وإذ أخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم أي أخرج من أصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد

قرن من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا على أنفسنا أي ونصب لهم دلائل
ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم إلى الإقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم
قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الإشهاد والاعتراف على طريقة
التمثيل ويدل عليه قوله أن تقولوا يوم القيامة أي كراهة أن تقولوا إنا كنا عن هذا غافلين
لم ننبه عليه بدليل. أو تقولوا عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لأن أول الكلام
على الغيبة. إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن التقليد
عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا. أفتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك. وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم
وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي كتاب
المصابيح. والمقصود من إيراد الكلام هاهنا إلزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما ألزمهم بالميثاق
المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم من التقليد وحملهم على النظر والاستدلال
كما قال: وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع الباطل. واتل عليهم
أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو أحد علماء بني إسرائيل أو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ
الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله. فانسلخ منها من الآيات
بأن كفر بها وأعرض عنها. فأتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه. فكان من الغاوين
فصار من الضالين. روي أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة
فألحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه. ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء. بها
بسبب تلك الآيات وملازمتها. ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة. واتبع هواه
في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وإنما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء
المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب وسائط معتبرة في حصول
المسبب من حيث إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه
أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة.
فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة. كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له
بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده. واللهث إدلاع اللسان من التنفس الشديد. والشرطية
في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين. والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي
الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان. وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على
صدره وجعل يلهث كالكلب. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص القصص المذكور
على اليهود فإنها نحو قصصهم. لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم إلى الاتعاظ. ساء مثلا
القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم. الذين كذبوا

بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض
دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني باعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار
عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم
كثيرا من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر
اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم
الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب
التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار
وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار
أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن
المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين
يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه إذ ربما يوهم
معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بإنكارهم ما سمى الله به نفسه
كقولهم ما نعرف إلا رحمان اليمامة أو وذروهم وإلحادهم فيها بإطلاقها على الأصنام واشتقاق
أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فإن الله مجازيهم
سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد إذا مال عن القصد وممن
خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق
للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين في الأمر واستدل به على صحة الإجماع
لأن المراد منه أن في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من أمتي طائفة على الحق إلى أن
يأتي أمر الله إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فإنه معلوم والذين كذبوا
بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم إلى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد
أو الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم
فيظنوا أنها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب
وأملي لهم وأمهلهم عطف على سنستدرجهم إن كيدي متين إن أخذي شديد وإنما سماه
كيدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان أولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه السلام من جنة
من جنون روي أنه عليه السلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم
إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت إن هو إلا نذير مبين موضح إنذاره بحيث
لا يخفى على ناظر أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله

من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها
ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه
وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة
واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها
فيسارعوا إلى طلب الحق والتوجه إلى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فبأي حديث
بعده بعد القرآن يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه إخبار
عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر وقيل متعلق بقوله
عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن وماذا
ينتظرون بعد وضوحه فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به من
يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع
على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به
وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم
يسألونك عن الساعة أي عن القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها
بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها على طولها عند الله كساعة أيان مرساها متى إرساؤها
أي إثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة
واشتقاق أيان من أي لأن معناه أي وقت وهو من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل
قل إنما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها
لا يظهر أمرها في وقتها إلا هو والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها
واللام للتأقيت كاللام في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السماوات والأرض
عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تأتيكم
إلا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك
كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال
عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل
هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فإن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا
متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم
وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها [illegible] لأنه من الغيب الذي استأثر
الله بعلمه قل إنما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة
ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه قل لا أملك لنفسي نفعا
ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو إظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيب
إلا ما شاء الله من ذلك فيلهمني إياه ويوفقني له ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير
وما مسني السوء ولو كنت أعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب
المضار حتى لا يمسني سوء إن أنا إلا نذير وبشير وما أنا إلا عبد مرسل للإنذار

والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق
النذير محذوف. هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم. وجعل منها من جسدها من ضلع
من اضلاعها او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا. زوجها حواء. ليسكن اليها
ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير في ليسكن
ذهابا الى المعنى ليناسب. فلما تغشاها اي جامعها. حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق
منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة. فمرت به فقامت وقعدت
وقرئ فمرت به بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب وفمرت من المرية
اي فظنت الحمل وارتابت به. فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ
على البناء للمفعول اي اثقلها حملها. دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد
صلح بدنه. لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة. فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله. فتعالى الله عما يشركون
ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها
ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما
منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه
تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سماه عبد الحارث وامثال ذلك
لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له
زوجة من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس
وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع
وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام
جيء به على تسميتهم اياها آلهة. ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم. ولا انفسهم ينصرون فيدفعون
عنها ما يعتريها. وان تدعوهم اي المشركين. الى الهدى الى الاسلام. لا يتبعوكم وقرأ نافع
بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم
ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة
في عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم كانوا اذا دهمهم امر
دعوا الله دون اصنامهم فالمعنى سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم. ان الذين تدعون
من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة. عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة. فادعوهم
فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا
يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال. الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد
يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي
القصص والدخان. قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي. ثم كيدون فبالغوا

فيما تقدرون

فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم. فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم
لوثوقي على ولاية الله وحفظه. ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن. وهو يتولى الصالحين
اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه. والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر
اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه. خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين
او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة. وأمر بالعرف المعروف المستحسن
من الافعال. واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية
جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها. واما ينزغنك من الشيطان نزغ
ينخسنك منه نخس اي وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ
والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه. فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك. عليم يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان. ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال
يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف
كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره. تذكروا ما امر الله به ونهى عنه
فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها
ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله. واخوانهم يمدونهم في الغي
اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل
عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء
يعينونهم بالاتباع والامتثال. ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز
ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له. واذا لم تأتهم بآية من القرآن
او مما اقترحوه. قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا
طلبتها من الله. قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح لها.
هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب. وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره. واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون
نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر
اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج
الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف. واذكر ربك في نفسك
عام في الاذكار كالقراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام

كما هو مذهب الشافعي رحمه الله • تضرعا وخيفة • متضرعا وخائفا • ودون الجهر من القول
ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص • بالغدو و
الآصال • باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل
في الاصيل مطابق للغدو • ولا تكن من الغافلين • عن ذكر الله • ان الذين عند ربك يعني ملائكة
الملأ الاعلى • لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه • وينزهونه • وله يسجدون • ويخصونه
بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود
لقراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول
يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عم من
قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية بسم الله الرحمن الرحيم • وهي ست وسبعون آية

يسئلونك عن الانفال • اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية
من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه • قل الانفال
لله والرسول • اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله وسببه ان جملة
المسلمين في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط
رسول الله لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم
وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة
تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله عم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام
ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي
عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عم فاستوهبته منه فقال
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي
فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله عم سألتني السيف وليس لي
وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم • فاتقوا الله
في الاختلاف والمشاجرة • واصلحوا ذات بينكم • الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة
فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول • واطيعوا الله ورسوله • فيه • ان كنتم مؤمنين • فان الايمان
يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء
عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان • انما المؤمنون • اي الكاملون في الايمان
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم • فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل
هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح
وهي لغة وفرقت اي خافت • واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا • لزيادة المؤمن به
او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه • وعلى ربهم يتوكلون •
يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه • الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

اولئك هم المؤمنون حقا • لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة • وحقا
صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا • لهم درجات عند ربهم
كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق
كريم • اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده • كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم
له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول
مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه
او بيته فيها مع كراهتهم • وان فريقا من المؤمنين لكارهون • في موقع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل
رسول الله عم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ
الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث ليال عاتكة
بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه
شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ
نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه
لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله عم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا
ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله عم فقام
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت
الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك
حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله عم ثم قال اشيروا علي
ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم
برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام
سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك
وشهدنا ان ما جئت به الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة
الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم

وقيل إنه لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
فقال له لم فقال لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك فكره
بعضهم قوله. يجادلونك في الحق في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقي العير عليه. بعد ما
تبين أنهم ينصرون أينما توجهوا بإعلام الرسول. كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون أي يكرهون
القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم
إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان وفيه إيماء إلى أن مجادلتهم كان لفرط فزعهم
ورعبهم. وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين على إضمار اذكر وإحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد
أبدل منها أنها لكم بدل الاشتمال. وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فإنه لم يكن
فيها إلا أربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة
مستعارة من واحدة الشوك. ويريد الله أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في
هذه الحال أو بأوامره للملائكة بالإمداد وقرئ بكلمته. ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى
أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق وما
يحصل لكم فوز الدارين. ليحق الحق ويبطل الباطل أي فعل ما فعل وليس بتكرير لأن الأول لبيان
المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي إلى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها. ولو كره المجرمون ذلك. إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله
ليحق أو على إضمار اذكر واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون أي رب
انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فإنه سينجز لك ما وعدك. فاستجاب لكم أني ممدكم بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو
بالكسر على إرادة القول أو إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من القول. بألف من الملائكة مردفين
متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته إذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين
أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي
متبعين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر
على الأصل أو بالضم على الإتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم
وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل عليها. وما جعله
الله أي الإمداد إلا بشرى إلا بشارة لكم بالنصر. ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل
لقلتكم وذلتكم. وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم وإمداد الملائكة وكثرة العدد
والأهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها. إذ يغشيكم
النعاس بدل ثان من إذ يعدكم لإظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل
أو بجعل أو بإضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشيء إذا غشيته إياه والفاعل على القراءتين

هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع. أمنة منه أمنا من الله وهو
مفعول له باعتبار المعنى فإن قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والأمنة
فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها الإيمان فيكون فعل المغشي وأن يجعل على القراءة الأخيرة فعل
النعاس على المجاز لأنها لأصحابه أو لأنه كان من حقه أن لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم
فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم أن يغشى عيونا
تهابك فهو نفار شرود. وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة. وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به
من الحدث والجنابة. ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لأنها من تخييله أو وسوسته
وتخويفه إياهم من العطش روي أنهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال كيف
تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم
رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته
وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام
وزالت الوسوسة. وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم. ويثبت به الأقدام
أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة. إذ يوحي
ربك بدل ثالث أو متعلق بيثبت. إلى الملائكة أني معكم في إعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على إرادة القول أو إجراء الوحي مجراه. فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة أو بتكثير
سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله
أني معكم فثبتوا وفيه دليل على أنهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين إما على
تغيير الخطاب أو على أن قوله سألقي إلى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به
كأنه قال قولوا لهم قولي هذا. فاضربوا فوق الأعناق أعاليها التي هي المذابح أو الرؤوس
واضربوا منهم كل بنان أصابع أي حزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم. ذلك إشارة إلى الضرب
أو الأمر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين. بأنهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما
واشتقاقه من الشق لأن كلا منهما في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة
من الخصم وهو الجانب. ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب تقرير للتعليل أو وعيد
بما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا. ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات
ومحله الرفع أي الأمر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه فذوقوه أو غيره مثل
باشروا أو عليكم لتكون الفاء عاطفة. وأن للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم أو نصب على
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على أن الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وإن بالكسر على الاستئناف.
يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كأنهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي إذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال. فلا تولوهم الأدبار بالانهزام فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم والأظهر أنها محكمة
مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز أن ينتصب حالا من الفاعل والمفعول

متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا
بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا. ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب. او متحيزا
الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب
لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا
لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا
متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز. فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
باهل بدر والحاضرين معه في الحرب. فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال
خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم
ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء
جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم. وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه. اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي. ولكن الله
رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم
وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت
بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها
ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر
نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين. وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم
عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات. ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم
بنياتهم واحوالهم. ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود
او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد
وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف. ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة
على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى
الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين. وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين. وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره عليكم ولن تغني
عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم. وان الله مع
المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين

كان ذلك

كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل
في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار
او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم
يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول
فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه
على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد
او للامر الذي دل عليه الطاعة. وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق
ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع. وهم لا يسمعون
سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا. ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الأرض
او شر البهائم. الصم عن الحق. البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها
لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله. ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا
بالآيات لاسمعهم سماع تفهم. ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول. وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون
للنبي احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام
قصي. يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه
لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروي انه مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل
في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا
لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا
اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث
يناسب الاول. لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول
حلته فذاك ميت وثوبه كفن. او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد
والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله
تعالى بل احياء عند ربهم. واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها
او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت
او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قدر شقاوته. وقرئ بين المر بتشديد الراء
بحذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه
وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم. واتقوا فتنة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر
بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور
البدع والتكاسل في الجهاد. لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن
معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه

[...] لان النون لا يدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط. واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم. واعلموا ان الله شديد العقاب. واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم. تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا معادين مضادين لهم. فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم. وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر. ورزقكم من الطيبات من الغنائم. لعلكم تشكرون هذه النعم. يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم. وروي انه عليه الصلاة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء بارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به. واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه. وتخونوا اماناتكم فيما بينكم مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو. وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح. واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة. وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه. يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح. ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها. ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم. والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل. واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه

من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك. ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك. او يقتلوك بسيوفهم. او يخرجوك من مكة. وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار. ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الله معهم معاملة الماكرين بهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا. والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم. واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه الصلاة والسلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان. ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص. واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين. وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون. وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون. وهم يصدون عن المسجد

وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله ﷺ الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية • وما كانوا
اولياءه • مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم
فنصد من نشاء وندخل من نشاء • ان اولياؤه الا المتقون • من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره
وقيل الضميران لله • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم
ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت • اي دعاؤهم او ما يسمونه
صلوة او ما يضعون موضعها • الا مكاء • صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا •
وتصدية • تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم
للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ﷺ ان يصلي
يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا • فذوقوا العذاب • يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل
عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم • بما كنتم تكفرون • اعتقادا
وعملا • ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله • نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا
اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم
احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب انفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله
دينه واتباع رسوله • فسينفقونها • بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو
انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد • ثم
تكون عليهم حسرة • ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها تصير حسرة
وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون • آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك •
والذين كفروا • اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم • الى جهنم يحشرون • يساقون •
ليميز الله الخبيث من الطيب • الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او
يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله ﷺ مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز • ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا • فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او
يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه • فيجعله في جهنم • كله • اولئك • اشارة الى الخبيث
لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين • هم الخاسرون • الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم • قل للذين كفروا • يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم • ان ينتهوا • عن معاداة
الرسول بالدخول في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه
خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله • وان يعودوا • الى قتاله • فقد مضت سنت الاولين •
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة • لا يوجد فيهم شرك • ويكون الدين كله لله • ويضمحل عنهم الاديان الباطلة

وتضمحل

فان انتهوا عن الكفر • فان الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب
تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة
الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي
اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب • وان تولوا • ولم ينتهوا • فاعلموا ان الله
مولاكم • ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم • نعم المولى • لا يضيع من تولاه • ونعم النصير
لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم • الذي اخذتموه من الكفار قهرا • من شيء • مما يقع
عليه اسم الشيء حتى الخيط • فان لله خمسه • مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ
فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه •
وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين • وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل • فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق
غير ان سهم الرسول ﷺ يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى
بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه
الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله
الى الكعبة لما روي انه ﷺ كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول ﷺ وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لانه
ﷺ قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا
وانما نحن وهم بمنزلة فقال ﷺ انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه
وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص
بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل
من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة • ان كنتم آمنتم بالله •
متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد
لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل • وما انزلنا على عبدنا • محمد من الآيات
والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين • يوم الفرقان • يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل • يوم التقى الجمعان • المسلمون والكافرون • والله على كل شيء
قدير • فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل
من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقرئ بها والمشهور الضم
والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب • وهم بالعدوة القصوى • البعدى عن المدينة
تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اي العير او قوادها •

أسفل منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة
عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين
والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة
القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم
القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر
عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا
إيمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا
حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي
عن بينة بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا أي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر
كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد
بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك
بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على المستقبل
وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر أو بدل
ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهي
أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم
ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة
من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ
يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا الضمير مفعول أول وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم
في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا
لرؤيا الرسول ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم
في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم
لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان
قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور
ذلك بصد الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله
أمرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه
المحكي وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء
مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي

ألا يشغله

أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ
البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ
وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها
ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا
بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن الله
مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل مكة حين
خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال
أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضر
من العرب فوافوها ولقوا ما لقوا فسقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين
أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن
النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا إن جعل مصدرا
في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيكم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول وغيرها
بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى
أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم
وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى
الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه
رجع القهقرى أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني
بريء منكم إني أرى ما لا ترون أي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد
المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة
وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم الشيطان بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم
اليوم وإني جار لكم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن
هشام فقال له الحارث أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر
الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل
أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني ويكون
الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا إذ يقول المنافقون والذين في
قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم
والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين فإنهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به

لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف • ومن يتوكل على الله • جواب لهم • فان الله عزيز • غالب لا يذل من استجار به وان قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه • ولو ترى • ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان • اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة • ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره • يضربون وجوههم • والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين • وادبارهم • ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون ما اقبل منهم وما ادبر • وذوقوا عذاب الحريق • عطف على يضربون باضمار القول اى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله • ذلك • الضرب والعذاب • بما قدمت ايديكم • بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك • وان الله ليس بظلام للعبيد • عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد • كدأب آل فرعون • اى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اى داموا عليه • والذين من قبلهم كفروا بآيات الله • تفسير لدأبهم • فاخذهم الله بذنوبهم • كما اخذ هؤلاء • ان الله قوي شديد العقاب • لا يغلبه في دفعه شيء • ذلك • اشارة الى ما حل بهم • بان الله • بسبب ان الله • لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم • مبدلا اياها بالنقمة • حتى يغيروا ما بانفسهم • يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا • وان الله سميع • لما يقولون • عليم • بما يفعلون • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون • تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم • وكل • من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش • كانوا ظالمين • انفسهم بالكفر والمعاصي • ان شر الدواب عند الله الذين كفروا • اصروا على الكفر ورسخوا فيه • فهم لا يؤمنون • فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله • الذين عاهدت منهم • بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا

نسينا

نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم • ثم ينقضون عهدهم في كل مرة • في كل مرة من مرات المعاهدة او في كل مرة من المحاربة • وهم لا يتقون • سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه اياهم عليهم • فاما تثقفنهم • فاما تصادفنهم وتظفرن بهم • في الحرب فشرد بهم • ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم • من خلفهم • من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء • لعلهم يذكرون • لعل المشردين يتعظون • واما تخافن من قوم • معاهدين • خيانة • نقض عهد بامارات تلوح لك • فانبذ اليهم • فاطرح اليهم عهدهم • على سواء • على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اى ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره • وقوله ان الله لا يحب الخائنين • تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف • ولا تحسبن • خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا • مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على • انهم لا يعجزون • بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين • واعدوا • ايها المؤمنون • لهم • لناقضي العهد او الكفار • ما استطعتم من قوة • من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه اقواه • ومن رباط الخيل • اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة • ترهبون به • تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد • عدو الله وعدوكم • يعني كفار مكة • وآخرين من دونهم • من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس • لا تعلمونهم • لا تعرفونهم باعيانهم • الله يعلمهم • يعرفهم • وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم • جزاؤه • وانتم لا تظلمون • بتضييع العمل او نقص الثواب • وان جنحوا • مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى • للسلم • للصلح او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر • فاجنح لها • وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع • وتوكل على الله • ولا تخف من ابطانهم خداعا

قال الله يعصمكم من مكرهم ويحيقه بهم. إنه هو السميع لأقوالهم العليم بنياتهم والآية
مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف. وإن يريدوا
أن يخدعوك فإن حسبك الله فإن محسبك الله وكافيك قال جرير إني وجدت من المكارم
حسبكم أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا. هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين جميعاً وألف بين قلوبهم
مع ما فيهم من العصبية والضغينة في أدنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد
يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عم وبيانه لو أنفقت
ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم أي تناهى عداوتهم إلى حد لو أنفق منفق
في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال لم يقدر على الألفة والإصلاح
ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء
إنه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده. حكيم يعلم أنه كيف
ينبغي أن يفعل ما يريده. وقيل الآية في الأوس والخزرج كان بينهم إحن لا أمد
لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالإسلام حتى
تصافوا وصاروا أنصاراً. يا أيها النبي حسبك الله كافيك. ومن اتبعك من المؤمنين
إما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند إذا كانت
الهيجاء وانشقت العصا. أو الجر عطفاً على المكني عند الكوفيين أو الرفع
عطفاً على اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر
وقيل أسلم مع النبي عم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت ولذلك
قال ابن عباس نزلت في إسلامه. يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ
في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص
من الحرص. إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا
ألفاً من الذين كفروا. شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا
غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الأولى ووافقهم
البصريان في الثانية وإن يكن منكم مائة. بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله واليوم
الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون
من الله إلا الهوان والخذلان. الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله. لما أوجب
على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد
بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم
وحمزة والضم وهو قراءة الباقين. والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد. أن يكون له أسرى وقرأ البصريان بالتاء. حتى
يثخن في الأرض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي

أهله من أثخنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة. تريدون عرض
الدنيا حطامها بأخذكم الفداء. والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل الآخرة
من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأً
ونار توقد بالليل ناراً. والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه. حكيم يعلم ما يليق بكل حال
ويخصه بها كما أمر بالإثخان ونهى عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن
لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين. روي أنه عم أتي يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم العباس
وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن الله
أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله عم وقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وليشدد
قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني
ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً
فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عم فإذا هو وأبو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه والآية دليل على أن الأنبياء
يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه. لولا كتاب من الله سبق لولا حكم
من الله سبق إثباته في اللوح وهو أن لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر
أو قوماً بما لم يصرح لهم بالنهي عنه أو أن الفدية التي أخذوها ستحل لهم. لمسكم
فيما أخذتم من الفداء. عذاب عظيم روي أنه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر
وسعد بن معاذ وذلك لأنه أيضاً أشار بالإثخان. فكلوا مما غنمتم من الفدية فإنها
من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره
أبحت لكم الغنائم فكلوا وبمعنى تمسك من تم لأن الأمر الوارد بعد الحظر للإباحة. حلالاً
حال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم
منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الأولين ولذلك وصفه بقوله طيباً. واتقوا الله
في مخالفته. إن الله غفور غفر لكم ذنبكم. رحيم أباح لكم ما أخذتم. يا أيها النبي قل لمن
في أيديكم من الأسرى وقرأ أبو عمرو من الأسارى. إن يعلم الله في قلوبكم خيراً إيماناً وإخلاصاً
يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله عم أن يفدي
نفسه وابني أخيه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشاً
ما بقيت فقال فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني
لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم
فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال فأشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله
والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل فقال العباس فأبدلني الله خيراً
من ذلك لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي

بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله • ويغفر لكم والله
غفور رحيم • وان يريدوا • يعني الاسرى • خيانتك • نقض ما عاهدوك • فقد خانوا الله
من قبل • بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل • فامكن منهم • اي فامكنك منهم كما فعل
يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم • والله عليم حكيم • ان الذين امنوا وهاجروا •
هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله • وجاهدوا باموالهم • فصرفوها في الكراع
والسلاح وانفقوها على المحاويج • وانفسهم في سبيل الله • بمباشرة القتال • والذين
اووا ونصروا • هم الانصار اووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم • اولئك
بعضهم اولياء بعض • في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الاقارب حتى نسخ بقوله • واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • او بالنصرة والمظاهرة •
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا • اي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه
صاحبه يزاول عملا • وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر • فوجب عليكم ان تنصروهم على
المشركين • الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق • عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم • والله
بما تعملون بصير • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض • في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل
على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين • الا تفعلوه • الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم
وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار • تكن فتنة في الارض •
تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر • وفساد كبير • في الدين • والذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا •
لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه
من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال • لهم مغفرة ورزق كريم •
لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال • والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم • اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • في التوارث من الاجانب • في كتاب الله • في حكمه او في اللوح
او في القران واستدل به على توريث ذوي الارحام • ان الله بكل شيء عليم • من المواريث
والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلعم من قرأ
سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته •

سورة براءة مدنية وقيل الا الآيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزل ولها اسماء اخر
التوبة • والمقشقشة • والبحوث • والمبعثرة • والمنقرة • والمثيرة • والحافرة • والمخزية • والفاضحة
والمنكلة • والمشردة • والمدمدمة • وسورة العذاب • لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم
وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت
التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلعم اذا نزلت عليه سورة او آية

بين موضعها

بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها
لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت في انها سورة
واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله • براءة
من الله ورسوله • اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة
من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر • الى الذين عاهدتم
من المشركين • وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد
الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق
الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة
وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا
فقال • فسيحوا في الارض اربعة اشهر • شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال وقيل هي عشر من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر
لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلعم عليا راكب العضباء
ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي
عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله
فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن
مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد
عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه صلعم بعث لان يؤدي عنه كثيرا
لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة
الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي
واعلموا انكم غير معجزي الله • لا تفوتونه وان امهلكم • وان الله مخزي الكافرين • بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الآخرة • واذان من الله ورسوله الى الناس • اي اعلام فعال بمعنى
الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين • يوم الحج الاكبر • يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله عليه السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك
اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين • ان الله • اي بان الله
بريء من المشركين • اي من عهودهم • ورسوله • عطف على المستكن في بريء او على محل
ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة

اخبار بوجوه الاعلام بذلك وكذلك علقه بالكافرين ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم
من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي
عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم
من المشركين استثناء من المشركين او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد
الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه
او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا
اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل
وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ
خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها
وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم ومخالف للاجماع
فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها ينسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم
ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى
سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم
ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمورين بالتعرض لهم
استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فآمنه حتى يسمع كلام الله
ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد
مرتفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك
الامر اي الامر بالامان بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد
من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغر صدورهم
وكان على الله ورسوله على الاخير حالا عن العهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاول صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف
على الاخيرين حال عن العهد والمشركين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون
قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع
اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم
اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم
عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين
سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة

وهو

فحذف الفعل للعلم به كما في قوله خبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وكثيب
اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا
فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام
وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به
اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية
والتربية وقيل اشتقاقه من ألل الشيء اذا حدده او من أل البرق اذا لمع وقيل انه عبري
بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله
يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم
مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون
ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال
واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم
ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة
تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر
احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا
وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته
بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما
كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب
الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر
واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما
عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين
او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
والوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا
ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك
ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين
فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم
اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث
عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام
وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون
على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراعى لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي
ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين

ألا تقاتلون قوما تحريض على القتال لأن الهمزة دخلت على النفي الإنكاري فأفادت المبالغة
في الفعل. نكثوا أيمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة. وهموا بإخراج الرسول حين تشاوروا في أمره بدار الندوة على ما ذكر
في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة
وهم بدءوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لأنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة
بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته إلى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم
وتصادموهم. أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم. فالله أحق أن تخشوه
فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره. إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان أن لا يخشى إلا منه
قاتلوهم أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه. يعذبهم الله
بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم و
إذلالهم. ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا
مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله عليه السلام فقال أبشروا فإن الفرج
قريب. ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد وفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات. ويتوب الله
على من يشاء ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب
بالنصب على إضمار أن على أنه من جملة ما أجيب به الأمر فإن القتال كما تسبب لتعذيب قوم
تسبب لتوبة آخرين. والله عليم بما كان وما سيكون. حكيم لا يفعل ولا يحكم إلا على
وفق الحكمة. أم حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان. أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفي المعلوم للمبالغة فإنه
كالبرهان عليه من حيث إن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه. ولم يتخذوا عطف على جاهدوا
وداخل في الصلة. من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم
ويفشون إليهم أسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع. والله خبير بما
تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله. ما كان للمشركين
ما صح لهم. أن يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد
وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو
ويعقوب بالتوحيد. شاهدين على أنفسهم بالكفر بإظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال
من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي
أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي في القول فقال أتذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت. أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك. وفي النار هم خالدون
لأجله. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له

كحديث

كحديث الدنيا وعن النبي عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وإنما لم يذكر
الإيمان بالرسول لما علم أن الإيمان بالله قرينه وتمامه الإيمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة
وآتى الزكاة عليه. ولم يخش إلا الله أي في أبواب الدين فإن الخشية عن المحاذير جبلية
لا يكاد العاقل يتمالك عنها. فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع
قطعا لأطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع بأعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بأنهم
مهتدون فإن هؤلاء مع كمالهم إذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما
ظنك بأضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا بأحوالهم ويتكلوا عليها. أجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله
السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من إضمار تقديره أجعلتم
أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ويؤيد الأول قراءة
من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى إنكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين
وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله
والله لا يهدي القوم الظالمين أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام
منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع
هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم. وأولئك هم الفائزون بالثواب
ونيل الحسنى عند الله دونكم. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين
والتعريف. خالدين فيها أبدا أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل. إن
الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا. يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة
قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين
وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة. والمعنى لا تتخذوهم أولياء
يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه
وحرصوا عليه. ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها.
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة
وقيل من العشيرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم
وقرئ عشائركم. وأموال اقترفتموها اكتسبتموها. وتجارة تخشون كسادها فوات وقت
نفاقها. ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري
دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه. فتربصوا حتى يأتي الله بأمره
جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة. والله لا يهدي القوم الفاسقين

لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر
في أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم
كثرتكم منه أن يعطف على موضع في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه
المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في كل المواطن وحنين واد بين مكة والطائف
حارب فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا مكة وألفان
انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي
أو أبو بكر أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة
وبقي رسول الله في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذ بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحارث
وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا
يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي
الوطيس وأخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم
أي الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت برحبها
أي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب
إلى خلف خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وأمنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها بأعينكم يعني
الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الأقوال وعذب
الذين كفروا بالقتل والأسر والسبي وذلك جزاء الكافرين أي ما فعل بهم
جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للإسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي أن ناسا منهم جاءوا إلى رسول
الله وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا
وأخذت أموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الإبل والغنم ما لا يحصى
فقال اختاروا إما سباياكم وإما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال إن هؤلاء جاءوا مسلمين وإنا خيرناهم بين الذراري
والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه أن يرده فشأنه
ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا
وسلمنا فقال إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا إلينا فرفعوا أنهم قد رضوا
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم أو لأنه يجب أن يجتنب
عنهم كما يجتنب عن الأنجاس أو لأنهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم

ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس أن أعيانهم
نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل
المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد
على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة
براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وإن خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع
ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والأرفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه أو تفضله
بوجه آخر وقد أنجز وعده بأن أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فأسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه إليهم الناس من أقطار الأرض وقرئ
عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال إن شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال إلى الله ولينبه
على أنه متفضل في ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام إن الله
عليم بأحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
أي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في أول البقرة فإن إيمانهم كلا إيمان ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون
أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان
ومبطلها من الذين أوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم أن
يعطوه مشتق من جزى دينه إذا قضاه عن يد حال من الضمير أي عن يد مؤاتية بمعنى منقادين
أو عن يدهم بمعنى مسلمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك
لا يؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد
إلى يد أو عن إنعام عليهم فإن إبقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون أذلاء وعن
ابن عباس تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية بأهل
الكتاب ويؤيده أن عمر لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف أنه أخذها
من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لأن لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين
وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبي حنيفة تؤخذ منهم إلا من مشركي العرب
لما روى الزهري أنه صالح عبدة الأوثان إلا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر
إلا المرتد وأقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال أبو حنيفة على الغني ثمانية وأربعون
درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود
عزير ابن الله إنما قاله بعض من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وإنما قالوا ذلك لأنه لم يبق فيهم
بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة
حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا لأنه ابن الله والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية
قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير
بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى إما لمنع صرفه للعجمة
والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لأن الابن وصف والخبر محذوف مثل

او صاحا وهو من ... تسليم النسب وانكار الخبر المعدود • وقالت
النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها • ذلك قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل
للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان • يضاهئون قول الذين كفروا
اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه • من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او
اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم
امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض • قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم • انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم
او بالسجود لهم • والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله • وما امروا اي وما امر المتخذون
اربابا ... • الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما
طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله • لا اله الا هو صفة ثانية او
استئناف مقرر للتوحيد • سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك • يريدون ان يطفئوا
نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام • بافواههم
بشركهم وتكذيبهم • ويأبى الله ولا يرضى • الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام
وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي
ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه • هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن
او المعجزة • ودين الحق • ليظهره على الدين كله • ... ولو كره المشركون
... ووضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والتعبير
في ... • يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها
بالرشا في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه • ويصدون عن سبيل الله • دينه
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله • يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان
فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل
كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم
وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحو ذلك فالمراد منها ما لم يؤد
حقها لقوله فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها
الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره • فبشرهم بعذاب اليم

يوم يحمى

هو الكي بهما • يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها
واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار
والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف وما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة
حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم • فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان
جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه • هذا ما كنزتم على ارادة
القول • لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها • فذوقوا ما كنتم تكنزون اي
وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون • ان عدة الشهور اي مبلغ
عددها • عند الله معمول عدة لانها مصدر • اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله • يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق
الله الاجرام والازمنة • منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم • ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين
ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما • فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها
وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم
والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة • وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة • جميعا
مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال • واعلموا ان الله
مع المتقين • بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم • انما النسيء اي تأخير حرمة الشهر
الى شهر آخر فانهم كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا
خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء
وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه
اذا اخره • زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم •
يضل به الذين كفروا • ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول
وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله • يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة
ويحرمون مكانه شهرا آخر • ويحرمونه عاما ويتركونه على حرمته ... ذكر جنادة
بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فحلوه

ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والكلمتان تفسير للضلال
او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه
او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة
الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم
حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ
تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كأنه ضمن
معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف
في وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا
وغرورها من الآخرة بدل الآخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها
في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم
اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما
غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا
اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء والله على كل شيء قدير
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله
اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه
الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب
له النصر حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة
لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة
من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل
من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر على رسول الله عم فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار
فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه
على النبي عم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها
يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين
فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر
وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن
او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع
ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا

ولهذا

ولهذا وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم
وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عم اعلي ان انفر قال
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن
لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير
او كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا
اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا
لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ
بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها
لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب
وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله
والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك
كناية عن خطئه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو
ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بالاكاذيب
وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما
فعل رسول الله عم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس
من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا
يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في
التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه
انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر
في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة
اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واقام الصلوة وعده
وعده بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله
ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء
الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض
او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين ذم لهم
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك
ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه

وانه حلف على انه حال المشقة منقطعا ولسيعيكم لكم آية انه يكون مرعيا
ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل
من وضع البعير وضعا اذا اسرع . يبغونكم الفتنة . يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا . وفيكم سماعون لهم
ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم . والله
عليم بالظالمين . فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم . لقد ابتغوا الفتنة . تشتيت امرك وتفريق
اصحابك من قبل . يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعدما خرجوا
مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد . وقلبوا لك
الامور . ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك . حتى جاء
الحق . النصر والتأييد الالهي . وظهر امر الله . وعلا دينه . وهم كارهون . اي على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله
وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا
لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه . ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود . ولا تفتني . ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن
لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس
قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكن اعينك بمالي
واتركني . الا في الفتنة سقطوا . اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه . وان جهنم لمحيطة بالكافرين . جامعة لهم يوم القيامة
او الآن لان احاطة اسبابها بهم . ان تصبك في بعض غزواتك . حسنة . ظفر وغنيمة تسؤهم
وان تصبك . في بعضها . مصيبة . كسر او شدة كما اصاب يوم احد . يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل . تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف . ويتولوا . عن مجمع تحدثهم
بذلك ومجتمعهم الى اهاليهم . وهم فرحون . مسرورون . قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا . الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب الله لنا
في اللوح لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو
من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب . هو مولانا . ناصرنا ومتولي امورنا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون . لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره . قل هل تربصون
بنا . تنتظرون بنا . الا احدى الحسنيين . الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة . ونحن نتربص بكم . ايضا احدى السوأيين . ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده . بقارعة من السماء . او بايدينا . او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر
فتربصوا . ما هو عاقبتنا . انا معكم متربصون . ما هو عاقبتكم . قل انفقوا طوعا او كرها
لن يتقبل منكم . امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها

الباطنة فحسنا ونحوه انا فيه في معنى الشرط كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا لينظر
هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يقبل
منهم وان لا يثابوا عليه وقوله . انكم كنتم قوما فاسقين . تعليل له على سبيل الاستئناف
وما بعده بيان وتقرير له . وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث
النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على البناء للفاعل . ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى . متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون . لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم . فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال . انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا . بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب . وتزهق انفسهم وهم كافرون . فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة . ويحلفون
بالله انهم لمنكم . لمن جملة المسلمين . وما هم منكم . لكفر قلوبهم . ولكنهم قوم يفرقون . يخافون منكم
ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية . لو يجدون ملجأ . حصنا
يلجؤون اليه . او مغارات . غيرانا . او مدخلا . نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرئ
مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا
من تدخل واندخل . لولوا اليه . لاقبلوا نحوه . وهم يجمحون . يسرعون اسراعا لا يردهم
شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة . ومنهم من يلمزك . يعيبك وقرأ
يعقوب يلمزك بالضم ويلمزك . في الصدقات . في قسمها . فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون . قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل
فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية . ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
ما اعطاهم الرسول من الغنيمة والصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول
كان بامره . وقالوا حسبنا الله . كفانا فضله . سيؤتينا الله من فضله . صدقة او غنيمة
اخرى . ورسوله . فيؤتينا اكثر مما آتانا . انا الى الله راغبون . في ان يغنينا من فضله والآية
بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم . ثم بين مصارف الصدقات تصويبا
وتحقيقا لما فعله الرسول فقال . انما الصدقات للفقراء والمساكين . اي الزكوات لهؤلاء
المعدودين دون غيرهم وهو يدل على ان المراد باللام بيان من تصرف اليهم في قسم الزكوة دون غيرهم
والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من
له مال او كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وانه صلى الله عليه وسلم سأل المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة
والعاملين عليها . الساعين في تحصيلها وجمعها . والمؤلفة قلوبهم . قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة

فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم ومراعاتهم إسلام نظرائهم وقد
أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والأصح أنه
كان يعطيهم من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها
على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما
أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون
المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك
وأحمد أو بأن تفدى الأسارى والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق
للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان بأنهم أحق بها والغارمين والمديونين لأنفسهم في غير
معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين وإن كانوا أغنياء لقوله عليه السلام
لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو
لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها وفي
سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح
وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة
من الله مصدر لما دل عليه الآية أي فرض لهم الصدقات فريضة وقيل حال من الضمير المستكن
في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الأشياء في مواضعها
وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف
إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي وعن
عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد
وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله
على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة
كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له
فعل من أذن أذنا إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما
شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا
على الوجه الذي ذموا به بل من حيث أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله
يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم
واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم وإيمان الأمان ورحمة
أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه
على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة
بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم
رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أنه صفة له أو خبر ثان
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بإيذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم

فيما قالوا

فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله
أحق أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه ورسوله
كذلك إن كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا أنه أي أن الشأن وقرئ بالتاء من يحادد
الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد فأن له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر
أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفا على أنه ويكون الجواب محذوفا
تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك
الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم أستارهم
ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج به
عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول
بشيء وقيل إنه خبر في معنى الأمر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله
قل استهزءوا إن الله مخرج مبرز أو مظهر ما تحذرون ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم
أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب روي
أن ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد
أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم
كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما
يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم
الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد أظهرتم
الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف
عن طائفة منكم لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب طائفة
بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء وقرأ
عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وأن تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا إلى المعنى كأنه قال إن ترحم طائفة المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض أي متشابهة في النفاق والبعد عن الإيمان كأبعاض الشيء الواحد
وقيل إنه تكذيب لهم في حلفهم بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل
عليه فإنه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف عن الإيمان والطاعة ويقبضون أيديهم عن المبار وقبض اليد كناية
عن الشح نسوا الله أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله إن المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفساد والفسوق عن دائرة
الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود
هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله أبعدهم من رحمته
وأهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق

كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة
واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم
بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم كالذي خاضوا كالذين خاضوا او
كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم
يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود
اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين
واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعني الكل
بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله في سائر
الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب
على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس
او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر
في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع
العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او
الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل
اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم
وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي
الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون
واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان
او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم اي الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي

جاهد

جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا
روي انه عم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس
بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول
وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى
الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة
السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجهم واخراج المؤمنين من المدينة
او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرضه رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا
محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس
مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ
عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير
في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي عم
فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا
تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله عم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح
ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه
الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال عم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول
الله عم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن
عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم
ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم
البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه
وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح
وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من وجهين

أو القتال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد. ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله. وقرئ بالتاء على الالتفات. أن الله يعلم سرهم ما أسروه في أنفسهم من النفاق أو العزم على الإخلاف. ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية. وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك. الذين يلمزون ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير في سرهم وقرئ بالضم. المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي أنه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت. والذين لا يجدون إلا جهدهم إلا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه. فيسخرون منهم يستهزئون. سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم. ولهم عذاب أليم على كفرهم. استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم كما نص عليه بقوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم. روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله في مرض أبيه أن يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام إن الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لأنه فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد بأسره. ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله إشارة إلى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها. والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فإن مغفرة الكافر بالإقلاع عن الكفر والإرشاد إلى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من إيمانهم ما لم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم. فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحي أي بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال. وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضوانه ب

بذل الأموال والمهج. وقالوا لا تنفروا في الحر أي قال بعضهم لبعض أو قالوا للمؤمنين تثبيطا. قل نار جهنم أشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة. لو كانوا يفقهون أن مآبهم إليها أو أنها كيف هي ما اختاروها بإيثار الدعة على الطاعة. فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون إخبار عما يؤول إليه حالهم في الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم. فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فإن ردك الله إلى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فإن كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا. فاستأذنوك للخروج إلى غزوة أخرى بعد تبوك. فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إخبار في معنى النهي للمبالغة. إنكم رضيتم بالقعود أول مرة تعليل له وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك. فاقعدوا مع الخالفين أي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين. ولا تصل على أحد منهم مات أبدا روي أن عبد الله بن أبي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات أبدا يعني الموت على الكفر فإن إحياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي. ولا تقم على قبره ولا تقف عليه للدفن أو الزيارة. إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي أو لتأبيد الموت. ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والأمر حقيق به فإن الأبصار طامحة إلى الأموال والأولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه في فريق غير الأول. وإذا أنزلت سورة يجوز أن يراد بها بعضها. أن آمنوا بالله بأن آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة. وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم ذوو الفضل والسعة. وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر. رضوا بأن يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه. وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة. لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي إن تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم. وأولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة تخفيف خيرة. وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب. أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الأخروية. وجاء المعذرون من الأعراب يعني أسد وغطفان استأذنوا في

في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا
معك أغارت طي على أهالينا ومواشينا والمعذر إما من عذر في الأمر إذا قصر فيه موهما
أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر إذا مهد العذر بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها
إلى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للإتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ
يعقوب المعذرون من أعذر إذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال
على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن إذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في أنهم
كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
في غيرهم وهم منافقو الأعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان وإن
كانوا هم الأولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الأعراب
أو من المعذرين فإن منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب أليم بالقتل والنار
ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج إثم في التأخر إذا نصحوا
لله ورسوله بالإيمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح أو بما
قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الإسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل
أي ليس عليهم جناح ولا إلى معاتبتهم سبيل وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة
على أنهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم أو للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم عطف على الضعفاء أو على المحسنين
وهم البكاؤون سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب
وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد أتوا رسول الله عم وقالوا
نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال
لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل
أبو موسى وأصحابه قلت لا أجد ما أحملكم عليه حال من الكاف في أتوك بإضمار قد
تولوا جواب إذا وأعينهم تفيض من الدمع أي دمعها فإن من للبيان
وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على
أن العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل
دل عليه ما قبله ألا يجدوا أي لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض ما ينفقون
في مغزاهم إنما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واجدون
الأهبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم
من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثارا للدعة
وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته
يعتذرون إليكم في التخلف إذا رجعتم إليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لأنه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لأنه قد نبأنا الله من أخباركم
أعلمنا بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد

وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه وكأنه استتابة وإمهال
للتوبة ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي إليه فوضع الوصف موضع الضمير
للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم
لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم ولا توبخوهم إنهم رجس لا ينفع فيهم
التأنيب فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير
فهو علة الإعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال
إنهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة أو تعليل ثان
والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز
أن يكون مصدرا وأن يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا
عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
أي فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخطه
وبصدد عقابه أو إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا
يهتك سترهم ولا تنزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار
بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض وعدم الالتفات نحوهم الأعراب أهل البدو
أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم أهل
العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة وأجدر أن لا يعلموا وأحق بأن لا يعلموا حدود
ما أنزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل أحد
من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن
الأعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة
وخسرانا إذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وإنما ينفق رياء أو تقية
ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الأمر عليكم فيتخلص من الإنفاق
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصون أو الإخبار عن
وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الأصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور
وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف إليه للمبالغة كقولك رجل
صدق والله سميع لما يقولون عند الإنفاق عليم بما يضمرون ومن الأعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني
مفعولي يتخذ وعند الله صفتها أو ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لأنه عم كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه أن يدعو للمتصدق
عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على آل أبي
أوفى لأنه منصبه فله أن يتفضل به على غيره ألا إنها قربة لهم شهادة من الله
بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وإن المحققة
للنسبة والضمير لنفقتهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم بإحاطة الرحمة عليهم

والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد
وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون
من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية
وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع
عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلين
او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او
خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم
لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم
الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم
ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل
او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم
الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله عم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر
له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم
فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار
الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو
اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط
بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم
ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم
لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت
ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ
تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك
سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم

والمراد ان يتمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به
التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله
هو التواب الرحيم وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون
فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
موخرون اي موقوفون من ارجيته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي
وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق
واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله
تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء
كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا
مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله عم
ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
عليه الصلاة والسلام فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة
المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا
بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون
للصلاة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب
فانه قال لرسول الله عم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب
بهم رسول الله عم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب
فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من
قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله
عليه الصلاة والسلام ان يأتيه فقال اني على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه
فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم
لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد

أسسه رسول الله عم وصلى فيه أيام مقامه بقبا من الاثنين إلى الجمعة لأنه أوفق للقصة
أو مسجد رسول الله عم لقول أبي سعيد سألت رسول الله عم عنه فقال هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة. من أول يوم من أيام وجوده، ومن يعم الزمان والمكان كقوله: لمن الديار
بقنة الحجر • أقوين من حجج ومن دهر. أحق أن تقوم فيه أولى بأن تصلي فيه. فيه رجال
يحبون أن يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله. وقيل من الجنابة فلا
ينامون عليها. والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه إدناء المحب حبيبه. قيل
لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فإذا الأنصار
جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال
أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء
قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار إن الله عز وجل
قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع
الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رجال يحبون أن يتطهروا. أفمن أسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب
مرضاته بالطاعة. أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي أضعف
القواعد وأرخاها. فانهار به في نار جهنم فأدى به لخوره وقلة استمساكه إلى
السقوط في النار. وإنما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى
تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره في النار
ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على أن تأسيس ذلك على أمر يحفظه عن النار ويوصله
إلى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة أدناها، وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم إن مصيرهم إلى النار لا محالة. وقرأ نافع وابن عامر أسس
على البناء للمفعول، وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الإضافة، وأسس وآساس
وإساس بالكسر وثلاثتها جمع أس. وتقوى بالتنوين على أن الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى، وقرأ
ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف. والله لا يهدي القوم الظالمين إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم.
لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا، والمعنى
أن بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم. إلا أن تقطع قلوبهم قطعا بحيث
لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار، وهو في غاية المبالغة، والاستثناء من أعم الأزمنة، وقيل
المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل أو في القبر أو في النار، وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا. وقرأ
يعقوب إلى بمعنى الغاية وتقطع بمعنى تتقطع، وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص. وقرئ يقطع
بالياء، وتقطع بالتخفيف، وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب، ولو قطعت على البناء
للفاعل والمفعول. والله عليم بنياتهم حكيم فيما أمر بهدم بنيانهم. إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة تمثيل لإثابة الله إياهم على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيله

يقاتلون

يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف لبيان ما لأجله الشرى، وقيل يقاتلون
في معنى الأمر. وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول، وقد عرفت أن الواو لا توجب
الترتيب وأن فعل البعض قد يسند إلى الكل. وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه
الشرى فإنه في معنى الوعد. في التوراة والإنجيل والقرآن مذكورا فيهما كما أثبت في القرآن.
ومن أوفى بعهده من الله مبالغة في الإنجاز وتقرير لكونه حقا. فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال: وذلك
هو الفوز العظيم. التائبون رفع على المدح أي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وإن لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى، أو خبره ما بعده أي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال. وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين. العابدون الذين عبدوا
الله مخلصين له. الحامدون لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء. السائحون
الصائمون لقوله عم سياحة أمتي الصوم، شبه بها لأنه يعوق عن الشهوات أو لأنه رياضة
نفسانية يتوصل بها إلى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت، أو السائحون للجهاد أو لطلب
العلم. الراكعون الساجدون في الصلاة. الآمرون بالمعروف بالإيمان والطاعة.
والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي، والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه
في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين، وفي قوله والحافظون لحدود الله
فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها،
وقيل إنه للإيذان بأن التعداد قد تم بالسابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن
ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية. وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء
الموصوفين بتلك الفضائل، ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن إيمانهم دعاهم إلى ذلك
وأن المؤمن الكامل من كان كذلك، وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن إحاطة
الأفهام وتعبير الكلام. ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين. روي أنه عم قال لأبي
طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عم لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه
فنزلت. وقيل لما فتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال إني استأذنت
في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي الآيتين. ولو كانوا
أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر، وفيه دليل على جواز الاستغفار
لأحيائهم فإنه طلب توفيقهم للإيمان، وبه دفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال:
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه وعدها إبراهيم أباه بقوله
لأستغفرن لك أي لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان فإنه يجب ما قبله، ويدل عليه قراءة من قرأ
أباه، أو وعدها إبراهيم أبوه وهي الوعد بالإيمان. فلما تبين له أنه عدو لله بأن مات على الكفر
أو أوحي إليه بأنه لن يؤمن. تبرأ منه قطع استغفاره. إن إبراهيم لأواه لكثير التأوه، وهو
كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه. حليم صبور على الأذى، والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار
له مع شكاسته عليه. وما كان الله ليضل قوما ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم

بعد اذ هداهم للاسلام • حتى يبين لهم ما يتقون • حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه
بيان عذر الرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم
مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم • فيعلم امرهم في الحالين • ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت
ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير • لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرءوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون
ويذرون سواه • لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار • من اذن المنافقين في التخلف او
برأهم عن علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة
والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين والانصار لقوله وتوبوا
الى الله جميعا الآية اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده • الذين اتبعوه في ساعة العسرة •
في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد
حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة ومن الماء حتى شربوا الفظ • من بعد ما كاد يزيغ قلوب
فريق منهم • عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد
عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد
ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين • ثم تاب عليهم • تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل
ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم • انه بهم رءوف رحيم • وعلى الثلاثة • وتاب
على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع • الذين خلفوا • تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم
فانهم المرجئون • حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت • برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو
مثل لشدة الحيرة • وضاقت عليهم انفسهم • قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس
ولا سرور • وظنوا • وعلموا • ان لا ملجأ من الله • من سخطه • الا اليه • الا الى استغفاره • ثم تاب عليهم
بالتوفيق للتوبة • ليتوبوا • او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم
بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم • ان الله هو التواب • لمن تاب ولو عاد
في اليوم مائة مرة • الرحيم • المتفضل عليهم بالنعم • يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله • فيما لا يرضاه
وكونوا مع الصادقين • في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ
من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم • ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله • نهي عبر عنه بصيغة النفي للتأكيد
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه • ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه
ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب
يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب

يزهاه

يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله واستغفر له
وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم • ذلك • اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن
التخلف او وجوب المشايعة • بانهم • بسبب انهم • لا يصيبهم ظمأ • شيء من العطش • ولا
نصب • تعب • ولا مخمصة • مجاعة • في سبيل الله ولا يطأون موطئا • ولا يدوسون
مكانا • يغيظ الكفار • يغضبهم وطؤه • ولا ينالون من عدو نيلا • كالقتل والاسر
والنهب • الا كتب لهم به عمل صالح • الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة
ان الله لا يضيع اجر المحسنين • على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما
في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم • ولا ينفقون نفقة
صغيرة • ولو علاقة • ولا كبيرة • مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة • ولا يقطعون
واديا • في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع
بمعنى الارض • الا كتب لهم • اثبت لهم ذلك • ليجزيهم الله • بذلك • احسن ما كانوا يعملون
جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم • وما كان المؤمنون لينفروا كافة • وما استقام
لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة • فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة
جماعة قليلة • ليتفقهوا في الدين • ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها •
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم • وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية
وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد
لعلهم يحذرون • ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان
عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا
في كتاب المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير
وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة
فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا
للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار • امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول
الله اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة • وليجدوا فيكم
غلظة • شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها • واعلموا ان الله
مع المتقين • بالحراسة والاعانة • واذا ما انزلت سورة فمنهم • فمن المنافقين • من يقول • انكارا
واستهزاء • ايكم زادته هذه • السورة • ايمانا • وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته

فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم. وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم. واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها. وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه. اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الآيات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون. واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة. صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء. بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم. لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم. عزيز عليه شديد شاق. ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه. حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم. بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل. فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم. لا اله الا هو كالدليل عليه. عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه. وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع. وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان. وعن النبي عليه السلام ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة.

سورة يونس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وتسع آيات

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء. تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها. اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم. الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك. وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام. ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا. وبشر الذين آمنوا

عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به حقيقة. ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية. قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين. ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها وتنزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة. ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له. ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة. افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه. اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه. وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله. حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله. انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه. ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله وحقا. هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين. والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها. وقدره منازل الضمير لكل اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم. ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة. يفصل الآيات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل

فيهما وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء • إن في اختلاف الليل والنهار
وما خلق الله في السموات والأرض من أنواع الكائنات لآيات على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على التفكر والتدبر •
إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها
ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها • واطمأنوا بها وسكنوا إليها مقصرين
هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها • والذين هم عن آياتنا
غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين
والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث
لا تخطر الآخرة ببالهم أصلا وإما لتغاير الفريقين والمراد بالأولين من أنكر البعث
ولم ير إلا الحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له
أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي • إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم • بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي
إلى الجنة أو لإدراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه
في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح لكن
دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف
تجري من تحتهم الأنهار • استئناف أو خبر ثان أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير
وقوله في جنات النعيم • خبر أو حال أخرى منه أو من الأنهار أو متعلق بتجري أو بيهدي •
دعواهم فيها • أي دعاؤهم • سبحانك اللهم • اللهم إنا نسبحك تسبيحا • وتحيتهم • ما يحيي به
بعضهم بعضا أو تحية الملائكة إياهم فيها سلام • وآخر دعواهم • وخاتمة دعائهم أن الحمد
لله رب العالمين • أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام • وأن هي
المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد • ولو يعجل الله للناس الشر • ولو يسرعه إليهم
استعجالهم بالخير • وضع موضع تعجيله لهم بالخير إشعارا بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم
تعجيل لهم والمراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقديره
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف
لدلالة الباقي عليه • لقضي إليهم أجلهم • لأميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء
للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا • فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون •
عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالا لهم واستدراجا
وإذا مس الإنسان الضر دعانا • لإزالته مخلصا فيه • لجنبه • ملقى لجنبه أي مضطجعا • أو
قاعدا أو قائما • وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أو لأصناف المضار • فلما كشفنا عنه
ضره مر • مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لا يرجع إليه • كأن لم يدعنا •
كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما قال وكأن ثدياه حقان •

إلى ضر مسه • إلى كشف ضر • كذلك • مثل ذلك التزيين • زين للمسرفين ما كانوا يعملون •
من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات • ولقد أهلكنا القرون من قبلكم • يا أهل
مكة • لما ظلموا • حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي • وجاءتهم
رسلهم بالبينات • بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على
ظلموا • وما كانوا ليؤمنوا • وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي • كذلك • مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم
بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة في إمهالهم • نجزي القوم المجرمين •
نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم • استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها
استخلاف من يختبر • لننظر كيف تعملون • أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم
وكيف معمول تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على أن
المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة
ويقبح أخرى • وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا • يعني
المشركين • ائت بقرآن غير هذا • بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث
والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب آلهتنا • أو بدله • بأن تجعل مكان الآية
المشتملة على ذلك آية أخرى [illegible] • قل ما يكون
لي • ما يصح لي • أن أبدله من تلقاء نفسي • من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما
اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر • إن أتبع
إلا ما يوحى إلي • تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب
للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه
واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا • إني أخاف إن عصيت ربي •
أي بالتبديل • عذاب يوم عظيم • وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح • قل لو
شاء الله • غيره • ما تلوته عليكم ولا أدراكم به • ولا أعلمكم به على لساني وقرأ ابن كثير
ولأدراكم به بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى
أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم ولا
أدرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء
بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله
لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله • فقد لبثت فيكم عمرا • مقدار عمر
أربعين سنة • من قبله • من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن
معجز خارق للعادة فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة كل منطيق
وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص
الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من الله • أفلا تعقلون •

بالذم والتنكر فيه ليعلموا أنه ليس إلا من الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد
مما أضافوا إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى في قولهم إنه لذو شريك وذو ولد
أو كذب بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته
بجلب نفع أو دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما
يهمنا من أمور الدنيا وفي الآخرة إن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا
من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه
لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله أتخبرونه بما لا يعلم
وهو أن له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم
بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السماوات ولا في الأرض حال من العائد المحذود
مؤكدة للنفي منبهة على أن ما تعبدونه من دون الله إما سماوية وإما أرضية ولا شيء من الموجودات
فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق أن يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم
أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة
أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان
أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والأباطيل أو ببعثة
الرسل فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل وإبقاء المحق ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أي
من الآيات التي اقترحوها فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات
المقترحة مفاسد تصرف عن إنزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض إذا لهم مكر في آياتنا
بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون
ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع
مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها
كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد وهو من الله تعالى إما
الاستدراج أو الجزاء على المكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام
وتنبيه على أن ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله وعن
يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه
في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب
إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة
الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب إذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة
بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء

الموج منه وظنوا أنهم أحيط بهم أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص
كمن أحاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير إشراك لتراجع الفطرة
وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لأن دعاءهم من لوازم
ظنهم لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه
من جملة القول فلما أنجاهم إجابة لدعائهم إذا هم يبغون في الأرض فاجؤوا الفساد
فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين
ديار الكفرة وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق يا أيها الناس
إنما بغيكم على أنفسكم فإن وباله عليكم أو إنه على أمثالكم وأبناء جنسكم
متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه
على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة
وعلى أنفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أي تتمتعون متاع
الحياة الدنيا أو مفعول البغي لأنه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف
تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو باطل أو مفعول فعل دل عليه البغي
وعلى أنفسكم خبر بغيكم ثم إلينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه إنما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والأنعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت بأصناف النبات
وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين وتزينت
وتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الأصل وأزينت
على أفعلت من غير إعلال كأغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها أتاها
أمرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا أو نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من أصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم ينبت والمضاف محذوف
في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الأصل بالأمس فيما قبله وهو مثل
في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة
وذهابه حطاما بعدما كان غضا والتف وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنوا
أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وإن وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فإنهم المنتفعون به والله يدعو إلى دار
السلام دار السلامة من التنغص والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم
أيضا للتنبيه على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد
الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق إلى صراط مستقيم هو طريقها وذلك
الإسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة

دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده • للذين
أحسنوا الحسنى المثوبة الحسنى • وزيادة • وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله
ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
اللقاء • ولا يرهق وجوههم • لا يغشاها • قتر • غبرة فيها سواد • ولا ذلة • هوان
والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء
حال • أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون • دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها • والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها •
عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو
أو الذين مبتدأ والخبر جزاء السيئة على تقدير وجزاء سيئة الذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها أي أن يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه
على أن الزيادة هي الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت أو أولئك أصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أي فجزاء سيئة بمثلها واقع
أو بمثلها على زيادة الباء أو على تقدير مقدر بمثلها • وترهقهم ذلة • وقرئ
بالياء • ما لهم من الله من عاصم • ما من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله أو
من عنده كما يكون للمؤمنين • كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما • لفرط سوادها
وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيها أغشيت لأنه العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل
وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلما
صفة له أو حالا منه • أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • مما يحتج به الوعيدية
والجواب أن الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولأن الذين أحسنوا
يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه • ويوم نحشرهم جميعا • يعني
الفريقين جميعا • ثم نقول للذين أشركوا مكانكم • الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل
بكم • أنتم • تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله • وشركاؤكم • عطف عليه وقرئ
بالنصب على المفعول معه • فزيلنا بينهم • ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم • وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون • مجاز عن براءة ما عبدوه عن عبادتهم
وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا به وقيل
ينطق الله الأصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد
بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم •
فإنه العالم بكنه الحال • إن كنا عن عبادتكم لغافلين • إن هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة • هنالك • في ذلك المقام • تبلو كل نفس ما أسلفت • تختبر ما
من عمل فيعاين نفعه وضره • وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة أي تقرأ ذكر ما
قدمت أو من التلو أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل

وإبدال ما منه والمعنى نختبرها أي نفعل بها فعل الخبير حالها لتعرف سعادتها
وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أي
العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع
الخافض • وردوا إلى الله • إلى جزائه إياهم بما أسلفوا • مولاهم الحق • ربهم
ومتولي أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح
أو المصدر المؤكد • وضل عنهم • وضاع عنهم • ما كانوا يفترون • من أن آلهتهم
تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة • قل من يرزقكم من السماء والأرض •
أي منهما جميعا فإن الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل
واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أي من أهل السماء
والأرض • أمن يملك السمع والأبصار • أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما
من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من أدنى شيء • ومن يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي • ومن يحيي ويميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه
• ومن يدبر الأمر • ومن يلي تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص • فسيقولون الله • إذ
لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه • فقل أفلا تتقون •
أنفسكم عقابه بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك • فذلكم الله ربكم الحق •
أي المتولي لهذه الأمور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لأنه الذي أنشأكم
وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم • فماذا بعد الحق إلا الضلال • استفهام إنكار
أي ليس بعد الحق إلا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
• فأنى تصرفون • عن الحق إلى الضلال • كذلك حقت كلمة ربك • أي كما حقت الربوبية
لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه • على الذين
فسقوا • تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح • أنهم لا يؤمنون • بدل من الكلمة
أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب • قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق
ثم يعيده • جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعد
عليها وكذلك أمر الرسول أن ينوب عنهم في الجواب فقال • قل الله يبدأ الخلق
ثم يعيده • لأن لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها • فأنى تؤفكون • تصرفون عن قصد
السبيل • قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق • بنصب الحجج وإرسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بإلى يعدى باللام للدلالة
على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها
ما أسند إلى الله • قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن
لا يهدي إلا أن يهدى • أم الذي لا يهتدي إلا أن يهدى أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله
الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ
ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص
بالكسر والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء

وقرا ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرا ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال
بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدي للمبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم الا ظنا فيما يعتقدون
مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق
على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر
ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا
من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل
العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون
وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون
الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود
على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق
الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما
حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث
داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون
استئنافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا
بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا
بعلمه بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه
ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله
ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه
من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ
والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته
فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب
تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به
في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن

في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم
بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام
الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فلا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه
منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع
ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر
على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم
وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة
الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك
يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله
لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها
وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة
من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه
ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله
او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر
عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير
يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم
والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول او كلاما
مبتدأ وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا
بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك
فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد بها

ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيمة
ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق فإذا جاءهم
رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل
فأنجي الرسول وأهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل أمة يوم القيمة
رسول تنسب إليه فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضي بينهم
بإنجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به إن كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف أملك لكم
فأستعجل في جلب العذاب إليكم إلا ما شاء الله أن أملكه أو ولكن ما شاء الله من ذلك
كائن لكل أمة أجل مضروب لهلاكهم إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز
وعدكم قل أرأيتم إن أتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال
بالنوم أو نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون
أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم
لأنه بمعنى أخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن
يفزعوا من مجيء الوعيد لا أن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال
أو تعرفوا خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك إن أتيتك ماذا تعطيني وتكون
الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به بمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم
به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لإنكار التأخير آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب
آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك
أحق هو أحق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله
حيي بن أخطب لما قدم مكة والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك
وقيل إنه للإنكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فإنه أدل على التعريض بأنه باطل وأحق مبتدأ
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك
قل إي وربي إنه لحق إن العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
وإي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال إي والله
ولا يقال إي وحده وما أنتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك
أو التعدي على الغير ما في الأرض من خزائنها وأموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم فداه فافتدى وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا
بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا

الندامة أخلصوها لأن إخفاءها إخلاصها أو لأنه يقال سر الشيء لخالصه من حيث إنها
تخفى ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم سر الشيء وأسره إذا أظهره وقضي بينهم
بالقسط وهم لا يظلمون ليس بتكرير لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم والثاني
مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير إنما يتناولهم
لدلالة الظلم عليهم ألا إن لله ما في السموات والأرض تقرير لقدرته تعالى على الإثابة
والعقاب ألا إن وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه
ولكن أكثرهم لا يعلمون لأنهم لا يعلمون لقصور عقلهم إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو
يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لأن القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة
القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما أبدا وإليه ترجعون بالموت والنشور
يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها
والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما
في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى إلى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين
حيث أنزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم
من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بإنزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا
وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك إشارة إلى مصدره أي
فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا
أو للربط بما قبلها والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب
للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا
بالتاء على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا هو
خير مما يجمعون من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر
تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون قل
أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء محصل بأسباب
منها وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فإنه بمعنى أخبروني ولكم دل على أن المراد منه
ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه أنعام
وحرث حجر وما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قل الله أذن
لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون في نسبة ذلك إليه
ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وأن يكون الاستفهام
للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون
على الله الكذب أي شيء ظنهم يوم القيمة أيحسبون أن لا يجازوا عليه وهو منصوب

بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد
عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون
في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة
القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو
من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم
له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص
ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين
عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون فيه وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب
عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض
ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما
ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان
على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه مقرر لما قبله
ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء
والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او
على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
بفوات مامول والاية كمجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين
وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه
وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة
عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة [illegible]
بهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره
لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع ولا يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى
ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن
بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم
للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز
ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي

ما يتبعون

ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون
غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشا
رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون
انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة
وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي
تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم
هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض
تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة
في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم
كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع
على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد
لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب
باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة
متاع في الدنيا خبر مبتدا محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون
به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدا خبره محذوف اي لهم تمتع
في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبا نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه
يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان
او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بايات
الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم
ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل
معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره
وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع
على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم
في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن
حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك
الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى
اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري

من أجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله أو يفوتني لتوليكم. إن أجري إلا على الله وهو الثواب على الدعوة والتذكير ولا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم أو توليتم. وأمرت أن أكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا أخالفه ولا أرجو غيره. فكذبوه فأصروا على تكذيبه بعد ما ألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب. فنجيناه من الغرق. ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين. وجعلناهم خلائف من الهالكين به. وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان. فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له. ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا إلى قومهم كل رسول إلى قومه. فجاؤوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم. فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله إياهم. بما كذبوا به من قبل أي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل. كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الأفعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك. ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا بالآيات التسع. فاستكبروا عن اتباعها. وكانوا قوما مجرمين معتادين الإجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها. فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك. قالوا من فرط تمردهم إن هذا لسحر مبين ظاهر أنه سحر أو فائق في فنه واضح فيما بين إخوانه. قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز أن يكون أسحر هذا لأنهم بتوا القول بل هو استئناف بإنكار ما قالوه اللهم إلا أن يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز أن يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول. ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولأن العالم بأنه لا يفلح الساحر لا يسحر أو من تمام قولهم إن جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون. قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل أخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام. وتكون لكما الكبرياء في الأرض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر أو التكبر على الناس باستتباعهم. وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به. وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة بكل سحار عليم حاذق فيه. فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على أن ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه أو خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدأ خبره محذوف تقديره آلسحر هو ويجوز أن ينتصب ما بفعل

بفعل

يفسره ما بعده تقديره أي شيء أتيتم. إن الله سيبطله سيمحقه أو يظهر بطلانه. إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له. ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته. ولو كره المجرمون ذلك. فما آمن لموسى في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا طائفة من شبابهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبابهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته. على خوف من فرعون وملئهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء أو على أن المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم. أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه. وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها. وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء. وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه. إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت. فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم. ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لتجاب دعوته. وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا أي اتخذا مباءة لقومكما تسكنون فيها أو ترجعون إليها للعبادة. واجعلوا أنتم وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي إليها. وأقيموا الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم. وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة. وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوها. وأموالا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال. ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن تكون للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله. ربنا اطمس على أموالهم أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم

اى واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما اعتراض
معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون لانه كان يؤمن فاستقيما
فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن
ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون طريق الله في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله
وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعل المرادف
لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون
وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوّا
حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به
بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول
او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين
لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد استحق نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل
قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك
ببدنك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض
ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية
الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او
عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك
اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروع كانه كان يظاهر بينها
لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا
على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك
اية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك وذلك يدل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا
محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر
ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر
دينهم الا من بعد ما قرؤوا التوراة وعلموا احكامها او في امر محمد الا من بعد ما علموا صدقه
بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل

بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل
الفرض والتقدير فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت
في كتبهم على نحو ما القيناه اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان
القرآن مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الله الى
تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك
ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها
السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك
الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن
من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله
فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او
يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم
كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية
من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا
اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا
ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا
لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا
قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس
بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين
فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم
فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها
الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا
الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض
كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو
دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين فان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد
بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل
للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض
عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به ونزلت ولذلك قرره بقوله

وما كان لنفس أن تؤمن بالله إلا بإذن الله إلا بإرادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك
في هداها فإنه إلى الله ويجعل الرجس العذاب أو الخذلان فإنه سببه وقرئ بالزاي
وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج و
والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الأول قوله قل انظروا
تفكروا ماذا في السموات والأرض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
إن جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون إلا مثل أيام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم
أيام العرب لوقائعها قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين لذلك أو فانتظروا
هلاكي إني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم
على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الإنجاء أو إنجاء
كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصب بفعله المقدر
وقيل بدل من كذلك قل يا أيها الناس خطاب لأهل مكة إن كنتم في شك من ديني
وصحته فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة ديني
اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف لتعلموا
صحتها وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذي يوجدكم
ويتوفاكم وإنما خص التوفي بالذكر للتهديد وأمرت أن أكون من المؤمنين بما دل
عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن
وأن يكون من غيره كقوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به وأن أقم وجهك للدين عطف على
أن أكون غير أن صلة أن محكية بصيغة الأمر ولا فرق بينهما في الغرض لأن المقصود وصلها
بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الأفعال كلها كذلك سواء الخبر منها
والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء
عن القبائح أو في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين أو الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه إن دعوته أو خذلته
فإن فعلت فإن دعوته فإنك إذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر
عن تبعة الدعاء وإن يمسسك الله بضر وإن يصبك به فلا كاشف له يرفعه إلا هو
إلا الله وإن يردك بخير فلا راد لفضله فلا دافع لفضله الذي أراده ولعله ذكر الإرادة
مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما
مسهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل
بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده يصيب به
بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله أو القرآن ولم يبق

لكم عذر فمن اهتدى بالإيمان والمتابعة فإنما يهتدي لنفسه لأن نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما
فإنما يضل عليها لأن وبال الضلال عليها وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ موكول إلي أمركم
وإنما أنا بشير ونذير واتبع ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم
وتحمل أذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة أو بالأمر بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن
الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود وهي بسم الله الرحمن الرحيم مكية وآيها مائة وثلث وعشرون آية

الر مبتدأ خبره كتاب أو كتاب خبر مبتدأ محذوف أحكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
إخلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فإن المراد آيات السورة
وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم إذا
صار حكيما لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد
والأحكام والمواعظ والأخبار أو بجعلها سورا أو بالإنزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص
ما يحتاج إليه وقرئ ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل وأحكمت آياته ثم فصلت على البناء
للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الإخبار من لدن حكيم خبير صفة أخرى لكتاب
أو خبر بعد خبر أو صلة لأحكمت أو فصلت وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي باعتبار
ما ظهر منها وما خفي ألا تعبدوا إلا الله لأن لا تعبدوا وقيل أن مفسرة لأن في تفصيل
الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للإغراء على التوحيد أو الأمر بالتبري من عبادة
الغير كأنه قيل ترك عبادة غيره بمعنى الزموه أو اتركوها تركا إنني لكم منه من الله نذير
وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وأن استغفروا ربكم عطف على ألا تعبدوا
ثم توبوا إليه ثم توصلوا إلى مطلوبكم بالتوبة فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا إلى الله بالطاعة ويجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الأمرين
يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في أمن ودعة إلى أجل مسمى هو آخر أعماركم المقدرة أو لا يهلككم
بعذاب الاستئصال والأرزاق والآجال وإن كانت متعلقة بالأعمال لكنها مسماة بالإضافة
إلى كل أحد فلا يتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
في الدنيا أو في الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وإن تولوا وإن
تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد
ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وإن تولوا من ولى إلى الله مرجعكم رجوعكم
في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم
أشد عذاب وكأنه تقرير لكبر اليوم ألا إنهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق
وينحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبي أو يولون ظهورهم وقرئ
يثنوني بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء مبالغة وتثنون وأصله تثنونن
من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثني
وتثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة وتثنوي ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع

رسوله والمؤمنين عليه بذلك انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث في المدينة. الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم. يعلم ما يسرون وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه. انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او القلوب واحوالها. وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياها تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه. ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة. كل كل واحد من الدواب واحوالها. في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد. وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات. وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك. ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا. ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره. ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة. ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع. الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها. وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل

تحقيقا ومبالغة في التهديد. ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء. ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها. ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه. انه ليئوس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به. كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة. ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى. ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني. انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها. فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول. الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه. وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها. اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا. فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ههنا. وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة. ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك. او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا. انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك. والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم. ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى. قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد. مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم. وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة. ان كنتم صادقين انه مفترى. فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله. فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه ولا يقدر عليه سواه. وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام

صدقه بالإعجاز عليه وتكذيبه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل أنتم
مسلمون ثابتون على الإسلام راسخون فيه مخلصون إذا تحقق عندكم إعجازه مطلقا ويجوز
أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فإن لم يستجيبوا
لكم إلى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم
لا يعلمه إلا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون
في الإسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى
الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
بإحسانه وبره نوف إليهم أعمالهم فيها نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله ونوف
على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لأن الشرط ماض كقوله وإن أتاه كريم يوم
مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من أجورهم
والآية في أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم أولئك الذين ليس لهم
في الآخرة إلا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم
الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لأنه لم يبق له ثواب في الآخرة
أو لم يكن لأنهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص ويجوز
تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لأنه
لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على أنه
مفعول يعملون وما إبهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وبطل على الفعل أفمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه
ويذره والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا
وأن يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة
كمن يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي وقيل مؤمنوا
أهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه
شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى
يعني التوراة فإنها أيضا تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل أو لسان الرسول على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك
يحفظه والضمير في يتلوه إما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة
مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن كان
على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني إسرائيل ويقرأ من قبل القرآن
التوراة إماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لأنه الوصلة إلى الفوز
بخير الدارين أولئك إشارة إلى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به
من الأحزاب من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها
لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك

إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا كأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله أولئك يعرضون على ربهم
في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم ويقول الأشهاد من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم
وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله
على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل
عن دينه ويبغونها عوجا يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا
بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم
واختصاصهم به أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
أن يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من أولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم إلى هذا
اليوم ليكون أشد وأدوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر
ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم
له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل
هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فإن ما لا يسمع
ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض أولئك الذين خسروا
أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة
وشفاعتها أو خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم اطمأنوا إليه وخشعوا له من الخبت
وهي الأرض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
الكافر والمؤمن كالأعمى والأصم والبصير والسميع يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالأعمى
لتعاميه عن آيات الله وبالأصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا أي تمثيلا أو صفة أو حالا أفلا تذكرون
بضرب الأمثال والتأمل فيها ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم بأني لكم وقرأ نافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر على إرادة القول نذير مبين أبين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص أن لا تعبدوا إلا الله بدل من إني لكم أو مفعول مبين
ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم
مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده
ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا
أخساؤنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر أو أرذل جمع رذل بادي

ظاهر الراي من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ
ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الراي
والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا
من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك
في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم
ارايتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة
من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان
البينة في نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد
البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص
فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء
بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما
مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم
عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله
فانه المامول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سالوا طردهم ولكني
اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم
بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك
الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه
ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا
اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثاني
يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول
للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا
فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية
من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع
العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة
دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت

الدار

الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا
طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل
ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف
فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلي اجرامي وبال افترائي وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء
الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اقناط من ايمانهم وانه غير متوقع فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اسف باس ... لن يغيرنا فلن من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا
باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ
عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني
في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم
عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء
اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد
بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو
عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه
او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر
يفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع
مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع في
الارض قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل من كل
زوجين من كل صنف ذكر وصنف انثى وأهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته
وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة
فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة
وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة
بطون فحمل في اسفلها من الدواب والوحوش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير
وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض
بسم الله مجريها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت
او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما

ويجوز رفعهما ببسم الله على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي
إجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف وهي إما جملة مقتضبة
لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروي أنه كان إذا أراد أن يجري
قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم مقحما كقوله
ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح
من جرى وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين
لله إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته إياكم لما نجاكم وهي تجري
بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج
كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل
في تراكمها وارتفاعها وما قيل من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة
تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وإن صح
فلعله كان قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف
على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما وهو
خطأ إذ الأنبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة
ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه
مفعل من عزله عنه إذا أبعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا
الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فإنه وقف عليها
في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فإنه
فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة واختلف الرواية عنه
في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما في
ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء أن
قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم إلا الراحم وهو الله تعالى أو إلا مكان من رحمهم الله وهم
المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به إلا معتصم
المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل
الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه أو ابنه
والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي
نوديا بما ينادى به أولو العلم وأمرا بما يؤمر به أهل التمييز تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء
تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره مهابة من عظمته
وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والإقلاع الإمساك وغيض الماء نقص
وقضي الأمر وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي أنه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا إذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم

ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال وإيراد الأخبار على البناء
للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب
الوهم إلى غيره للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار ونادى نوح
ربه وأراد ذلك بدليل عطف قوله فقال رب إن ابني من أهلي فإن النداء وإن وعدك
الحق وإن كل وعد تعده حق لا يتطرق إليه الخلف وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما حاله
أو فما باله لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه وأنت أحكم الحاكمين لأنك
أعلمهم وأعدلهم أو لأنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
قال يا نوح إنه ليس من أهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله
إنه عمل غير صالح فإنه تعليل لنفي كونه من أهله وأصله إنه ذو عمل فاسد فجعل ذاته
ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما
هي إقبال وإدبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء
ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل أي عمل عملا غير
صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وإنما سمى نداءه
سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للإنجاز
في حقه وإنما سماه جهلا وزجر عنه بقوله إني أعظك أن تكون من الجاهلين لأن استثناء
من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه
حتى اشتبه الأمر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير
أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت النون
للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع إثباتها في الوصل قال رب إني أعوذ بك أن أسألك
فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي ما فرط مني وترحمني
بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك وبركات عليك ومباركا
عليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد
وهو الخير النامي وعلى أمم ممن معك وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب
الأمم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وأمم سنمتعهم أي
وممن معك أمم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك
إشارة إلى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب أي بعض
بعضها نوحيها إليك خبر ثان والضمير لها أي موحاة إليك أو حال من الأنباء أو
هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا خبر آخر أي مجهولة عندك وعند قومك من قبل إيحائنا إليك أو حال من الهاء
في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلا أنت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمه

اذ لم تخالط عقولهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوا فكيف يوجدونهم • فاصبر على مشاق
الرسالة واذية القوم كما صبر نوح • ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز
للمتقين عن الشرك والمعاصي • والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه
وهودا عطف بيان • قال يا قوم اعبدوا الله وحده • ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا
على اللفظ • ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء
يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني • خاطب كل رسول به قومه ازاحة
للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع • افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا • ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون
بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده • يرسل السماء عليكم مدرارا • كثير الدر • ويزدكم
قوة الى قوتكم • ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا
اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
هود على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل • ولا تتولوا
ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه • مجرمين مصرين على اجرامكم • قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة
تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات • وما
نحن بتاركي الهتنا • بتاركي عبادتهم • عن قولك • صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين • اقناط له من الاجابة والتصديق • ان نقول الا اعتراك • ما نقول
الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه • بعض الهتنا بسوء • بجنون لسبك
اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان
الاستثناء مفرغ • قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون • اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم
وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا
على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم
الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا ينفع ولا يضر لا يتمكن
من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك
العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله • اني توكلت على الله ربي وربكم • تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم
غاية وسعكم لن تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي
ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله • ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها
اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك
ان ربي على صراط مستقيم • اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته
ظالم • فان تولوا • فان تتولوا • فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم • فقد اديت ما علي
من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به

اليكم

اليكم • ويستخلف ربي قوما غيركم • استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف
قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم
على الموضع كانه قيل وان تتولوا يعذركم ويستخلف • ولا تضرونه • بتوليكم • شيئا
من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه • ان ربي على كل شيء حفيظ • رقيب
فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء
ولما جاء امرنا • عذابنا او امرنا بالعذاب • نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة
منا • وكانوا اربعة الاف • ونجيناهم من عذاب غليظ • تكرير لبيان ما نجاهم عنه
وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم
او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ • وتلك عاد جحدوا بايات ربهم
انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم • جحدوا بايات
ربهم • كفروا بها • وعصوا رسله • لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى
الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول • واتبعوا امر كل جبار عنيد • يعني كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم • واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة ويوم القيامة • اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم • جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار • الا بعدا
لعاد • دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل
عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار
بحالهم • قوم هود • عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم
والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود • والى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض • هو كونكم منها
لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب • واستعمركم
فيها • عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم
فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة
اعماركم ثم تتركونها لغيركم • فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب • قريب الرحمة
مجيب لداعيه • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا • لما نرى فيك من مخايل الرشد
والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا
القول منك انقطع رجاؤنا عنك • اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا • على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه • من التوحيد والتبري عن الاوثان • مريب • موقع في الريبة
من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر • قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي • بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين • واتاني منه رحمة • نبوة
فمن ينصرني من الله • فمن يمنعني من عذابه • ان عصيته • في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك

فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفي المعارج في قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص ثمود هنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم بغير تنوين ابو بكر هنا وفي النجم والباقون في جميع القرآن وكسرها نافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اي امركم سلام او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار في ان محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا لما احسوا قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب

نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ وخبره الظرف اي يعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من المبتدأ ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤه في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي

بين اضيافه كرما وحمية ولكن هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهي
خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كي يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف
ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم • هن اطهر لكم • انظف فعلا واقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك
هذا اخي هو • بفصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها • فاتقوا الله • بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم • ولا تخزون • ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى
الحياء • في ضيفي • في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه • اليس منكم رجل رشيد •
يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح • قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق • حاجة • وانك لتعلم
ما نريد • وهو اتيان الذكران • قال لو ان لي بكم قوة • لو قويت بنفسي على دفعكم • او آوي
الى ركن شديد • الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي رحم الله اخي
لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم
قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب
قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون
عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة • فاسر باهلك • بالقطع
من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السري • بقطع من الليل •
بطائفة منه • ولا يلتفت منكم احد • ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط • الا امرأتك • استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه
ان فسر بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما
سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها
على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله
ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها
بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف • انه مصيبها
ما اصابهم • ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع • ان موعدهم الصبح • كانه
علة الامر بالاسراء • اليس الصبح بقريب • جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب •
فلما جاء امرنا • عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها • فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روي ان جبريل ادخل جناحه

تحت مدائنهم

تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم • وامطرنا عليها • على المدن او على شذاذهم • حجارة من سجيل • من طين متحجر
كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعربت وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
من مثل الشيء المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به
وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما • منضود • نضد معدا لعذابهم او نضد
في الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به
مسومة • معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من يرمى به • عند ربك • في خزائنه • وما هي من الظالمين ببعيد • فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان • والى مدين
اخاهم شعيبا • اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه • قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • ولا تنقصوا المكيال والميزان • امرهم بالتوحيد اولا
فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض • اني اراكم
بخير • بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي • واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط • لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب
يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله
عليه • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان • صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة
لا يتاتى دونها • بالقسط • بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد
ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا • ولا تبخسوا الناس اشياءهم • تعميم بعد
تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او غيره وكذا قوله • ولا تعثوا في الارض مفسدين •
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج
ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه • ولا تعثوا في الارض مفسدين •
امر دينكم ومصالح آخرتكم • بقية الله • ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم
خير لكم • مما تجمعون بالتطفيف • ان كنتم مؤمنين • بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل
البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه
التي تكف عن المعاصي • وما انا عليكم بحفيظ • احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم • قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد •

من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص
على الافراد والمعنى اصلاتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا
ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي
والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك
انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا
منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال
يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني
منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره
فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه
واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين
الآباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبد به ولو كان صوابا لآثرته
ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول
عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت
ما اريد الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت
الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة واهمها واعلاها حق الله تعالى
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما
نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار
الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة
الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه
عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما
يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار
واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني
مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو
منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة

وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان
نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان
لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم
ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى
في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل
بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد
الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل
قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه
وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك
وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة
استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب
والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة
وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة
برسوله فلا تبقون علي لله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد
والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون
محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف للتصريح
بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ها هنا لانه جواب سائل
قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم
له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم
والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا
وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير
او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما
ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي
صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم
الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم

جبرئيل فهلكوا فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين وأصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسورة ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة أو العصا وأفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما أن الآية تعم الأمارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون برشيد مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيامة إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره رشد أو تفسير له على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعن في الدارين ذلك أي ذلك النبأ من أنباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما أغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك أو تخسير وكذلك ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر إذا أخذ القرى أي أهلها وقرئ إذ لأن المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لأهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم وإنذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة إن أخذه أليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه

وهو مبالغة

وهو مبالغة في التهديد والتحذير إن في ذلك أي فيما نزل بالأمم الهالكة أو فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به عظته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعده الله للمجرمين في الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنه من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام لا لذنوب المهلكين بها ذلك إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس أي يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه من شأنه لا محالة وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والجزاء وذلك يوم مشهود أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود أي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فإن سائر الأيام كذلك وما نؤخره أي اليوم إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وإرادة مدة التأجيل كلها بالأجل لا منتهاها فإنه غير معدود يوم يأت أي الجزاء أو اليوم كقوله أن تأتيهم الساعة على أن يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه بإضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف إلا بإذنه إلا بإذن الله كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر أو المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر لأنه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس أو للناس فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير إخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في أول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم بأصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فإن النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والأرض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه إلا من قبيل المفهوم لأن دوامهما كالملزوم له وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فإنما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه

التنبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين
يخرجون منها وذلك كاف في الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم
المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التابيد
من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان
ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل
الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك
لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير
وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب
القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف
للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ
ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء
من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى
كقولك علي الف درهم الا الالفان القديم يعني سوى ما شاء ربك من الزيادة التي
لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض
واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء
في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد وقرا حمزة
والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب
على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعدما انزل
عليك من مال امر الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد
الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه
يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي
عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان
التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت من ربك
يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به
عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع للريبة

وان كلا

وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرا
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك
اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما
للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء
اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى
الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما
امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله
بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه
والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع
كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها
وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك
والكفر وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل
مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في
معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع المنصوص من غير تصرف وتحريف
بمجرد قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون
هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور
في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة
التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه
او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء
للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو
للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصرته اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر
على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح
لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها
وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب

ان رجلا لقي النبي عم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت. ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن. ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين. واصبر على الطاعة وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص. فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم. ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب. ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه. ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض. واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك. وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكر مع الكفر. وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا. وكانوا مجرمين عطف على اترفوا او اتبع او اعتراض. وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء. وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم. ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه. ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا. الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه. ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة. وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما. وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به. ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل. وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق. وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة. وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر.

انا منتظرون

انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم. ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما. واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه. فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد. وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي آخر النمل. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح ولوط وابراهيم وكان يوم القيامة من السعداء.

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم. انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف. لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء. نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه. بما اوحينا اليك اي بايحائنا اليك هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر. وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة. اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته. لابيه يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم وعنه عم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم. يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابن عامر ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم يسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب.

من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياي
أحد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر أن يهوديا جاء إلى رسول الله
فقال أخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل فأخبره
بذلك فقال إذا أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال
وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين
رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي أي والله إنها
لأسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وإنما
أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة أو
لصغر السن لأنه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء
لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لإهلاكك حيلة
فهم يعقوب من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه
حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي
التأنيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك
والصادقة منها إنما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها
من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم إن
المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم إن كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن
التعبير وإلا احتاجت إليه وإنما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى
به تأكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله إن الشيطان للإنسان عدو مبين
ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم حتى
يحملهم على الكيد وكذلك أي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال
نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك أو لأمور عظام والاجتباء من جبيت الشيء إذا
حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك من تأويل
الأحاديث من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس
أو الشيطان إن كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات
الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة أو
بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل
على نبوتهم بضوء الكواكب ونسلهم كما أتمها على أبويك بالرسالة وقيل على إبراهيم
بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحاق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل
من قبلك أو من قبل هذا الوقت إبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك إن ربك عليم
بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الأشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف وإخوته
أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته أو علامات نبوتك للسائلين لمن سأل
عن قصتهم والمراد بإخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون

دو

ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها
راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما
حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا
ليوسف وأخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين
أحب إلى أبينا منا وحده لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما
يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة
والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة
العشرة فصاعدا سموا بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين
لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب إليه لما يرى فيه
من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه
فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله
إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال لا تقتلوه وقيل قاله شمعون أو دان
ورضي به الآخرون أو اطرحوه أرضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم جواب
الأمر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم
ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن من
بعده بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوما صالحين تائبين إلى الله
عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في
أمور دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم يعني يهوذا
وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه
في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في الموضعين غيابات
على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه
بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين بمشورتي أو
إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف
لم تخافنا عليه وإنا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله
عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالإدغام بإشمام و
عن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء
أرسله معنا غدا إلى الصحراء يرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة
وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه
من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء
والنون على إسناد الفعل إلى يوسف وقرئ يرتع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء وإنا له لحافظون أن يناله مكروه قال إني ليحزنني
أن تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن الأرض

كانت مذابة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزه
على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وفي رواية اليزيدي ابو عمرو وعاصم
وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه
غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون
او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض
الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا
ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه
بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان
فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي
كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره
كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عم حين القي في النار
جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم
بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده
عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه
وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك
وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر
جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال
ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو
او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف
عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين
لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب
بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ كذبا بالنصب
على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري
وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص
وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز
تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن القميص فاخذه والقاه

على وجهه

على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا
اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم
وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري
صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق
والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه
الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر
فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد
الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها
فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه
او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على
اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة
وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة
وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها
فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه وسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة
يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه [illegible] او اشتروه
من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه ونقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم
كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين
وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان
للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا
انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق
بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان
الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون
موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور
انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه
اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان
وهو ابن ثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل
شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة
وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي

والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا
او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس
ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله
او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف
على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى
ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات
المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه
والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته
يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
اتيناه حكما وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم
تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على
احسانه في عمله واتقانه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت
لك اي اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام
للتبيين كالتي في سقيا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح
وكسر الهاء كعيط وهو لغة فيه وقرا هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم
التاء وقرئ هئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيا وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته قال
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه اي الشان ربي احسن مثواي اي سيدي قطفير احسن
تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى انه
خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن
بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا
هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه
عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان
ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم
بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه
وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك ومثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر

ذلك

ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين
اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران
اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل
معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت
قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا
والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على
يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن
قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له
من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن
عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون
الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت
قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه
فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة
لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك
ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان المعنى ان تمتن علي باحسانك امتن عليك باحساني
السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح
كانهما علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال
انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن
والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف
واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس
مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا
اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين
من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي جمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار
غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن
الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب
الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق
شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه
وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال
مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وا

مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس
واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى
يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع
ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا
خرج وحده على اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام
فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا
بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ
عليها بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا
وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ
وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبي عليه السلام
رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه
على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر
بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له من شدة
الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت
في الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة
وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا
كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى
التنزيه في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك
سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين
على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف اي صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ
بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم
فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او
لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره
ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع
طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن
لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير
ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر
صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط

المصحف

المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها
بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي
آثر عندي من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه
واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن
وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب
ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن
بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل
اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء
فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن
فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا
لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة
يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن
وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته
على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين
وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل
آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما
يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه
بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير
منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او
من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او
من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام يعني بيان
ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه
في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي
ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة

في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه
وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة. ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان. ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر
المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا
بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها
كمن يكفر النعمة ولا يشكرها. يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه
على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار. أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية
الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره. ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها
انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة
تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم
ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون
عليها. ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره. امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه
الحجج. ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة
والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما
يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا
القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره
ولا يرتضي العلم دونه. ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم. يا صاحبي السجن اما
احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به
الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا. فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا
في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما. وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان
يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين
اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني. فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى
الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه
او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم
يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف
الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء. فلبث في السجن
بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع. وقال الملك اني ارى
سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد

حبها

حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى
غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز
دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف
فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه. يا ايها الملا
افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال
من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما
اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام
كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا. قالوا اضغاث احلام اي هي اضغاث
احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا
الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه
اشياء مختلفة. وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر في جهلهم بتاويله. وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر
وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي
النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة
اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن
يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغة في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي
في رؤيا ذلك. لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل
ان السجن لم يكن فيه. لعلهم يعلمون تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام
فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم. قال تزرعون سبع
سنين دابا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار
فعله اي تدابون دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر
داب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه
في سنبله لئلا ياكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما
تاكلون في تلك السنين. ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن
ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة. ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او
يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار
وقيل يحلبون الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء
المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم ويغيث بعضهم

بعصر أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض وتضمينه معنى المطر وهذه بشا
رة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله
علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده
بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول
ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج
وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر
أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها
وعنه عليه السلام لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وإنما قال فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجاً له على البحث وتحقيق الحال وإنما
لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرماً ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي
بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت
امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ
قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا
استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه
الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف
أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي كيد الخائنين
لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ
نفسي أي لا أنزهها تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله عليه
من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه قال له جبريل ولا
حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها
وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو إلا
ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن رحمة ربي هي
التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف وأضرابه
إن ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه
ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي

أجعله خالصاً لنفسي فلما كلمه فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال
إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه
لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً فلما دخل على الملك قال اللهم
إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال
ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها
فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل و
أماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها إفرائيم
وميشا قال اجعلني على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ
لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة
آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها
والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد
أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب
برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلاً
وآجلاً ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد
في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر
والشام ونواحيهما وتوجه إليه الناس فباعهم أولاً بالدراهم والدنانير حتى
لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعاً ثم عرض الأمر على الملك فقال الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم
وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب بنيه غير بنيامين إليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي
رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما
جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤوا له والجهاز ما يعد من
الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ
بجهازهم بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب
قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك قال فكم أنتم هنا قالوا عشرة
قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم
قالوا لا يعرفنا هاهنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم
فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملاً فسألوه حملاً زائداً لأخ لهم

من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوا به ليعلم صدقهم. فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي ولا تقربون أي ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي أو عطف على الجزاء. قالوا سنراود
عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه. وقال لفتيانه لغلمانه
الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي
شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا
من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به. لعلهم يعرفونها
لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها. إذا انقلبوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم. لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع. فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا
منع منا الكيل بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أو
يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون عن أن يناله مكروه. قال هل
آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون. فالله
خير حافظا فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني
بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين. وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين. ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم. وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
إلى الراء نقلها في بيع وقيل. قالوا يا أبانا ما نبغي ما نطلب هل من مزيد على ذلك
أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك إحسانا
أو لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من إحسانه. وقرئ ما تبغي على الخطاب
أي أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الدليل على صدقنا. هذه بضاعتنا
ردت إلينا استئناف موضح لقوله ما نبغي. ونمير أهلنا معطوف على محذوف أي
ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك. ونحفظ أخانا عن المخاوف
في ذهابنا وإيابنا. ونزداد كيل بعير أي بحمل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فأرادوا
أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم ويجوز أن يكون
الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه. وقيل
إنه كلام يعقوب ومعناه أن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد. قال لن أرسله معكم
إذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما أتوثق به من عنده أي
عهدا مؤكدا بذكر الله. لتأتنني به جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به
إلا أن يحاط بكم إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من أعم الأحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال إلا حال الإحاطة بكم أو من أعم
العلل على أن قوله لتأتنني به في تأويل النفي أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة
بكم كقولهم أقسمت بالله إلا فعلت أي ما أطلب إلا فعلك. فلما آتوه موثقهم عهدهم قال

الله على ما نقول من طلب الموثق وإتيانه وكيل رقيب مطلع. وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في
مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعي إليها خوفه على
بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم
إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. وما أغني عنكم من
من شيء مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإن الحذر لا يمنع القدر. إن الحكم إلا لله يصيبكم
لا محالة إن قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك. عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون
جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف
والفاء لإفادة التسبب فإن فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم. ولما دخلوا من حيث أمرهم
أبوهم أي متفرقين في البلد. ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله
من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب. إلا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع أي ولكن
حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا. قضاها أظهرها ووصى بها
وإنه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره
ولكن أكثر الناس لا يعلمون سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر. ولما دخلوا على يوسف
آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل. روي أنه أضافهم فأجلسهم
مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فأجلسه معه على مائدته ثم
قال لينزل كل اثنين بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون
أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل.
قال إني أنا أخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل أخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال بها وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ
وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا. ثم أذن مؤذن نادى
أيتها العير إنكم لسارقون لعله لم يقله بأمر يوسف أو كان تعبيره للسقاية والنداء
برضا بنيامين. وقيل معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه أو إنكم لسارقون. والعير
القافلة وهو اسم الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير أي تتردد فقيل لأصحابها
كقوله يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما
فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة. قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون
أي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ
تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا. قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع
وصوع بالفتح والضم والعين والغين من الصياغة. ولمن جاء به حمل بعير
من الطعام جعلا له وأنا به زعيم كفيل أؤديه إلى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة

وضمان للحمل قبل تمام العمل • قالوا تالله • قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله • لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين • استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد • قالوا فما جزاؤه • فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف • ان كنتم كاذبين • في ادعاء البراءة • قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه • اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو • كذلك نجزي الظالمين • بالسرقة • فبدأ باوعيتهم • فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر • قبل وعاء اخيه • نفيا للتهمة • ثم استخرجها • اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث • من وعاء اخيه • وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة • كذلك • مثل ذلك الكيد • كدنا ليوسف • بان علمناه اياه واوحينا به اليه • ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك • ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد • الا ان يشاء الله • ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه • نرفع درجات من نشاء • بالعلم كما رفعنا درجته • وفوق كل ذي علم عليم • ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص • قالوا ان يسرق • بنيامين • فقد سرق اخ له من قبل • يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل • فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم • اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله • قال انتم شر مكانا • فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشأن • والله اعلم بما تصفون • وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون • قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا • في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه • فخذ احدنا مكانه • بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به • انا نراك من المحسنين • الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك • قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده • فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه • انا اذا لظالمين •

في مذهبكم

في مذهبكم هذا او ان مراد ان الله اذن لي في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما • فلما استيأسوا منه • يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة • خلصوا • انفردوا واعتزلوا • نجيا • متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي واندية • قال كبيرهم • في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا • الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله • عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته • ومن قبل • ومن قبل هذا • ما فرطتم في يوسف • قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم • فلن ابرح الارض • فلن افارق ارض مصر • حتى يأذن لي ابي • في الرجوع • او يحكم الله لي • او بقضي الله لي بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب • وهو خير الحاكمين • لان حكمه لا يكون الا بالحق • ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق • على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة • وما شهدنا • عليه • الا بما علمنا • بان رأينا ان الصاع استخرج من وعائه • وما كنا للغيب • لباطن الحال • حافظين • فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف • واسأل القرية التي كنا فيها • يعني مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة • والعير التي اقبلنا فيها • واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم • وانا لصادقون • تأكيد في محل القسم • قال بل سولت • اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت • لكم انفسكم امرا • اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته • فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل • عسى الله ان يأتيني بهم جميعا • بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر • انه هو العليم • بحالي وحالهم • الحكيم • في تدبيرها • وتولى عنهم • واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم • وقال يا اسفى على يوسف • اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصائب وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع و

يا أسفا. وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه كأن العبرة محقت سوادهما وقيل
ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند
التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فإنه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون. فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له
في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه أو
بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا اجترعه وأصله كظم البعير جرته
إذا ردها إلى جوفه. قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا
عليه فحذف لا كما في قوله فقلت يمين الله أبرح قاعدا. لأنه لا يلتبس بالإثبات فإن
القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات كان على النفي. حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي أذابه هم أو مرض وهو في الأصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنيف وقد قرئ به وبضمتين كجنب. أو تكون
من الهالكين من الميتين. قال إنما أشكو بثي وحزني همي الذي لا أقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر. إلى الله لا إلى أحد منكم ولا من غيركم فخلوني وشكايتي. وأعلم
من الله من صنعه ورحمته فإنه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ إليه. ما لا تعلمون أو
من الله بنوع من الإلهام ما لا تعلمون من حياة يوسف وقيل رأى ملك الموت في المنام
فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له إخوته سجدا
يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه فتعرفوا منهما فتفحصوا عن حالهما والتحسس
تطلب الإحساس. ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله
أي من رحمته التي يحيي بها العباد. إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون بالله وصفاته
فإن العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الأحوال. فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز
بعدما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية. مسنا وأهلنا الضر شدة الجوع. وجئنا ببضاعة مزجاة
رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته إذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل
كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الأقط
وسويق المقل. فأوف لنا الكيل فأتم لنا الكيل. وتصدق علينا برد أخينا أو بالمسامحة
وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف في أن حرمة الصدقة تعم الأنبياء
أو تختص بنبينا عليه وعليهم السلام. إن الله يجزي المتصدقين أحسن الجزاء والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه
اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله. قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه وهل علمتم
قبحه فتبتم عنه وفعلهم بأخيه إفرادهم إياه عن يوسف وإذلاله حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم
إلا بعجز وذلة. إذ أنتم جاهلون قبحه فلذلك أقدمتم عليه وعاقبته وإنما قال ذلك
تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف

وأخيه

وأخيه فقال لهم ذلك وإنما جهلهم لأن فعلهم فعل الجهال أو لأنهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين.
قالوا أإنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بإن ودخول اللام عليه
وقرئ إنك بالإيجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه
بثناياه. وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان
لسارة ويعقوب مثلها. قال أنا يوسف وهذا أخي من أبي وأمي ذكره تعريفا لنفسه به
وتفخيما لشأنه وإدخالا له في قوله. قد من الله علينا أي بالسلامة والكرامة. إنه من يتق
ويصبر على البليات أو على الطاعات وعن المعاصي. فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وضع
المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر. قالوا تالله لقد آثرك
الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة. وإن كنا لخاطئين والحال
أن شأننا أنا كنا مذنبين بما فعلنا معك. قال لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم تفعيل
من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للإزالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض
ويذهب ماء الوجه. اليوم متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى
لا أثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الأيام أو بقوله. يغفر الله لكم لأنه
صفح عن جرمهم حينئذ واعترفوا بها. وهو أرحم الراحمين فإنه يغفر الصغائر والكبائر
ويتفضل على التائب. ومن كرم يوسف أنهم لما عرفوه أرسلوا إليه وقالوا إنك تدعونا
بالبكرة والعشي إلى الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال إن أهل مصر وإن ملكت
ينظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ
فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا أي يرجع بصيرا أي ذا بصر. وأتوني أنتم وأبي
بأهلكم أجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم. ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها. قال أبوهم لمن حضره. إني لأجد ريح يوسف أوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين أقبل به إليه يهوذا من ثمانين فرسخا. لولا أن تفندون تنسبوني إلى
الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لأن نقصان
عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني أو لقلت إنه قريب. قالوا أي
الحاضرون تالله إنك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالإفراط في محبة
يوسف وإكثار ذكره والتوقع للقائه. فلما أن جاء البشير يهوذا روي أنه قال كما أحزنته
بحمل قميصه الملطخ بالدم إليه فأفرحه بحمل هذا إليه. ألقاه على وجهه طرح البشير القميص
على وجه يعقوب أو يعقوب نفسه. فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة.
قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وإنزال الفرج وقيل إني
أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو إني لأجد ريح يوسف. قالوا
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين. ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه
ويسأل له المغفرة. قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم أخره إلى السحر أو

الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف
او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل
وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح دليل
على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه
رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده
الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة
الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه
ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة
الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة
تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة
متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين
استقبالهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود كان
عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت
هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو
من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل
دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء
في وقته على وجه تقتضيه الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه
فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت
الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله
قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد
آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث الكتب او
الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل فاطر السموات والارض مبدعهما
وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري او متولي امري
في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين
من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين
سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحق فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد
وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله
طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق

مرمر

مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه
ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل
افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب ذلك اشارة الى ما ذكر
من نبأ يوسف والخطاب للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران
له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى
ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على
ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم
الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا
الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل
هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل
كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم
من آية والمعنى وكأي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال
قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم
عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ
خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على يطؤون الارض وقرئ والارض يمشون
عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة
التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي
مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله
عقوبة تغشيهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة
واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو وعلى بصيرة حال منه او مبتدأ خبره
على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها
من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ردا لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل
معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ
حفص يوحى في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة
خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها
خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي او قل لهم

أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام أي لا يغررهم
تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم
لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم
أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير للمرسل
إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الأول للرسل
إليهم والثاني للرسل أي وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط
الأمر عليهم وما روي عن ابن عباس أنهم ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر إن صح
فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وأن المراد به المبالغة في التراخي
والإمهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم
قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أي وظنوا أنهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم لا
يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ
فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين إذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم
في قصص الأنبياء وأممهم أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي
العقول المبرأة عن شوائب الإلف والركون إلى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن
حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الإلهية وتفصيل كل شيء يحتاج
إليه في الدين إذ ما من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط وهدى من الضلالة
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عليه السلام علموا أرقاءكم
سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة

سورة الرعد مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلاث وأربعون آية

المر قيل معناه أنا الله أعلم وأرى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك
إشارة إلى آياتها أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن والذي أنزل إليك
من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو
إحدى الصفتين على الأخرى أو الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الأولى وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم
من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن
أكثر الناس لا يؤمنون لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ
وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر يدبر الأمر بغير عمد أساطين جمع عماد
كإهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد
أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع
الحكيم فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وأن يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات

على بعض

على بعض بإرادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش
بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد
من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لأجل مسمى لمدة معينة يتم
فيها أدواره أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيرهما وهي إذا الشمس كورت وإذا النجوم
انكدرت يدبر الأمر أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك
يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم
بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه
الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء وهو الذي مد الأرض بسطها طولا وعرضا
لتثبت عليها الأقدام وينقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا
الشيء إذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة أجبل أو للمبالغة وأنهارا
ضمها إلى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث إن الجبال أسباب لتولدها ومن كل الثمرات
متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين أي جعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو
والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو
مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يغشي بالتشديد إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون فيها فإن تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم
دبر أمرها وهيأ أسبابها وفي الأرض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة
وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في
الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية من حيث إنها
متشاركة في النسب والأوضاع وجنات من أعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها
أنواع الأشجار والزروع وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على جنات صنوان
نخلات أصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الأصول وقرأ حفص بالضم وهو
لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل
في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فإن اختلافها
مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق
قوله يدبر الأمر إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وإن تعجب
يا محمد من إنكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بأن يتعجب منه فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك
كانت الإعادة أيسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة
على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال قدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته أإذا
كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد بدل من قولهم أو مفعول له والعامل في إذا محذوف دل عليه
أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم لأنهم كفروا بقدرته على البعث

الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود
بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها
كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل
من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء
العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انه جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه
المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك
خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد
العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم
اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر
مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما
يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم
الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء
هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه
وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال
الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة
والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد
واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة وروي
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل
نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة
ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء
متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين
تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء
عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى
خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم
الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء
المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوق وتعالى عنه سواء منكم
من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل

وسارب بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف
على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم
اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله
له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه
عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها
او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ
معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه
من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه متى اذنب بالاستمهال
والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به
وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس
والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله
محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال
من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة
وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء
الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد
ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس
سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق
فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به
من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة او للحال فانه روي
ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم
اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية
وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال
المكايدة لاعداء الله من محل بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل
من الحول او الحيلة اعل على غير القياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من

يحول إذا احتال ويجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم
فساعد الله أشد وموساه أحد. له دعوة الحق الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن
يعبد ويدعى إلى عبادته دون غيره أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجابه ويؤيده
ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملابسة
أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق والمراد بالجملتين
إن كانت الآية في أربد وعامر أن هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله وإجابة لدعوة
رسوله أو دلالة على أنه على الحق وإن كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله
بحلول محاله بهم وتهديدهم بإجابة دعاء الرسول عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم
والذين يدعون أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون
الذين يدعون الأصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء
من الطلبات إلا كباسط كفيه إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه
يطلب منه أن يبلغه وما هو ببالغه لأنه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابة
والإتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها
بمن أراد أن يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء و
باسط بالتنوين وما دعاء الكافرين إلا في ضلال في ضياع وخسار وباطل
ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها يحتمل أن يكون السجود على حقيقته
فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة
كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أراده
فيهم شاء أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا
وكرها بالحال أو العلة بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال
من الظلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما لأن الأظلال إنما
تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقني وقناة والآصال جمع أصيل وهو ما بين
العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قرئ والإيصال وهو الدخول
في الأصيل قل من رب السموات والأرض خالقهما ومتولي أمرهما قل الله أجب عنهم
بذلك إذ لا جواب لهم سواه ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به قل
أفاتخذتم من دونه ثم ألزمهم بذلك لأن اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على أن يجلبوا إليها نفعا أو يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون إنفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم
وفساد رأيهم في اتخاذهم أولياء رجاء أن ينفعوهم قل هل يستوي الأعمى والبصير
المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل
عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم أم هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد
وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء أم جعلوا لله شركاء بل أجعلوا والهمزة
للإنكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الإنكار فتشابه الخلق

عليهم

عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه
الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه
الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة
ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالألوهية
القهار الغالب على كل شيء أنزل من السماء ماء من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء
نفسها فإن المبادئ منه فسالت أودية أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل
الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لأن المطر يأتي على تناوب
بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار أو بمقدارها في الصغر
والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما يوقدون
عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون
بها إظهارا لكبريائه ابتغاء حلية أي طلب حلي أو متاع كالأواني وآلات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله أي ومما يوقدون عليه زبد
مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالياء على أن الضمير للناس وإضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل
مثل الحق والباطل فإنه مثل الحق في إفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء
فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث
في الأرض بأن يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون
والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك
بقوله فأما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به أي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد وأما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز
فيمكث في الأرض ينتفع به أهلها كذلك يضرب الله الأمثال لإيضاح المشتبهات للذين
استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب
المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان
مآل غير المستجيبين أولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بأن يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم
محذوف أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو أعمى عمى القلب لا يستبصر
فيستجيب والهمزة لإنكار أن تقع شبهة في تشابههما بعدما ضرب من المثل إنما يتذكر
أولو الألباب ذوو العقول المبرأة من مشايعة الإلف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله عليهم

في كتبه. ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم
بعد تخصيص. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان
بجميع الأنبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما
ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا. والذين صبروا
على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة
ونحوهما. وأقاموا الصلاة المفروضة. وأنفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم
إنفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به. ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها
بها فيجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها. أولئك لهم عقبى
الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة. والجملة خبر الموصولات
إن رفعت بالابتداء وإن جعلت صفات لأولي الألباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا
بتلك الصفات. جنات عدن بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة
أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة. ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم
عطف على المرفوع في يدخلون وإنما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى
أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لهم وهو
دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم
ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد
بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا تنفع. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام
السلامة. بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخبر
فاصل والباء للسببية أو البدلية. فنعم عقبى الدار. وقرئ فنعم بفتح النون والأصل
نعم فخفف بنقل كسرة العين إلى الفاء وبغيره. والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي
الأولين من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول ويقطعون ما أمر الله به
أن يوصل ويفسدون في الأرض بالظلم وتهييج الفتن أولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار. الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه. وفرحوا أي أهل مكة بالحياة الدنيا بما بسط
لهم في الدنيا. وما الحياة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة إلا متاع إلا متعة لا تدوم
كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون
به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال. ويقول الذين
كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات
ويهدي إليه من أناب أقبل إلى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه
قال قل لهم ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن
أنزلت كل آية ويهدي إليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات. الذين آمنوا بدل
من من أناب أو مبتدأ خبره محذوف. وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه

أو بذكر رحمته

أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته
أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات. ألا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن
إليه. الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت
ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب
ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب. كذلك مثل ذلك يعني إرسال الرسل قبلك أرسلناك
في أمة قد خلت من قبلها أمم أرسلوا إليهم فليس ببدع إرسالك إليهم لتتلو
عليهم الذي أوحينا إليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه إليك. وهم يكفرون
بالرحمن وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء
رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي
هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن. قل هو ربي أي الرحمن خالقي ومتولي أمري لا إله إلا هو
لا مستحق للعبادة سواه. عليه توكلت في نصرتي عليكم. وإليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن
أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم أي ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
أو قطعت به الأرض تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا
أو كلم به الموتى فقرأه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لأنه الغاية في
الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
الآية وقيل إن قريشا قالوا يا محمد إن سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين وقطع الأرض أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام أو
ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الأرض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير
كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي. بل لله الأمر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو
إضراب عما تضمنه لو من معنى النفي أي بل الله قادر على الإتيان بما اقترحوه من الآيات إلا أن إرادته
لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله أفلم ييأس الذين آمنوا
عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم لأنه روي أن عليا
وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا أفلم يتبين وهو تفسير وإنما
استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه مسبب عن العلم بأن المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه
بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فإن معناه نفي هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الأول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين
آمنوا عن إيمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا. ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الأعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم أو تحل
قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فإنهم لا يزالون
مصابين بما صنعوا برسول الله فإنه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حولهم وتختطف مواشيهم

وعلى هذا يجوز أن يكون خطابا للرسول فإنه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية. حتى يأتي وعد الله الموت أو القيامة أو فتح مكة. إن الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه. ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والإملاء أن يترك ملاوة من الزمان في دعة وأمن. ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي عقابي إياهم. أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك. وجعلوا لله شركاء استئناف أو عطف على الخبر المقدر للمبتدأ أي أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء، ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على أنه المستحق للعبادة. وقوله قل سموهم تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة. أم تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الأرض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء. أم بظاهر من القول أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا، وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز. بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للإسلام بشركهم. وصدوا عن السبيل سبيل الحق، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الإيمان، وقرئ بالكسر وصد بالتنوين. ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى. لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب. ولعذاب الآخرة أشق لشدته ودوامه. وما لهم من الله من عذابه أو من رحمته من واق حافظ. مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة، وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة، وقيل خبره تجري من تحتها الأنهار على طريقة قولك صفة زيد أسمر، أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، أو على زيادة المثل، وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة. أكلها دائم لا ينقطع ثمرها. وظلها أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس. تلك أي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى أمرهم. وعقبى الكافرين النار لا غير، وفي ترتيب النظمين إطماع للمتقين وإقناط للكافرين. والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة، أو عامتهم فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم. ومن الأحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله عم بالعداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها. قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به جواب للمنكرين أي قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم إلى إنكاره، وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الإلهية

شركاء

في جزئيات

في جزئيات الأحكام. وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف. إليه أدعو لا إلى غيره. وإليه مآب وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره، وهذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، فأما ما عدا ذلك فمما يختلف بالأعصار والأمم فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه. وكذلك ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها أنزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة. عربيا مترجما بلسان عربي ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال. ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها كتقرير دينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حولت عنها. بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك. ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك، وهو حسم لأطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم. ولقد أرسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك. وجعلنا لهم أزواجا وذرية نساء وأولادا كما هي لك. وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه. إلا بإذن الله فإنه المليء بذلك. لكل أجل كتاب لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم. يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته، وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها، وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه، وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين، وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات، وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد. وعنده أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه. وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو توفيناك قبله. فإنما عليك البلاغ لا غير. وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنا فاعلون له وهذا طلائعه. أولم يروا أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بما نفتحه على المسلمين منها. والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفو غريمه بالاقتضاء، والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفر بالإدبار وذلك كائن لا يمكن تغييره، ومحل لا مع المنفي النصب على الحال أي يحكم نافذا حكمه. وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا. وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين منهم. فلله المكر جميعا إذ لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره. يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها. وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه، وهذا كالتفسير لمكر الله بهم، واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الإضافة إلى الدار كما عرفت. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو الكافر على إرادة الجنس، وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أي أهله، وسيعلم من أعلمه إذا أخبره. ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود. قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها. ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز، أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه، أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى، أي وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا، ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر ...

معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره • وهو متعين للثانية وقرئ
ومن عنده علم بالجر وانتساب للمعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم
سورة ابراهيم مكية القيمة من الموفين بعهد الله تعالى وهي احدى وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم • الر كتاب • اي هو كتاب • انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك
اياهم الى ما تضمنه • من الظلمات • من انواع الضلال • الى النور • الى الهدى • باذن
ربهم • بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله • الى صراط العزيز الحميد • بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له
وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله • الله الذي له ما في السموات
وما في الارض • على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي
صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق
وويل للكافرين من عذاب شديد • وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور
والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة
الثبات • الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة • يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها من غيره • ويصدون عن سبيل الله • بتعويق الناس عن الايمان وقرئ
ويصدون من اصد وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية • ويبغونها عوجا • ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف
الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل صفة للكافرين والنصب على الذم
والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره • اولئك في ضلال بعيد • اي ضلوا عن الحق ووقفوا
عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال
فوصف به لملابسته • وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه • الا بلغة قومه هو منهم وبعث فيهم
ليبين لهم • ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس
اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عم بانذار عشيرته اولا ولو نزل
على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن ادى الى
الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها
وما في اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه
كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه
لمحمد عم وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم
وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين
للعرب • فيضل الله من يشاء • فيخذله عن الايمان • ويهدي من يشاء • بالتوفيق له • وهو
العزيز • فلا يغلب على مشيئته • الحكيم • الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة • ولقد ارسلنا موسى
باياتنا • يعني اليد والعصا وسائر معجزاته • ان اخرج قومك من الظلمات الى النور • بمعنى اي

اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة
على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة • وذكرهم بايام الله • بوقائعه التي
وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه • ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور • يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله
من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل
المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن • واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون • اي اذكروا نعمته وقت
انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها
في سورة البقرة وسورة الاعراف العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • احوال من ال فرعون او من ضمير
المخاطبين والمراد بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالذبح
والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم
بالاعمال الشاقة • وفي ذلكم • من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه • بلاء من ربكم عظيم
ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة • واذ تاذن ربكم
ايضا من كلام موسى عم وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى
التكلف والمبالغة • لئن شكرتم • يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان
والعمل الصالح • لازيدنكم • نعمة الى نعمة • ولئن كفرتم ان عذابي لشديد • فلعلي اعذبكم
على الكفر عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد
والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه • وقال موسى
ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا • من الثقلين • فان الله لغني • عن شكركم • حميد • مستحق للحمد في ذاته
محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها
مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد • الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود • من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله • والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله • جملة
وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم
لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون • جاءتهم رسلهم بالبينات
فردوا ايديهم في افواههم • فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها
على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل
ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم
وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها
الى حيث جاءت منه • وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به • على زعمكم • وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه • من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام • مريب • موقع في الريبة او ذي ريبة

وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء • قالت رسلهم أفي الله شك ادخلت همزة الانكار
على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك
لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله • فاطر السموات والارض
وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف • يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا • ليغفر لكم
اي يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به
من ذنوبكم • بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم
وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت
في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فتتناول الخروج
عن المظالم • ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم • قالوا ان انتم
الا بشر مثلنا • لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر
رسلا لبعث من جنس افضل • تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا • بهذه الدعوى
فأتونا بسلطان مبين • يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم
النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاءوا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا
ولجاجا • قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده • سلموا
مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه عليهم وفيه
دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى • وما كان
لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله • اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا
حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون • فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا
الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله
وما لنا الا نتوكل على الله • اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل • وقد هدانا سبلنا • التي بها
نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت • ولنصبرن
على ما آذيتمونا • جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري
عليهم • وعلى الله فليتوكل المتوكلون • فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب
عن ايمانهم • وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا •
حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى
الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن
معه فغلبوا الجماعة على الواحد • فأوحى اليهم ربهم • اي الى رسلهم • لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه • ولنسكننكم الارض من بعدهم
اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك • اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين • لمن خاف مقامي

موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي
لاعماله وقيل المقام مقحم • وخاف وعيد • اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود
للكفار • واستفتحوا • سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين
اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فأوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوا
ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن • وخاب كل جبار عنيد
اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى
الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع • من ورائه جهنم • اي من بين
يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء
حياته وحقيقته ما توارى عنك • ويسقى من ماء • عطف على محذوف تقديره من ورائه
جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى • صديد • عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار
يتجرعه • يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى • ولا يكاد يسيغه
ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب
على الحلق بسهولة وقبول نفس • ويأتيه الموت من كل مكان • اي اسبابه من الشدائد فتحيط به
من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله • وما هو
بميت • فيستريح • ومن ورائه عذاب غليظ • يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل
نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد
اهل النار • مثل الذين كفروا بربهم • مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي
هي مثل في الغرابة او قوله • اعمالهم كرماد • وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل
اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد • اشتدت به الريح • حملته واسرعت الذهاب به
وقرأ نافع الرياح • في يوم عاصف • العصف اشتداد الريح وصف به زمانه
للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم
واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير اساس
من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة
لا يقدرون يوم القيامة • مما كسبوا • من اعمالهم • على شيء • لحبوطه فلا يرون له اثرا
من الثواب وهو فذلكة التمثيل • ذلك • اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون
هو الضلال البعيد • فانه الغاية في البعد عن طريق الحق • ألم تر • خطاب للنبي عليه السلام
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين • ان الله خلق السموات والارض
بالحق • بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السماوات •
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد • يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك
على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه

تخليتهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يصعب
عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له
بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيامة
لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها
تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي
لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأي وانما
كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض
عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف
فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله
ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل
ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض
الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا
بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم
اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة الفرار ويحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز
ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء
علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه
ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو
ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف
وعدي كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي
الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه
على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم
لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك
ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة
بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون
لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم

من العذاب

من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء المشددة على الاصل
في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث
كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف
في ضربته واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل
ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا
اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم
او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي
كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى باطاعتكم اياي من قبل هذا اليوم فيما دعوتكم
اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم
واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم
تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله وامره والمدخلون
هم الملائكة وقرئ وادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم
فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده
ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا وان تكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء
اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد
وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ
ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة
منها ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة
التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر
وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح
والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك
مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم
في الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون

لان اقوى لان قراءة الجار اقوى يعني لان في قراءة الرفع اجريت الصفة على الشجر ... مررت برجل قائم ابوه ... لان الخبر عنه الاب لا الرجل

الكشوث نبت يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض ... سوا الكشوث فلا اصل له ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

والذين فيهم اصحاب الاخدود. وفي الآخرة. فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم
في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وتبعوا انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال
ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فيناديه مناد من السماء ان صدق
عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت. ويضل الله الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف
الفتن. ويفعل الله ما يشاء. من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه. الم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا. اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم
لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم
الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي
النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين. واحلوا
قومهم. الذين شايعوهم في الكفر. دار البوار. دار الهلاك بحملهم على الكفر. جهنم. عطف بيان
لها. يصلونها. حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل
مقدر ناصب لجهنم. وبئس القرار. اي وبئس المقر جهنم. وجعلوا لله اندادا ليضلوا
عن سبيله. الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء
وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض
قل تمتعوا. بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي
التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان
لا محالة ولذلك علله بقوله. فان مصيركم الى النار. وان المخاطب لانهماكه فيه
كالمأمور به من آمر مطاع. قل لعبادي الذين امنوا. خصهم بالاضافة تنويها لهم
وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل
لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا. يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون
ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له
ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله
محمد تفد نفسك كل نفس. اذا ما خفت من امر تبالا. لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا
اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه
ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا. سرا وعلانية.
منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على
الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به. من قبل ان ياتي
يوم لا بيع فيه. فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه. ولا خلال. ولا
مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما

بالانفاق

بالانفاق لوجه الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام.
الله الذي خلق السموات والارض. مبتدأ وخبر. وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم. تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات
بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او بالمصدر
لان اخرج في معنى رزق. وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره. بمشيئته الى حيث توجهتم
وسخر لكم الانهار. فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم
كيفية اتخاذها. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين. يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات. وسخر لكم الليل والنهار. يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم. واتيكم
من كل ما سألتموه. اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود
من كل صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج
الناس اليه سئل او لم يسئل وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون
المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتيكم من كل شيء ما احتجتم اليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع الحال اي واتيكم من كل شيء غير
سائليه. وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها. لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا
عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة
ان الانسان لظلوم. يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
كفار. شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد. بلدة مكة. امنا. ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين
قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا وفي الثاني
جعله من البلاد الآمنة. واجنبني وبني. بعدني واياهم. ان نعبد الاصنام. واجعلنا
منها في جانب وقرئ واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول
احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو
بمنزلته. رب انهن اضللن كثيرا من الناس. ولذلك سألت منك العصمة واستعذت بك
من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا
فمن تبعني. على ديني. فانه مني. اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين. ومن عصاني فانك
غفور رحيم. تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على
ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره. ربنا اني اسكنت
من ذريتي. اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه
فان اسكانه متضمن لاسكانهم. بواد غير ذي زرع. يعني وادي مكة فانها حجرية
لا تنبت. عند بيتك المحرم. الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه
الجبابرة او منع من الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا

الدعاء

او ذرية قوم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما يؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة
فوهبتها من ابراهيم عم فولدت منه اسماعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما عنها
فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا
على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانـ(نا)
فجعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم
بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير
النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء
توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كأنه طلب منهم الاقامة
وسأل من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى
او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اى افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب
افئدة كآدر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم
وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه
وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا
وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك
واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك
وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا
في السماء لانه العالم بعلم ذاتي تستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اى وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما فيه من الآية اسماعيل واسحق روي انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة
واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي
اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على
اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له
سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة
معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه
باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل
دعائي واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد مر
عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار
من قيام القائم على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند

قيامهم

قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله عم والمراد
تثبيته على ما كان عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله
وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وقرئ بالنون
ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنهم من هول ما
ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا
واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق
والجبان قلبه هواء اى لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم
القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك
نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول
وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم
حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم
اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء
فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في
منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم
اى بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي
في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق
وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما
يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال
مسوى لازالة الجبال او معدا لذلك وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله
ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا
ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول
بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ
بالفتح والنصب على لغة من فتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف

مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او
مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعدها
والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقوله بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية
تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي
الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي هي تلك
الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه قال تبدل الارض غير الارض
وتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول
ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض
جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار
لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين
للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان
لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم ببعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا
مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم
الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم
في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل
وزيد الخيل ... صفادا يعني بها عدو ويعطي ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم
من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون
طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم
والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على
افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
يوم القيامة وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك
ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون

لاجرامهم

لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع
الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او الى السورة او ما فيه من العظة
والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به
عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام متعلقا بالبلاغ ويجوز
ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة
على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم
انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس
واستكمال القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بها عن النبي عم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات
سورة الحجر مكية بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد وهي تسع وتسعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب
هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا
يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال
المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف و
بتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي
لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة
كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم
لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة
وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك
والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل يشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط
الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا
من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية
والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة
الحال ادخل عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا
به النبي عم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظيره ذلك قول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي
ان الله نزل عليك الذكر اي القرآن لوما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع

لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا
انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت
من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء المسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا
الا تنزلا ملتبسا بالحق بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصور
تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم
من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب
لهم وجزاء الشرط محذوف مقدر او جواب ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف
والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي
تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل وقيل الضمير في له
للنبي ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة
على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
كما يفعله هؤلاء وهو تسلية للنبي والحال لا يدخلها ما الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا قريبا
منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين السلك ادخال
الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى
يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا
الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له
وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجع ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من المفعول لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى
وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك
من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشككهم
في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف
او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك
كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها
بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وحكمة
صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف
في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه

سرا شبه

سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال
من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السماوات فلما ولد
عيسى منعوا من ثلث السماوات فلما ولد محمد منعوا كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل
المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق فاتبعه
ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب
والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا
ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر بمقدار
معين تقتضيه الحكمة او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له
وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم
والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش
او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا
كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة
بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان
المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد
في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ
في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم
حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات على بعض
الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب
ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على
تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين
قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون
والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض
الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد
له من سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت
بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن
الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تأخر لا يخفى علينا شيء
من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته
دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت

وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم
لئلا ينظروا اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت. وان ربك هو يحشرهم لا محالة
للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير
الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته
وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة
متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء. ولقد خلقنا الانسان من صلصال
طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل
من حمأ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن
من حمأ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر
المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كان افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه
من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا
ويسمى سنينا. والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر
من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس
باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان
من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام
البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب
فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما للدلالة على كمال قدرة الله وبيان
بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو
قبول المواد للجمع والاحياء. واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ
مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي
حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر
ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية
فيسري حاملها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا
واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء. فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر
من وقع يقع. فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع
التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة
وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا. الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل
قوله ابى ان يكون مع الساجدين به اي ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا
على انه جواب سائل قال هلا سجد. قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في
ان لا تكون مع الساجدين لآدم. قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح
مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني. خلقته من صلصال

من حمأ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار
النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف. قال فاخرج منها من السماء
او الجنة او زمر الملائكة. فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته. وان عليك اللعنة
هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف
ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر
ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه
يعذب فيه بما ينسي اللعن معه فيصير كالزائل. قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة
بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم. الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغواء
ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني. قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى
عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف
الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك
ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه
المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة
والاذلال. قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم
في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار
الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم
او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط
له على اغواء بني آدم بان الله علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك
لا يخفى على ذوي الالباب. ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية. الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله. قال هذا
صراط علي مستقيم حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء
وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول
الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف. ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم
المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له
فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الا استثناء منقطعا

وعلى الاول لابد فيه من قيد وهو شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثنائين • وان جهنم لموعدهم • لموعد الغاوين او المتبعين • اجمعين تأكيد
للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى
الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل • لها سبعة ابواب • يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات
ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق • لكل باب منهم • من الاتباع
جزء مقسوم • افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر
جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان
الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها • ان المتقين • من اتباعه في الكفر والفواحش
فان غيرها مكفرة • في جنات وعيون • لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون
والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين • ادخلوها • على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض وكذا بكسر التنوين • بسلام • سالمين
او مسلما عليكم • آمنين • من الآفة والزوال • ونزعنا • في الدنيا بما الف بين قلوبهم
او في الجنة بتطييب نفوسهم • ما في صدورهم من غل • من حقد كان في الدنيا وعن علي
رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب • اخوانا • حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في
آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله • على سرر متقابلين •
ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون
متقابلين حالا من المستقر في على سرر • لا يمسهم فيها نصب • استئناف او حال بعد حال
او حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين • فان تمام النعمة بالخلود • نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم • وان عذابي هو العذاب الاليم • فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد
وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب بأسرها كبيرها
وصغيرها وفي توصيف ذاته تعالى بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد و
تأكيده وفي عطف • ونبئهم عن ضيف ابراهيم • على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به •
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما • اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما • قال انا منكم وجلون •
خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره • قالوا لا توجل • وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا
تواجل من واجله بمعنى اوجله • انا نبشرك • استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان

حفص

الغفران

المبشر

المبشر لا عاذ منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر • بغلام • هو اسحق لقوله فبشرناه باسحق
عليم • اذا بلغ • قال ابشرتموني على ان مسني الكبر • تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار
لان يبشر به في مثل هذه الحال وكذا قوله • فبم تبشرون • اي فبأي اعجوبة تبشرونني او فبأي
شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء • وقرأ ابن
كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها
مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية
على الياء • قالوا بشرناك بالحق • بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة
هي حق وهو قول الله وامره • فلا تكن من القانطين • من الآيسين منه فانه تعالى قادر
على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم
باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال • ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون •
المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح • قال فما خطبكم ايها المرسلون • اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى
البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج
الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كان تمام المقصود لابتدؤوا بها • قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين • يعني قوم لوط • الا آل لوط • ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم
مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين يعني قوم لوط او آل لوط كان
متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله • انا
لمنجوهم اجمعين • اي مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط
جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله • الا امرأته • استثناء من آل لوط
او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم
اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا • قدرنا انها لمن الغابرين • الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا ها هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق
من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان
التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه
الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص • فلما جاء آل لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون • تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر • بل جئناك بما
كانوا فيه يمترون • اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك
وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه • واتيناك بالحق • باليقين من عذابهم • وانا
لصادقون • فيما اخبرناك به • فاسر باهلك • فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير • بقطع من الليل • في طائفة من الليل

وقيل في اخره قال افتحي الباب وانظري ما للنجوم كم علينا من قطع ليل بهيم•
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم• ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا
ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا
نفوسهم على المهاجرة• وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو
الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع
وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى• ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم
له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى
منهم احد• مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع
وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء• وجاء اهل
المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم• قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه•
واتقوا الله في ركوب الفاحشة• ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان
او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء• قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم
احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم• قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم
فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود• ان كنتم فاعلين
قضاء الوطر او ما اقول لكم• لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي عم وقيل لوط عم
قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم لايثار
الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم• انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة
غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي يشار به اليهم
يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض
فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل• مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس• فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم•
سافلها فصارت منقلبة بهم• وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين
عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود• ان في ذلك
لايات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته• وانها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها• ان في ذلك
لاية للمؤمنين بالله ورسله• وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا
يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة
الملتفة• فانتقمنا منهم بالاهلاك• وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة
ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الاخر• لبامام مبين

بطريق

لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به
ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
كانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين
المدينة والشام يسكنونها• واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يعني ايات
الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة
وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم• فاخذتهم الصيحة
مصبحين• فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال
والعدد• وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء
وازاحة فسادهم من الارض• وان الساعة لاتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل
هو منسوخ باية السيف• ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك
وامرهم• العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي
خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي
هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير• ولقد اتيناك سبعا
من المثاني سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل
يونس او الحواميم وقيل سبع صحائف وهي الاسباع• من المثاني بيان للسبع
والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او
قصصه ومواعظه او مثني عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله
من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها
فتكون من للتبعيض• والقران العظيم ان اريد بالسبع الايات والسور فمن عطف
عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الاخر• لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب• الى ما متعنا به
ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب
بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر من اوتي القران فراى
ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه
عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا
لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه
القوافل السبع• ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا• وقيل انهم المتمتعون به• واخفض جناحك
للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم• وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان

وبرهان ان عذابا لله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين
اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر
او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف
يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين
حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او
قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا
ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله عليه السلام وقوله لا تمدن
الى آخره اعتراضا ممدا لها عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا
جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله عليه السلام العاضهة
والمستعضهة وعن عكرمة العضه السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول
بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون
من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي
فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع
محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد
بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء
النبي عليه السلام والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا
في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود
بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون
عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن
في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد
يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين
من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك
اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا
تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول

من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون
ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود
بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم
فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون
بالياء على تلون الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما
نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم امسكوا عن بعض ما تعملون فلما تأخرت قالوا
ما نرى شيئا فنزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه
ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم
في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم
الرسول ما تحقق ما توعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم
به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل
وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره
على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت
بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او
خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا فاتقون رجوع الى مخاطبتهم
بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول
او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة
من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه
على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو
اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل
وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه
على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق
السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة
قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه
اليها ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان
من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو
خصيم مبين منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي
العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد
اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم
وانتصابها باضمار يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان
ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع
نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها

تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش
وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه. ولكم فيها
جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون
تخرجونها بالغداة إلى المراعي فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين
الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع
ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون وصف له بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه. وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن
ولم تخلق فضلا من أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع
والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب. إن ربكم لرؤوف رحيم حيث
رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم. والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام
لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوا
وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولأن المقصود من خلقها
الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن يكون
علة لتركبوها أو مصدرا في موضع الحال من أحد الضميرين أي متزينين أو متزينا
بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد
غالبا أن لا يقصد منه غيره أصلا ويدل عليه أن الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين
على أن الحمر الأهلية حرمت عام خيبر. ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي
يحتاج إليها غالبا احتياجا ضروريا أو غير ضروري أجمل غيرها ويجوز أن يكون
إخبارا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به وأن يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر
على قلب بشر. وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل إلى الحق أو إقامة
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أو عليه قصد السبيل يصل إليه من يسلكه لا محالة يقال
سبيل قصد وقاصد أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف إليه القصد وقال ومنها جائر حائد عن
طريق القصد أو عن الله وتغيير الأسلوب لأنه ليس بحق على الله أن يبين طرق الضلالة
أو لأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل إلى القصد والجائر إنما جاء بالعرض
وقرئ ومنكم جائر أي عن القصد. ولو شاء لهداكم أجمعين أي ولو شاء هدايتكم
أجمعين لهداكم إلى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء. هو الذي أنزل من السماء
من السحاب أو من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة أنزل أو خبر
شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه
العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فأسكناه في الأرض ومنه شجر
ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الأرض شجر

قال

قال نعلفها اللحم إذا عز الشجر والخيل في إطعامها اللحم ضرر. فيه تسيمون ترعون مواشيكم
من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي
علامات. ينبت لكم به الزرع وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم. والزيتون
والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها إذ لم ينبت في الأرض كل ما يمكن
من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لأنه سيصير غذاء حيوانيا هو
أشرف الأغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالأجناس الثلاثة وترتيبها
إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فإن من تأمل أن الحبة تقع
على الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق
أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار
ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع
السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس
عن منازعة الأضداد والأنداد ولعل فصل الآية به لذلك. وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم بأن هيأها لمنافعكم مسخرات بأمره حال من الجميع أي نفعكم
بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره
أو لحكمه وفيه إيذان بالجواب عما عسى أن يقال إن المؤثر في تكوين النبات حركات
الكواكب وأوضاعها فإن ذلك إن سلم فلا ريب في أنها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور
والتسلسل أو مصدر ميمي جمع لاختلاف الأنواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على
الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا إن في
ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لأنها تدل أنواعا من الدلالة الظاهرة
لذوي العقول السليمة غير محوجة إلى استيفاء فكر كأحوال النبات. وما ذرأ لكم
في الأرض عطف على الليل أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا ألوانه
أصنافه فإنها تتخالف باللون غالبا إن في ذلك لآية لقوم يذكرون إن اختلافها
في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم. وهو الذي سخر البحر
جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص. لتأكلوا منه لحما
طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيسارع
إلى أكله ولإظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك
والثوري على أن من حلف أن لا يأكل لحما حنث بأكل السمك وأجيب عنه بأن
مبنى الأيمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الإطلاق ألا ترى أن الله سمى الكافر
دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه. وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
كاللؤلؤ والمرجان أي تلبسها نساؤكم فأسند إليهم لأنهن من جملتهم ولأنهن
يتزين بها لأجلهم. وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها
من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك. ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه

بركوبها للتجارة • لعلكم تشكرون أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه
بتعقيبه بالشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث إنه جعل المهالك سببا للانتفاع
وتحصيل المعاش • وألقى في الأرض رواسي جبالا رواسي • أن تميد بكم كراهة
أن تميد بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة
بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب
للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو
المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال • وأنهارا
وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معناه • وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم أو
إلى معرفة الله • وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو
ذلك • وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه
قراءة النجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي
ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في
مسايرهم بالنجوم وإخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير
للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم • أفمن يخلق كمن لا يخلق إنكار بعد إقامة الدلائل
المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لأن يساويه
ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على إيجاد شيء ما وكان حق الكلام
أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على أنهم بالإشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه أولو العلم
منهم أو الأصنام وأجروها مجرى أولي العلم لأنهم سموها آلهة ومن حق الإله أن يعلم
أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل إن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي
العلم فكيف بما لا علم عنده • أفلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فإنه لجلائه كالحاصل
للعقل الذي يحضر عنده بأدنى تذكر والتفات • وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا
عددها فضلا أن تطيقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده
باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ما عدد نعما لا تنحصر وأن حق عبادته غير مقدور
إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها • رحيم لا يقطعها لتفريطكم
فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها • والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم
وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم • والذين تدعون من دون الله
أي والآلهة الذين يعبدهم الكفار من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء
لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج
أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال وهم يخلقون لأنها
ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله ينبغي أن يكون واجب الوجود • أموات هم

أموات

أموات لا يعتريها الحياة أو أموات حالا أو مآلا • غير أحياء بالذات ليتناول كل معبود
والإله ينبغي أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات • وما يشعرون أيان يبعثون ولا يعلمون
وقت بعثهم أحياء أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله ينبغي
أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف
إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج • فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم
بالآخرة فإن المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها
يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم ما لا يعرف إلا بالبرهان اتباعا للأسلاف وركونا إلى
المألوف فإنه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات إلى قوله
والأول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين • لا جرم حقا • أن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لأنه مصدر أو فعل • إنه لا يحب
المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع رسوله • وإذا قيل لهم ماذا
أنزل ربكم القائل بعضهم على التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون • قالوا أساطير الأولين
أي ما تدعون نزوله أو المنزل أساطير الأولين وإنما سموه منزلا على التهكم أو على الفرض
أي على تقدير أنه منزل فهو أساطير الأولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة • أي قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم
كاملة فإن إضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال • ومن أوزار الذين يضلونهم وبعض
أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب • بغير علم حال من المفعول أي يضلون من
لا يعلم أنهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم أن يبحثوا
ويميزوا بين المحق والمبطل • ألا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم • قد مكر الذين
من قبلهم أي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله • فأتى الله بنيانهم من القواعد
فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن ضعضعت
فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم • وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح
ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه
فهلكوا • ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم ويعذبهم بالنار لقوله ربنا إنك من تدخل
النار فقد أخزيته • ويقول أين شركائي أضاف إلى نفسه استهزاء أو حكاية لإضافتهم
زيادة في توبيخهم • الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع
بكسر النون بمعنى تشاقونني فإن مشاقة المؤمنين كمشاقة الله • قال الذين أوتوا العلم
أي الأنبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم إلى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم
أو الملائكة • إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفائدة قولهم إظهار الشماتة بهم و
زيادة الإهانة وحكايته لأن يكون لطفا لمن سمعه • الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ
حمزة بالياء وقرئ بإدغام التاء في التاء وموضع الموصول الأوجه الثلاثة •

ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا
الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فيجيبهم الملائكة
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر
الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز
الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا
واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف
بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا يعنى المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا
وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال معترفين بالانزال
على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر
النبي عم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له
ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافأة في الدنيا ولدار الآخرة
خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز
ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار
المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة كذلك يجزى الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول
الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم
لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي
وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم
الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء او يأتى امر ربك القيمة او العذاب
المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما
اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل
الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا
حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم
من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدوره

عنهم

عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده
تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا
رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر
في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه
انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية
في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء
الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم
يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على
تحقق الضلال وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح
به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدى
من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين
لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت
على فساده ولقد رد الله عليهم ابلغ رد بلى يبعثهم الله وعدا مصدر مؤكد
لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف
في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما
لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامر فقال ليبين
لهم اى يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا
انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى
من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب
ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره
ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل
فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده
ونصب ابن عامر والكسائى فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلعم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم
الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله
عليه الصلوة والسلام وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل
وقوله في الله اى في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة

او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا
من المهاجرين عطاء خذ بارك لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة
افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير
الدنيا والاخرة لوافقوهم اي للمهاجرين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا
في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن
ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه
الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون
رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على
السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب وعلماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل
على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا
فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي انه عم رأى جبرائيل عم على صورته التي هو عليها مرتين و
وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات
والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا
زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او
الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على
ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه
موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا
عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا
رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم
في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في
انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب
ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
او لم يروا الى خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع

فما بالهم

فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها
يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي
تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤا بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها
اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع
الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله
وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام
سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع
الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله
من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله
فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء
وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانب الشرقي لان الكواكب تظهر
منه آخذة في الارتفاع والطلوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظل
في اول النهار يبتدئ من الشرق واقعا على الربع الغربي من الارض وعند الزوال يبتدئ
من المغرب واقعا على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي
ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض من دابة بيان لهما لان الدبيب هو
الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبرئيل
على الملائكة للتعظيم او عطف المجرد على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح
مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما
او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله
حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر
لقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير
لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه
دليل ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه وايماء
بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان
المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي
فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا
ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه

وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء
دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما انه لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شىء اتصل بكم من نعمة فهو
من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم
الضر فاليه تجئرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم يشركون بعبادة
غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق
وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار
كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا
للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد
والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون
الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على
ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا
مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها الهة حقيقة
بالتقرب لها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون
ان الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى البنين
ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى
الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشىء واحد لكنه لا يبعد
تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام
النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام و
التشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة التى ولدتها يتوارى من القوم يستخفى
منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه
على هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ
بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية للموت
واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل
الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم
ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة
من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم

اولعذابهم

[illegible]

او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا
كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف
بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى
كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار
من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى
وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء اذا قدمته ومكسورا
من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم
فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها
او هو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم
يغرهم ويغويهم وان يقدر مضافا اى فهو ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا
للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين
والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد
يبسها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة
دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
ووحده هنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده
سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق
من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء الماكولة
المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد
يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها
هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها
فتجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل

[illegible]

فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية
البيض فيصير لبنا ومن تدبر بدائع صنع الله في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى
الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية
ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء
وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا
صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق
مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات
النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها
وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيد
او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى
الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت
سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ
وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع
من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ
الى النحل بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء
معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل يذكر ويؤنث من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا
في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في
الذي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل
او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال
من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به
يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن
زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار
وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون
بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل

فيه شفا

فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما
يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم
وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن
او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل
العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو
خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب
النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت
الى هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال
يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم
بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعله في ايديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة
لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية
ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون
حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه
من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن
الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله
جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها وليكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق
حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو
المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم
من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج
منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر
والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل
الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة
او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض
شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه وان جعلته

ان يتملكوا او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد
في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي لا يستطيعون هم مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد • فلا تضربوا لله الامثال • فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه
عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال انهم اسبقكم فما تقولون عليه من القياس على
عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون • وانتم لا تعلمون
ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه
فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال
ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
هل يستوون • مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي
رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية
بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي
اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة
للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك
والاظهر ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوي
الاحرار والعبيد • الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها •
بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها • وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم • ولد اخرس لا يفهم ولا يُفهم • لا يقدر على شيء • من الصنائع والتدابير لنقصان عقله
وهو كل على مولاه • عيال وثقل على من يلي امره • اينما يوجهه • حيثما يرسله مولاه •
في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا
وتوجه بلفظ الماضي • لا يأت بخير • بنجح وكفاية مهم • هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل • ومن هو
منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل • وهو
على صراط مستقيم • وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي
وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه
وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر • ولله غيب السموات والارض •
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس
وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السماوات والارض • وما امر الساعة • وما امر
قيام القيامة في سرعته وسهولته • الا كلمح البصر • الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى
اسفلها • او هو اقرب • او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن
الذي يبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن او
للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي
يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه • ان الله على كل شيء قدير فيقدر

ان يحيي الخلائق

ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال • والله
اخرجكم من بطون امهاتكم • وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها
وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق • لا تعلمون شيئا • جهالا
مستصحبين جهل الجمادية • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • ادوات تتعلمون بها
فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات
بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم
الكسبية بالنظر فيها • لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه
الم يروا الى الطير • قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة
مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له • في جو السماء •
في الهواء المتباعد من الارض • ما يمسكهن • فيه • الا الله • فان ثقل جسدها يقتضي
سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها • ان في ذلك • تسخير الطير للطيران
بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها
في الهواء على خلاف طبعها • لآيات لقوم يؤمنون • لانهم هم المنتفعون بها • والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا • موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر
والمدر فعل بمعنى مفعول • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • هي القباب المتخذة من الادم
ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها
يصدق عليها انها من جلودها • تستخفونها • تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها
يوم ظعنكم • وقت ترحالكم • ويوم اقامتكم • وقت الحضر والنزول
وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة • ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها
اثاثا • ما يلبس ويفرش • ومتاعا • ما يتجر به • الى حين • الى مدة من الزمان فانها لصلابتها
تبقى مدة مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم • والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبل والابنية وغيرها • ظلالا • تتقون بها حر الشمس • وجعل لكم من الجبال
اكنانا • مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن • وجعل لكم سرابيل
ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها • تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفاء باحد
الضدين او لان وقايته هو كانت اهم عندهم • وسرابيل تقيكم بأسكم • يعني الدروع
والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس • كذلك • كاتمام هذه النعم التي تقدمت • يتم نعمته
عليكم لعلكم تسلمون • اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون
بفتح اللام من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون
من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا • فان اعرضوا ولم يقبلوا
منك • فانما عليك البلاغ المبين • فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة
السبب مقام المسبب • يعرفون نعمة الله • ثم ينكرونها • بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم
انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد

آتيته على ذكا لا مرهوقاته
ازا وافقته ولا وقته
والحاقه قول
والتمه

عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل
او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل
كما في قوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد
لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل
في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون لا هم يسترضون من العتبى
وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا
قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون
يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله
الاصنام به ح او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من
ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب
المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء
على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء
من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع
وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل والاحسان
بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب
المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة
والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو
بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو
تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية
كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادرة

بتوسط

بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القران
للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الآية لصدق
عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله
ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم
تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله على الاسلام لقوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم
وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان
بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى
المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا
طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه
بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية
فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا
او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي
ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون
امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم اذا رأوا شوكة في
اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون
امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله
وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل
الضمير للربو وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا
جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على
الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء بالتوفيق ولتسألن
عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي
عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم اي عن محجة الاسلام بعد ثبوتها
عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام
كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء
او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا
عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي

ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق وهو دليل على ان
نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او مشاق
التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين
دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع
عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت
القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله المؤمنين والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين
هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة
في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يصير مصلحة الآن فيثبته
مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله
تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ
الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون
حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرئيل
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس
بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل
من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا
الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا
وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل

جبرا ويسارا

جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول يمر عليهما
ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل
سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة
اليه ماخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء لسان اعجمي غير بين
وهذا وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان
لابطال طعنهم وتقريره يحتمل الوجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو
ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب انه يعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمي
وهذا عربي والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة
التي في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة
فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية
لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على
غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله
الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم
بالقران بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب
الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم واولئك اشارة الى الذين
كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
لان تكذيب ايات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب
لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر
بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون
من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر
لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل
على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا
فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله
يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر
عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي
ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال
انت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم

فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة
واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له. ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد
بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم اثروها عليها. وان الله لا يهدي القوم
الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ. اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه. واولئك
هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى
العذاب المخلد. ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية
والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما عذبوا
المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا. ثم جاهدوا وصبروا
على الجهاد وما اصابهم من المشاق. ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور
لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد. يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم
او باذكر. تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول
نفسي نفسي. وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت. وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم.
وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة
فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة. كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف. يأتيها
رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها. فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة
على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع
والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء وقد ينظر الى المستعار
كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني
ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار
بما كانوا يصنعون بصنيعهم. ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا والضمير لاهل مكة
عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم. فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال
التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر. فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا. امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم
بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته. انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل الله لهم عدد عليهم محرماته
ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال

ولا تقولوا

ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة
بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية
وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف
على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا
حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن
حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح
الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب. لتفتروا على
الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض. ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري
يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله. متاع قليل اي ما يفترون
لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب. ولهم عذاب اليم في الآخرة. وعلى الذين
هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر. من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا. وما ظلمناهم بالتحريم. ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم
وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة. ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله وغيره. ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها. من بعد التوبة. لغفور لذلك
السوء. رحيم يثيب على الانابة. ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد
توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو
رئيس الموحدين وقدوة المحققين جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقبه بذكر تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما
احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون
بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما. قانتا مطيعا لله قائما باوامره. حنيفا مائلا
عن الباطل. ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة. اجتباه
للنبوة. وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله. وآتيناه في الدنيا حسنة بان حبب
الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا
في السعة والطاعة. وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني
بالصالحين. ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم

ملته ولتراخي ايامه أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق
وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين
اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت
وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا
فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد
المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او مجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت
اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح
للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة
فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة
من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك
بل الله يعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
لما امره بالدعوة وبين له طرقها اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل
مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك
الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عم لما
راى حمزة فقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر
عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا
بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير
للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه
بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن
عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر
من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق هنا وفي النمل بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق
تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي عم
من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال

قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره
وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب
على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه قال بينا
انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق
او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى
لما روي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته
وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به
قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان
قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعت
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها
واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا
يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر
مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه
ام بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات
حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا
وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن
في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان
يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل
الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا
كقولك كتبت اليك ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا
تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء
ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا
فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه
خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم
في انجاء اباءهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا كان عبدا شكورا

بحمد الله على مجامع حالاته وتنبيها بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث
للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام. وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا
اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف
او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام
التورية وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ولتعلن علوا
كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما
بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل
جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش
في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار
وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا
المساجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي
الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن
بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان
سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر
نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب
الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان
وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة
الآخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة
فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء وجوهكم
على التوحيد والضمير فيه للوعد او للبعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الثلاثة على انه
جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف وهو بعثناهم كما دخلوه
اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا
وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف
اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي
فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم
ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ. عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة
اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد وقصد قتله فعاد الله
بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا

وجعلنا

وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل
بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او للطريقة التي هي
اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله
عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه
بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله
لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر
فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء
استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا الليل والنهار
آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية
الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد
الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره
فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان
القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل
والنهار ذوي آيتين ومحونا آية الليل التي هي القمر حيث جعلناها مظلمة في نفسها مطموسة
النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعلنا آية النهار التي هي الشمس مبصرة
جعلناها ذات شعاع يبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في
بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما
او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين
والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره
عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون
بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد
في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد
تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر
ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ ويخرج اي الله يلقاه منشورا
لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ
ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم

عليك حسيبا اي كفى نفسك اليوم مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب
كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما
يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع وإذا
اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا
وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها
بالطاعة على لسان رسول بعثنا اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج
عن الطاعة والتمرد في العصيان فدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم
بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على
انه مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال
امرت الشيء وآمرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة
اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن
ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من أمُر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابق
بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح
كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها فيعاقب
عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل احد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد
الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن
غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا
مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان
بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية
والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك
الجامعون للشرائط الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله اي مقبولا عنده مثابا
عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين
بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه

هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان
عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد
فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء
اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان
من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا
بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا
وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا
يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى
عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني
على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير
منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل
عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله عليه السلام من قتل ابيه وهو في
صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر
قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل وتواضع
لهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت
بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله
واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود
والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت
منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما
وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله عليه السلام
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان

ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تستثقل شكواهما او تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم
من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر
لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين
للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه جنايته اذا
اوتيا لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم
وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى
اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي عم انه قال لسعد وهو يتوضا
ما هذا السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان
الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم
لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم
وان اعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله
ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرا له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح
لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة لتسببه رحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور
من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل
اغناكم الله رزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما
او منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله اذ اتاه
صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت
قل له تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا
واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك
من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم
ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما
العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا
تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط ولا يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن

ان امي به

لهم ارزاقهم

لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه
من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرا
ابن عامر برواية ابن ذكوان خطئا وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وقرا ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطا
وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطا في قوله تخاطاه القنا حتى وجبة وخطوه من نفع
الكاية راسب وهو سبب عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه انه كان
فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب
على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا
ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو
الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل
فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف
اي القاتل في القتل بان يقتل من لم يقتل فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرا حمزة والكسائي
فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير
اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان
الله نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا
بايجاب القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف
الذي يدل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله عليه من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤلا عنه
يسئل الناكث ويعاتب عليه او يسئل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب
قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا
تبخسوه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك
في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف
والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن
تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف
من قاف اثره اذا قفاه وقيل القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما
بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا

الدنيا م

بيت فاذا النفو قافة لان ما نعوا البيت
وسكت النبل الشهورة ما لقافة
لانهم يعقون اثار اقدام
الناس
كلهم
الكوزنة بسكون
الراء وفتحها
الا الا لطلا

ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعنى المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذكر اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء

وفيما بعد

وفيما بعد على الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر وفي قوله الثانية على ان الاول مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين والثانى مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعاداة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد وتعاطى الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده او بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه

فيها فتورا وخبطوا كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد. وقالوا ائذا
كنا عظاما ورفاتا. حطاما. ائنا لمبعوثون خلقا جديدا. على الانكار والاستبعاد
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة. والعامل في اذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال. قل كونوا
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم. اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة
لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول
الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشيء اقبل
لما عهد فيه مما لم يعهد. فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة. وكنتم ترابا وما هو
ابعد منه من الحياة. فسينغضون اليك رءوسهم. فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء. ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا. فان كل ما هو ات قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون
في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر. يوم يدعوكم فتستجيبون اي
يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما
وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء. بحمده. حال منهم اي حامدين لله على كمال
قدرته كما قيل انهم ينفضون عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين
لبعثه انقياد الحامدين عليه. وتظنون ان لبثتم الا قليلا. وتستقصرون مدة لبثكم
في القبور كالذي مر على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول. وقل لعبادي
يعني المؤمنين. يقولوا التي هي احسن. الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم. يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي الى العناد
وازدياد الفساد. ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا. ظاهر العداوة.
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم. تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض
اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر
مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله. وما ارسلناك عليهم وكيلا. موكولا اليك
امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله ص فنزلت
وقيل شتم عمر رجل منهم فامره الله بالعفو. وربك اعلم بمن في السموات والارض. باحوالهم
فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب
نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه. ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض. بالفضائل
النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود
فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله ص
فقوله وءاتينا داود زبورا. تنبيه على تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم
المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا
وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر
كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس وعباس والفضل وفضل او

لان المراد

لان المراد وءاتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول ص. قل ادعوا
الذين زعمتم انها الهة من دونه. كالملائكة والمسيح وعزير. فلا يملكون
كشف الضر عنكم. كالمرض والفقر والقحط. ولا تحويلا. ولا تحويله الى غيركم
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة. هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة
ايهم اقرب. بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب
ويرجون رحمته ويخافون عذابه. كسائر العباد فكيف يزعمون انهم الهة. ان عذاب ربك
كان محذورا. حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة. وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيامة. بالموت والاستئصال. او معذبوها عذابا شديدا. بالقتل وانواع
البلية. كان ذلك في الكتاب. في اللوح المحفوظ. مسطورا. مكتوبا. وما منعنا ان نرسل
بالايات. وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحها قريش. الا ان كذب بها الاولون.
الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها
تكذيب اولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال
وءاتينا ثمود الناقة. بسؤالهم. مبصرة. بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح. فظلموا بها. فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها. وما نرسل بالايات
اي بالايات المقترحة. الا تخويفا. من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير
المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى
يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف. واذ قلنا لك. واذكر
اذ اوحينا اليك. ان ربك احاط بالناس. فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه. وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك. ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه
في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية
الا ان يقال رءاها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رءاها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم. والشجرة الملعونة في القران. عطف على الرؤيا وهي شجرة
الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى
الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها
في القران لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم
فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا
وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف

والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا
طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوزا الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا
من الراجع إلى الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه
على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة
صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي
لئن أخرتن إلى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته
إلا قليلا أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم
من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك
يتسهل له إما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا
من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه
وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا
من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر بإضمار فعله أو بما في جزاؤكم
من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم
أن تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك إلى الفساد وأجلب عليهم وصح عليهم
من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك بأعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة
ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز
أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من أماكنهم وأجلب
عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس
وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها
وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل إلى الولد
بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل على الأديان الزائغة والحرف
الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة
الآباء وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض لبيان مواعيده
والغرور تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب إن عبادي يعني المخلصين وتعظيم الإضافة
والتقييد في قوله إلا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم
قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي
هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وأنواع الأمتعة التي لا تكون
عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه
وإذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه إلا إياه أو ضل

كل من تعبدونه

كل من تعبدونه عن إغاثتكم إلا الله فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي
فأعرض في المكارم واستطالا وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض
أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم
فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق قادر أن يهلككم في البر
بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم
حال أو صلة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي
ذكر الجانب تنبيه على أنهم كما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وأن الجوانب والجهات
في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب
أي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فإنه لا راد لفعله أم أمنتم
أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركبوه
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته أي كسرته فيغرقكم وعن
يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم بسبب إشراككم أو كفرانكم نعمة الإنجاء
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم
بحسن الصورة والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام
بالنطق والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض
والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى
ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس
وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا الإنسان فإنه يرفعه إليه بيديه وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما
حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما
يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء
أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس
عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد أول الكثير بالكل وفيه تعسف
يوم ندعو نصب بإضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى
ويدعو على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى أو على أن الواو علامة الجمع كما في قوله
وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فإنها ليست إلا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل أناس بإمامهم بمن
ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التي قدموها فيقال
يا صاحب كتاب كذا أي تنقطع علقة الأنساب وتبقى نسبة الأعمال وقيل بالقوى
الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بأمهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة في ذلك
إجلال عيسى وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا فمن أوتي
من المدعوين كتابه بيمينه أي كتاب عمله فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون

ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء وجمع اسم الإشارة والضمير
لأن من أوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بإتيان الكتاب باليمين يدل على أن من يؤتى
كتابه بشماله إذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع أن قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى أيضا مشعر بذلك
فإن الأعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده
كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان
الآلة والمهلة وقيل لأن الاهتداء بعد لا ينفعه والأعمى مستعار من فاقد الحاسة
وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالأجهل والأبله ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب
فإن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم المتوسطة كما في أعمالكم بخلاف النعت
فإن ألفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للإمالة من حيث إنها تصير ياء
في التثنية وقد أمالهما حمزة والكسائي وأبو بكر وإن كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف
قالوا لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر
ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا
باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم فعلت فقل إن الله
أمرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك
وإن هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى أن الشأن قاربوا بمبالغتهم أن
يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي أوحينا إليك من الأحكام لتفتري علينا
غيره غير ما أوحينا إليك وإذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك
وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا إياك لقد كدت تركن إليهم
شيئا قليلا لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم والمعنى أنك كنت على صدد الركون
إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون
فضلا أن تركن إليهم وهو صريح في أنه ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل
على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه إذا لأذقناك أي لو قاربت لأذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعفا مما نعذب به في الدارين بمثل
هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت
كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب
الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وإن
كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الأرض أرض مكة
ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا قليلا
إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت
في اليهود حسدوا مقام رسول الله بالمدينة فقالوا الشام مقام الأنبياء فإن كنت
نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم

[illegible]

بني قريظة

قريظة وأجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا بإذا على أنه معطوف على جملة
قوله وإن كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فإن إذا لا تعمل إذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد أرسلنا
قبلك من رسلنا نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة أخرجوا
رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله وإضافتها إلى الرسل لأنها سنت لأجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا تغييرا أقم الصلاة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه
قوله عليه السلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها
وأصل التركيب للانتقال ومنه الدلك لأن الناظر إليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها
واللام للتأقيت مثلها في لثلاث خلون إلى غسق الليل إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء
وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لأنه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل
به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر
بالقراءة في صلاة الفجر دل الأمر بإقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا إن
قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده
الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس إن فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها
إن فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل
بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على أن الوقت يمتد إلى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة
لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة
والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال هو المقام الذي أشفع فيه
لأمتي ولإشعاره بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف بإضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى يبعثك ذا مقام
وقل رب أدخلني أي في القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا وأخرجني أي منه عند البعث
مخرج صدق إخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل
إدخاله مكة ظاهرا عليها وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالما
وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤديا حقه وقيل إدخاله في كل
ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل
دخولا وأخرجني فأخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني
على من خالفني أو ملكا ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل
وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج إن الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت

[illegible]

عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت
بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى
القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد
فرمى به فكسره. وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم و
استصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض
والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف
ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به. واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان
هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض. واذا مسه الشر من مرض او فقر كان
يؤسا شديد اليأس من روح الله. قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة
والعادة والدين. ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره
قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل
كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل
مما استأثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبريل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه. وما اوتيتم
من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بالعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر
موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا
انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال
به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير. ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى
موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا
بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا
استرداده مسطورا محفوظا. الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز

ان يكون

ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة بتنزيله. ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه
في حفظه. قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق
وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم
لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة
لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان
الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا. ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة
زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو
كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا
وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي. وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز
القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض
ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء
اذا زخر. او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك
بستان يشتمل على ذلك. او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد
سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم
وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو
اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن. او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى
المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله
فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة. او يكون لك بيت من زخرف من ذهب
وقد قرئ به واصله الزينة. او ترقى في السماء في معارجها. ولن نؤمن لرقيك وحده
حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك. قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة. هل كنت الا بشرا كسائر
الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها
على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا. وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي
وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا
الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان

ابعث الله بشرا رسولا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم
مطمئنين ساكنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به
والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط
بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول اليكم
باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة
والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم
على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا
عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالحق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف
الى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت
جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود
ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا
على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم
من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السماوات والارض قادر على ان يخلق
مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا
كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه
وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق
لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره
بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله وكرمه هذا
وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة
والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار
الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنين
ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي عليه السلام عنها
فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله

الا بالحق

الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا
تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل
اليهودي يديه ورجليه فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام
فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال دينهم ويؤيده
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال
على طريقة القراءة او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات
ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد
والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب
وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على انه استئناف
فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون
وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السماوات
والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك
يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك
او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى
يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه
مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون او اغراقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحياة او الساعة
او الدار الآخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم و
نميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل
اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل
عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا
محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره
وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا
التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل
فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف
عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا
العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين

قرءوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل
آمنوا او نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه
قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن
يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب
ببعثة محمد عليه السلام على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر
فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض
من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا
كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون
رسول الله عم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها
آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات
الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو
اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى
الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما
صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان
اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة
على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك حملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها
حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا
فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد
علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله عم
ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها
وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها
بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد
بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في العبادة
والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واحدى عشرة آية

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على
انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد و
الداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج
باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى جناب الحق والعوج بالكسر
في المعاني كالعوج بالفتح في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا
تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على
الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير
في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان
المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ
قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول
اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده
وقرا ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر
النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم
ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل
مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به
فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموا لما جوزوا
نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت
مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد
يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول
ادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من
افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان
كبر بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن
فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتاسف عليهم او
متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان
والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو
من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله عم
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض [illegible] كصعيد الملس
لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة

اشارة الى كونه الخير كاملا في ذاته
وقوله قيما الى كونه مكملا لغيره لان القيم
عبارة عن العالم بمصالح الغير

قال ... والمعنى ... [illegible]

كانوا من آياتنا عجباً • وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع
الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم
ردها إليها ليست بعجيبة مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل
والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس
بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف همّد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم
وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم
السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة
لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل
في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم
مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخاً ضعيفاً
لا أعرفه وقال إن لي عندك حقاً وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعاً اللهم إن كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فيّ
فضل وأصابت الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفاً فقلت والله ما هو دون
نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثاً ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي واغيثي عيالك فأتت
وسلمت إلي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت أخاف الله فقلت لها
خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن فعلته لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان همّان وكانت لي غنم وكنت
أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فأتيت أهلي
فأخذت محلبي وحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت
جالساً ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا
ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير • إذ أوى الفتية إلى الكهف • يعني فتية من أشراف
الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف • فقالوا ربنا آتنا من لدنك
رحمة • توجب لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو • وهيئ لنا من أمرنا • من الأمر الذي نحن
عليه من مفارقة الكفار • رشداً • نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشداً
كقولك رأيت منك أسداً وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء • فضربنا على آذانهم • أي
ضربنا عليهم حجاباً يمنع السماع يعني أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول
كما حذف في قولهم بنى على امرأته • في الكهف سنين • ظرفان لضربنا • عدداً • أي ذوات عدد
ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى • ثم بعثناهم
أيقظناهم • لنعلم • ليتعلق علمنا تعلقاً حالياً مطابقاً لتعلقه أولاً تعلقاً استقبالياً • أي الحزبين
المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم • أحصى لما لبثوا أمداً • ضبط أمداً لزمان لبثهم و
أي متضمن معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره • وهو فعل ماض وأمداً
مفعوله ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمداً
تمييز وقيل اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس

من ابن المذلق

من ابن المذلق • وأمداً نصب بفعل دل عليه كقوله وأضرب منا بالسيوف القوانسا
نحن نقص عليك نبأهم بالحق • بالصدق • إنهم فتية • شبان جمع فتى كصبية وصبي • آمنوا
بربهم وزدناهم هدى • بالتثبيت • وربطنا على قلوبهم • وقويناها بالصبر على هجر الوطن
والأهل والمال والجراءة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار • إذ قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً •
والله لقد قلنا قولاً ذا شطط أي بعد عن الحق مفرط في الظلم • هؤلاء قومنا • مبتدأ وقومنا
عطف بيان • اتخذوا من دونه آلهة • خبره وهو إخبار في معنى إنكار • لولا يأتون • هلا يأتون
عليهم • على عبادتهم • بسلطان بيّن • ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ
إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز
فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً • بنسبة الشريك إليه • وإذ اعتزلتموهم • خطاب بعضهم
لبعض • وما يعبدون إلا الله • عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم
إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون
ما مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية
على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم
فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم • يبسط لكم ويوسع عليكم • من رحمته • في الدارين ويهيئ
لكم من أمركم مرفقاً • ما ترتفقون به أي تنتفعون به وجزمهم بذلك لخلوص يقينهم وقوة
وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقاً بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء
شاذاً كالمرجع والمحيض فإن قياسه الفتح • وترى الشمس • لو رأيتهم والخطاب لرسول الله
أو لكل أحد • إذا طلعت تزاور عن كهفهم • تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم
لأن الكهف كان جنوبياً أو لأن الله تعالى زورها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء في الزاي
وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلاهما من الزور
بمعنى الميل • ذات اليمين • جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين • وإذا غربت تقرضهم
تقطعهم وتصرم عنهم • ذات الشمال • يعني يمين الكهف وشماله • وهم في فجوة منه • أي وهم
في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر
الشمس وذلك لأن باب الكهف في مقابلة بنات النعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته
مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة
لجانبه الأيمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه
ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي أجسامهم ويبلي ثيابهم • ذلك
من آيات الله • أي شأنهم وإيواؤهم إلى كهف كذلك وإخبارك قصتهم أو ازورار الشمس
وقرضها طالعة وغاربة من آياته • من يهد الله • بالتوفيق • فهو المهتد • الذي أصاب الفلاح
والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه
الله للتأمل فيها والاستبصار بها • ومن يضلل • فلن تجد له ولياً مرشداً •
من يليه ويرشده • وتحسبهم أيقاظاً • لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم • وهم رقود •

وتقلبهم في رقودهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها
من ابدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر
منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم
فطردوه فانطقه الله فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع
مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف
وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ بضم الواو
لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك بما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم و
انفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى
من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا
فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر
والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية على
كمال قدرتنا كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم
وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله ويستبصروا به امر البعث ويشكروا
ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء على غالب ظنهم
لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز
ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة
وانتبهوا ظهيرة فظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى
طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه
اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل
وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء
الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس
فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا
بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في ملتهم او يصيروكم
اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا
اذا ابدا ان دخلتم في ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد
بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود
الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان

لا ريب في اتيانها

لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت
ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا ابدانها الى ان يحشر ابدانها فيردها اليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان
بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون
ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال
آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم
اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض
اما من الله ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من
المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
فلم يتحقق لهم ذلك روي ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم
دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه
القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك
نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك
في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل
اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون
في قصتهم في عهد الرسول من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم
ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى
نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم
وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا
به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبرائيل وايماء الله
اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب
وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم
ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما
قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها
لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه
بها امر ثابت وعن علي هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا
هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم فلا تجادل
في شأن الفتية الا مراء ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم

والرد عليهم ﴿ولا تستفت فيهم منهم احدا﴾ ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد
فان فيما اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح
المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ﴿ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله﴾ نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح
وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما
حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت
ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء
اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهي ﴿واذكر
ربك﴾ مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله ﴿اذا نسيت﴾
اذا فرط منك نسيان لذلك ثم ذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك
جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار
ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك
به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك
بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه
اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك
المنسي ﴿وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا﴾ لاقرب رشدا وادل
على اني نبي من نبأ اصحاب الكهف ومن قد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد
عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا
تسعا﴾ يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمل قبله وقيل انه
حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال
بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيها جبر لما حذف
من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضفها ابدل السنين من ثلاث ﴿قل الله
اعلم بما لبثوا له غيب السماوات والارض﴾ له ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلها فلا خلق
يخفى عليه علما ﴿ابصر به واسمع﴾ ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج
عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف ولا كثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة
عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية
ومعدية ان كانت للصيرورة ﴿ما لهم﴾ الضمير لاهل السماوات والارض ﴿من دونه من ولي﴾

من ولي

من يتولى امورهم ﴿ولا يشرك في حكمه احدا﴾ في قضائه ولا احدا منهم ولا يجعل له فيه
مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما
دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال ﴿واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك﴾
من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا احد يقدر
على تبديلها وتغييرها غيره ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ ملجأ تعدل اليه ان هممت به ﴿واصبر
نفسك﴾ واحبسها وثبتها ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في مجامع اوقاتهم
او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام
فيه على تأويل التنكير ﴿يريدون وجهه﴾ رضاء الله وطاعته ﴿ولا تعد عيناك عنهم﴾
اي ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمنه معنى نبا وعلا وقرئ ولا
تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين
ويعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ حال
من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ﴿ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾
من جعلنا قلبه غافلا ﴿عن ذكرنا﴾ كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك
لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه
كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل
اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه
بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا
بقوله ﴿واتبع هواه﴾ وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على
حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة ﴿وكان امره فرطا﴾ تقدما على الحق ونبذا له
وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط ﴿وقل الحق من ربكم﴾ الحق ما يكون
من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا ﴿فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال
العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته ﴿انا اعتدنا للظالمين نارا
احاط بهم سرادقها﴾ فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي
تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار ﴿وان يستغيثوا﴾ من العطش
﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
﴿يشوي الوجوه﴾ اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او
الضمير في الكاف ﴿بئس الشراب﴾ المهل ﴿وساءت النار مرتفقا﴾ متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار
﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا﴾ خبر ان الاولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم من احسن عملا

غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم
اي اكتفوا بالسيف ما كان عتاب ... جعل الداهية مكان العتاب الذي يجري بين الاحبة

في فوقكم الحلي بدا او واقع موقعه لظهور ان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن علم الجنة
اطلاقه عليه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة اساور وتنكيرها
لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا
خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج
وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين
متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال
رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه
يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا
وصرفها المؤمن في وجوه الخيرات وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان
من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن هو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة
بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين
حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا
ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق
كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى
اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار
يتم في عام وينقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل و
يزيد بهما بهاء وقرئ بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى
الجنتين من ثمر ماله اذا كثر فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار
اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم
الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة
لان المراد ما هو جنته وهو ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول
يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان
تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا
منها من جنته وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها
فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله
واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي

ابن عبد المنذر

خلقك

خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره
بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه
اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي
ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذف الهمزة بنقل الحركة او بدونه وتلاقت النونان
فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة
او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدل وربي خبر والجملة خبر انا والرابط
من الياء كانه قال انا كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا
اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء
الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا
بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله وقلت لا قوة
الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها بمعونته
واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا
للمفعول الاول وقد قرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله
وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا
من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير
بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها
لاستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر
وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر تردادا في طلبه واحيط بثمره واهلك
امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط
به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا
عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق
فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم
فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر
موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او
الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده

ولا يقدر على نصره غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك
السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار
وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ حمزة والكسائي الحق بالرفع صفة
للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ
عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذكر لهم ما يشبه الحياة
الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى
روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكنه لما كان كل من المختلطين
موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية
المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره
الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
قادرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه
عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج
فيها ما فسرت من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدا وخير
املا لان صاحبها ينال به في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال
واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند
ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة
بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر
او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون
الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا
تركه ومنه الغدير لترك الماء فيه والغدر لترك الوفاء وقرئ بالياء وعرضوا
على ربك صفا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا
مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا
في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا
فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز

الوعد

الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى
ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية
عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون
يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجب من شأنه
لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها
ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه
ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصودة بيانها في تلك المحال وههنا
لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور
بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم
اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من
انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا
مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه
قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه وذريته اعقيب ما وجد منه
تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني
فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا
من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق انفسهم نفي
احضار ابليس وذريته خلق السماوات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على
نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي
اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس ولا تلتفت الى قولهم
طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من
قرأ وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا
بالاتباع وعضدا جمع عاضد كخدم من خادم من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكافر
وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم
من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم
بين الكفار والهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها
هلاك كقول عمر لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق

ويوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا
اي بينا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان
اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع
الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران
ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب
او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون
قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا
لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقُبلا وقَبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او
العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين
كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف
ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم
وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوها
واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب
هزوا استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه
بالقران فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر
والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده
للمعنى وفي اذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تعليلا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء
وجواب للرسول على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه
وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله بل لهم
موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا يقال وال اذا
نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ
خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف في احدهما
ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا
لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم
وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيص واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه

ولذلك

ولذلك سماه فتى وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو
السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون
واصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه
من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم
مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام فان موسى
كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمِع بكسر الميم على الشذوذ من
يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ
المجمع او مضي الحقب وحتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل
ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر
خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا
الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر
وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا
ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك
اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت
الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف
اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله
ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت
المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء
عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالطلبة
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل
امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال
منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به
لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسارا
الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره
ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارأيت اذ اوينا ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة
يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت
فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره
الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل
الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها
عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب

شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد
من نقصان • واتخذ سبيله في البحر عجبا • سبيلا عجبا وكونه كالسرب او اتخاذا عجبا
والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى
في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا
قال ذلك • اي امر الحوت • ما كنا نبغ • نطلب لانه امارة المطلوب • فارتدا على آثارهما •
فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه • قصصا • يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما
اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة • فوجدا عبدا من عبادنا • الجمهور على انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس • آتيناه رحمة من عندنا • هو الوحي والنبوة •
وعلمناه من لدنا علما • مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب • قال له
موسى هل اتبعك على ان تعلمن • على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف •
مما علمت رشدا • علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت العائد محذوف وكلاهما
منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا
باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في
ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من الدين وفروعه
لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن
ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم ما انعم الله عليه • قال انك
لن تستطيع معي صبرا • نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كانها مما
لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا •
اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وباطنها لم يحط به خبرك
وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره • قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك
غير منكر عليك • ولا اعصي لك امرا • عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او
على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة
الفساد والصبر على خلافه في العناد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال
العباد بمشيئة الله تعالى • قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء • فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته • حتى احدث لك منه ذكرا • حتى ابتدئ لك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة • فانطلقا • على الساحل يطلبان
السفينة • حتى اذا ركبا في السفينة خرقها • اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها • قال اخرقتها لتغرق اهلها • فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق
اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل
لقد جئت شيئا امرا • اتيت امرا عظيما • من امر الامر اذا عظم • قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا • تذكير لما ذكره قبل • قال لا تؤاخذني بما نسيت • بالذي نسيته او بشيء نسيته

يعني وصيته

يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض
النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه • ولا ترهقني من امري
عسرا • ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك
وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين
فانطلقا • اي بعدما خرجا من السفينة • حتى اذا لقيا غلاما فقتله • قيل فتل عنقه وقيل
ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير تردد
واستكشاف حال ولذلك قال • اقتلت نفسا زكية بغير نفس • اي طاهرة من الذنوب وقرأ
ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي
لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت
صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فتقاد
بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل
خرقها جزاء واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء
لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله
بقوله • لقد جئت شيئا نكرا • وقرأ نافع في رواية قالون وابن عامر ويعقوب وابو بكر
نكرا بضمتين • قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا • زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض
الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير
اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة • قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني •
وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك • قد بلغت من لدني عذرا
قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني
بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي •
وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد • فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية • قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية
استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما • وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا
نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض
اذا مال • فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض • يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة
للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء
بني عقيل • وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان • وانقض انفعل
من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض كاحمر
ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا • فاقامه
بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه • قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا • تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي

كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغالا بما لا يعنيهما لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رضه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما يتعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه

سبعة آباء

سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين والهاء لذي القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في الماء والطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره

بعده

واستمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يرد الى ربه
فيعذبه عذابا نكرا منكرا لم يعهد مثله. واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء
الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله
المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز
وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه
المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شانك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله
اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما
نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع
ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء
وكذا لكما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه من معمورة
الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم
لا تمسك الابنية وانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين
كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير
والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي
على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه
من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة
ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين
بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال
في منقطع ارض الترك من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح
لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة
لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا
يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين
من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك
وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع
واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون في الارض
اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
لهم شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه فهل نجعل لك خرجا جعلا
نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض

لمن

الابنية

والذمة

والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا
وقد ضمه من ضم السد غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا
من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني
على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم
وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع
آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني
بكسر التنوين موصولة الالف على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوف حذفها في امرتك
الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى
بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين
وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة
انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين اولى
نحو معموله واحدا لحاذ ولو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ
حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين
وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه
اي يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل
حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى
ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط
والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة
من ربي على عبادي فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام
الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر
بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض
مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ
للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي
ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي
لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت

والبنيان له

جاء له

سماعهم بالكلية • أفحسب الذين كفروا • أفظنوا والاستفهام للإنكار • أن يتخذوا عبادي • اتخاذهم الملائكة والمسيح • من دوني أولياء • معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم في النجاة وأن بما في حيزه مرتفع بأنه فاعل حسب فإن النعت إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل أو خبر له • إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا • ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه • قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا • نصب على التمييز وجمع لأنه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم • الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا • ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فإنهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فإنه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم • وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا • لعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق • أولئك الذين كفروا بآيات ربهم • بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة • ولقائه • بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه • فحبطت أعمالهم • بكفرهم فلا يثابون عليها • فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا • فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها • ذلك • أي الأمر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم • جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر • بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا • أي بسبب ذلك • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل • خالدين فيها • حال مقدرة • لا يبغون عنها حولا • تحولا إذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم إليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود • قل لو كان البحر مدادا • ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج • لكلمات ربي • لكلمات علمه وحكمته • لنفد البحر • لنفد جنس البحر بأسره لأن كل جسم متناه • قبل أن تنفد كلمات ربي • فإنها غير متناهية لا تنفد كعلمه • ولو جئنا بمثله • بمثل البحر الموجود • مددا • زيادة ومعونة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الأبعاد والمتناهي ينفد قبل أن ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها أن اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما أوتيتم من العلم إلا قليلا • قل إنما أنا بشر مثلكم • لا أدعي الإحاطة على كلماته • يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد • وإنما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • يؤمل حسن لقائه • فليعمل عملا صالحا • يرتضيه الله • ولا يشرك بعبادة ربه أحدا • بأن يرائيه أو يطلب منه أجرا روي أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله فإذا اطلع عليه أحد سرني فقال إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم إلى آخره كان له نورا في مضجعه يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء

سورة مريم مكية وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص • أمال أبو عمرو الهاء لأن ألفات أسماء التهجي ياءات وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وأبو بكر كليهما • ذكر رحمة ربك • خبر ما قبله إن أول بالسورة أو القرآن فإنه مشتمل عليه أو خبر محذوف أي هذا المتلو ذكر رحمة ربك أو مبتدأ حذف خبره أي فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الأمر • عبده • مفعول الرحمة أو الذكر على أن الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني جود زيد • زكريا • بدل منه أو عطف بيان له • إذ نادى ربه نداء خفيا • لأن الإخفاء والجهر عند الله سيان والإخفاء أشد إخباتا وأكثر إخلاصا أو لئلا يلام على طلب الولد في إبان الكبر والشيخوخة أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون • قال رب إني وهن العظم مني • تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لأنه دعامة البدن وأصل بنائه ولأنه أصلب ما فيه فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وتوحيده لأن المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث • واشتعل الرأس شيبا • شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا إيضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الإضافة للدلالة على أن علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد • ولم أكن بدعائك رب شقيا • بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على أن المدعو وإن لم يكن معتادا فإجابته معتادة وأنه تعالى عوده بالإجابة وأطمعه فيها ومن حق الكريم أن لا يخيب من أطمعه • وإني خفت الموالي • يعني بني عمه وكانوا أشرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته على أمته ويبدلوا عليهم دينهم • من ورائي • بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو يتعلق بمحذوف أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت فعل الموالي من ورائي أو الذين يلون الأمر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن إقامة الدين بعدي أو خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت • وكانت امرأتي عاقرا • لا تلد • فهب لي من لدنك • فإن مثله لا يرجى إلا من فضلك وكمال قدرتك فإني وامرأتي لا نصلح للولادة • وليا • من صلبي • يرثني ويرث من آل يعقوب • صفتان له وجزمهما أبو عمرو والكسائي على أنهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فإن الأنبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فإنه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام وقيل يعقوب كان أخا زكريا أو عمران بن ماثان من نسل

سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين او وريث بالتصغير
لصغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه
جرد عنه المذكور اولا مع انه المراد • واجعله رب رضيا • ترضاه قولا وعملا •
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى • جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته
له تشريفا له • لم نجعل له من قبل سميا • لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة
تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم
والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي به رحم
امه او لان دين الله حيي بدعوته • قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا • جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة
والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان
المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال • اي الله تعالى او الملك
المبلغ للبشارة تصديقا له • كذلك • الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال
في • قال ربك • وذلك اشارة الى مبهم يفسره • هو علي هين • ويؤيد الاول قراءة من قرأ
وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو
علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف •
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا • بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم
ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك • قال رب اجعل لي اية • علامة اعلم بها
وقوع ما بشرتني به • قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا • سوي الخلق ما بك خرس
ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس
والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن • فخرج على قومه من المحراب • من المصلى او من الغرفة • فاوحى
اليهم • فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض • ان سبحوا • صلوا او نزهوا
ربكم • بكرة وعشيا • طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان
يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة • يا يحيى • على تقدير القول • خذ الكتاب
التورية • بقوة • بجد واستظهار بالتوفيق • واتيناه الحكم صبيا • يعني الحكمة وفهم التورية
وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه • وحنانا من لدنا • ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم • وزكوة • وطهارة من الذنوب او صدقة
اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس • وكان تقيا • مطيعا
متجنبا عن المعاصي • وبرا بوالديه • وبارا بهما • ولم يكن جبارا عصيا • عاقا او عاصيا
ربه • وسلام عليه من الله • يوم ولد • من ان يناله الشيطان بما ينال به بني ادم • ويوم يموت •
من عذاب القبر • ويوم يبعث حيا • من عذاب النار وهول القيمة • واذكر في الكتاب
مريم • يعني قصتها • اذ انتبذت • اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما

واحد

واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمني
اي لان لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة • من اهلها مكانا شرقيا • شرقي بيت المقدس
او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول به لان انتبذت
متضمن معنى اتت • فاتخذت من دونهم حجابا • سترا • فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها
بشرا سويا • قيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول
من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينما هي في مغتسلها اتاها جبريل
متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها • قالت اني اعوذ بالرحمن منك • من غاية عفافها • ان كنت تقيا • تتقي الله
وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ
بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني
اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك • قال انما انا رسول ربك • الذي استعذت به • لاهب
لك غلاما • لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله سبحانه ويؤيده
قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب بالياء • زكيا • طاهرا من الذنوب او
ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح • قالت انى يكون لي غلام ولم
يمسسني بشر • ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا فانما
يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله • ولم اك بغيا • عليه وهو فعول
من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء
او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق • قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله • اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله
اية وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات • اية للناس • علامة لهم وبرهانا
على كمال قدرتنا • ورحمة منا • على العباد يهتدون بارشاده • وكان امرا مقضيا • تعلق
به قضاء الله في الازل او قدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ول
يفعل لكونه اية ورحمة • فحملته • بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكان مدة
حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل
ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت
حيضتين • فانتبذت به • فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم و
الترابا • والجار والمجرور في موضع الحال • مكانا قصيا • بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار • فاجاءها المخاض • فالجأها المخاض وهو في الاصل منقول من جاء
لكنه خص به في الاستعمال كاتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة
اذا تحرك الولد في بطنها للخروج • الى جذع النخلة • لتستتر به وتعتمد عليه عند
الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة
وكان الوقت وقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها
وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياته ما تسكن روعتها

ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها • قالت يا ليتني مت قبل
هذا • استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وابو بكر
مُت من مات يموت • وكنت نسيا • ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح
لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه [illegible]
او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
منسيا • منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع • فناداها
من تحتها • عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وحفص من بالكسر والجر على ان في نادى ضميرا احدهما
وقيل الضمير في تحتها للنخلة • الا تحزني • اي بان لا تحزني • قد جعل ربك تحتك سريا •
جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى • وهزي اليك بجذع
النخلة • واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة به او هزي
الثمرة به والهز تحريك بجذب ودفع • تساقط عليك • تتساقط فادغمت التاء
الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت
بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط وتسقط والتاء للنخلة والياء للجذع •
رطبا جنيا • تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها ولا ثمر وكان
الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها راسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات
الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها
عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس
ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين • فكلي واشربي • اي
من الرطب وعصيره • وقري عينا • وطيبي نفسك وارفضي عنك ما احزنك وقرئ وقري
بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه
من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال
قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه • فاما ترين من البشر احدا • فان ترى آدميا وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين • فقولي اني نذرت للرحمن
صوما • صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم • فلن اكلم اليوم انسيا •
بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة
وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن
فاتت به • مع ولدها • قومها • راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس • تحمله • حاملة اياه
قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا • بديعا منكرا من فري الجلد اذا قطعه • يا اخت هارون •
يعنون هارون النبي عليه السلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله
وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او
لما راوا من صلاحها او شتموها به • ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا • تقرير
لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش • فاشارت اليه •

الى عيسى عليه السلام اي كلموه ليجيبكم • قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا • ولم نعهد
صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من
المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار • قال اني
عبد الله • انطقه الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته • اتاني
الكتاب • الانجيل • وجعلني نبيا • وجعلني مباركا • نفاعا معلم الخير والتعبير
بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل
اكمل الله عقله واستنباه طفلا • اينما كنت • حيث كنت • واوصاني وامرني
بالصلوة والزكوة • زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل • ما دمت
حيا • وبرا بوالدتي • وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر
وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة
بالكسر والجر عطفا على الصلوة • ولم يجعلني جبارا شقيا • عند الله من فرط تكبره
والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا • كما هو على يحيى
والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل
جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى • ذلك عيسى ابن مريم • اي
الذي تقدم نعته عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه
على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه
ثم عكس الحكم • قول الحق • خبر محذوف المبتدا اي هو قول الحق الذي لا ريب فيه
والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او
بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق بمعنى القول • الذي فيه يمترون • في امره يشكون
او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب • ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه • تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى
عما بهتوه • اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا
اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد باحبال الاناث
وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب • وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا
صراط مستقيم • سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصري بان
بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلوة • فاختلف الاحزاب من بينهم •
اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا
هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم • من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وارجلهم بالكفر والفسوق

أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وأمه • أسمع
بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم • يوم يأتوننا يومئذ جدير
بأن يتعجب منهما بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا أو التهديد بما سيسمعون ويبصرون
يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في موضع النصب • لكن الظالمون
اليوم في ضلال مبين • أوقع الظالمين موقع الضمير إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم
حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال بين
وأنذرهم يوم الحسرة • يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه
إذ قضي الأمر • فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وإذ بدل
من اليوم أو ظرف للحسرة • وهم في غفلة وهم لا يؤمنون • حال متعلقة بقوله
في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة للتعليل • إنا نحن نرث الأرض ومن عليها • لا يبقى لأحد
غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك
توفي الوارث لإرثه • وإلينا يرجعون • يردون للجزاء • واذكر في الكتاب إبراهيم إنه
كان صديقا • ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدقه من غيوب الله وآياته
وكتبه ورسله • نبيا • استنبأه الله • إذ قال لأبيه بدل من إبراهيم وما بينهما اعتراض أو
متعلق بكان أو بصديقا نبيا • يا أبت • التاء معوضة من ياء الإضافة
ولذلك لا يقال يا أبتي ويقال يا أبتا وإنما تذكر للاستعطاف ولذلك كررها • لم
تعبد ما لا يسمع ولا يبصر • فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك • ولا يغني
عنك شيئا • في جلب نفع أو دفع ضر دعاه إلى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه
أبلغ احتجاج وأرشقه برفق وحسن أدب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه
إلى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي
غاية التعظيم ولا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام وهو الخالق الرازق
المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل ينبغي أن يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل
القويم عن عبادته وإن كان أشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد
للقدرة الواجبة فكيف إذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه
إلى الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي
فقال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا • ولم يسم أباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون أعرف بالطريق
ثم ثبطه عما كان عليه بأنه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فإنه في الحقيقة عبادة
الشيطان من حيث إنه الآمر به فقال يا أبت لا تعبد الشيطان • واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه
بأن الشيطان مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا •

ومعلوم

ومعلوم أن المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم
ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر إليه فقال • يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا • قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك أو ثانيا في
موالاته فإنه أكبر من العذاب كما أن رضوان الله أكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب
إما للمجاملة أو لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته
لارتقاء همته في الربانية أو لأنه ملاكها أو لأنه من حيث إنه نتيجة معاداته
لآدم وذريته منبه عليها • قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم • قابل استعطافه ولطفه
في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني
وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب
كأنها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها أو الرغبة
عنها • لأرجمنك بلساني يعني الشتم والذم أو بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني • واهجرني
عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني • مليا • زمانا طويلا من الملاوة
أو مليا بالذهاب عني • قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة
أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي •
لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق
لما يوجب مغفرته وقد عرفت تقريره في سورة التوبة • إنه كان بي حفيا • بليغا في البر
والألطاف • وأعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني • وأدعو ربي
وأعبده وحده • عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا • خائبا ضائع السعي مثلكم
في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على
أن الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو غيب • فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام • وهبنا له إسحاق ويعقوب • بدل
من فارقهم من الكفرة قيل إنه لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة
وولدت له إسحاق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء
أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد • وكلا جعلنا نبيا • وكلا
منهما أو منهم • ووهبنا لهم من رحمتنا • النبوة والأموال والأولاد • وجعلنا لهم
لسان صدق عليا • يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل
لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته
إلى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم
لا تخفى على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل • واذكر في الكتاب
موسى إنه كان مخلصا • موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم
وجهه لله أو أخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على أن الله أخلصه
وكان رسولا نبيا • أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا
مع أنه أخص وأعلى • وناديناه من جانب الطور الأيمن من ناحيته اليمنى

وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة
وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد
الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
اخاه معاضدة اخيه ومؤازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه
كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال
منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه كان مشهورا به
والموصوف باشياء من هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول
لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو
اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك
بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم
وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس وهو
سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده
منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه
اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم
النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية
والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار
ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية
وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم
كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم
اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه
دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هدينا الى الحق
واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر
لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئنافا ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله
واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى
وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في
جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي بكيا
بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق
بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا

الشهوات

الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي
واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا
شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء
غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ
منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية في الكفرة فاولئك
يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل
ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر
وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل
من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على
خبر مبتدأ محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة
كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي
وعدها اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب
انه كان وعده الذي هو الجنة مأتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل
هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما
ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم
بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على ان معنى التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون
لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او
على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما
فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين
الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث
من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه
والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا
استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد
وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه رسول الله لما سئل
عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه
فيه فابطأ خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه
ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا
بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان
او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك
اي ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه

كما قالوا في قوله [illegible] واسمه [illegible] لم يعرف له علما اعلاما [illegible] والسو [illegible] على [illegible]

اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين
حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور
كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما
كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعد لهم من الثواب
عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو
خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول
مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل
على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي
باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك
للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى
الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اي اذا
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته
والاصطبار على مشاقه ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول
فيما بينهم وان لم يقله كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم
المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم
محمد انا نبعث بعد ما نموت أئذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة و
انتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي
هيهنا مخلصة للتاكيد مجردة عن الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض
فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة
على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف
مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه
انما نشأ منه فانه لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا
لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر
وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسم باسمه تعالى مضافا الى نبيه
تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين عطف او مفعول معه لما روي
ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه
في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا
جميعا معهم وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم
حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال
الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم

الى دار الثواب

الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او
لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم
عن القيام لما عراهم من الشدة على ان جثيا حال مقدرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص
جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن
عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى
يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم
فاعتاهم فيطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم
مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي
وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم
اشد او معلق عنها لننزع لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل
واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى
بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم
مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بالكسر وان منكم
وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه سئل
عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد
النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان
على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به
وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ
الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها
جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين
يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او
ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم
او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا
وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا

والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها
اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها
على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من
الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله • وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم احسن اثاثا ورئيا • وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر
قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع
البيت وقيل هو ما جد والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما رئي كالطحن
والخبز فعل من الرؤية وقرأ قالون وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او
على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر وريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا
من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام
وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في الآخرة بقوله • قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا • فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ
الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر • حتى اذا راوا
ما يوعدون • غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين
خير اي قالوا حتى اذا راوا ما يوعدون • اما العذاب واما الساعة • تفصيل للموعود
فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا
واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال • فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو
جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى • واضعف جندا • اي فئة وانصارا قابل به
احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم
واستظهارهم • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى • عطف على الشرطية المحكية بعد
القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان
يبين ان قصور حظ المؤمنين منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير
وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة
يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هدايته • والباقيات الصالحات • الطاعات
التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر • خير عند ربك ثوابا • عائدة مما متع به الكفرة
من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة
والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله • وخير مردا • والخير هاهنا اما لمجرد الزيادة او على
طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده • افرايت الذي كفر
باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا • نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال
فتقاضاه فقال له لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا

ولا حين

ولا حين بعثت قال فاني مبعوث قال نعم فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثمة مال وولد
فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الى الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار
والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ
حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب وقرئ
ولدا بالكسر • اطلع الغيب • اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا وتالى
عليه • ام اتخذ عند الرحمن عهدا • او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه
لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة
والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه • كلا • ردع وتنبيه
على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه • سنكتب ما يقول • سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة
قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم من
كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا يتاخر عن القول لقوله تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد • ونمد له من العذاب مدا • ونطول له من العذاب
ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله تعالى
ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه • ونرثه بموته • ما يقول • يعني المال
والولد • وياتينا يوم القيامة • فردا • لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا
فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه • واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا • ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى
وشفعاء عنده • كلا • ردع وانكار لتعززهم بها • سيكفرون بعبادتهم • ستجحد
الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر
الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين • ويكونون عليهم ضدا • يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد
العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان
توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره
قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا او على
قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن او على معنى كل هذا
الراي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون
بعبادتهم • الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين • بان سلطناهم عليهم او
قيضنا لهم قرناء • تؤزهم ازا • تهزهم وتغريهم على المعاصي بالتسويلات و
تحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي
وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة • فلا
تعجل عليهم • بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض

من فسادهم • انما نعد لهم • ايام آجالهم • عدا • والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه
لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة • يوم نحشر المتقين • نجمعهم
الى الرحمن • الى ربهم الذي غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة
شان ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين
لها والكافرين بها • وفدا • وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم • ونسوق المجرمين • كما تساق البهائم • الى جهنم وردا •
عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء • لا يملكون
الشفاعة • الضمير فيها للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم • الا
من اتخذ عند الرحمن عهدا • الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة
من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع
على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء
وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
يستعد به ان يشفع له بالاسلام • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • الضمير يحتمل الوجهين
لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم • لقد جئتم شيئا ادا • على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والاد بالفتح والكسر
العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي • تكاد السماوات
وقرا نافع والكسائي بالياء • يتفطرن منه • يتشققن مرة بعد اخرى وقرا
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا • تهد هدا اي مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو
تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة
لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله
بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا •
يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر
باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره
الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط بكل ما دعي
له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب
مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة
ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف
يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله • ان كل من في السموات والارض • اي ما منهم

الا آتي

الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ
آت الرحمن على الاصل • لقد احصاهم • حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة
علمه وقبضة قدرته • وعدهم عدا • عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل
شيء عنده بمقدار • وكلهم آتيه يوم القيمة فردا • منفردا عن الاتباع والانصار
فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به • ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا • سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
وعن النبي عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين
حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض
حسناتهم على رؤوس الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل • فانما يسرناه بلسانك •
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اي انزلناه
بلغتك • لتبشر به المتقين • الصائرين الى التقوى • وتنذر به قوما لدا • اشداء الخصومة
آخذين في كل لديد اي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر • وكم اهلكنا قبلهم
من قرن • تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم • هل تحس منهم من احد • هل تشعر
باحد منهم وتراهم • او تسمع لهم ركزا • وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي
واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا
وصدقه ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا في الدنيا

سورة طه مكية وهي بسم الله الرحمن الرحيم • مائة واربع وثلثون آية

طه • فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو
وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل
على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول عليه السلام بان يطا
الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طا فقلبت همزته الفا
او قلبت في يطا الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت
وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض
لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمة
وعبر عنهما باسمهما • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • خبر طه ان جعلته مبتدا على انه مؤول بالسورة
او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له
ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طائفة من الحروف
محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تاسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان
تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب

عك

وقيل اشقى مرد ابيض الوجه وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القران انزل عليك لتشقى به • الا تذكرة • لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القران او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القران اي ما انزلنا عليك القران المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة • لمن يخشى • لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به • تنزيلا • نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه • ممن خلق الارض والسموات العلى • مع ما بعده الى قوله الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدا بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانه اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال • الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى • ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى • اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيرها وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها • فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى • ومن في ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل عليه السلام والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر على المدح وقرئ بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها •

وهل اتيك

وهل اتيك حديث موسى • قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل • اذ رأى نارا • ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا • فقال لاهله امكثوا • اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيهما • اني آنست نارا • ابصرتها ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به • لعلي آتيكم منها بقبس • بشعلة من النار وقيل جمرة • او اجد على النار هدى • هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان قريب منه • فلما اتاها • اي النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء • نودي يا موسى اني انا ربك • فتحه ابن كثير وابو عمرو اي باني وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة • فاخلع نعليك • امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال • انك بالوادي المقدس • تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس المطهر او المبارك • طوى • عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرتين • وانا اخترتك • اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك • فاستمع لما يوحى • اي للذي يوحى اليك او للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين • انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني • بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل • واقم الصلوة لذكري • خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري • ان الساعة آتية • كائنة لا محالة • اكاد اخفيها • اريد

اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها
من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه
ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره. لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية
او باخفيها على المعنى الاخير. فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلاة
من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه عن ان ينصد عنها كقوله لا
ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم تعرض عنها
وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه. واتبع
هواه ميله الى اللذات الحسية المخدجة فقصر نظره عن غيرها. فتردى فتهلك
بالانصداد بصده. وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب.
بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك. يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس
والتنبيه. قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل. اتوكأ عليها اعتمد
عليها اذا عييت او وقفت على راس القطيع. واهش بها على غنمي واخبط الورق
على رؤوس غنمي وقرئ واهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته
وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها. ولي فيها مآرب
اخرى حاجات اخر مثل انه كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض
الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا
تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها
وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى
خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر
اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى فيها
لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس
العصا تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه. قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت
وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية
اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك
قال كانها جان. قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر
والشجر خاف وهرب منها. سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة
وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد
منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او بتقدير فعلها
اي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل
لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها. واضمم يدك
الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة

من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران. تخرج بيضاء كانها
شمعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة
لان الطباع تعافه وتنفر عنه. آية اخرى معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء
او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك. لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا
المضمر او بما دل عليه آية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة
آياتنا او مفعول لنريك ومن آياتنا حال منها. اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين
وادعه الى العبادة. انه طغى عصى وتكبر. قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
لما امره بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه
والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع
الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر
تاكيدا ومبالغة. واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ
وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها
فغضب فامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين
يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت
يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني
قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن
قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح
مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا
بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل
ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل. واجعل لي وزيرا من اهلي هارون
اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل
عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برايه ويلتجئ اليه في اموره
ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى الفاعل كالعشير
والجليس قلبت همزتها واوا كقلبها في موازر. ومفعولا اجعل وزيرا وهارون
قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا مفعولاه وهارون عطف
بيان للوزير او وزيرا من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي
على الوجوه بدل من هارون او مبتدأ خبره. اشدد به ازري واشركه في امري
على لفظ الامر وقراهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر. كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده.
انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون
نعم المعين لي فيما امرتني به والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا
قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اي مسؤولك يا موسى فعل بمعنى مفعول كالخبز
والاكل بمعنى المخبوز والماكول. ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك

في وقت آخر. إذ أوحينا إلى أمك بإلهام أو في منام أو على لسان نبي في وقتها أو ملك
لا على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم. ما يوحى ما لا يعلم إلا بالوحي أو مما ينبغي أن يوحى
ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به. أن اقذفيه في التابوت بأن اقذفيه
أو أي اقذفيه لأن الوحي بمعنى القول. فاقذفيه في اليم والقذف يقال للإلقاء
والوضع كقوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب كذلك الرمي كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا أي حصل الحسن فيه ووضعه. فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء
البحر إياه إلى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الإرادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز
مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والأولى أن تجعل الضمائر كلها لموسى
مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض. يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة
أو لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل إنها جعلت في التابوت
قطنا ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون
نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع آسية بنت
مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجها فأحبه حبا شديدا
كما قال. وألقيت عليك محبة مني أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث
لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي
أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو
شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهر
ثم أدى النهر إلى حيث البركة. ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك
وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة بإضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر وقرئ
ولتصنع بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري
إذ تمشي أختك ظرف لألقيت أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن المراد بها وقت
متسع. فتقول هل أدلكم على من يكفله وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت
أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم
فجاءت بأمه فقبل ثديها. فرجعناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك.
كي تقر عينها بلقائك. ولا تحزن هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها
وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله
خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين وفتناك
فتونا وابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال
لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد
وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله وما سبق ذكره. فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم

ليتعطف

عشر سنين

عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر. ثم جئت على قدر
قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار
من السن الذي يوحى فيه إلى الأنبياء. يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك. واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة
بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه. اذهب أنت وأخوك بآياتي بمعجزاتي. ولا تنيا
ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء للإتباع. في ذكري لا تنسياني
حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي لأن الذكر يطلق على تبليغ الرسالة
فإن الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة فإنه من أجلها وأعظمها
فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر. اذهبا إلى فرعون إنه طغى أمر به أولا
موسى وحده وههنا إياه وأخاه فلا تكرير قيل أن يلقى موسى وقيل سمع بمقبله
فاستقبله. فقولا له قولا لينا مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى
فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما
لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع عنه إلا بالموت وأن تبقى له
لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته. لعله يتذكر أو يخشى متعلق باذهبا
أو قولا أي باشرا الأمر على رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فإن الراجي
مجتهد والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه
بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر
فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى. قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل علينا
بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط إذا تقدم ومنه الفارط
الفرط يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من أفرطته إذا حملته
إذا حملته على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو خوف على الملك أو شيطان إنسي
أو جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الإفراط في الأذية. أو أن يطغى يزداد
طغيانا فيتخطى إلى أن يقول فيك ما لا ينبغي لجراءته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب
قال لا تخافا إنني معكما بالحفظ والنصرة. أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه
من قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز أن لا يقدر
شيء على معنى إنني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أطلقهم. ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل
ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الإتيان بذلك دليل على أن تخليص
المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة
قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة

وقال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقال السدي وعكرمة كنياه فقولا يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد [illegible]

وحد الآية وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة إلى وحدة
الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية أو لو جئتك بشيء مبين والسلام
على من اتبع الهدى يريد سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة في الدارين
لهم إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى أن عذاب المنزلين على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد في أول الأمر أهم
وأنجع وبالواقع أليق قال فمن ربكما يا موسى أي بعد ما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فإن المطيع إذا أمر بشيء فعله لا محالة وإنما خاطب الاثنين
وخص موسى تأكيدا لأنه الأصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه أو لأنه عرف
أن له رتة ولأخيه فصاحة فأراد أن يفحمه ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي
هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي أعطى كل شيء من الأنواع خلقه صورته
وشكله الذي يطابق كماله الممكن له أو أعطى خليقته كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون
فقدم المفعول الثاني لأنه المقصود بيانه وقيل أعطى كل حيوان نظيره في الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف إليه أو للمضاف على شذوذ
فيكون المفعول الثاني محذوفا أي أعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف
يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله اختيارا أو طبعا وهو جواب في غاية
البلاغة لاختصاره وإعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على أن
الغني القادر بالذات المنعم على الإطلاق هو الله تعالى وأن جميع ما عداه مفتقر إليه
منعم عليه في حد ذاته وصفاته وأفعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل
عليه فلم ير إلا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الأولى فما حالهم بعد موتهم
من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي أي إنه غيب لا يعلمه إلا الله وإنما أنا
عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون
تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث
لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على إحاطة
قدرة الله تعالى بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة
بأن ذلك يستدعي علمه بتفاصيلها وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي
مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى الجواب
أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذي جعل لكم
الأرض مهدا مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح وقرأ
الكوفيون هنا وفي الزخرف مهدا أي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي
به والباقون مهادا وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال و
الأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وأنزل
من السماء ماء مطرا فأخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على

لكلام الله

لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيذانا
بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر أن الله
أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والأرض
وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة أزواجا أصنافا سميت
بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان أو صفة لأزواجا
وكذلك شتى صفة للأزواج ويحتمل أن يكون صفة للنبات فإنه من حيث
إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى
أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم
فلذلك قال كلوا وارعوا أنعامكم وهو حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول
أي أخرجنا أصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالأكل
والعلف آذنين فيه إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية
عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فإن التراب أصل
خلقة أول آبائكم وأول مواد أبدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الأجزاء
ومنها نخرجكم تارة أخرى بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور
السابقة ورد الأرواح إليها ولقد أريناه آياتنا بصرناه إياها أو عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد بآياتنا آيات
معهودة وهي الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عم أراه آياته وعدد عليه
ما أوتي غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وأبى الإيمان والطاعة
لعتوه قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا أرض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل
وتحير ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فإن الساحر لا يقدر
أن يخرج ملكا مثله من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر فلنأتينك بسحر مثله
مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا أنت
فإن الإخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر
لا به فإنه موصوف أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف إليه وعلى هذا يكون
طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فإن يوم الزينة يدل
على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم أو بإضمار مثل مكان موعدكم
مكان يوم الزينة كما هو على الأول أو وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو
ظاهر في أن المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته إلينا وإليك
وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد كان لهم في كل
عام وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار
وأن يحشر الناس ضحى عطف على اليوم أو الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء
على خطاب فرعون وعلى أن الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به

يوم

السحرة وادواتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان
تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستاصلكم به وقرا حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة
الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه
فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة في امر موسى حين سمعوا كلامه
فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا
اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضونه به موسى وتشاوروا في السر
وقيل الضمير لفرعون وقومه قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى
كانهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة
بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشان
المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدا وخبر وفيهما
ان اللام لا يدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه
ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرا ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير
وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى
الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبهما واعلاء دينهما لقوله
اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا
ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه
لا يتخلف عنه واحد منكم وقرا ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا
ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور
الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة
وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين
وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب
بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او
الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم
واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى
وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفذوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرف تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجاة والجملة
ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم

وقرئ

وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه لجي وقسي
وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرا
ابن عامر برواية ابن ذكوان وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال
والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله تعالى
وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها
خوفا من مفاجاته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته
مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال
على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهم ولم يقل عصاك
تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما
لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا
فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذفت احدى
التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب
وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم
والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر بالرفع والنصب بتلقف على ان ما موصولة وقرئ بالنصب على انها
كافة وهو مفعول صنعوا وقرا حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية
الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما
وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا
الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقوله . يوم ترى النفوس ما اعدت
في سعي دنيا طالما قد مدت . وفي حديث عمر لا في امر دنيا ولا في امر آخرة
المراد تنكير الامر وكانه قيل ان ما صنعوا كيد [illegible]
حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق
عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم
سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا برب هرون وموسى
قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره
فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون
على الاستتباع روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له
اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرا قنبل وحفص آمنتم له
على الخبر والباقون على الاستفهام قبل ان آذن لكم في الايمان له انه
لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم
تواطاتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى
والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو

وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ
لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف • ولاصلبنكم في جذوع النخل • شبه تمكن المصلوب
بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب • ولتعلمن اينا • يريد
نفسه وموسى لقوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله
اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى
الذي امنوا به • اشد عذابا وابقى • وادوم عقابا • قالوا لن نؤثرك
لن نختارك • على ما جاءنا • موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما • من البينات
المعجزات الواضحات • والذي فطرنا • عطف على ما جاءنا او قسم • فاقض ما
انت قاض • ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به • انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والاخرة خير وابقى وهو
كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا كقولك
صيم يوم الجمعة • انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا • من الكفر والمعاصي •
وما اكرهتنا عليه من السحر • من معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى
نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره
فابى الا ان يعارضوه • والله خير وابقى • جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا • انه
من يأت ربه مجرما • بان يموت على كفره وعصيانه • فان له جهنم لا يموت
فيها • فيستريح • ولا يحيى • حيوة مهنأة • ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
في الدنيا • فاولئك لهم الدرجات العلى • المنازل الرفيعة • جنات عدن تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها • حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار
وذلك جزاء من تزكى • تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والايات الثلث يحتمل ان
يكون من كلام السحرة وان يكون ابتداء كلام من الله • ولقد اوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي • اي من مصر • فاضرب لهم طريقا في البحر • فاجعل لهم من قولهم ضرب
في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله • يبسا • يابسا مصدر وصف به
يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة
يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب
او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت •
حوالب غرزا ومعا جياعا • او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا
لا تخاف دركا • حال من المأمور اي امنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد
محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر • ولا تخشى • اي وانت لا تخشى
او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا • او حال بالواو
والمعنى ولا تخشى الغرق • فاتبعهم فرعون بجنوده • وذلك ان موسى خرج بهم اول
الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده
فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء

للتعدية

والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وساقهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم • الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اي
غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اي غطاهم
ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك
واضل فرعون قومه وما هدى • اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به
في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا • يا بني اسرائيل
خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في
عهد النبي بما فعل بابائهم • قد انجيناكم من عدوكم • فرعون وقومه • وواعدناكم
جانب الطور الايمن • لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة
اليهم وهي لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة • ونزلنا عليكم المن والسلوى •
يعني في التيه • كلوا من طيبات ما رزقناكم • لذائذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائي
انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن
بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب • ولا تطغوا فيه • فيما رزقناكم بالاخلال بشكره
والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق • فيحل عليكم
غضبي • فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه • ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى • فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل
ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل • واني لغفار لمن تاب • عن الشرك • وامن • بما يجب
الايمان به • وعمل صالحا ثم اهتدى • ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى • سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث
انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم
فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم • قال هم اولاء
على اثري • ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا
مسافة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا • وعجلت اليك رب لترضى • فان المسارعة
الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك • قال فانا قد فتنا قومك
من بعدك • ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع
هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا
واضلهم السامري • باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي واشدهم
ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين
ليلة وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل
وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الاية ما يدل عليه كان اخبارا
من الله تعالى عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون
في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها
السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا

من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا • فرجع موسى الى
قومه بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية • غضبان عليهم • اسفا • حزينا بما فعلوا •
قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا • بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور ولا وعد
احسن من ذلك واجمل حكي انها كانت الف سورة كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون
جملا • افطال عليكم العهد • اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم • ام اردتم ان يحل عليكم
يجب عليكم • غضب من ربكم • بعبادة ما هو مثل في الغباوة • فاخلفتم موعدي •
وعدكم اياي بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت
وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له • قالوا
ما اخلفنا موعدك بملكنا • بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري
لما اخلفنا • وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها
في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء • ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس
وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل
هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا
لانها اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن
ان ياخذ مال الحربي • فقذفناها • اي في النار • فكذلك القى السامري • اي ما كان
معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف
موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالراي ان نحفر
حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا • وقرا ابو عمرو و
حمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالتخفيف والفتح • فاخرج لهم عجلا
جسدا • من تلك الحلي المذابة • له خوار • صوت العجل • فقالوا • يعني السامري ومن
افتتن به اول ما رآه • هذا الهكم واله موسى فنسي • اي فنسيه موسى وذهب يطلبه
عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من اظهار الايمان • افلا يرون
الا يعلمون • ان لا يرجع اليهم قولا • انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم
جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا • ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم • ولقد قال لهم هرون
من قبل • من قبل رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع
من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم • يا قوم انما فتنتم به • بالعجل • وان ربكم الرحمن
لا غير • فاتبعوني واطيعوا امري • في الثبات على الدين • قالوا لن نبرح عليه • على العجل
وعبادته • عاكفين • مقيمين • حتى يرجع الينا موسى • وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول
قال يا هرون • اي قال له موسى لما رجع • ما منعك اذ رايتهم ضلوا • بعبادة العجل
الا تتبعن • ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني

ولا مزيدة

ولا مزيدة كما في قوله ما منعك الا تسجد • افعصيت امري • بالصلابة في الدين والمحاماة
عليه • قال يا ابن ام • خصها بالذكر استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام
والجمهور على انهما كانا من اب وام • لا تاخذ بلحيتي ولا براسي • اي بشعر راسي
قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عم حديدا خشنا
متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل • اني خشيت ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل • لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض • ولم ترقب قولي • حين
قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ
الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك • قال فما خطبك
يا سامري • اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما طلبك له وما الذي حملك
عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه • قال بصرت بما لم يبصروا به • وقرا حمزة
والكسائي بالتاء على الخطاب اي علمت بما لم تعلموا وفطنت ما لم تفطنوا له وهو
ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه • او رايت ما لم
تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحيوة فقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل • فقبضت قبضة من اثر الرسول • من تربة
موطئه والقبضة المرة من القبض واطلاقها على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد
والاول للاخذ بجميع الكف والثاني للاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم
والقضم والرسول جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبريل او اراد ان ينبه
على الوقت وهو ارسال الله اياه ليذهب به الى الطور • فنبذتها • في الحلي المذابة او
في جوف العجل حتى حيي • وكذلك سولت لي نفسي • زينته وحسنته لي • قال
فاذهب فان لك في الحيوة • عقوبة على ما فعلت • ان تقول لا مساس • خوفا
من ان يمسك احد فتاخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس وتحاموك وتكون طريدا
وحيدا كالوحشي النافر في البرية وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة
وان لك موعدا • في الاخرة • لن تخلفه • لن يخلفكه الله وينجزه لك في الاخرة بعدما
عاقبك في الدنيا وقرا ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد اياه
وستاتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون
من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله • وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا • ظلت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى
تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها • لنحرقنه • اي بالنار ويؤيده
قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة
لنحرقنه • ثم لننسفنه • لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين • في اليم نسفا
فلا يصادف منه شيء والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين
لمن له ادنى نظر • انما الهكم الله • المستحق لعبادتكم • الله الذي لا اله الا هو • اذ لا احد
يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة • وسع كل شيء علما • وسع علمه كل شيء

ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة
كاملا وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز
في المشهور لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار
مفعولا. كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى. نقص عليك من انباء
ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك
وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك. وقد آتيناك من لدنا
ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار.
والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس. من اعرض عنه عن الذكر
الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله. فانه يحمل يوم القيامة
وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على
المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما.
خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ.
وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى
احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى. يوم ينفخ
في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ
بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك
وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك. ونحشر المجرمين يومئذ
وقرئ ويحشر المجرمون. زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان
العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة
الاعمى تزرق. يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
والخفت خفض الصوت واخفاؤه. ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا يستقصرون مدة
لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد
وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر
لقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون الى آخر الآية. نحن اعلم بما يقولون وهو
مدة لبثهم. اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا. ان لبثتم الا يوما استرجاح
لقول من يكون اشد تقالا منهم. ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل
من ثقيف. فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها.
فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة. قاعا خاليا. صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف
واحد. لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالمقاييس
الهندسية وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس

ولذلك

ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى
استيناف مبين للحالين. يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف
ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة. يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو
اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه. لا عوج له
لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته. وخشعت
الاصوات للرحمن خضعت لمهابته. فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت
اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر. يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا
من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية من الشفاعة
بتقدير مضاف وعلى الثاني اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن وعلى الثاني
منصوب على المفعولية. واذن يحتمل ان يكون من الاذن والاذن. ورضي له قولا اي
ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او
قوله لاجله وفي شأنه. يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم
وما بعدهم مما يستقبلونه. ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته
وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك
ولا تفصيل ما علموا منه. وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع
العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز
ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب
من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم. ومن
يعمل من الصالحات بعض الطاعات. وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات. فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما
ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم ولم يهضم حقه. وكذلك
عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة
للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة. وصرفنا فيه من الوعيد
مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او يحدث
لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة
اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن. فتعالى الله في ذاته وصفاته
عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم. الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده. الحق
في ملكوتيته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته. ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل و
مساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد
وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه. وقل رب زدني علما

أي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما أوحي اليك تناله لا محالة. ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه. يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه
وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على
قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم
راسخ في النسيان. من قبل من قبل هذا الزمان. فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل
عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز عن الشجرة. ولم نجد له عزما. تصميم رأي وثبات
على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره. ولعل
ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها. وعن
النبي عم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى
ولم نجد له عزما وقيل ولم نجد له عزما على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمده ونجد
ان كان من الوجود العلمي فله وعزما مفعولاه وان كان من الوجود
المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد. واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي
العزم والثبات. فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه. أبى جملة مستأنفة لبيان ما منعه
من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا
لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة. فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما. فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب
الشيطان الى اخراجهما. من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما
في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل
او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله
ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له
في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن
مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر
نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه
من حيث انه حرف عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع
دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك بكسر الهمزة والباقون بفتحها
فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته. قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه
وملك لا يبلى. لا يزول ولا يضعف. فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة. اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين
وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد
باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي
من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر

ذلته

ذلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها. ثم اجتباه ربه اصطفاه
وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع. فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات
على التوبة والتشبث باسباب العصمة. قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحواء
او له ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم
لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال
حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله. فاما يأتينكم مني هدى
كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة
ضنكا. ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى
كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا
على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى
قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة
والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات
وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر. ونحشره وقرئ بسكون الهاء
على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط. يوم القيامة اعمى
البصر او القلب ويؤيد الاول. قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا. وقد امالهما
حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل
الوقف فهو جدير بالتغيير. قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتتك
آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك
ومثل تركك اياها. اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب. وكذلك نجزي من اسرف
بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات. ولم يؤمن بآيات ربه. بل كذبها وخالفها
ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اي وللنار بعد ذلك. اشد
وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى
محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها. أفلم يهد لهم مسند الى الله او
الرسول او ما دل عليه. كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة
بمضمونها والفعل على الاول معلق يجري مجرى علم ويدل عليه القراءة بالنون.
يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم. ان في ذلك لآيات لاولي النهى
لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي. ولولا كلمة سبقت من ربك وهي
العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة. لكان لزاما. لكان مثل ما نزل بعاد
وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به اللازم
لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم. واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا العدة
بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او يوم بدر لكان

العذاب لزاماً والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب في مجيئه على المتكبر في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له • فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك • وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامداً له على ما ميزك بالهدى معترفاً بانه المولي للنعم كلها • قبل طلوع الشمس يعني الفجر • وقبل غروبها • يعني الظهر والعصر لانهما في آخر النهار او العصر وحده • ومن آناء الليل • ومن ساعاته جمع اني بالكسر والقصر او اناء بالفتح والمد • فسبح • يعني المغرب والعشاء وانما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأً واقوم قيلاً • واطراف النهار • تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار • لعلك ترضى • متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعاً ان تنال عند الله ما به ترضي نفسك • وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك • ولا تمدن عينيك • الى ما متعنا به • استحساناً له وتمنياً ان يكون لك مثله • ازواجاً منهم • اصنافاً من الكفرة ويجوز ان يكون حالاً من الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناساً منهم • زهرة الحيوة الدنيا • منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجاً بتقدير مضاف اي ذوي زهرة ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد • لنفتنهم فيه • لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه • ورزق ربك • وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة • خير • مما منحهم في الدنيا • وابقى • فانه لا ينقطع • وامر اهلك بالصلوة • امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة • واصطبر عليها • وداوم عليها • لا نسألك رزقاً • ان ترزق نفسك ولا اهلك • نحن نرزقك • واياهم • ففرغ بالك لامر الآخرة • والعاقبة المحمودة • للتقوى • لذوي التقوى روي انه عليه السلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية • وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه • بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكاراً لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتاً وعناداً فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجز اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدراً

وابقى اثراً

وابقى اثراً فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضاً على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال • اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى • من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ بالصحف بالتخفيف • ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله • من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان والمراد بها القرآن • لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل ان نذل • بالقتل والسبي في الدنيا • ونخزى • بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول • قل كل • منا ومنكم • متربص • منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم • فتربصوا • وقرئ فتمتعوا • فستعلمون من اصحاب الصراط السوي • المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوأى اي الشر والسوي وهو تصغيره • ومن اهتدى • من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه السلام وعنه عليه السلام من قرأ طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس صدق رسول الله وامانه

سورة الانبياء مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واثنا عشر آية

اقترب للناس حسابهم • بالاضافة الى ما مضى او عند الله لقوله انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً وقوله ويستعجلونك بالعذاب وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله • وهم في غفلة معرضون • اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالاً من المستكن في معرضون • ما يأتيهم من ذكر • ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة • من ربهم • صفة لذكر او صلة ليأتيهم • محدث • تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملاً على المحل • الا استمعوه وهم يلعبون • يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك • لاهية قلوبهم • استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير • واسروا النجوى • بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها • الذين ظلموا • بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون

يعني ما يحدث منها من تنزيله من اي القرآن بحسب ... وقتهم فالمحدث ... لا بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي عليه السلام وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن واضافته الى الرب لانه قال بامر الرب تمت

فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله
وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب
على الذم. هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع
النصب بدلا من النجوى او مفعول لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه
في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء
من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط
ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة. قال ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولذلك اختير هنا وليطابق قوله واسروا النجوى في قراءة
حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول. وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون ولا ما يضمرون. بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر
اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى
انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء بالاخرى او للاضراب
عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه
الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم
في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم
ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة
طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق. فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به
الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه
من حيث ان الارسال متضمن للاتيان بالآية الآخر وانه لا فرق بين ان يقول ارسل
محمد وبين قولك اتى محمد بالمعجز. ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها
باقتراح الآيات لما جاءتهم. افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه
تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى لم يؤمنوا واستوجبوا
عذاب الاستئصال كمن قبلهم. وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم فامرهم ان يسألوا
اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام
فانهم كانوا يشاورونهم في امر النبي عم ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير
يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرا حفص نوحي بالنون. وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل

تحقيقا

تحقيقا لان ابشار امثالهم وتعريض لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا
خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي
الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف
المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على
الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء
واشتداده. ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد. فانجيناهم ومن نشاء
يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك
حميت العرب عن عذاب الاستئصال. واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي. لقد
انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم اي شرفكم وصيتكم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم
الاخلاق. افلا تعقلون فتؤمنون. وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب
عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم. كانت ظالمة
صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه. وانشأنا بعدها بعد اهلاك
اهلها قوما آخرين مكانهم. فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك
المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف. اذا هم منها يركضون يهربون
مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم. لا تركضوا على ارادة القول
اي قيل لهم استهزاء اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم
من المؤمنين. وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة
ومساكنكم التي كانت لكم. لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال
من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل. قالوا
يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم
وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر
فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا
ذلك. فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان
المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم
يحتمل الاسمية والخبرية. حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود
ولذلك لم يجمع. خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني
كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
او صفة له او حال من ضميره. وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما
خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا
لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال
ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال. لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب
لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجرام

المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش
وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى
لولادة المسيح وعزير. ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم
وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية. بل نقذف بالحق على الباطل اضراب
من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته
الجد على الباطل الذي من عداده اللهو. فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك
القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر
الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة
فيه فجعله كانه جرم صلب كالصخر مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه وقرئ
فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم. والحق بالحجاز فاستريحا وقرئ
مع بعد الحمل على المعنى والعطف على الحق. فاذا هو زاهق هالك والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز. ولكم الويل مما تصفون به مما لا يجوز
عليه وعلى حكمته وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة. وله من
في السموات والارض خلقا وملكا. ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم
عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او
لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض
او مبتدا خبره. لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها. ولا يستحسرون ولا
يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها
ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون. يسبحون الليل والنهار ينزهونه
ويعظمونه دائما. لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير
قبله. ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم الالهة. من الارض
صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
التخصيص. هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها
الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم
وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم كانه قال ام
اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم. لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله
وصفت بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة
الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا
لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء
ومشروط بان يكون في كلام غير موجب. لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف
والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت فيه تعاوقت
عنه. فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ
المقادير. عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد. لا يسأل عما يفعل

لعظمته

لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية. وهم يسألون
لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد. ام اتخذوا من دونه آلهة
كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما
لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على
معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص
الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر
ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده
نقلا. قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول
بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا. هذا ذكر من معي
وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي
عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحة بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم
وقرئ بالتنوين والاعمال فيه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد
دخل عليه من كما دخل على اخواته. بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين
الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتاكيد بين السبب
والمعنى لاعراضهم بسبب الجهل هو الحق او الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا
على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل. فهم معرضون من التوحيد
واتباع الرسول من اجل ذلك. وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لا يتناول الاسم الاول
مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة. وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله. سبحانه تنزيه له عن ذلك. بل عباد
من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد. مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض
القوم وقرئ بالتشديد. لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما
هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل
القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما
لم يقله وانيبت اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه
بالضم من سابقته فسبقته اسبقه. وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به.
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة
لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطته بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون
احوالهم. ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه. وهم من خشيته
من عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك
خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه
اظهر وان عدي بعلى فبالعكس. ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق. اني اله

من دونه فذلك نجزيه جهنم • يريد به نفي النبوة وادعاء نفي ذلك عن الملائكة
وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية • كذلك نجزي الظالمين • من ظلم بالاشراك
وادعاء الربوبية • اولم ير الذين كفروا • اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو
ان السموات والارض كانتا رتقا • ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام
اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة • ففتقناهما • بالتنويع والتمييز او كانت
السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت
الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات واقاليم وقيل
كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما
بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق
او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك
فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط
او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد
جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي
مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض • وجعلنا من الماء كل شيء حي • وخلقنا من الماء كل حيوان
كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه
اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيا دونه وقرئ
حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان
افلا يؤمنون • مع ظهور الآيات • وجعلنا في الارض رواسي • ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم • كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لامن الالباس
وجعلنا فيها • في الارض او الرواسي • فجاجا سبلا • مسالك واسعة وانما قدم
فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل
منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد
لعلهم يهتدون • الى مصالحهم • وجعلنا السماء سقفا محفوظا • عن الوقوع بقدرته
او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها • احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته
وتناهي حكمته التي يحس بعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة
معرضون • غير متفكرين • وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر •
بيان لبعض تلك الآيات • كل في فلك • اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف
اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة • يسبحون • يسرعون
على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس
والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار
المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم • وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد افان مت فهم الخالدون • نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون

وفي معناه قوله • فقل للشامتين بنا افيقوا • سيلقى الشامتون كما لقينا •
والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر ذلك • كل نفس
ذائقة الموت • ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكروه
ونبلوكم • ونعاملكم معاملة المختبر • بالشر والخير • بالبلايا والنعم • فتنة •
مصدر من غير لفظه • والينا ترجعون • فنجازيكم حسبما يوجد منكم من الصبر
والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب تقريرا لما سبق • واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا •
ما يتخذونك الا هزوا او مهزوءا به • ويقولون اهذا الذي يذكر آلهتكم •
اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن • بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة
عليهم او بالقرآن • هم كافرون • منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد
والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر • خلق الانسان من عجل • كانه
خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه
بمنزلة المطبوع هو عليه مبالغة في لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن
عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته
الملجئة الى العلم والاقرار • ويقولون متى هذا الوعد • فاراد نهيهم عن الاستعجال
وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها
ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون
على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه اراد بالانسان آدم
فانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل
الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل انها
نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين
بلغة حمير قال شاعرهم • والنخل ينبت بين الماء والعجل • والله اعلم بحقيقته
سأريكم آياتي • نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة عذاب النار • فلا
تستعجلون • بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها
ويقولون متى هذا الوعد • وقت وعد العذاب او القيامة • ان كنتم صادقين •
يعنون النبي واصحابه • لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون • محذوف الجواب وحين مفعول يعلم اي لو يعلمون
الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار
من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا
ويجوز ان يترك مفعوله ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
ولعلموا بطلان ما هم عليه وحين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع المضمر
للدلالة على ما اوجب لهم ذلك • بل تأتيهم • العدة او النار او الساعة • بغتة • فجأة

مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد أو الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها
لأن الوعد بمعنى النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار
أو البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون وعد له بأن ما يفعلونه يحيق بهم كما حاق
المستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم
يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من بأسه إن أرادكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على
أن لا كالئ غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا عن أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا
للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز
منعنا أو من عذاب يكون من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال على الترتيب
فإنه المعرض الغافل عن الشيء بعيد عن الشيء لتنبيه له لا يستطيعون
نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن ما لا يقدر على
نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم
حتى طال عليهم العمر إضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج
والتمتيع بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم ذلك وهو أنه
تعالى متعهم بالحياة الدنيا وأمهلهم حتى طال أعمارهم فحسبوا أن لا يزالوا كذلك
وأنه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على أنه أمل كاذب فقال أفلا يرون
أنا نأتي الأرض أرض الكفرة ننقصها من أطرافها بتسليط المسلمين عليها
وكيف يتصورون لما وعد الله تعالى على ذلك المسلمين أفهم الغالبون رسول الله
والمسلمين والمؤمنين قل إنما أنذركم بالوحي بما أوحي إلي ولا يسمع الصم
الدعاء وقرئ ولا يسمع على خطاب النبي وبالياء على أن فيه
ضميره وإنما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم
انتفاعهم بما يسمعون إذا ما ينذرون منصوب بيسمع أو بالدعاء والتقييد
لأن الكلام في الإنذار أو للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم
نفحة أدنى شيء وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة
فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب
ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين لدعوا على
أنفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن
بها صحائف الأعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السوي
والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به
للمبالغة ليوم القيامة لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه كقولك جئت

لخمس

لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها أو من الظلم وإن كان مثقال
حبة من خردل أي وإن كان العمل أو الظلم مقدار حبة وقرأ نافع مثقال
على كانت التامة أتينا بها أحضرناها وقرئ آتينا جازينا بها من الإيتاء
فإنه قريب من أعطينا أو من المواتاة فإنهم أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء وأثبنا
من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة وكفى بنا حاسبين
إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء
وذكرا للمتقين أي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء
به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون أو ذكر ما يحتاجون إليه
من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على أنه
حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين أو مدح لهم منصوب أو مرفوع
بالغيب حال من الفاعل أو المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير
الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك
كثير خيره أنزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ
ولقد آتينا إبراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح وإضافته ليدل
على أنه رشد مثله وأن له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى
وهارون أو محمد وقيل من قبل استنبائه أو بلوغه وكنا به عالمين
علمنا أنه أهل لما آتيناه أو جامع لمحاسن الأوصاف ومكارم الخصال وفيه إشارة
إلى أن فعله تعالى باختيار وحكمة وأنه عالم بالجزئيات إذ قال لأبيه وقومه
متعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده وقت قوله ما هذه
التماثيل التي أنتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على إجلالها فإن التمثال
صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية وتعدية
العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن تؤول بعلى أو تضمن العكوف
معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم
الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم
في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين
إلى دليل والتقليد إن جاز فإنما يجوز لمن علم في الجملة أنه على الحق قالوا أجئتنا
بالحق أم أنت من اللاعبين كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله
إنما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله أم بلعب قال بل ربكم رب السماوات
والأرض الذي فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسماوات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة عليهم وأنا على
ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فإن
الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالياء وهي أصل وأما
بدل من الواو والبدلية منها وفيها تعجب لأكيدن أصنامكم لأجتهدن في كسرها

وكيد الكيد واما في التاء لصعوبة الامر بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدهم
ولعله قال ذلك سرا • فجعلهم جذاذا • اقطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف
وخفيف وقرئ بالضم وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة • الا كبيرا لهم
للاصنام كسر غيره واستبقاه • وجعل الفاس على عنقه • لعلهم اليه يرجعون •
لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم
بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او انهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها
اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم • قالوا • حين رجعوا • من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين • بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او
بتوريط نفسه للهلاك • قالوا سمعنا فتى يذكرهم • يعيبهم فلعله فعله ويذكر
ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة
الذكر اليه • يقال له ابراهيم • هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به
الاسم لا المسمى • قالوا فأتوا به على اعين الناس • بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته
في اعينهم تمكن الراكب على المركوب • لعلهم يشهدون • بفعله او قوله او يحضرون
عقوبتنا له • قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم • حين احضروه • قال بل
فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون • اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه
لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء
والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق أانت
كتبت هذا فقلت بل كتبته انت او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه كانه قال لما تنكرون
ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه
وقرئ فلعله كبيرهم اي فلعل الفاعل كبيرهم وقوله انه في الحقيقة متعلق بقوله ان
كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ
وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي انه عليه السلام قال لابراهيم ثلث كذبات تسمية
للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته • فرجعوا الى انفسهم • وراجعوا عقولهم
فقالوا • فقال بعضهم لبعض • انكم انتم الظالمون • بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق
ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين • ثم نكسوا على رؤسهم •
انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء مستعليا على اعلاه • وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول • قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم • انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها
جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية • اف لكم ولما تعبدون من دون الله •
تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام

بيان

لبيان المتأفف له • افلا تعقلون • قبح صنيعكم • قالوا • اخذوا في المضارة لما
عجزوا عن المحاجة • حرقوه • فان النار اهول ما يعاقب به ولذلك جاء لا يعذب بالنار
الا خالقها • وانصروا آلهتكم • بالانتقام لها • ان كنتم فاعلين • اي
ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون
خسف به الارض وقيل نمروذ • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما • ذات برد
وسلام اي ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها
وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات
برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموه فيها فقال له جبريل هل لك حاجة
فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركته
فوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمروذ من الصرح فقال
هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار
بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به
قوله على ابراهيم • وارادوا به كيدا • مكرا في اضراره • فجعلناهم الاخسرين • اخسر
من كل خاسر عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا
لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب • ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين • اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء
بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية
والدنيوية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام
فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة • ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة • عطية فهو حال منهما
او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فيختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة
وكلا • يعني الاربعة • جعلنا صالحين • بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه
فصاروا كاملين • وجعلناهم ائمة • يقتدى بهم • يهدون • الناس الى الحق • بامرنا • اياهم
وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين • واوحينا اليهم فعل الخيرات • ليحثوهم عليها
فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل
الخيرات وكذلك قوله • واقام الصلوة وايتاء الزكوة • وهو عطف الخاص على العام
للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه

وكانوا لنا عابدين • موحدين مخلصين في العبادة • ولذلك قدم الصلة
ولوطا آتيناه حكما • حكمة وهو ما يجب فعله او نبوة او فصلا بين الخصوم
وعلما • بما ينبغي علمه للانبياء • ونجيناه من القرية التي • هي سدوم كا
نت تعمل الخبائث • يعني اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضا
ف واقامتها مقامه ويدل عليه • انهم كانوا قوم سوء فاسقين • فانه كالتعليل
له • وادخلناه في رحمتنا • في اهل رحمتنا او في جنتنا • انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى • ونوحا اذ نادى • اذ دعا الله على قومه بالهلاك
من قبل • من قبل هؤلاء المذكورين • فاستجبنا له • دعاءه • فنجيناه واهله من الكرب
العظيم • من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد • ونصرناه • مطاوع
انتصر اي جعلناه منتصرا • من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء
فاغرقناهم اجمعين • لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولعلهما
لم يجتمعا في قوم الا اهلكهم الله • وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث • في الزرع
وقيل الكرم تدلت عناقيده • اذ نفشت • اي انتشرت • فيه غنم القوم • رعته
ليلا • وكنا لحكمهم شاهدين • لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين • ففهمناها سليمان
الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود حكم بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما
ان تدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث
الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان عليه ثم يترادان ولعلهما قالاه
اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي
بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي ضمان المتلف
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلعم لما دخلت ناقة البراء
حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها
بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء
جبار • وكلا آتينا حكما وعلما • دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل
على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره • وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن • يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله
فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير
ومع متعلقة به او بيسبحن • والطير • عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ
بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف • وكنا فاعلين • لامثاله
فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم • وعلمناه صنعة لبوس • عمل الدرع وهو
في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها • قد كانت صفائح فحلقها
وسردها • لكم • متعلق بعلم او صفة للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء

لتحصنكم من بأسكم • بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود
او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل
الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل • فهل انتم شاكرون •
ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع • ولسليمان الريح •
له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول
امر يظهر في الجبال والطير مع داود وباضافته اليه • الريح عاصفة • شديدة
الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ارادته • تجري بامره • بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها
الى الارض التي باركنا فيها • الى الشام رواحا بعدما سارت به بكرة • وكنا بكل شيء
عالمين • فنجريه على ما تقتضيه الحكمة • ومن الشياطين من يغوصون له • في البحار و
يخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة
ويعملون عملا دون ذلك • ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل • وكنا
لهم حافظين • ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم • وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر • وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء
معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض
وهزال • وانت ارحم الراحمين • وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه
بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد
عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده
بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث
عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا
بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم
كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر • بالشفاء من مرضه
وآتيناه اهله ومثلهم معهم • بان ولد له ضعف ما كان ورد الى امرأته [illegible]
ستة وعشرين ابنا او احيي ولده وولد له منهم نوافل • رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين • رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما
صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
واسماعيل وادريس وذا الكفل • يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به
لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم
والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف • كل • اي كل هؤلاء من الصابرين
على مشاق التكاليف وشدائد النوب • وادخلناهم في رحمتنا • يعني النبوة

أو نعمة الآخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء
فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس
بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا
عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف
الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه
أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن
نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده
انه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن
ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا أو خطرة شيطانية سبقت
الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات
بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فحصل في ظلمتي بطني
الحوتين وظلمة البحر أن لا اله الا أنت بأنه لا اله الا أنت سبحانك اني كنت
من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي عليه السلام
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم
بأن قذفه الحوت الى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة
أيام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا
الله فيها بالاخلاص وفي الامام ننجي فلذلك أخفى الجماعة النون الثانية فانها
تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد الجيم على ان أصله ننجي
فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها
أوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين
فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف
في تجافا لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بأنه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا
اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وأنت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا
له زوجه أي أصلحناها للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت
حردة انهم يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى أبواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب أو راغبين في الثواب
راجين للاجابة أو في الطاعة ورهبا وخائفين العقاب أو المعصية
وكانوا لنا خاشعين مخبتين أو دائبين الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا
بهذه الخصال والتي أحصنت فرجها من الحلال يعني مريم فنفخنا فيها
في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح

الذي

الذي هو بأمرنا وحده أو من جهة روحنا جبريل لأنه نفخ في جيب درعها
فوصل النفخ الى جوفها وجعلناها وابنها أي قصتهما أو حالهما ولذلك
وحد قوله آية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع
تعالى ان هذه أمتكم ان ملة التوحيد والاسلام ملتكم التي يجب عليكم
ان تكونوا عليها أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء ولا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدل من هذه وأمة
بالرفع على انهما خبران وأنا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غيري
وتقطعوا أمرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا لينعي على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا أمره قطعا موزعة تقبيحا لفعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة
الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله
فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر
لاعطائه ونفى نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون
في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على أهلها غير متصور
منهم وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي حرم بكسر الحاء وسكون الراء وقرئ
حرم أهلكناها حكمنا بهلاكها أو وجدناها هالكة انهم لا يرجعون
رجوعهم الى التوبة أو الحياة ولا صلة أو عدم رجوعهم للجزاء وهو
مبتدأ خبره حرام أو فاعل له ساد مسد خبره أو دليل عليه تقديره توبتهم
أو حياتهم أو عدم بعثهم أو لأنهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف أي
وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر
وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت يأجوج متعلق
بحرام أو بمحذوف دل الكلام عليه أو بلا يرجعون أي يستمر الامتناع أو الهلاك أو
عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور أماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج
وحتى هي التي يحكى الكلام بعدها والمحكي هي الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد وهم يعني يأجوج ومأجوج أو الناس كلهم من كل حدب
نشز من الأرض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان
الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة
أبصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية
كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد والضمير للقصة أو مبهم يفسره الأبصار يا ويلنا مقدر بالقول
واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل
كنا ظالمين لأنفسنا بالاخلال بالنظر أو عدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون
من دون الله يحتمل الأوثان وابليس وأعوانه لأنهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم
لما روي انه عليه السلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب

الكعبة

اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا
الملائكة فقال عم بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون مؤولا
بمن آمن بعد ويرد عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة
او لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله
ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص متأخرا عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به
اليها وتهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة
من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها
لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها
لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب
ان اريد بما يعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي
السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون
لانهم يرفعون الى اعلى عليين روي ان عليا رض خطب وقرأ هذه الاية ثم قال
انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها
بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس الصوت
الذي يحس وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة
الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقاهم الملائكة
اي تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم
توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم
او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك
اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم
وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل
الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع
اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت
اليه او كاتب لرسول الله صلعم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان
فيه كما بدأنا اول خلق نعيده نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما
ايجادا من العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما

لهما على السوا

لهما على السوية وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره
نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي
بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا
مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا
اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور في كتاب
داود عم من بعد الذكر اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة
وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها
عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها او امة محمد عم ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ
والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين
همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت
به سبب لسعادتهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار
امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم
اله واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود
الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاول لقصر الحكم على الشيء والثاني
على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحي المصدق
بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد
فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام
او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء
وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير وان ادري
وما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن
لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم
ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة
لكم وما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب
احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد
عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلعم وقرئ رب بالضم وربي
احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه
المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم
وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان المتوعد به لو كان حقا لنزل
بهم فاجاب الله تعالى دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم عن النبي عم
من قرأ سورة اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية الا ست آيات وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم • يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها
للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية
بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة
تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها
شيء عظيم • هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا
على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
ويوم منصوب بتذهل وقرئ تُذهل وتُذهل مجهولا ومعروفا اي تذهلها
الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها
بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة
او مصدرية • وتضع كل ذات حمل حملها • جنينها • وترى الناس سكارى كأنهم
سكارى • وما هم بسكارى • على الحقيقة • ولكن عذاب الله شديد • فارهقهم
هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى من اريتك قائما او رؤيتك
قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده
بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل • ومن الناس من يجادل في الله بغير علم • نزلت
في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين
ولا بعث بعد الموت وهي تعم اضرابه • ويتبع • في المجادلة او في عامة احواله • كل
شيطان مريد • متجرد للفساد واصله العري • كتب عليه • على الشيطان • انه من تولاه • و
تبعه والضمير للشأن • فانه يضله • خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه
لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه ان يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ
بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه • ويهديه
الى عذاب السعير • بالحمل على ما يؤدي اليه • يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث • من امكانه
وكونه مقدورا وقرئ من البعَث بالتحريك كالجلب • فانا خلقناكم • اي فانظروا في بدء
خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم • من تراب • اذ خلق آدم منه والاغذية التي
يتكون منها المني • ثم من نطفة • مني من النطف وهو الصب • ثم من علقة • قطعة من الدم
جامدة • ثم من مضغة • قطعة من اللحم قدر ما يمضغ • مخلقة وغير مخلقة • مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة • لنبين لكم • بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على
تغييره وتصويره اولا قدر على خلقه ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله
هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر • ونقر في الارحام ما نشاء ان
نقره • الى اجل مسمى • هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع
سنين وقرئ ونقر بالنصب كذا قوله • ثم نخرجكم طفلا • عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا

لغرضين

لغرضين تبيين القدرة وتقررهم في الارحام حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد
التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا
صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او للدلالة على الجنس او لانه في الاصل
مصدر • ثم لتبلغوا اشدكم • كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة
كانها شدة في الامور • ومنكم من يتوفى • عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ
يتوفى اي يتوفاه الله • ومنكم من يرد الى ارذل العمر • الهرم والخرف وقرئ
بسكون الميم • لكيلا يعلم من بعد علم شيئا • ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية
من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان
على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال
المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره • وترى الارض هامدة •
ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا • فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت •
تحركت بالنبات • وربت • وانتفخت وقرئ ربأت ارتفعت • وانبتت من كل زوج • من
كل صنف • بهيج • رائق حسن وهذه دلالة ثالثة كرر ذكرها في كتابه لظهورها
وكونها مشاهدة • ذلك • اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة
وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره
بان الله هو الحق • اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء • وانه
يحيي الموتى • وانه لما احيا النطفة والارض الميتة • وانه على كل شيء قدير •
لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته
على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها • وان الساعة آتية
لا ريب فيها • فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه • وان الله يبعث من
في القبور • بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف • ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم • تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله • ولا هدى ولا كتاب
منير • على انه لا سند له من استدلال او وحي والاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه • ثاني عطفه •
متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ
بفتح العين اي مانع تعطفه • ليضل عن سبيل الله • علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال
الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث مؤداه كالغرض له • له في الدنيا
خزي • وهو ما اصابه يوم بدر • ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق • المحرقة وهو النار
ذلك بما قدمت يداك • على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك
الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي • وان الله ليس بظلام للعبيد •
وانما هو مجازاتهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد • ومن الناس من يعبد الله على حرف •
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا

فان اصابه اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه • روي انها نزلت في اعاريب خير
قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت
امراته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا
الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب عن دينه وعن ابي
سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي عم فقال
اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت • خسر الدنيا والآخرة • بذهاب عصمته
وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على انه فاعل
وضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف • ذلك
هو الخسران المبين • اذ لا خسران مثله • يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع • ذلك هو الضلال البعيد • عن المقصد مستعار
من ضلال من ابعد في التيه ضلالا • يدعو لمن ضره • بكونه معبودا لانه يوجب
القتل في الدنيا والعذاب في الآخرة • اقرب من نفعه • الذي يتوقع بعبادته
وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه
بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء
له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره • لبئس العشير •
الصاحب • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار • ان الله يفعل ما يريد • من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك
اذ لا دافع له ولا مانع • من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة • كلام
فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف
ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن • فليمدد بسبب
الى السماء ثم ليقطع • فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله
الممتلئ غيظا او البالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا
ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه
فلينظر • فليتصور في نفسه • هل يذهبن كيده • فعله ذلك وسماه على الاول كيدا
لانه منتهى ما يقدر عليه • ما يغيظ • غيظه او الذي يغيظه من نصر الله • وقيل
نزلت في قوم مسلمين استبطؤوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين
وكذلك • ومثل ذلك الانزال • انزلناه • انزلنا القرآن كله • آيات بينات
واضحات • وان الله يهدي • ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى • من يريد
هدايته او اثابته انزله كذلك مبينا • ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة • بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به

ويدخله

ويدخله المحل اللائق به وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التاكيد
ان الله على كل شيء شهيد • عالم به مراقب لاحواله • الم تر ان الله يسجد له
من في السموات ومن في الارض • يتسخر لقدرته ولا يتابى عن تدبيره او يدل
بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب
فيكون قوله • والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب • افرادها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين الساكنين • وكثير من الناس • عطف عليها ان جوزنا اعمال اللفظ الواحد
في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف
دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي يسجد له كثير من الناس
سجود طاعة • وكثير حق عليه العذاب • بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل
وكثير تكرارا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين
بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله •
ومن يهن الله • بالشقاوة • فما له من مكرم • يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى
الاكرام • ان الله يفعل ما يشاء • من الاكرام والاهانة • هذان خصمان • اي
فوجان مختصمان ولذلك قال • اختصموا • حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد
بهما المؤمنون والكافرون • في ربهم • في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا
قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت • فالذين كفروا • فصل
لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة • قطعت
لهم • قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف • ثياب من نار • نيران تحيط بهم
احاطة الثياب • يصب من فوق رؤوسهم الحميم • حال من الضمير في لهم او خبر ثان
والحميم الماء الحار • يصهر به ما في بطونهم والجلود • اي يؤثر من فرط حرارته
في باطنهم تاثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة
حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير • ولهم مقامع من حديد •
سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف • كلما ارادوا
ان يخرجوا منها • من النار • من غم • من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار • اعيدوا
فيها • اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم
لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها • وذوقوا •
اي وقيل لهم ذوقوا • عذاب الحريق • النار البالغة في الاحراق • ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار • غير الاسلوب
فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم

اذا قلنا يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا يكون المراد بالسجود في حق العقلاء العبادة وفي حق الجمادات الانقياد كشاف

يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار
من ذهب بيان له. ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه
الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب
مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ ولولوا بقلب الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء ولول كادل. ولباسهم
فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة
على هيئة الفواصل. وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده او كلمة التوحيد. وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته
وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما
يريد استمرار الصدود منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع فلذلك حسن عطفه
على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه آخر الآية
اي معذبون. والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا
بقوله. الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطارئ
على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله
تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر
مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه. وتكون للناس حالا والا فحال من المستكن
فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ والعاكف
بالجر على انه بدل من الناس. ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول
وقرئ بالفتح من الورود. بالحاد عدول عن القصد. بظلم بغير حق
وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي
ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام. نذقه من عذاب اليم
جواب لمن. واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه و
جعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلنا
فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان فاعلم الله مكانه
بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اساسه القديم. ان لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا
من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية
موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان
والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة
على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ بالياء
واذن في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به وروي

انه صعد

صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال
وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل
الخطاب لرسول الله عليه السلام امر بذلك في حجة الوداع. ياتوك رجالا مشاة جمع
راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى
وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله. ياتين
صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان او استئناف
فيكون الضمير للناس. من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال
بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى. ليشهدوا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها
لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة. ويذكروا اسم الله عند
اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين
لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله تعالى. في ايام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر. على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل
بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على انه المقتضي
للذكر. فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية
من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع به
دون الواجب. واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة. الفقير المحتاج
والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول. ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم
بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال.
وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج. وليطوفوا
طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة
فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه
دون التسلط عليه. ذلك خبر محذوف اي الامر ذلك وهو وامثاله يطلق
للفصل بين كلامين. ومن يعظم حرمات الله عند ربه ثوابا. واحلت لكم الانعام
الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به
لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة. فاجتنبوا الرجس من الاوثان
فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة
في النهي عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها. واجتنبوا قول الزور تعميم بعد
تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه
ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان
والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه عليه السلام قال
عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلثا وتلا هذه الآية والزور من الزور
وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف

عن الواقع • حنفاء لله مخلصين له • غير مشركين به وهما حالان من الواو • ومن يشرك
بالله فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر • فتخطفه
الطير فإن الأهواء المردية توزع أفكاره • أو تهوي به الريح في مكان سحيق
بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير كما في قوله أو كصيب من السماء
أو للتنويع فإن المشركين من لا خلاص له أصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن
على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد أهلك
نفسه هلاكا يشبه أحد الهلاكين • ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض
الحج ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها
أن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه عليه السلام أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل
في أنفه برة من ذهب وأن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار • فإنها من تقوى
القلوب فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما • لكم فيها منافع إلى
أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي إلى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت
والتراخي في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع
دينية أعظم منها وهو على الأولين إما متصل بحديث الأنعام والضمير فيه لها أو المراد
على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت
الذي ترفع إليه الأعمال أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني لكم
فيها منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية إلى
الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة • ولكل أمة ولكل أهل دين • جعلنا منسكا
متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك •
ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على أن المقصود
من المناسك تذكر المعبود • على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها وفيه تنبيه على
أن القربان يجب أن يكون نعما • فإلهكم إله واحد فله أسلموا • أخلصوا التقرب أو الذكر
ولا تشوبوه بالإشراك • وبشر المخبتين المتواضعين أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها • والصابرين
على ما أصابهم • من الكلف والمصائب • والمقيمي الصلاة في أوقاتها وقرئ والمقيمين
الصلاة على الأصل • ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير • والبدن جمع بدنة
كخشب وخشبة وأصله الضم وقد قرئ به وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة
من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها في إجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة
عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه
بفعل يفسره • جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ • من شعائر الله من أعلام دينه
التي شرعها الله • لكم فيها خير • منافع دينية ودنيوية • فاذكروا اسم الله عليها
بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك • صواف

قائمات

قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام
على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لأن البدنة يعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث
وصوافا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وصوافي أي خوالص لوجه
الله وصوافي بسكون الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها •
فإذا وجبت جنوبها سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت • فكلوا منها وأطعموا القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع • والسائل
من قنعت إليه قنوعا إذا خضعت له في السؤال • والمعتر • والمعترض بالسؤال وقرئ
والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه • كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما
سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها صافة قوائمها
ثم تطعنون في لباتها • لعلكم تشكرون إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص • لن
ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها • ولا دماؤها
المهراقة بالنحر من حيث إنها لحوم ودماء • ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما
يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى تعظيم أمر الله والتقرب إليه والإخلاص له • وقيل كان
أهل الجاهلية إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فهم به المسلمون فنزلت
كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله • لتكبروا الله • لتعرفوا عظمته
باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال
أو الذبح • على ما هداكم • أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية
والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر • وبشر المحسنين • المخلصين
فيما يأتونه ويذرونه • إن الله يدافع عن الذين آمنوا • غائلة المشركين وقرأ نافع
وابن عامر والكوفيون يدافع أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه • إن الله لا يحب
كل خوان في أمانة الله • كفور لنعمته كمن يتقرب إلى الأصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم
ولا ينصرهم • أذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله • للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع
وابن عامر وحفص بفتح التاء أي للذين يقاتلهم المشركون • بأنهم ظلموا • بسبب أنهم ظلموا
وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب
ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فنزلت
وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية • وإن الله على نصرهم
لقدير • وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم • الذين أخرجوا من ديارهم
يعني مكة • بغير حق • بغير حق موجب استحقوا به • إلا أن يقولوا ربنا الله • على طريقة
قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • وقيل
منقطع • ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض • بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف
صوامع الرهابنة • وبيع النصارى • وصلوات • وكنائس اليهود وسميت بها لأنها

بلغ

يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرانية فعربت • ومساجد • ومساجد المسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا • صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا • ولينصرن الله
من ينصره • من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد
العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم • ان الله لقوي • على نصرهم
عزيز • لا يمانعه شيء • الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه
دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل
من من ينصره • ولله عاقبة الامور • فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده • وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود • وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين
تسلية له عم بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء
قد كذبوا رسلهم قبل قومه • وكذب موسى • غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول
لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع
واياته كانت اعظم واشيع • فامليت للكافرين • فامهلتهم حتى انصرمت اجالهم
المقدرة • ثم اخذتهم فكيف كان نكير • انكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة
هلاكا والعمارة خرابا • فكاين من قرية اهلكتها • باهلاك اهلها وقرأ
البصريان بغير لفظ التعظيم • وهي ظالمة • اي اهلها • فهي خاوية على عروشها •
ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها
اي مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة
معطوفة على اهلكتها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال ظلمها
ولا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكتها وان رفعته بالابتداء
فمحلها الرفع • وبئر معطلة • عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي
تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله • وقصر
مشيد • مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية
على عروشها خالية مع بقائها وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف
على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم
الله وعطلهما • افلم يسيروا في الارض • حث لهم على ان يسافروا ليروا
مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا
لذلك • فتكون لهم قلوب يعقلون بها • ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم
من الاستبصار والاستدلال • او اذان يسمعون بها • ما يجب ان يسمع من الوحي
والتذكير بحال من شاهدوا اثارهم • فانها • الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه • لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب

التي في الصدور

التي في الصدور • عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي
التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر
قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في
الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب • المتوعد
به • ولن يخلف الله وعده • لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به
ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة • وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون • بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي
عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة • وكاين
من قرية • وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب
ورجوع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى
بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما
تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تاخيره لعادته تعالى
امليت لها • كما امهلتكم • وهي ظالمة • مثلكم • ثم اخذتها • بالعذاب • والي المصير
والى حكمي مرجع الجميع • قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين • اوضح لكم ما انذركم
به واقتصر على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام
ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم • فالذين
امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة • لما بدر منهم • ورزق كريم • هي الجنة والكريم من
كل نوع ما يجمع فضائله • والذين سعوا في اياتنا • بالرد والابطال • معاجزين
مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا
سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرا ابن
كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة • اولئك اصحاب الجحيم • النار الموقدة
وقيل اسم دركة • وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي • الرسول من بعثه الله
بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق
كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى ولذلك شبه النبي عم علماء
امته بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل
الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
من ياتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام • الا اذا تمنى • اذا
زور في نفسه ما يهواه • القى الشيطان في امنيته • في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا
كما قال عم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة • فينسخ الله ما يلقي
الشيطان • فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه •
ثم يحكم الله اياته • ثم يثبت ايات الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة • والله عليم

يعني يلقي كذا ان في رحمة الحديث انه ليغان على قلبي وان الغين الغيم السماء البسها

باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت
وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك
حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ
ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه
بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد
ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين
وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ
كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة
النبي عم فقد رد ايضا بانه يخل بالوثوق على القران ولا يندفع بقوله فينسخ
الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والاية تدل على جواز
جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل
فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين
وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم
بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك ان القران هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من
الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن
ادم فيؤمنوا به بالقران او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية
وان الله لهاد الذين امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القران
او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها
حتى تاتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة فجاءة او ياتيهم
عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت
عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير فيه ومنه الريح العقيم
لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم
القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل
الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول
مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله
بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه

على اثابة

على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله وان عقاب الكافرين
مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة
ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما
في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان
متنا فنزلتا وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا
يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم
حليم لا يعاجلهم بالعقاب الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث
اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي
شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على
بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء
النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال العلم والقدرة بان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا
يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول
فتكون الواو لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح
الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك
الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة
على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل
ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض خلقا
وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله
الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف
على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر

ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها
على صورة متداعية الى الاستمساك . الا باذنه . الا بمشيئته وذلك يوم القيامة
وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة ربع
للميل الهابط قبول غيرها . ان الله بالناس لرءوف رحيم . حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار . وهو الذي احياكم . بعد
ان كنتم جمادا عناصر ونطفا . ثم يميتكم . اذا جاء اجالكم . ثم يحييكم . في الآخرة
ان الانسان لكفور . لجحود للنعم مع ظهورها . لكل امة . اهل دين . جعلنا
منسكا . متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا . هم ناسكوه . ينسكونه .
فلا ينازعنك . سائر ارباب الملل . في الامر . في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال
واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول
عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب
الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربك زيد وهذا انما يجوز
في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون مما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة
في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته . وادع الى ربك . الى توحيده
وعبادته . انك لعلى هدى مستقيم . طريق الى الحق سوي . وان جادلوك . وقد ظهر الحق
ولزمت الحجة . فقل الله اعلم بما تعملون . من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق . الله يحكم بينكم . يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب
والعقاب . يوم القيامة . كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات . فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين . الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض . فلا يخفى عليه شيء . ان ذلك
في كتاب . هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له .
ان ذلك يعني ان الاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم . على الله يسير .
لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء . ويعبدون من دون الله
ما لم ينزل به حجة تدل على جواز عبادته . وما ليس لهم به علم . حصل لهم من ضرورة العقل سلطانا
او استدلاله . وما للظالمين . وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم . من نصير . يقرر
مذهبهم او يدفع العذاب عنهم . واذا تتلى عليهم اياتنا . من القرآن . بينات . واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية . تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر . يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا . يثبون ويبطشون بهم . قل افأنبئكم بشر من ذلكم .
من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم . النار
اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره . وعدها الله
الذين كفروا . وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا

كانها وقعت خبرا او حالا منها . وبئس المصير . النار . يا ايها الناس ضرب مثل
بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي شبه
في استحقاق العبادة . فاستمعوا له . للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر . ان الذين
يدعون من دون الله . يعني الاصنام وقرئ يدعون بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول محذوف على الاولين . لن يخلقوا ذبابا . لا يقدرون على خلقه
مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان . ولو اجتمعوا له . هو الجواب المقدر في موضع حال
جيء بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا
كانوا منفردين . وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . جهلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل
هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا
له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فيأكله . ضعف الطالب والمطلوب . عابد الصنم ومعبوده او الذباب
يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب او كالطالب الصنم
والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف
بدرجات . ما قدروا الله حق قدره . ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه
ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة . ان الله لقوي . على خلق الممكنات باسرها . عزيز .
لا يغلبه شيء والالهة التي يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها . الله يصطفي
من الملائكة رسلا . يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي . ومن الناس . يدعون سائرهم
الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم
الى عبادة الله تعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عدا من الموجودات تقريرا
للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك
ان الله سميع بصير . مدرك للاشياء كلها . يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم . عالم بواقعها
ومترقبها . والى الله ترجع الامور . والى الله مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل
عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون . يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا .
في صلاتكم امرهم بها لانهم كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما
لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا . واعبدوا ربكم . بسائر ما تعبدكم
به . وافعلوا الخير . وتحروا ما هو خير لكم واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات
وصلة الارحام ومكارم الاخلاق . لعلكم تفلحون . اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون
الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها
من الامر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها

وجاهدوا في الله اي لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر. حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله. هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد والداعي اليه وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد. ملة ابيكم ابراهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم. هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة. وفي هذا وفي القران والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القران وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين. ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم. شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى. وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم. فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف. واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه. هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم. فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي.

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم. قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم. وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول. الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له

ملزمون

ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل. معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله. والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على العين والمعنى والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف. والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها. الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا. فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك. فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى. فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان. والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق. راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالباس او لانها في الاصل مصدر. والذين هم على صلوتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها. اولئك الجامعون لهذه الصفات. هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم. الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لشانها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار. هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا. ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر. من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته. ثم جعلناه

بحذف المضاف (نطفة) بان خلقنا منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير
الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء (في قرار مكين) مستقر حصين يعني
الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار
(ثم خلقنا النطفة علقة) بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة
مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بان صلبناها
(فكسونا العظام لحما) مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ
ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الآخر (ثم انشأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة رح على
ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر
(فتبارك الله) فتعالى شأنه في قدرته وحكمته (احسن الخالقين) المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه وقد روي عن عمر رض ان رسول الله صلعم لما بلغ قوله
خلقا آخر قال فتبارك الله احسن الخالقين (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت
لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ لمائتون (ثم انكم
يوم القيامة تبعثون) للمحاسبة والمجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) سموات
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق
الذي هو السموات او جميع المخلوقات (غافلين) مهملين امرها بل نحفظها عن
الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما
اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية (وانزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر
نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فاسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا
في الارض (وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث
يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء
الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان
اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فانشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل و
اعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات (تأكلون)
تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون
الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر
والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات
وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشأنا لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء)
جبل موسى عم بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من
ان يكون الطور اسما للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم كامرئ

القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه
فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق
بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة
الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
كقولهم اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) اي تنبت
ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك
ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت
بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول
وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين)
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء
الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي
يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ (وان لكم في الانعام
لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما في بطونها) من الالبان او من
العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء (ولكم فيها منافع كثيرة)
في ظهورها واصوافها واشعارها (ومنها تأكلون) فتنتفعون باعيانها (وعليها)
وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي
المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة
بر تحت خدي زمامها ويكون الضمير فيه كالضمير في بعولتهن احق بردهن
(وعلى الفلك تحملون) في البر والبحر (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس بما عدد عليهم من النعم
المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها (ما لكم من اله غيره) استئناف لتعليل الامر
بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ (افلا تتقون) افلا تخافون ان يزيل
عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي
لا تحصونها (فقال الملأ) الاشراف (الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ما هذا
الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولو شاء
الله) ان يرسل رسولا (لانزل ملائكة) رسلا (ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين)
يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفي اله غيره
او من دعوى النبوة وذلك اما لفرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة متطاولة (ان
هو الا رجل به جنة) اي جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به) فاحتملوه وانتظروا
(حتى حين) لعله يفيق من جنونه (قال) بعدما ايس من ايمانهم (رب انصرني) باهلاكهم
او بانجاز ما وعدتهم من العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياي او بسببه (فاوحينا
اليه ان اصنع الفلك باعيننا) بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد

يكون الضمير في وعليها اذا كان المراد الابل كالضمير في بعولتهن احق بردهن ...

ووحينا وأمرنا وتعليمنا كيف تصنع فإذا جاء أمرنا بالركوب أو نزول
العذاب وفار التنور روي أنه قيل لنوح إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن
معك فلما نبع الماء منه أخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل
مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه أخر ذكرتها في هود فاسلك
فيها فأدخل فيها يقال سلك فيه وسلكه غيره قال تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين
اثنين من كل أمتي الذكر والأنثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين
أي من كل نوع زوجين اثنين وأهلك وأهل بيتك أو ومن آمن معك إلا
من سبق عليه القول منهم أي القول من الله بإهلاكه لكفره وإنما جيء بعلى لأن السابق
ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني
في الذين ظلموا بالدعاء لهم بالإنجاء إنهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالإشراك و
المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد أمر بالحمد على النجاة
منهم بهلاكهم بقوله فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين
كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب أنزلني في السفينة
أو في الأرض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرأ أبو بكر منزلا بمعنى إنزالا
أو موضع إنزال وأنت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه أمره بأن يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا به إلى الإجابة وإنما أفرده بالأمر والمعلق به أن يستوي هو ومن معه إظهارا
لفضله وإشعارا بأن في دعائه مندوحة عن دعائهم فإنه يحيط بهم لأنه نبيهم وإمامهم
فكان قوله قولهم إن في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر
أولو الأبصار والاعتبار وإن كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء
عظيم أو ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وإن هي المخففة واللام هي الفارقة ثم أنشأنا
من بعدهم قرنا آخرين هم عاد أو ثمود فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود أو
صالح وإنما جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأتهم من مكان غير مكانهم
وإنما أوحي إليه وهو بين أظهرهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره تفسير
لأرسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله أفلا تتقون عذاب الله
وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لأن كلامهم لم يتصل بكلام
الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا
بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب أو بمعادهم إلى الحياة الثانية بالبعث
وأترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد ما هذا
إلا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير
للمماثلة وما خبرية والعائد إلى الثاني منصوب محذوف أو مجرور حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه ولئن أطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم إنكم إذا لخاسرون
حيث أذللتم أنفسكم وإذا جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم أيعدكم
أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والأعصاب أنكم مخرجون

من الاجداث

من الأجداث أو من العدم تارة أخرى إلى الوجود وأنكم تكرير للأول أكد به لما طال
الفصل بينه وبين خبره أو أنكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه أو
فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الأول أي أنكم إخراجكم إذا متم أو
أنكم إذا متم وقع إخراجكم ويجوز أن يكون خبر الأول محذوفا لدلالة خبر
الثاني عليه لا أن يكون الظرف لأنه لا يكون خبرا عن الجثة هيهات هيهات بعد التصديق
أو الصحة لما توعدون أو بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم
لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات
بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير و
بالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على الوقف وبإبدال التاء هاء إن هي إلا حياتنا الدنيا أصله إن
الحياة إلا حياتنا الدنيا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها
حذرا عن التكرار وإشعارا بأن تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هي النفس ما حملتها
تتحمل ومعناه لا حياة إلا هذه الحياة لأن إن نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة
الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا
ويولد بعضنا وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو ما هو إلا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم إياي
قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتأكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة ليصبحن
نادمين على التكذيب إذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة صيحة جبريل
صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على أن القرن
قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل من الله كقولك
فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء
السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم
الظالمين يحتمل الإخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد إذا هلك وهو من
المصادر التي تنصب بأفعال لا يستعمل إظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد
ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين
يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من أمة أجلها الوقت الذي حد
لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الأجل ثم أرسلنا رسلنا
تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو
كما في تولج وتيقور والألف للتأنيث لأن الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو وأبو بكر
وابن كثير بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا كلما جاء أمة رسولها
كذبوه أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل ومع المجيء إلى المرسل إليهم لأن
الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه إليهم فأتبعنا بعضهم

في الهلاك وجعلناهم أحاديث لم يبق منهم إلا حكايات يسمر بها وهو اسم
جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون
ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين
وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن يراد به العصا وإفرادها لأنها أول المعجزات وأمها
تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق
البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة
ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وأن يراد بهما المعجزات فإنها آيات
للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي إلى فرعون وملائه فاستكبروا عن الإيمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لأنه
يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن
المثل لأنه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بأن قصارى شبه
المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده
ظاهر للمستبصر بأدنى تأمل فإن النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى
والإدراك لكنها متباينة الأقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان أغبياء
لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التعلم
والتفكر في أكثر الأشياء وأغلب الأحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي
إليه علمهم وإليه أشار بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وقومهما
يعني بني إسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل
بني إسرائيل ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم يهتدون
إلى المعارف والأحكام وجعلنا ابن مريم وأمه آية بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر
واحد مضاف إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهرت منه معجزات أخر وأمه آية
بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما إلى ربوة
أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة أو فلسطين أو مصر فإن قراها على الربا
وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر
من الأرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها ومعين
وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء أو من الماعون
وهو المنفعة لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون
وصف ماءها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لأنهم أرسلوا
في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا
أوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة
وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات

او حكاية

أو حكاية لما ذكر لعيسى وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول
ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام
ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فإنه المقصود منكم والنافع عند
ربكم إني بما تعملون عليم فأجازيكم عليه وإن هذه أي ولأن هذه والمعلل به
فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل إنه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف
والكوفيون بالكسر على الاستئناف أمتكم أمة واحدة ملتكم ملة واحدة أي
متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الإيمان
والتوحيد في العبادة ونصب أمة على الحال وأنا ربكم فاتقون في شق العصا
ومخالفة الكلمة فتقطعوا أمرهم بينهم فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو
فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم منصوب بنزع الخافض أو التمييز والضمير لما دل عليه
الأمة من أربابها أو لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده
القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان
لتقطعوا فإنه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو
حالا من أمرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب
من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق فذرهم
في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو
لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا أيحسبون أنما
نمدهم به أي ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له
فإنه غير معاتب عليه وإنما المعاتب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم نسارع
لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع
به لهم فيما فيه خيرهم وإكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور
ليتأملوا فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم
على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع
مبنيا للمفعول إن الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون
من عذابه والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما
أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم
وجلة خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به أنهم إلى ربهم
راجعون لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم أولئك يسارعون
في الخيرات يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل
الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الأعمال بالمبادرة إليها كقوله فآتاهم الله ثواب
الدنيا فيكون إثباتا لهم ما نفي عن أضدادهم وهم لها سابقون لأجلها فاعلون

السبق لانها تسوق الناس الى الطاعة او الثواب والجنة او سابقونها اي ينالونها
قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحون وتسهيله على النفوس ولدينا
كتاب يعني اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف
الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او نقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة
في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة
ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة عما وصفوا به او متخطية عما هم عليه
من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم
متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤوا
الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون
الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اي فقيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون
تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة
من جهتنا قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون
معرضين مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به الضمير للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه
اغنى عن سبق ذكره او لآياتي فانها كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين
او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون بذكر
القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ
سمرا جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن وتهذون في شأنه والهجر الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع
تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم
الاولين من رسول او كتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم
الاقدمون كاسماعيل واعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا
رسولهم اي لم يعرفوا محمدا بصحة النسب والامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم
مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد
هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا
ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد
ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا
واثقبهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم
واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان

استنكافا

استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو
اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض
ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع
الحق اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق
الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط
غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان
عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون
اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام يقولون به جنة خرجا اجرا على اداء
الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه
ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالدوام والكثرة فيكون ابلغ ولذلك
عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج ربك وحمزة والكسائي خراجا فخراج
للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم
انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلل في هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدي
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة
اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في
الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى
روي انهم قحطوا حتى اكلوا الجيف والعلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله فقال
انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته
وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب
شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون
آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع
والابصار لتحسوا بها ما نصبت من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى
غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان
العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة

للتأكيد. وهو الذي ذرأكم في الأرض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل وإليه تحشرون
تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم. وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار
مختص به تعاقبهما لا يقدر على ذلك غيره فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه
تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر. أفلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا
وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها. وقرئ بالياء على أن الخطاب
السابق لتغليب المؤمنين. بل قالوا أي كفار مكة. مثل ما قال الأولون آباؤهم ومن دان
بدينهم. قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا
أنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا
إلا أساطير الأولين إلا أكاذيبهم التي كتبوها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به
كالأعاجيب والأضاحيك وقيل جمع أسطار جمع سطر. قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون
إن كنتم من أهل العلم أو من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح وإلزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم إنكاره ولذلك
أخبر عن جوابه قبل أن يجيبوا فقال. سيقولون لله لأن العقل
الصريح قد اضطرهم بأدنى نظر إلى الإقرار بأنه خالقها. قل أي بعدما قالوا. أفلا
تذكرون فتعلمون أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قدر على إيجادها ثانيا فإن بدء الخلق
ليس أهون من إعادته. وقرئ تتذكرون على الأصل. قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم. فإنها أعظم من ذلك. سيقولون لله. قرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه
وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال. قل أفلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته
ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته. قل من بيده ملكوت كل شيء ملكه غاية ما يمكن
وقيل خزائنه. وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه. ولا يجار عليه ولا يغاث أحد
ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة. إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى
تسحرون فمن أين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الأمر وتظاهر الأدلة.
بل أتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور. وإنهم لكاذبون حيث أنكروا
ذلك. ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة أحد. وما كان معه من إله يساهمه في الألوهية
إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء الشرط حذف
لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد
به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا
فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالإجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات إلى واجب واحد. سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده. عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره
ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك
بناء على توافقهم في أنه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه. فتعالى الله عما يشركون بالفاء.
قل رب إما تريني إن كان لا بد من أن تريني والنون للتأكيد. ما يوعدون

من العذاب

من العذاب في الدنيا والآخرة. رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم
في العذاب، وهو إما لهضم النفس أو لأن شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وعن الحسن أنه تعالى أخبر نبيه أن له في أمته
نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء. وتكرير النداء وتصدير كل واحد
من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار. وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون
لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم
ولعله رد لإنكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد أراه وهو قتل بدر
أو فتح مكة. ادفع بالتي هي أحسن السيئة وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد إلى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هي
الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل. نحن أعلم بما يصفون بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف حالك
وأقدر على جزائهم فكل إلينا أمرهم. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة
الدواب على المشي والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف إليه. وأعوذ بك
رب أن يحضرون يحوموا حولي في شيء من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة
القرآن وحلول الأجل لأنها أحرى الأحوال بأن يخاف عليه. حتى إذا جاء أحدهم الموت
متعلق بيصفون أو [illegible] الذكر إلى هذا الوقت وما بينهما اعتراض لتأكيد
الإغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان أن يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام
أو بقوله إنهم لكاذبون. قال تحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة لما اطلع على
الأمر. رب ارجعون ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله
ارجعني كما قيل في قفا واطرقا. لعلي أعمل صالحا فيما تركت في الإيمان الذي تركته
أي لعلي آتي بالإيمان وأعمل فيه صالحا وقيل في المال أو في الدنيا وعنه عليه الصلاة
والسلام إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان
بل قدوما إلى الله وأما الكافر فيقول ارجعون. كلا ردع عن طلب الرجعة و
استبعاد لها. إنها كلمة يعني قوله رب ارجعون إلى آخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم
بعضها مع بعض. هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه
أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه. ومن ورائهم أمامهم والضمير للجماعة
برزخ حائل بينهم وبين الرجعة. إلى يوم يبعثون يوم القيامة وهو إقناط كلي عن الرجوع
لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة. فإذا نفخ
في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد أن الصور أيضا
جمع الصورة. فلا أنساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو يفتخرون بها. يومئذ كما
يفعلون اليوم. ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض

قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة
او حين يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار. فمن ثقلت موازينه موزونات
عقائده واعماله او اعمال صالحة يكون له وزن عند الله وقدر. فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والدرجات. ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن
وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. فاولئك الذين خسروا انفسهم
غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها. في جهنم
خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك. تلفح وجوههم النار تحرقها و
اللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا. وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون. الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار
القول اي يقال لهم الم تكن. فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا
العذاب لاجله. قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية
الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر
كالكتابة. وكنا قوما ضالين عن الحق. ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى الكفر
فانا ظالمون لانفسنا. قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام
سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ. ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون
راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول
مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون
الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من قبل فيقولون الفا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء. انه ان الشأن وقرئ بالفتح اي لانه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة. يقولون
ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرأ
نافع وحمزة والكسائي هنا وفي ص بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء
النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد
والعبودية. حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني
في اوليائي. وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم. اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم
انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استئنافا. قال اي الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار. كم لبثتم في الارض
احياء وامواتا في القبور. عدد سنين تمييز لكم. قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم
وايام السرور قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم. فاسأل العادين

الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا بما نحن فيه من العذاب
مشغولون عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول وقرئ العاديين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم. قال ان لبثتم الا قليلا
لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم. افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم
وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث. وانكم الينا لا ترجعون معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم.
فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه عبيد بالذات مالك
بالعرض من وجه وفي حال دون وجه وحال. لا اله الا هو فان ما عداه عبيد له
رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وينزل منه الرحمة والخير والبركة ومحكمات الاقضية
والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة
وقرئ بالرفع على انه صفة للرب. ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا
لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد
وبناء الحكم عليها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه
او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك. فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون ان الشأن وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح
بدئت السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان
يستغفر ويسترحمه فقال. وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك
الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون
حتى ختم العشر وروي ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ
باربع من اخرها فقد نجا وافلح. صدق رسول الله وصدق حبيب الله بحرمة من الصدق

سورة النور مدنية وهي بسم الله الرحمن الرحيم ثنتان وستون او اربع وستون اية

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة. انزلناها صفتها ومن نصبها جعلها
مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه. وفرضناها وفرضنا
ما فيها من الاحكام واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها وشدده ابن
كثير لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها. وانزلنا فيها ايات بينات
واضحات الدلالة. لعلكم تذكرون تتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال. الزانية والزاني
اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر. فاجلدوا
كل واحد منهما مائة جلدة. والفاء لتضمنهما معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر وقرئ والزان
بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه

ولان العقوبة تتعلق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص من ليس بمحصن
لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر
بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا
الا جرحا وكذا في العبد ثلاثة اقوال يغرب سنة كالحر ونصف سنة كما يجلد خمسين جلدة
ولا يغرب كما قال ابو حنيفة رحمه الله والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح
صحيح واعتبر الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام اليهوديين ولا يعارضه من اشرك
بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم. ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله
في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة. ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو
من باب التهييج. وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد
ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلاثة
وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير. الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح
والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والانضمام والمخالفة سبب
النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن
المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا
بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني
وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء القالة والطعن
في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي
وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية
والزانية ان يزني بها الا زان وهو فاسد. والذين يرمون المحصنات يقذفونهن
بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء
بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق
يا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام
والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة
او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر
شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة رحمه الله وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف
سببه واحتماله ولذلك نقص عدده. ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه
مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر
بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة

المراد به

كيف وحاله قبل الجلد اسوأ مما بعده. ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره. واولئك
هم الفاسقون المحكوم بفسقهم. الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا
اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به
كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء
وقيل الجر على البدل من هم. فان الله غفور رحيم علة للاستثناء. والذين
يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية رأى
رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير. فشهادة
احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم
واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة
بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها. انه لمن الصادقين
اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق
العامل عنه باللام تأكيدا. والخامسة والشهادة الخامسة. ان لعنة الله عليه
ان كان من الكاذبين في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا
لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة
فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم طلاقا
عند ابي حنيفة رحمه الله ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة
لقوله ويدرأ عنها العذاب اي الحد. ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن
الكاذبين فيما رماني به. والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في
ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد
ونصبها حفص عطفا على اربعا وقرأ نافع ان غضب الله. ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة. ان الذين جاءوا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو
الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه السلام استصحبها
في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء الحاجة ثم عادت
الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه
فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت
الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن معطل
قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها
فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به. عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى
الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه
شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول عليه السلام وابي بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم لتأذيهم

بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا. لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به. والذي تولى كبره معظمه وقرئ بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله ﷺ او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى الذين له عذاب عظيم في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا مشهودا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر. لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض مقصود على ان لا يخلوا باوله. وقالوا هذا افك مبين كما يقول المتيقن المطلع على الحال. لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه كذب عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه. ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد. اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم ياخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته ووجدته وتقفونه اي تتبعونه. وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم. وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له. وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم. ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغي وما يصح لنا. ان نتكلم بهذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله ﷺ

سبحانك تعجب من يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظم المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها. يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا. ابدا ما دمتم احياء مكلفين. ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع. ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تتعظوا وتتادبوا. والله عليم بالاحوال كلها. حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها. ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك. والله يعلم ما في الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله تعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة. ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله. وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة. يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع. ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها. ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا اخر الدهر. ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم بنياتهم. ولا ياتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتال وانه نزل في ابي بكر رضي الله عنه وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين. اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه. ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات. اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ في تعليل المقصود. وليعفوا ما فرط منهم. وليصفحوا بالاغماض عنه. الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم. والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه عم قرأها على ابي بكر فقال بلى احب ورجع مسطح نفقته. ان الذين يرمون المحصنات الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول عليه الصلوة والسلام والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا فيهن. ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب

الشيطان

وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي ع م ولذلك قال ابن عباس لا توبة له
ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها
يوم تشهد عليهم لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه ظرف م
لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم و
ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم
او بظهور آثار عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته
الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او
ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم
لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله
اولئك يعني اهل بيت النبي او الرسول وعائشة وصفوان مبرءون مما يقولون اذ
لو صدق لم تكن زوجته ولم تقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال
والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرءون مما يقولون فيهم
او للخبيثين والخبيثات اي مبرءون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وموسى من
قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضي الله عنها
بهذه الايات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول ع م واعلاء منزلته
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر و
لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله
او يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس
وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عليه السلام التسليم
ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم
خير لكم اي الاستيذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية
كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء فدخل
فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي ع م استأذن
على امي قال نعم قال انه ليس لها خادم غيري استأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها
احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان
المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس

عادة

عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق
او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى
لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك
المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون
مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض
بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم او
اطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون
وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا
ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان يبدى له
الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد
بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الكف
والوجه لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة
لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة
وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل
له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا
الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة تداخلهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم
وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان
او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات
فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن للرجال كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت
ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه ع م اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها
ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال ع م انه
ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او
التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل

طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على
الحال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس
وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن
ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ
من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه
كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى ان يفضي الى السفاح المخل بالنسب المقتضي للالفة
وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه
امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج
المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو
استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب
ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم
اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحين
للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع
من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط
بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة
لا ينفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح
ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين
يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد
كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض
فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول
بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى
الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق
فلا يجب كغيرها واحتجاج الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم
فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل صلاحا
في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه
عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئا من اموالهم

وفي معناه

وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفي اقل ما يتمول
وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق
عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين او
اعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشتري ويدل عليه قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء اي امائكم على الزنا كانت لعبد الله بن ابي ست
جوار يكرههن على الزنا فضرب عليهن الضرائب فشكى بعضهن الى رسول الله عم فنزلت
ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي
لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه
وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن او له ان تاب والاول اوفق
للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان
المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك
حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعني
الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم
ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله عنها
فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني ما وعظ به في تلك الآيات
وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات
المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور في الاصل كيفية تدركها
الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على
الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات
والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار
او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم
لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل
الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء العدم والله تعالى موجود بذاته موجد
لما عداه او الذي به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها
به او لمشاركتها له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها
تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص
في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها
والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء

أو بتوسط الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنوارا، ويقرب منه قول ابن عباس
معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون، وإضافته إليهما للدلالة على سعة
إشراقه أو لاشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية
عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما. مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن، وإضافته
إلى ضميره تعالى دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهره. كمشكاة كصفة مشكاة
وهي الكوة الغير النافذة. فيها مصباح سراج ضخم ثاقب، وقيل المشكاة الأنبوبة
في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة. المصباح في زجاجة في قنديل
من الزجاج. الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه
وزهرته منسوب إلى الدر، أو فعيل كمريق من الدرء فإنه يدفع الظلام بضوئه، أو
بعض ضوئه بعضا من لمعانه إلا أنه قلبت همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل،
وقراءة أبي عمرو والكسائي دريء كشريب، وقد قرئ به مقلوبا. يوقد من شجرة
مباركة زيتونة أي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت
ذبالته بزيتها، وفي إبهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم إبدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها،
وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد، وحمزة والكسائي
وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاجة بحذف المضاف، وقرئ توقد
من تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب. لا شرقية ولا غربية
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة
أو صحراء واسعة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، أو لا نابتة في شرق المعمورة
وغربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون، أو لا في مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها أو في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيا، وفي الحديث لا خير
في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى. يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه وفرط وبيصه. نور على نور متضاعف
فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة
لأشعته، وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه، الأول أنه تمثيل للهدى الذي دلت عليه الآيات
البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة، أو تشبيه
للهدى من حيث إنه محفوف بظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح، وإنما ولي
الكاف المشكاة لاشتمالها عليه، وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس، أو تمثيل لما نور الله
به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها، ويؤيده قراءة
أبي مثل نور المؤمن، أو تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي نيط
بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس، والخيالية التي تحفظ
صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت، والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية،
والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم، والقوة
القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء

المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا، بالأشياء
الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت،
فإن الحساسة كالمشكاة لأن محلها كالكوى ووجهها إلى الظاهر لا تدرك ما وراءه،
وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات
من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما تشتمل عليها من المعقولات، والعاقلة
كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية، والمفكرة كالشجرة
المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها، والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة
المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية، أو لوقوعها
بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين، والقوة القدسية
كالزيت فإنها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا
تعليم، أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكاة، ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس
الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فيصير كالزجاجة متلألئة في نفسها
قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة، وإن كان
بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لأنها
تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار
من حيث إن العقول تشتعل عنها، ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها
متى شاءت كان كالمصباح، فإذا استحضرها كان نورا على نور. يهدي الله لنوره
أي لهذا النور الثاقب. من يشاء فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها
تمامها. ويضرب الله الأمثال للناس إدناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا.
والله بكل شيء عليم معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا، وفيه وعد
ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها. في بيوت متعلق بما قبله أي كمشكاة
في بيوت، أو توقد في بيوت، فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة
فيه، فإن قناديل المساجد تكون أعظم، أو تمثيل لصلاة المؤمنين أو أبدانهم بالمساجد،
ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة إذ المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار
وحدة ولا كثرة، أو بما بعده وهو يسبح، وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لأنه من صلة
أن فلا يعمل فيما قبله، أو بمحذوف مثل سبحوا في بيوت، والمراد بها المساجد لأن الصفة
تلائمها، وقيل المساجد الثلاثة، والتنكير للتعظيم. أذن الله أن ترفع ويذكر بالبناء
أو التعظيم. فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في
أحكامه. يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه أو يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات، والغدو مصدر أطلق للوقت، ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو
جمع أصيل، وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل، وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح
على إسناده إلى أحد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه، وقرئ بالتاء مكسورة الباء

للبيع ونصوصا على اسنادها الى اوقات الغدو والاصال • لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم
معاملة رابحة • ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد
به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع
ويتوقع بالشرا وقيل المراد بالتجارة الشراء فانه اصلها ومبدؤها وقيل
الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه • واقام
الصلوة • عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • وايتاء الزكوة • ما يجب اخراجه من المال
للمستحقين • يخافون يوما • مع ما هم عليه من الذكر والطاعة • تتقلب فيه القلوب
والابصار • تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن
تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك
والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم • ليجزيهم الله متعلق بيسبح او
لا تلهيهم • او يخافون • احسن ما عملوا • احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة •
ويزيدهم من فضله • اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر ببالهم • والله يرزق من يشاء
بغير حساب • تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان •
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة • والذين كفروا حالهم ضد ذلك فان اعمالهم التي
يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما
يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة
بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات
في ديمة • يحسبه الظمآن ماء • اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة
الخيبة عند مسيس الحاجة • حتى اذا جاءه • جاء ما توهمه ماء او موضعه • لم يجده شيئا
مما ظنه • ووجد الله عنده • عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه • فوفاه حسابه
استعراضا او مجازاة • والله سريع الحساب • لا يشغله حساب عن حساب روي انها
نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر
او كظلمات • عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب
ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع
فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين
فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الاخرة • في بحر لجي • عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء
يغشاه موج • اي يغشى البحر • من فوقه موج • اي امواج مترادفة متراكمة • من فوقه
سحاب • من فوق الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى
للبحر • ظلمات • اي هذه ظلمات • بعضها فوق بعض • وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على
ابدالها من الاولى او باضافة السحاب اليها • اذا اخرج يده • وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد
يراها • لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد • رسيس الهوى
من حب مية يبرح • والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه • ومن لم يجعل

الله له نورا

الله له نورا • ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها • فما له من نور •
خلاف الموفق الذي له نور على نور • الم تر ان الله الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين
والوثاقة بالوحي او الاستدلال • ان الله يسبح له من في السماوات والارض • ينزه
ذاته عن كل نقص وآفة اهل السماوات والارض ومن لتغليب العقلاء او الآلاء بكل
ما يدل عليه من مقال او دلالة حال • والطير • على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر
والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى
على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال
قدرة الصانع ولطف تدبيره • كل • كل واحد مما ذكر او من الطير • قد علم صلوته
وتسبيحه • اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله • والله عليم بما يفعلون
او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال
من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة
في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء • ولله ملك السموات والارض • فانه الخالق
لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء
الى الواجب • والى الله المصير • مرجع الجميع • الم تر ان الله يزجي سحابا • يسوق ومنه
البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد • ثم يؤلف بينه • بان يكون قزعا فيضم بعضه
الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه • ثم يجعله ركاما • متراكما
بعضه فوق بعض • فترى الودق المطر • يخرج من خلاله • من فتوقه جمع خلل
كجبال في جبال وقرئ من خلله • وينزل من السماء • من الغمام وكل ما علاك فهو سماء
من جبال فيها • من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها • من برد • بيان
للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا او على
ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء
المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور
ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء
وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان
اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا
وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج
وكل ذلك لا بد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة
لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله • فيصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء • والضمير للبرد • يكاد سنا برقه • ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو
وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الراء وهو جمع برقة وهي المقدار من البرق
كالغرفة وبضمها للاتباع • يذهب بالابصار • بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب
على زيادة الباء • يقلب الله الليل والنهار • بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة

أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور أو بما يعم ذلك • إن في ذلك • فيما
تقدم ذكره • لعبرة لأولي الأبصار • لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال
قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى
بصيرة • والله خلق كل دابة • حيوان يدب على الأرض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل
دابة بالإضافة • من ماء • هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا
للغالب منزلة الكل إذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس
صلة لخلق • فمنهم من يمشي على بطنه • كالحية وإنما سمي الزحف مشيا على الاستعارة أو
المشاكلة • ومنهم من يمشي على رجلين • كالإنس والطير • ومنهم من يمشي على أربع • كالنعم
والوحش ويندرج فيه ما له أكثر من أربع كالعناكب فإن اعتمادها إذا مشت على أربع
وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير عن الأصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو أعرف في القدرة • يخلق الله ما يشاء • مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا
على اختلاف الصور والأعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والأفعال مع
اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته • إن الله على كل شيء قدير • فيفعل ما يشاء • لقد أنزلنا آيات مبينات
للحقائق بأنواع الدلائل • والله يهدي من يشاء • بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها
إلى صراط مستقيم • هو دين الإسلام الموصل إلى درك الحق والفوز بالجنة • ويقولون آمنا
بالله وبالرسول • نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه إلى كعب بن الأشرف وهو
يدعوه إلى النبي عم وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في أرض فأبى أن يحاكمه إلى رسول الله
وأطعنا أي وأطعناهما • ثم يتولى • بالامتناع عن قبول حكمه • فريق منهم من بعد ذلك • بعد قولهم
هذا • وما أولئك بالمؤمنين • إشارة إلى القائلين بأسرهم فيكون إعلاما من الله بأن جميعهم وإن
آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم أو إلى الفريق منهم وسلب الإيمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه
للدلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الإيمان أو الثابتون عليه •
وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم • أي ليحكم النبي عم فإنه الحاكم ظاهرا والمدعو إليه
وذكر الله لتعظيمه والدلالة على أن حكمه في الحقيقة حكم الله • إذا فريق منهم معرضون • فاجأ
فريق منهم الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكم لهم وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه • وإن يكن لهم الحق • أي الحكم لا عليهم • يأتوا إليه مذعنين • منقادين
لعلمهم بأنه يحكم لهم وإليه صلة ليأتوا أو لمذعنين وتقديمه للاختصاص • أفي قلوبهم مرض •
كفر أو ميل إلى الظلم • أم ارتابوا • بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك • أم يخافون أن
يحيف الله عليهم ورسوله • في الحكومة • بل أولئك هم الظالمون • إضراب عن القسمين الأخيرين
لتحقيق القسم الأول ووجه التقسيم أن امتناعهم إما لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني إما
أن يكون محققا عندهم أو متوقعا وكلاهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته يمنعه فتعين
الأول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو
إلى حكمه • إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا
وأولئك هم المفلحون • على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد

إنكار

بعد إنكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول وإسناده إلى
ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم • ومن يطع الله ورسوله • فيما يأمرانه أو في الفرائض
والسنن • ويخش الله • على ما صدر عنه من الذنوب • ويتقه • فيما بقي من عمره وقرأ
يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وأبو عمرو وأبو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون
القاف فشبه تقه بكتف وخفف • فأولئك هم الفائزون • بالنعيم المقيم • وأقسموا
بالله جهد أيمانهم • إنكار للامتناع عن حكمه • لئن أمرتهم • بالخروج عن ديارهم وأموالهم
ليخرجن • جواب لأقسموا على الحكاية • قل لا تقسموا • على الكذب • طاعة معروفة •
أي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة أو طاعة معروفة أمثل
منها أو لتكن طاعة وقرئت بالنصب على أطيعوا طاعة • إن الله خبير بما تعملون • فلا
يخفى عليه سرائركم • قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول • أمر بتبليغ ما خاطبهم الله به
على الحكاية مبالغة في تبكيتهم • فإن تولوا فإنما عليه • على محمد عم • ما حمل • من التبليغ
وعليكم ما حملتم • من الامتثال • وإن تطيعوه • في حكمه • تهتدوا • إلى الحق • وما على
الرسول إلا البلاغ المبين • التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد أدى وإنما بقي ما
حملتم فإن أديتم فلكم وإن توليتم فعليكم • وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات • خطاب للرسول عم وللأمة أو له ولمن معه ومن للبيان • ليستخلفنهم
في الأرض • ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو الوعد في تحققه منزل منزلة القسم • كما
استخلف الذين من قبلهم • يعني بني إسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة • وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وهو الإسلام بالتقوية والتثبيت • وليبدلنهم من بعد خوفهم
من الأعداء • أمنا • منهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين
خائفين ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله
وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة
للإخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين إذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه
لغيرهم بالإجماع وقيل الخوف من العذاب والأمن منه في الآخرة • يعبدونني • حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والأمن • لا يشركون
بي شيئا • حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين • ومن كفر • ومن ارتد أو كفر هذه النعمة • بعد
ذلك • بعد الوعد أو حصول الخلافة • فأولئك هم الفاسقون • الكاملون في فسقهم حيث
ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات أو كفروا تلك النعمة العظيمة • وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة وأطيعوا الرسول • في سائر ما أمركم به ولا يبعد عطف ذلك على أطيعوا الله فإن الفاصل
وعد على المأمور به فيكون تكرير الأمر بطاعة الرسول عم للتأكيد وتعليق الرحمة بها أو بالمندرجة
تحته بقوله • لعلكم ترحمون • كما علق به الهدى • لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض • لا
تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن إدراكهم وإهلاكهم وفي الأرض صلة معجزين وقرأ ابن عامر
وحمزة بالياء على أن الضمير لمحمد والمعنى كما هو في القراءة بالتاء أو الذين كفروا فاعل والمعنى

ولا يحسبن الكفار فى الارض احدا معجزين لله فيكون فى الارض معمولية او لا يحسبونهم
معجزين • ومأويهم النار • عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا بمعجزين ومأويهم
النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز • ولبئس المصير • المأوى
والمخصوص بالذم محذوف اي هي • يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم • رجوع الى تتمة
الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي ان غلاما لاسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت
وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر
فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله تعالى نهى آباءنا و
ابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد انزلت هذه الآية • والذين لم يبلغوا الحلم منكم • والصبيان الذين
لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله • ثلث مرات •
في اليوم والليلة • من قبل صلوة الفجر • لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي
وحين تضعون ثيابكم • اي ثيابكم لليقظة للقيلولة • من الظهيرة • بيان للحين • ومن بعد
صلوة العشاء • لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف • ثلث عورات لكم •
اي هي ثلث عورات اي ثلثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره ما بعد
واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بالنصب بدلا من ثلث مرات • ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن • بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي آية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان
ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين • طوافون عليكم • اي هم طوافون
استينافا ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه
دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلث وغيرها بانها عورات
بعضكم على بعض • بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض • كذلك • مثل ذلك
التبيين • يبين الله لكم الآيات • اي الاحكام • والله عليم • باحوالكم • حكيم • فيما شرع لكم
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم • في الاوقات كلها
واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم • كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم •
كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان • والقواعد من النساء • العجائز اللاتي قعدن
عن الحيض والحمل • اللاتي لا يرجون نكاحا • لا يطمعن فيه لكبرهن • فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن • اي الثياب الظاهرة كالجلباب والرداء والفاء فيه لان اللام في القواعد
بمعنى اللاتي او لوصفها بها • غير متبرجات بزينة • غير مظهرات زينة مما امر باخفائه
في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة

لا غطاء

لا غطاء عليها • والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا
يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها للرجال • وان يستعففن خير
لهن • من الوضع لانه ابعد من التهمة • والله سميع • لمقالهن للرجال • عليم • بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج • قيل كان المؤمنون
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح
ويبيح لهم التبسط فيها اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك
من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم
كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او
قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن
لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله ولا بعده
ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم • من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل
فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب
ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه • او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه • وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او
ماشية وكالة وحفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه • او صديقكم • او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم
واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضاء
صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان
في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية على ان لا قطع بسرقة مال المحرم • ليس عليكم
جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا • مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة
كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون
الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل في القذارة و
النهمة • فاذا دخلتم بيوتا • من هذه البيوت • فسلموا على انفسكم • على اهلها الذين هم
منكم دينا وقرابة • تحية من عند الله • ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة
للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم • مباركة
لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب • طيبة • تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه قال
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر
خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين • كذلك يبين الله
لكم الآيات • كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين
بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال • لعلكم تعقلون • اي
الحق والخير في الامور • انما المؤمنون • الكاملون في الايمان • الذين آمنوا بالله
ورسوله • من صميم قلوبهم • واذا كانوا معه على امر جامع • كالجمعة والاعياد

والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر
جميع • لم يذهبوا حتى يستاذنوه • يستاذنوا رسول الله عليه السلام فيأذن لهم و
اعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق
فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس رسول الله عليه السلام بغير
اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال • ان الذين يستاذنونك اولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله • فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب
بغير اذنه ليس كذلك • فاذا استاذنوك لبعض شانهم • ما يعرض لهم من المهام وفيه
ايضا مبالغة وتضييق للامر • فاذن لمن شئت منهم • تفويض للامر الى راي الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوض الى رايه ومن منع
ذلك قيد المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت له عذرا •
واستغفر لهم الله • بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا
على امر الدين • ان الله غفور • لفرطات العباد • رحيم • بالتيسير عليهم • لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا • لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته
واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله
مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على
بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم
يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب • قد يعلم الله الذين يتسللون منكم • يتسللون
قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل • لواذا • ملاوذة بان يستتر بعضهم
ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح • فليحذر الذين يخالفون عن امره • يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه
عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه و
الضمير لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول عليه السلام فانه المقصود بالذكر • ان تصيبهم
فتنة • محنة في الدنيا • او يصيبهم عذاب اليم • في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل
على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم الوجوب • الا ان لله ما في السموات
والارض قد يعلم ما انتم عليه • ايها المكلفون من الموافقة والمخالفة والنفاق والاخلاص
وانما اكد علمه بقد لتاكيد الوعيد • ويوم يرجعون اليه • يوم يرجع المنافقون الى الله
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات • فينبئهم بما
عملوا • من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه • والله بكل شيء عليم • لا يخفى عليه
خافية عن النبي عليه السلام من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها سبع وسبعون آية

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده • تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير او تزايد على
كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على
انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير
على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا له تعالى والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره
او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده
وهم رسول الله عليه السلام وامته لقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس
للكتب السماوية • ليكون • العبد او الفرقان • للعالمين • للجن والانس • نذيرا • منذرا او
انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت
مجرى المعلوم وجعلت صلة • الذي له ملك السموات والارض • بدل من الاول او مدح
مرفوع او منصوب • ولم يتخذ ولدا • كزعم النصارى • ولم يكن له شريك في الملك • كقول
الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل
عليه فقال • وخلق كل شيء • احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقة الانسان
من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة • فقدره تقديرا • فقدره وهياه لما
اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير و
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل
مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا • واتخذوا من دونه آلهة • لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما • لا يخلقون شيئا وهم
يخلقون • لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم • ولا يملكون • ولا يستطيعون • لانفسهم
ضرا • دفع ضر • ولا نفعا • ولا جلب نفع • ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا •
ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث
والجزاء • وقال الذين كفروا ان هذا الا افك • كذب مصروف عن وجهه • افتراه • اختلقه
واعانه عليه قوم آخرون • اي اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته
وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله انما يعلمه بشر • فقد جاءوا ظلما • بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود • وزورا • بنسبة ما هو بريء منه اليهم واتى وجاء
يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته • وقالوا اساطير الاولين • ما سطره المتقدمون
اكتتبها • كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها
كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل
وبني الفعل للضمير فاستتر فيه • فهي تملى عليه بكرة واصيلا • ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر
من الكتاب او ليكتب • قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض • لانه اعجزكم بفصاحته

ذكره وجه الابدال جواب ما يقال ان الصلة الموصول يجب ان يكون معلوما للمخاطب وليست هذه الا كذلك وتقريره

اي اشتقاق الخلق فان فيه معنى التقدير

عن آخركم وتضمن اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسـ
رار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل
في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب
صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم
ياكل الطعام كما ناكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح
دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات
فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار
اليه بقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني
عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق
اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ
حمزة والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بالظلم فيما قالوا ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله
وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا
فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى
معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا
الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا
من ذلك ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع
لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسئلة
يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ
بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد
لك في الآخرة او فلا تعجب بتكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
نارا شديدة الاشتعال وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا راتهم اذا كانت
بمرأى منهم كقوله لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الاخرى
على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى
منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره
وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق
الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف
واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة العذاب
فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك

في ذلك المكان

في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا
لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل
وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف
واضافة الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنان الدنيا كانت
لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا
ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد
بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلهم لهم فيها ما يشاءون ما يشاءونه
من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك
شأو الكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين
حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاءون والوعد
الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس
في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء
وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون
الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى
ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا
لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام
ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين
وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا
السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام
تقريع وتبكيت للعبدة واصله اضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام
المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب
وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء
معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه
وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي
لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا
ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذي
له مفعولان كقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن
للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم

فاستغرقوا في الشهوات • حتى نسوا الذكر • حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك
والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل
الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة • وكانوا •
في قضائك • قوما بورا • هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع
أو جمع بائر كعائذ وعوذ • فقد كذبوكم • التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام
على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون • بما تقولون • في قولكم إنهم آلهة
أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي
كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا • فما تستطيعون • أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء
على خطاب العابدين • صرفا • دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي
يحتال • ولا نصرا • فيعينكم عليه • ومن يظلم منكم • أيها المكلفون • نذقه عذابا كبيرا •
هي النار والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا • وما أرسلنا قبلك من المرسلين
إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق • أي إلا رسلا إنهم فحذف الموصوف
لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا إلا له مقام معلوم ويجوز أن يكون
حالا اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق
وقرئ يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس • وجعلنا بعضكم • أيها الناس • لبعض فتنة
ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم
العداوة وإيذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل
على القضاء والقدر • أتصبرون • علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أو حث على الصبر على
ما افتتنوا به • وكان ربك بصيرا • وقال الذين لا يرجون • لا يأملون • لقاءنا • بالخير
لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر على الأصل والرجاء في لغة تهامة الخوف وأصل اللقاء
الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي والمراد به الوصول إلى
جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول • لولا • هلا • أنزل علينا الملائكة • فتخبرنا
بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونوا رسلا إلينا • أو نرى ربنا • فيأمرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في أنفسهم • أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق لأفراد
من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتهم أو ما هو أعظم من ذلك • وعتوا • وتجاوزوا
الحد في الظلم • عتوا كبيرا • بالغا أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا
عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب
قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله
وجارة جساس أبأنا بنابها • كليبا علت ناب كليب بواؤها • يوم يرون الملائكة •
ملائكة الموت أو العذاب ويوم نصب باذكر أو بما دل عليه • لا بشرى يومئذ للمجرمين •
فإنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها ويومئذ تكرير أو خبر وللمجرمين تبيين أو خبر ثان

أو ظرف

أو ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها
وللمجرمين إما عام يتناولهم ولحكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى
لعامة المجرمين نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر وإما خاص وضع موضع
ضميرهم تسجيلا على جرمهم وإشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها
ويقولون حجرا محجورا • عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة
استعاذة وطلبا من الله أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو
هجوم مكروه أو يقولها الملائكة بمعنى حراما عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجرا
بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك و
لذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا • أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم
من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو
شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم
إلى أشيائهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثرا والهباء الغبار الذي يرى في شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به
عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه
أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد
الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين • أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا • مكانا يستقر فيه
في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث • وأحسن مقيلا • مكانا يؤوى إليه للاسترواح
بالأزواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه أو لأنه لا يخلو من ذلك
غالبا إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره
من التحاسين ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم و
زمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمان والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقا
أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم
فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار • ويوم تشقق السماء • وأصله تتشقق
فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب • بالغمام • بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل
من الغمام والملائكة • ونزل الملائكة تنزيلا • في ذلك الغمام وهو الغمام بصحائف
أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وأنزل ونزل الملائكة ونزل
الملائكة بحذف نون الكلمة • الملك يومئذ الحق للرحمن • الثابت له لأن كل ملك يبطل
يومئذ ولا يبقى إلا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك
لا الحق لأنه متأخر أو صفته والخبر يومئذ أو للرحمن • وكان يوما على الكافرين عسيرا
شديدا • ويوم يعض الظالم على يديه • من فرط الحسرة وعض اليدين وأكل
البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما

بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه
الى ضيافته فأبى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف
صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في
بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه و
تبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا
من مكة الا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه بقتله وطعن ابيا
في المبارزة فرجع الى مكة فمات. يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا
الى النجاة او طريقا واحدا وهو الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة. يا ويلتى
وقرئ بالياء على الاصل. ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان
كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس. لقد اضلني عن الذكر عن ذكر
الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة. بعد اذ جاءني وتمكنت منه
وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة
الرسول او كل من تشيطن من جن وانس. للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه
الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان. وقال الرسول محمد عليه السلام
يومئذ او في الدنيا بثا الى الله. يا رب ان قومي قريشا. اتخذوا هذا القرآن
مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه
لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني
مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير
الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود
والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم
العذاب. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما
صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع. وكفى بربك
هاديا الى طريق قهرهم. ونصيرا لك عليهم. وقال الذين كفروا لولا نزل عليه
القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب
الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع
ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه
مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود
وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لتعيى بحفظه ولعله لم يستتب
له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد
بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به
فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالة
اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله

مفرقا

مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة
واللام على الوجه الاول متعلق بمحذوف. ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا
بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل
في الاسنان وهو تفليجها. ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان
يريدون به القدح في نبوتك. الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه. واحسن تفسيرا
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت
هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت
له. الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة
على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره. اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه
هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة. ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي
ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه. فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه. بآياتنا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا
اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها
وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب
باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمرا بهم على التأكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة. اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم. للناس آية عبرة. واعتدنا للظالمين عذابا
اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم
وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة. واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير
المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها
بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا
فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم
كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم

الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد
ولذلك سميت مغربا فدعا عليه حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا
وقيل هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بير • وقرونا • واهل اعصار قيل
القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون • بين ذلك • اشارة الى ما ذكر
كثيرا • لا يعلمها الا الله • وكلا ضربنا له الامثال • بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا • كما قال • وكلا تبرنا تتبيرا • فتتنا تفتيتا
ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ • ولقد اتوا • يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام •
على القرية التي امطرت مطر السوء • يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها • في مرار مرورهم فيتعظوا بما يرون فيها من اثار عذاب الله تعالى • بل كانوا
لا يرجون نشورا • بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا
فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافون
على اللغة التهامية • واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا • ما يتخذونك الا موضع هزؤ
او مهزوا به • اهذا الذي بعث الله رسولا • محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج
بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه
لقالوا اهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا • ان كاد • انه كاد • ليضلنا عن الهتنا •
ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد
مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات • لولا ان صبرنا عليها • ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها
ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ • وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا • كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم • ارايت من اتخذ الهه هواه •
بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني
للعناية به • افانت تكون عليه وكيلا • حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحال هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار • ام تحسب • بل اتحسب • ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
فتجدي لهم الايات او الحجج فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى
حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق
وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة • ان هم الا كالانعام • في عدم انتفاعهم
بقرع الايات اذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات • بل هم اضل
سبيلا • من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها
وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب
الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم
تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي

الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم
وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم • الم تر الى ربك • الم
تنظر الى صنعه • كيف مد الظل • كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم
اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على
الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف
بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس
وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود • ولو شاء لجعله ساكنا • ثابتا
من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد • ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا • فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد
ولا يتفاوت الا بسبب حركتها • ثم قبضناه الينا • اي ازلناه بايقاع الشمس موقعه
لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف
قبضا يسيرا • قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحى الارض تحتها فالقت عليها
ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ثم خلق الشمس عليه دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا سهلا
عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها • وهو الذي
جعل لكم الليل لباسا • شبه ظلامه باللباس في ستره • والنوم سباتا • راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه
قطع الحياة ومنه المسبوت للميت • وجعل النهار نشورا • ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج
للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر • وهو الذي
ارسل الرياح • وقرا ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس • نشرا • ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرا ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر • بين يدي رحمته • يعني قدام المطر • وانزلنا
من السماء ماء طهورا • مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود
لما يتوضا به ويوقد به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسله سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه
قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به
اشعارا بالنعمة فيه وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه
ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك

احيي • لنحيي به بلدة ميتا • بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه
غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد • ونسقيه مما خلقنا
انعاما واناسي كثيرا • يعني اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم
وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء
فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم
القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة
منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما
قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وسقى
واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء وهو جمع انسي او
انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء • ولقد صرفناه
بينهم • صرفنا هذا القول بين الناس في القران وسائر الكتب او المطر بينهم في البلاد
المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن
ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا
هذه الاية او في الانهار والمنابع • ليذكروا • ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة
وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم • فابى اكثر الناس
الا كفورا • الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا
بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها
من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا • نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك
وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في
الدعوة واظهار الحق • فلا تطع الكافرين • فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به جهادا كبيرا • بالقران او بترك طاعتهم الذي يدل عليه ولا تطع والمعنى
انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم •
جهادا كبيرا • لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد
مع كل كفرة لانه مبعوث الى كافة القرى • وهو الذي مرج البحرين • خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها • هذا عذب فرات • قامع للعطش
من فرط عذوبته • وهذا ملح اجاج • بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد • وجعل بينهما برزخا • حاجزا من قدرته • وحجرا محجورا • وتنافرا
بليغا كان كلا منهما يقول للاخر ما يقوله المتعوذ للمتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة
تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر
العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة

في الفصل

في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت
وتشابهت في الكيفية • وهو الذي خلق من الماء بشرا • يعني الذي خمر به طينة
ادم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة
او النطفة • فجعله نسبا وصهرا • اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وكان ربك قديرا •
حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله
قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى • ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم • يعني الاصنام او كل ما عبد من دونه اذ ما من مخلوق يستقل
بالنفع والضر • وكان الكافر على ربه ظهيرا • يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به
اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم • وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا • للمؤمنين والكافرين • قل ما اسالكم عليه • على تبليغ الرسالة الذي يدل
عليه الا مبشرا ونذيرا • من اجر الا من شاء • الا فعل من شاء • ان يتخذ الى ربه سبيلا • ان
يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث
انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد
بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه و
اشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه
لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل • وتوكل على الحي الذي لا يموت • في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم
اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم • وسبح بحمده • ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه • وكفى به بذنوب عباده •
ما ظهر منها وما بطن • خبيرا • مطلعا • فلا عليك ان امنوا او كفروا • الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش • قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره
زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض
على الثبات والتاني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل اراد خلق
الاشياء على تؤدة وتدرج • الرحمن • خبر للذي ان جعلته مبتدا ولمحذوف ان جعلته
صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي • فاسال به خبيرا •
فاسال عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او
من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله فاسال عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا
يجوز ان يكون الرحمن مبتدا والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى
التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا • واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن • لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا

انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تامرنا اي للذي تامرنا به بمعنى تامرنا بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرا حمزة والكسائي يامرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ولعل افراد القمر لكونه نوعا من النور كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الاخر وقرا حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدا خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الريا وتاخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمي به لاستقامة

ثان ثم

الفرقن

الطرفين كانه يعني سواء استواء بينهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغو وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرا ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعف العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة وقرا ابن عامر وذريتنا ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا

وقرأ حمزة وابو عمرو والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا
للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته
على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل
كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم
كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة
وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها وقيل هي من اسماء
الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل
المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة اي يحييهم الملائكة
ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت
مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي
ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم
فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء
وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها
النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث
خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم
من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم
لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ
لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي ﷺ من قرأ سورة الفرقان
لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود
الى الياء المهرب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات
الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو
عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او
خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان
او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا
لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما

وصف الاعناق

وصف الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء
او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة
وظلت عطف على ننزل عطف فاكن على فاصدق فانه لو قيل انزلنا بدله لصح
وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه
محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين
الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد
اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا
في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما
كانوا به يستهزءون من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق
ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى
عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وهاهنا يحتمل ان يكون مقيدا لما يتضمن الدلالة على القدرة
وان يكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره
وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي ان في انبات تلك الاصناف
او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة
وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات
العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم
او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر
او ظرف لما بعده ان ائت اي بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل
وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان ولعل الاقتصار على
القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم
تعجيبا له من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم
زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل
اليهم حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن
تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا
يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هارون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه في الامر
على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان
بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا تنبتر حجته
وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره
فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف منه
ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه

وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق فاصدق واكن من الصالحين بالتدارك وقرئ واكن للعطف على موضع الفاء وما بعده لانه لولا اخرتني

استعباد

ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع • فأخاف أن يقتلون
به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما
أن ذلك استمداد واستظهار في أمر الدعوة وقوله • قال كلا فاذهبا بآياتنا • إجابة
له إلى الطلبتين بوعده لدفع اللازم بردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال
والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا
كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته • إنا معكم • يعني موسى
وهرون وفرعون • مستمعون • سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه
مثل نفسه تعالى بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد أوليائه
منهم مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء
للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو خبر ثان أو الخبر وحده
ومعكم لغو • فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين • أفرد الرسول لأنه مصدر
وصف به فإنه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول • ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى أو لاتحادهما للأخوة أو
لوحدة المرسل والمرسل به أو لأنه أراد أن كل واحد منا • أن أرسل معنا بني إسرائيل
أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا
معنا إلى الشام • قال • أي فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك • ألم نربك
فينا • في منازلنا • وليدا • طفلا سمي به لقربه من الولادة • ولبثت فينا من عمرك سنين
قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله
ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين • وفعلت فعلتك التي فعلت • يعني قتل القبطي وبخه
به معظما إياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز
وأنت من الكافرين • بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه السلام كان
يعايشهم بالتقية فهو حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه
من الكافرين بإلهيته أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم
قال فعلتها إذا وأنا من الضالين • من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل
أولي الجهل والسفه أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله أو الذاهبين عما يؤول إليه الوكز لأنه
أراد به التأديب أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما • ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما • حكمة • وجعلني من المرسلين • رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على
ما عدد عليه من النعمة ولم ينف كونه معيبا عنها فقال • وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل
أي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم
بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة
الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر
محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى
خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة

[illegible]

تمنها علي

تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده والخوف
والفرار منه ومن ملائه • قال فرعون وما رب العالمين • لما سمع جواب ما طعن به فيه
ورأى أنه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل • قال رب السماوات والأرض وما بينهما • عرفه بأظهر خواصه وآثاره
لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال وإليه أشار بقوله إن كنتم
موقنين • أي إن كنتم موقنين الأشياء محققين لها علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة
ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدئ واجب لذاته وذلك المبدأ
لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد
الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
إلا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب
في ذاته • قال لمن حوله ألا تستمعون • جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله أو يزعم
أنه رب السماوات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية أو غير معلوم افتقارها
إلى مؤثر • قال ربكم ورب آبائكم الأولين • عدولا إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشكك في
افتقاره إلى مصور حكيم ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل • قال إن رسولكم
الذي أرسل إليكم لمجنون • أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما • تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق
ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور
الكائنات • إن كنتم تعقلون • إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم
أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم • قال لئن اتخذت
إلها غيري لأجعلنك من المسجونين • عدولا إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع
وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الألوهية وإنكاره للصانع
وأن تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهريا اعتقد أن من
ملك قطرا أو تولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام في المسجونين للعهد
أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك
جعل أبلغ من لأسجننك • قال أولو جئتك بشيء مبين • أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء
مبين صدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته
والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل •
قال فأت به إن كنت من الصادقين • في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة
لا بد له من حجة • فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين • ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان
من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر • ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين
روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده فقال ما فيها
فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق
قال للملأ حوله • مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال • إن هذا لساحر عليم

جوابهم

[illegible]

فائق في علم السحر • يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان
المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مخاطرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى
واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه • قالوا ارجه واخاه اخر امرهما او
احبسهما • وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة • يأتوك بكل ساحر سحار
عليم • يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ بكل سحار
فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من
يوم الزينة • وقيل للناس هل انتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم
اليه كقول تأبط شرا • هلا انت باعث دينار لحاجتنا • او عبد رب اخا عون بن مخراق
اي ابعث احدهما الينا سريعا • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم
في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي
ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم
لم يتبعوا موسى • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذ
على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم وهما لغتان • قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر
والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلون لا محالة توسلا به الى اظهار الحق • فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة
لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر •
فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف
ما يأفكون • ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم
انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة • فالقي السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق
يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل
ما قبله ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم يتمالكوا انفسهم كانهم اخذوا وطرحوا
على وجوههم وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق • قالوا امنا برب العالمين
بدل [illegible] بدل الاشتمال او حال [illegible] • رب موسى وهرون ابدال للتوضيح ودفع
التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما • قال امنتم له قبل ان اذن لكم
انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم ذلك
وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا على بصيرة وظهور
حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح أأمنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون
وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به فان الصبر عليه
محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها

لما راوا ما راوه

انا نطمع

انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا • لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون
او من اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ
ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت
فلا تنس حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم
يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرأ نافع وابن كثير
ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير • انكم متبعون يتبعكم
فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم مصبحين كان
لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر
فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم • فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن
حاشرين العساكر ليتبعوهم • ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم
وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته
سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم
اسباط كل سبط منهم قليل • وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حاذرون
وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم
من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثا
عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر والكوفيون
حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء قال احب
الصبي السوء من اجل امه • وابغضه من بغضها وهو حادر • او تامو السلاح فان
ذلك يوجب حدارة في اجسامهم • فاخرجناهم من جنات بان خلقنا داعية الخروج بهذا
السبب فحملتهم عليه • وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس
البهية • كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم
على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف • واورثناها بني اسرائيل • فاتبعوهم
وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس • فلما تراءى الجمعان تقاربا
بحيث راى كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان • قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على
ايديهم • قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم • ان معي ربي بالحفظ والنصرة
سيهدين طريق النجاة منهم • روي ان مؤمن ال فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع •
فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل • فانفلق اي فضرب
فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك • فكان كل فرق كالطود العظيم • كالجبل
المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب • وازلفنا وقربنا • ثم الاخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم • وانجينا موسى ومن معه اجمعين

بحفظ العهد علي بكاء البينة الحاضر عبرانا ● ثم اغرقنا الآخرين باطباق الماء عليهم ● ان في ذلك
لآية ● وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعدما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ● وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه ● واتل عليهم على مشركي
العرب نبأ ابراهيم ● اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق
العبادة ● قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا
وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل ● قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب
عن دعائكم وجيء بمضارعها مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها ● او ينفعونكم
على عبادتكم لها ● او يضرون من اعرض عنها ● قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ● اضربوا عن
ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤا الى التقليد ● قال افرأيتم ما كنتم تعبدون
انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا ● فانهم عدو
لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او
ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه
انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول
وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب ● الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل
على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله ● الذي خلقني فهو يهدين فانه
يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة
من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة
والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة لرب
العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية ● وقوله ● والذي هو يطعمني
ويسقين على انه مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحد من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم ● واذا مرضت
فهو يشفين ● عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب
يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض بنسبة الاماتة
اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل
الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية
ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم ● والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة ● والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي
ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر

وحمل

وحمل الخطيئة على كلمات الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض
وليست خطايا ● رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة
الخلق ● والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح
الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره ● واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها
وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له ومثنون عليه
او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كانوا يدعوهم اليه وهو محمد ● واجعلني
من ورثة جنة النعيم ● في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها ● واغفر لابي ● بالهداية والتوفيق
للايمان ● انه كان من الضالين طريق الحق وان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه
انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار ● ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيب
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين
وهو من الخزي بمعنى الهوان او بمعنى الخزاية بمعنى الحياء ● يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم
معلومون او للضالين ● يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفعان
احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا
مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم
على الخير وقصد بهم ان يكونوا عبادا لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء
مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة
من اتى الله بقلب سليم تنفعه ● وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون
بانهم المحشورون اليها ● وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم
المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد ● وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون من دون الله اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم ● هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم ● او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال
فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن
من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها ● وجنود ابليس متبعوه
من عصاة الثقلين او شياطينه ● اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده
والا فللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله ● قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين ● على ان الله ينطق الاصنام فيخاصمون العبدة
ويؤيده الخطاب في قوله ● اذ نسويكم برب العالمين ● اي في استحقاق العبادة ويجوز
ان يكون الضمير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى
انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهم كانوا في الضلال متحسرون عليها
وما اضلنا الا المجرمون ● فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ● ولا صديق
حميم ● اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا
صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا

وجمع الشافع ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق وكون الصديق
الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين
والصهيل ﴿فلو أن لنا كرة﴾ تمن للرجعة وإنما أقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير
أو شرط حذف جوابه ﴿فنكون من المؤمنين﴾ جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون
﴿إن في ذلك﴾ أي فيما ذكر من قصة إبراهيم ﴿لآية﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها
ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها
من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته
معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصور الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل
الحكاية تعريضا وإيقاظا لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول ﴿وما كان أكثرهم﴾
أكثر قومه ﴿مؤمنين﴾ به ﴿وإن ربك لهو العزيز﴾ القادر على تعجيل الانتقام ﴿الرحيم﴾ بالإمهال
لكي يؤمنوا هم أو واحد من ذريتهم ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ القوم مؤنث ولذلك
تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ لأنه كان
منهم ﴿ألا تتقون﴾ فتتركوا عبادة غير الله ﴿إني لكم رسول أمين﴾ مشهور بالأمانة فيكم
﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله ﴿وما أسألكم عليه﴾ على
ما أنا عليه من الدعاء والنصح ﴿من أجر إن أجري إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون﴾
كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما
يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في
أجري في الكلمات الخمس ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ الأقلون جاها ومالا جمع
الأرذل على الصحة وقرأ يعقوب وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو
تبع كبطل وأبطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية
حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه
دليلا على بطلانه وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وإنما هو لتوقع
مال ورفعة فلذلك قال ﴿وما علمي بما كانوا يعملون﴾ إنهم عملوه إخلاصا أو طمعا في طعمة وما
علي إلا اعتبار الظاهر ﴿إن حسابهم إلا على ربي﴾ ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه
المطلع عليها ﴿لو تشعرون﴾ لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون ﴿وما أنا
بطارد المؤمنين﴾ جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه
حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ كالعلة له أي ما أنا إلا رجل
مبعوث لإنذار المكلفين من الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلاء فكيف يليق
طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما علي إلا إنذاركم إنذارا بينا بالبرهان الواضح
فلا علي أن أطردهم لاسترضائكم ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾
من المشتومين أو المضروبين بالحجارة ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾ إظهارا بما يدعو عليهم لأجله
وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾ فاحكم بيني
وبينهم من الفتاحة ﴿ونجني ومن معي من المؤمنين﴾ من قصدهم أو شؤم عملهم ﴿فأنجيناه﴾

ومن معه

ومن معه في الفلك المشحون﴾ المملوء ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ بعد إنجائه ﴿الباقين﴾ من قومه
﴿إن في ذلك لآية﴾ شاعت وتواترت ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾
﴿كذبت عاد المرسلين﴾ أنثه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيهم ﴿إذ قال لهم أخوهم
هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري
إلا على رب العالمين﴾ تصدير القصص بها دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء
إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الأنبياء
متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والأغراض
الدنيوية ﴿أتبنون بكل ريع﴾ بكل مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها ﴿آية﴾ علما للمارة
﴿تعبثون﴾ ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوها عبثا أو بروج
الحمام أو بنيانا يجتمعون إليها للعبث بمن يمر عليهم أو قصورا يفتخرون بها ﴿وتتخذون
مصانع﴾ مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا ﴿لعلكم تخلدون﴾ فتحكمون بنيانها
﴿وإذا بطشتم﴾ بسوط أو سيف ﴿بطشتم جبارين﴾ متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد
تأديب ونظر في العاقبة ﴿فاتقوا الله﴾ بترك هذه الأشياء ﴿وأطيعون﴾ فيما أدعوكم إليه فإنه
أنفع لكم ﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون﴾ كرره مرتبا على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع
النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع
ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالا بالإنكار في ألا تتقون
مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ ثم
أوعدهم فقال ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على
الإنعام قدر على الانتقام ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ فإنا لن نرعوي
عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقابله للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه
﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين أو ما خلقنا هذا إلا
خلقهم نحيا ونموت ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين
أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله أو ما هذا الذي نحن فيه من
الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه ﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾
بسبب التكذيب بريح صرصر ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا
آمنين﴾ إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم
آمنين ثم فسره بقوله ﴿في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم﴾ لطيف لين
للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله
على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار ﴿وتنحتون من الجبال بيوتا
فارهين﴾ بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط

إذ كانوا يهتدون تعليل لقوله العبث وبيانه ذكره بقوله إذ كان من مرادهم بناء تلك العلامات الاهتداء إلى الطريق في أسفارهم فكانوا مستغنين عنها وهم مستغنون بعلامة النجوم عن تلك العلامات فكون بنائها عبثا

[illegible]

[illegible]

وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى الامر مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو امن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد ادم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لان من القلي كانه يقلي الفؤاد والكبد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرا في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين

الدوم فيه

الذم فيه المجرد ... وتنوع الصفات اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذاب منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على ما اقترحوا بان سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القران ونبوة محمد عليه السلام فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبريل عليه السلام فانه امين الله على وحيه وقرا ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب

الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى العذاب من فعل او ترك. بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلوة والسلام. وانه وان ذكره او معناه لفي زبر الاولين لفي الكتب المتقدمة. اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد. ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا. وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ويكن تامة وآية حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن. ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة. كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا. لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان. فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه. فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا. افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة. افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه. وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة. ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية. وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار. وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة. وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به. وما يستطيعون وما يقدرون. انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة. فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين. وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم. روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط. ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان. فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم. وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط. الذي يراك حين تقوم الى التهجد. وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت

الزنابير

الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم. وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عن نفسه بما يدل على قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه. انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه. هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا لا يصح ان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد على خلاف ذلك. وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها الواقع كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة. ولا كذلك محمد فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها. وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني. وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان يرجموا فيختطفون منهم بعض الغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم. والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله. ألم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله. وانهم يقولون ما لا يفعلون وكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابهما. وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد. الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك. وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل. وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاهما ابو بكر لعمر حين عهد اليه. وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات. عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم السلام.

سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم. طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين اشارة الى آي السورة والكتاب

لبينا ما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظر فيه وتأخيره باعتبار تعلق
علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام
او لصحتها باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتفخيم
وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • هدى وبشرى للمؤمنين
حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران لمحذوف • الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة • وهم بالآخرة
هم يوقنون • من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون و
يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق
على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم • زين اعمالهم
القبيحة بان جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات
فهم يعمهون • عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع • اولئك الذين لهم سوء العذاب • كالقتل و
الاسر يوم بدر • وهم في الآخرة هم الاخسرون • اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق
العقوبة • وانك لتلقى القرآن • لتؤتاه • من لدن حكيم عليم • اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع
ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن
منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات
ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله • اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا • اي اذكر قصته
اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم • سآتيكم منها بخبر • اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع
الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة
او الوعد بالاتيان وان ابطأ • او آتيكم بشهاب قبس • شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه
لانه يكون قبسا وغيره وقرئ بتنوينه على ان القبس بدل منه او وصف له
لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه
والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله
انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده • لعلكم تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء
النار العظيمة • فلما جاءها نودي ان بورك • اي بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك
على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف
لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة • من في النار ومن حولها • من في مكان النار وهو البقعة
المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها
والظاهر انه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء
وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام
وسبحان الله رب العالمين • من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظم
ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته • يا موسى انه انا الله • الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له

او للتكلم

او للمتكلم وانا خبره والله بيانه • العزيز الحكيم • صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوي
القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير • والق عصاك عطف
على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك
بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان • فلما رآها تهتز • تتحرك باضطراب • كأنها جان • حية
خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين • ولى مدبرا ولم يعقب • ولم
يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه • يا موسى لا
تخف • من غير ثقة بي او مطلقا لقوله • اني لا يخاف لدي المرسلون • حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق
فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه • الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم • استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف
عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله
مغفرة ورحمة وقصد تعريض بموسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على
محذوف اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة • وادخل يدك في جيبك • لانه كان مدرعة صوف لا كم
له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع • تخرج بيضاء من غير سوء • آفة كبرص • في تسع آيات
في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
فيتعلق به • الى فرعون وقومه • وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا • انهم كانوا قوما
فاسقين • تعليل للارسال • فلما جاءتهم آياتنا • بان جاءهم موسى بها • مبصرة • بينة اسم
فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما
يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي او مبصرة كل من نظر
اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر • قالوا هذا سحر مبين • واضح سحريته • وجحدوا
بها • وكذبوا بها • واستيقنتها انفسهم • وقد استيقنتها انفسهم لان الواو للحال • ظلما
لانفسهم • وعلوا • ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا • فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين • وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة • ولقد آتينا داود وسليمان علما •
طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اي علم • وقالا الحمد لله • عطفه بالواو اشعارا
بان ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلاه وقالا
الحمد لله • الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين • يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل
على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما
اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وعلى
ان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير • وورث سليمان داود • النبوة
او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر • وقال يا ايها
الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء • تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في

في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث
انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها
ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي
توخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا
العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ
بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له
وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان
يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر
وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على اواخرهم
ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان
اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره كأنهم
ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كأنها لما
رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت
بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم
مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم
والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك هاهنا فهو استئناف او بدل من الامر
لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم
يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اي فهم سليمان والقوم
لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها
او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب
اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث
لا انفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه
ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما
سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره
فقال ما لي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول أهو غائب
كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس او حيث
النمال تأكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان
مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على الاولين بتقدير عدم الثالث ولكن لما اقتضى ذلك
وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير اوليأتينني بنونين
الاولى مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه

خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته
اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى خلق الله من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه
ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك
من سبأ وقرأ ابن كثير برواية البزي وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة
بنبأ يقين بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام
ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها
ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحس الماء تحت الارض فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق
حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم
رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء
اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت
شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك
ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين
عرضا وسمكا او ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون
للشمس من دون الله كأنهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها
من قبائح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون الا يسجدوا
لله اي فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى
ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه
محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطقي واصيبي
وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود
وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا
بقلب الهمزة هاء والا تسجدوا وهلا تسجدوا على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصفه بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة
والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم
اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل
والابداع فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ
حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول
الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى
التأمل أصدقت ام كنت من الكاذبين اي ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل
اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر
ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ اني
القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية
في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان
استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان

وانه بسم الله الرحمن الرحيم * ان لا تعلوا علي * ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب * واتوني مسلمين * مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة * قالت يا ايها الملا افتوني في امري * اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه * ما كنت قاطعة امرا * ما ابت امرا * حتى تشهدون * الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة * قالوا نحن اولوا قوة * بالاجساد والعدد * واولوا باس شديد * نجدة وشجاعة * والامر اليك * موكول * فانظري ماذا تامرين * من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك * قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها * تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها * وجعلوا اعزة اهلها اذلة * بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر * وكذلك يفعلون * تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله * واني مرسلة اليهم بهدية * بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفع بها عن ملكي * فناظرة بم يرجع المرسلون * من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظم شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرائيل بالحال طلب الحق واخبر بما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء وكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية * فلما جاء سليمان * اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا * قال اتمدونن بمال * خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء * فما آتاني الله * من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه * خير مما آتاكم * فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي * بل انتم بهديتكم تفرحون * لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها * ارجع * ايها الرسول * اليهم * الى بلقيس وقومها * فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها * لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم * ولنخرجنهم منها * من سبا * اذلة * بذهاب ما كانوا فيه من العز * وهم صاغرون * اسراء مهانون * قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها * اراد بذلك ان يريها

بعض ما خصه الله تعالى من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره * قبل ان ياتوني مسلمين * فانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذه الا برضاها * قال عفريت * خبيث مارد * من الجن * بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخر * انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك * من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار * واني عليه * على حمله * لقوي امين * لا اختزل منه شيئا ولا ابدله * قال الذي عنده علم من الكتاب * آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرائيل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في * انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك * للعفريت كانه استبطاه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتاتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله * وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر * وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع ومثل فيه * فلما راه * راى العرش * مستقرا عنده * حاصلا بين يديه * قال * تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله * هذا من فضل ربي * تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضاره في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء * ليبلوني ااشكر * بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه * ام اكفر * بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء * ومن شكر فانما يشكر لنفسه * لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران * ومن كفر فان ربي غني * عن شكره * كريم * بالانعام عليه ثانيا * قال نكروا لها عرشها * بتغيير هيئته وشكله * ننظر * جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف * اتهتدي * الى معرفته او الجواب الصواب * ام تكون من الذين لا يهتدون * الى معرفة ما يغير عليهم او الجواب الصواب يعني الى الايمان بالله ورسوله اذا رات تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس * فلما جاءت قيل اهكذا عرشك * تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل * قالت كانه هو * ولم تقل هو هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها * واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين * من تمام كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على يد الانبياء اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له * وصدها ما كانت تعبد من دون الله * اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان * انها كانت من قوم كافرين * وقرئ بالفتح على الا بدل من

رفا على صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له • قيل لها ادخلي الصرح
القصر وقيل عرصة الدار • فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها • روي انه امر قبل قدومها
فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في
صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل
سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق • قال انه ان ما تظنينه ماء • صرح ممرد مملس
من قوارير من الزجاج • قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت
انه يغرقها في اللجة • واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف
في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان • ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء • فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا
التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين • قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا • قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول
العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ • لولا تستغفرون الله قبل نزوله • لعلكم
ترحمون بقبولها فانها لا تقبل حينئذ • قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد
او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم • قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم • عند الله
وهو قدره او عملكم المكتوب عنده • بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء
والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه • وكان في المدينة
تسعة رهط • تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة
او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة • يفسدون في الارض ولا يصلحون اي
شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح • قالوا اي قال بعضهم لبعض • تقاسموا بالله امر
مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد • لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر
ثم لنقولن • فيه القراءات الثلث • لوليه • لولي دمه • ما شهدنا مهلك اهله • فضلا ان تولينا
اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعلا قد جاء
مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا • وانا لصادقون • ونحلف انا لصادقون
او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا
مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلا بل رجلين • ومكروا مكرا • بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا • بان جعلناها سببا لاهلاكهم • وهم لا يشعرون • بذلك روي انه كان لصالح
في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث
فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك
الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله • فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم و
قومهم اجمعين • وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف او خبر محذوف لا خبر
كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب بالفتح على انه خبر
محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال • فتلك بيوتهم خاوية • خالية من خوى البطن اذا خلا

اوساقطة

او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف • بما ظلموا • بسبب ظلمهم • ان
في ذلك لاية لقوم يعلمون • فيتعظون • وانجينا الذين امنوا • صالحا
ومن معه • وكانوا يتقون • الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة • ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه • اذ قال لقومه
بدل على الاول ظرف على الثاني • اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون •
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش • ائنكم لتاتون
الرجال شهوة • بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه
والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر • من دون
النساء • اللاتي خلقن لذلك • بل انتم قوم تجهلون • تفعلون فعل من يجهل
قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء
فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب • فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون • يتنزهون عن
افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا • فانجيناه واهله الا امراته
قدرناها من الغابرين • قدرنا كونها من الباقين في العذاب • وامطرنا عليهم
مطرا فساء مطر المنذرين • مر مثله • قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى • امر رسوله بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته
وعظم شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار من العدى
بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمهم ما جهل
من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا
بان يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش
والنجاة من الهلاك • الله خير اما تشركون • الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه
لرايهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين من
هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء • امن • بل امن
خلق السموات والارض • التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ
امن بالتخفيف على انه بدل من الله • وانزل لكم • لاجلكم • من السماء ماء فانبتنا
به حدائق ذات بهجة • عدل به عن الغيبة الى التكلم لتاكيد اختصاص
الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع
المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها • شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو
الاحاطة • االه مع الله • اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد
بالخلق والتكوين وقرئ االها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون

وتوسيط سترة بين الجزئين واخراج الثانية بين بين . بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذي هو التوحيد . ام من جعل الارض قرارا . بدل من امن خلق
السموات وجعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى
استقرار الانسان والدواب عليها . وجعل خلالها . وسطها . انهارا
جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها
المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجي فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان . ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فيشركون به . امن يجيب المضطر اذا دعاه . المضطر الذي احوجه
شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام
فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر . ويكشف السوء
ويدفع عن الانسان ما يسوءه . ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان
ورثكم سكناها ممن قبلكم والتصرف فيها . ءاله مع الله الذي خصكم بهذه
النعم العامة والخاصة . قليلا ما تذكرون . اي تذكرون الاءه تذكرا
قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرا
ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال
امن يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض في الظلمات
ظلمات الليالي اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق
يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها . ومن يرسل الرياح بشرا بين
يدي رحمته . يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح
معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتمويجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله
تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب . ءاله مع الله يقدر على مثل ذلك
تعالى الله عما يشركون . تعالى الله القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق
امن يبدؤا الخلق ثم يعيده . والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون
بالحجج الدالة عليها . ومن يرزقكم من السماء والارض . اي باسباب سماوية
وارضية . ءاله مع الله يفعل ذلك . قل هاتوا برهانكم . على ان غيره يقدر
على شيء من ذلك . ان كنتم صادقين . في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم
الالوهية . قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله . لما بين ه
اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو
التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية
للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض
من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولي

العلم

العلم من خلقه وهو موصول او موصوف . وما يشعرون ايان
يبعثون . متى ينشرون مركبة من اي وان وقرئت بكسر الهمزة والضمير
لمن وقيل للكفرة . بل ادرك علمهم بالاخرة . لما نفى عنهم علم الغيب واكد
ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان
ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيمة كائنة
لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي . بل هم في شك منها . كمن تحير في امر لا يجد عليه
دليلا . بل هم منها عمون . لا يدركون دلايلها لاختلال بصيرتهم وهذا
وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى جميعهم كما
يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل
الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
في امر الاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة
لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك
بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل
وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبلى ادرك
وبلى آادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من
ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
لشعورهم . وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون . كالبيان
لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة
في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة
وقرا نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرا ابن عامر والكسائي اننا
لمخرجون على الخبر . لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل . من قبل وعد
محمد صلى الله عليه وسلم وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث
وحيث اخر فالمقصود به المبعوث . ان هذا الا اساطير الاولين
التي هي كالاسمار . قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم . ولا
تحزن عليهم . على تكذيبهم واعراضهم . ولا تكن في ضيق . في حرج صدر
وقرا ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق . مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس . ويقولون متى هذا الوعد . العذاب

الموعود. ان كثير صاد فيه قل عسى ان يكون ردف لكم. تبعكم ولحقكم واللام
مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه. بعض الذي تستعجلون. حلوله وهو عذاب يوم بدر
وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا
لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد
الله ووعيده. وان ربك لذو فضل على الناس. بتاخير عقوبتهم على
المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل
ولكن اكثرهم لا يشكرون. لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه. وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم. ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت. وما يعلنون. من عداوتك
فيجازيهم عليه. وما من غائبة في السموات والارض. خافية فيهما وهما
من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان
لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية. الا في كتاب مبين. بين
او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون.
كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح. وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين. فانهم المنتفعون به. ان ربك يقضي بينهم. بين
بني اسرائيل بحكمه. بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ
بحكمه. وهو العزيز. فلا يرد قضاؤه. العليم. بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه
فتوكل على الله. ولا تبال بمعاداتهم. انك على الحق المبين. وصاحب الحق
حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره. انك لا تسمع الموتى. تعليل اخر للامر
بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم راسا وانما
شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في
قوله. ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين. فان اسماعهم في هذه
الحالة ابعد وقرا ابن كثير ولا يسمع الصم. وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم. حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرا حمزة وما انت تهدي
العمي. ان تسمع. اي ما يجدي اسماعك. الا من يؤمن باياتنا. من هو في
علم الله كذلك. فهم مسلمون. مخلصون من اسلم وجهه لله. واذا وقع
القول عليهم. اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث
والعذاب. اخرجنا لهم دابة من الارض. وهي الجساسة روي ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروي انه صلى الله عليه وسلم سئل من اين تخرج فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام. تكلمهم. من الكلام وقيل

من الكلم

من الكلم اذ روي تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان عليهما السلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء
فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه
ان الناس كانوا باياتنا. خروجها وسائر احوالها فانها من ايات
الله وقيل القران وقرا الكوفيون ان الناس بالفتح. لا يوقنون.
لا يتيقنون وهي حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها
او كلامها على حذف الجار وقرا الكوفيون ان بالكسر. ويوم نحشر
من كل امة فوجا. يعني يوم القيمة. ممن يكذب باياتنا. بيان للفوج
اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل
قرن شامل للمصدقين والمكذبين. فهم يوزعون. يحبس اولهم على
اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم
حتى اذا جاؤا الى المحشر. قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما. الواو
للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين
التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها. اما ذا كنتم تعملون.
ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير
التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك. ووقع
القول عليهم. حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك
بما ظلموا. بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله. فهم لا ينطقون.
باعتذار لشغلهم بالعذاب. الم يروا. ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال
الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في
مواد الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب
معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم
انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه. بالنوم والقرار. والنهار مبصرا. فان
اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها
بحيث لا ينفك عنها. ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون. لدلالتها
على الامور الثلثة. ويوم ينفخ في الصور. في القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث
الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق. ففزع من في السموات
ومن في الارض. من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه. الا من شاء
الله. ان لا يفزع بان يثبت الله قلبه قيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل

موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه حاضرون الموقف
بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص اتوه على
الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ
دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر
السحاب في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت
واحد لا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون
الجملة المتقدمة كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه
على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم
عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس
والباقي بالفاني وسبعمائة بواحد وقيل خير منها اي خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون
بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف
عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من
الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين
لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار
وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ
بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت
وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه
انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون
الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اي قيل لهم ذلك
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر الرسول صلى الله
عليه وسلم بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال
القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال
بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة
تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام
وان اتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه في تلاوته
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه
اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل
بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما
على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على
ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الارض او في الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله

ولكن

ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا
ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب
عليهم السلام ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص
مكية وقيل الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان
وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين
نتلو عليك نقرؤه بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا
من نبأ موسى وفرعون بعض نبئهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم
يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا في الارض استئناف
يبين ذلك البعض والارض ارض مصر وجعل اهلها شيعا فرقا
يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه
استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا
عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل
جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي
اي يستبقي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد
مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه
فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين
فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من
بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث
انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة
به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة
الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين
في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن
لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا
يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم
وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي ويرى بالياء وفرعون
وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا
ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه
في اليم في البحر يريد به النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني

لرادّه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من
المرسلين روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات
بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى عليه السلام على الارض
هالها نور بين عينيه فارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها
بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون
في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا
فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض
الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء فليس
ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتأكيد خطأهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ قالت امرأة
فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك
هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت
لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان
فلطخت برصها بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال
لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم
عسى ان ينفعنا فان فيه مخائل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور
بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا
او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة
والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه او في طمع النفع
منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون
انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل
لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى
وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم
ودماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها
ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى
اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها
بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين
بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة في جار الواو
مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب

لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته قصيه اتبعي اثره
وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب
وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه
المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو
الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصصها اثره فقالت
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه
واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون
فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون
يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت
منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها
من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك
وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد
فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك
من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث
نبي الا على رأس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما
اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه
فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنباء
بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى
وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا
من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين
غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل
كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين
يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على
دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله
ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه
موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره
فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه
ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار

او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح ذلك في عصمته
لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم
في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة
قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لاستغفاره انه
هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف
الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا
للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا
لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك
فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب
يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه
مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك
تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما
لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل
قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا قاله الاسرائيلي لانه لما سماه
غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي وكأنه توهم من قوله انه الذي قتل
القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا
في الارض تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون
من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا
انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل
فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من
المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان
وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول فخرج منها
من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين
خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين
قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان
بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا
على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ
في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فاخذوا في الآخرين ولما ورد ماء مدين
وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة

من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان
اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء لئلا تختلط
باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف
المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم
دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو
اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا
اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على
رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها
واستقى منها ثم تولى الى الظل قال رب اني لما انزلت الي لاي شيء
انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل
ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت الي من خير الدين صرت
فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح
والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل
كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهي التي تزوجها
موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء
سقيك لنا ولعل موسى عليه السلام انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر
بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال
انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل
بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه
القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت
احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة
فيه جعل خير اسما لان وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب
معروف روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال
الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني اي تأجر نفسك مني او تكون
لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على
الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج
فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء
العقد لا نفسه فلعله جرى على معينة ومهر آخر او رعية الاجل الاول ووعد
له ان يوفي الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن

اختلاف الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر
او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من
الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته
ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالمعاهدة قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا
لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا
عدوان علي لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على
العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه
كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء
من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت
نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره واي الاجلين ما قضيت
فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان
بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى
الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك
عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التي
تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق
او جذوة عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم يكن قال كثير باتت حواطب
ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال الحق على قبس من النار
جذوة شديد عليها جمرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرا عاصم
بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما
اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى
في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ
بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا
الله رب العالمين هذا وان خالف ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في
المقصود وان الق عصاك فلما راها تهتز اي فالقاها فصارت ثعبانا
واهتزت فلما راها تهتز كانها جان في الهيئة والجثة او في السرعة ولى
مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى اقبل
ولا تخف انك من الامنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك
يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك
يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد
اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون
ذلك في وجه العدو اظهار جراة ومبدا لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم
التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه

اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب
اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرا حفص بالفتح
وبالسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير
وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا
جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمراة
البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان يرسل اليهم قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله
معي ردءا معينا وهو في الاصل اسم لما يعان به كالدفء وقرا نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره
وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرا عاصم وحمزة
يصدقني بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك
باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة
فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا
باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم او
قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله انتما ومن اتبعكما الغا
لبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى
الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه
لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء
كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة في ابائنا
الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا
لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة
فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى
الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض
وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا
ما علمت لكم من اله غيري نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده
ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويطلع

على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع
الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه
ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه
اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة
وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية
فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم
الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه
يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في
وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير الاستحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا
وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشان الآخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم في
كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد صلى الله عليه وسلم
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة
للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد
اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام
نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم يتبصرون بها
الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبيل الله
ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على
حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب
الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى
او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما كنت
حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه
وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون المختارون
للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن
المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا

قرونا

قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت
الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما
كنت ثاويا مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم
تعلما منهم آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية
وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من
ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما
متعلق بالفعل المحذوف ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة
بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على
ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم
يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية
واقعة في سياقها لانها تما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا
المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول
هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم
حتى يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا
آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا
لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من
المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي
مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا
اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم
كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون
موسى وهرون او موسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين تظاهرا
تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران
بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة
على سبيل المجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل
منهما او بكل الانبياء قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل
على موسى وعلى واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين
موسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه اتبعه ان كنتم صادقين انا
ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل
مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان
بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه

الى الدعاء وباللام الى المدعو فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله
وداع دعا يا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما
يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتأكيد او التقييد
فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعضه بعضا في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتتقرر
الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون
فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلثون
جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن
كالمستكن في به واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله انه الحق
من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين
استيناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما
هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين
الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة
اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن
بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول
وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة
السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديع او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين
لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان تدخله
في الاسلام ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم
بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه
لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره
ان يقال خرع عند الموت اي ضعف وجبن وقالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان
اتبعناك وخالفنا العرب انما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا
فرد الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما

ذا امن

ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى
اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء ثمرات
كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا واذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام
فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق
من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى
يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس
فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من
قرية بطرت معيشتها اي وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن
وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك
مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة
يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر
متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك
زيد ظني مقيما او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت
معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث
في امها في اصلها التي هي اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا
عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى الا واهلها
ظالمون بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية
وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة
وابقى لانه ابدي افلا تعقلون فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو
خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة افمن وعدناه وعدا
حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه
لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى
السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر
بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين
للحساب او العذاب وثم للتراخي في الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر
في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه
الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم
عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام

عليها قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو
قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا
هؤلاء الذين أغوينا أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول
أغويناهم كما غوينا أي أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف
للدلالة على أنهم غووا باختيارهم فإنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلا
ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لأجل ما اتصل به فأفاد زيادة
على الصفة وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا إليك منهم
ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت
عن العاطف وكذا ما كانوا إيانا يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا وإنما
كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أي تبرأنا من
عبادتهم إيانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا
لهم لعجزهم عن الإجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو أنهم كانوا
يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما رأوا العذاب
وقيل لو للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم
المرسلين عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولا عن إشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الأنبياء فعميت عليهم الأنباء يومئذ فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي
إليهم وأصله فعموا عن الأنباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر
الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى
استحضاره والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وإذا كانت الرسل
يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الأمر إلى علم الله
تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء
فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
أو العلم بأنه مثله فأما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الإيمان
والعمل الصالح فعسى أن يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة
الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة أي التخير كالطيرة بمعنى التطير و
ظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والأمر كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد
مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس
لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي أنه نزل
في قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول
ليختار والراجع إليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي
الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار
عما يشركون من إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم

كعداوة

كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه
وهو الله المستحق للعبادة لا إله إلا هو لا أحد يستحقها إلا هو له الحمد
في الأولى والآخرة لأنه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون
في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم
القضاء النافذ في كل شيء وإليه ترجعون بالنشور قل أرأيتم إن جعل
الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم
دلامص إلى يوم القيامة بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول
الأفق الغائر من إله غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل إله فذكر بمن
على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين أفلا تسمعون
سماع تدبر واستبصار قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى
يوم القيامة بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق
من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الأشغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود
بنفسه ولا كذلك الليل ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك
قرن به أفلا تسمعون وبالليل أفلا تبصرون لأن استفادة العقل
من السمع أكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بأنواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع
للإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراك به أو الأول لتقرير
فساد رأيهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن سند وإنما كان محض
تشه وهوى ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا وهو نبيهم يشهد
عليهم بما كانوا عليه فقلنا للأمم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون
به فعلموا حينئذ أن الحق لله في الألوهية لا يشاركه فيها أحد وضل
عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل إن
قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي
وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت
أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني
إسرائيل أو حسدهم لما روي أنه قال لموسى لك الرسالة ولهارون
الحبورة وأنا في غير شيء إلى متى أصبر وآتيناه من الكنوز من الأموال
المدخرة ما إن مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح
به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة أولي

القوة خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتي وناء به الحمل اذا اثقله حتى
اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب
بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها
والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة
لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا
من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ
فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود
منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن
الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر
والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون
علة للظلم نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به على الناس و
استوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال
وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته
كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره
بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التورية وسمعه من حفاظ
التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده
مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها
او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك
من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم
بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من
ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على
ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله
لا عينه حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى
ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما

فيها

فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة
او للجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون
على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي
موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بني
اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى
خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرائيل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي
قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه
ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى كعبيه ثم قال خذيه
فاخذته الى الوسط ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت
به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته ثم قال بنو
اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له من
فئة اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله
يدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم
نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه
منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط
ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى
ويلك وان وتقديره ويلك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص
بفتح الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال
تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد
فرعون وقارون والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة
فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل
واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن

او جب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اى معاد وهو
المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على ان من
العادة رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد
المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ
جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد ابائه فنزلت قل ربى اعلم من جاء
بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ومن هو
فى ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين
وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب اى
سنردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه
رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب
الا رحمة اى لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة
الى طلبتهم ولا يصدنك عن ايات الله عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج وقطع
اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه الا ذاته
فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ فى الخلق
واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا طسم القصص كان
له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض
الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون
اية بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما
كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير
مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم
هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتاديب او انفسهم متروكين غير مفتونين
لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات
ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من
المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات
فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى العذاب
روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار قد
عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى
بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا الذين من قبلهم
متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها

فلا

فلا ينبغى ان يتوقع خلافها فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان
والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس
او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام
الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب
والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم
وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا
الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى
يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو
لقاء الله فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة
من الموت والبعث والجزاء والحساب على تمثيل حاله بحال عبد قدم
على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه
ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت
المضروب للقائه لات لجاء واذا كان وقت اللقاء اتيا كان اللقاء كائنا
لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاه او ما يستوجب القربة والرضا
وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد
نفسه بالصبر على مضض الطاعات والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه
لان منفعته لها ان الله لغنى عن العالمين فلا حاجة به الى طاعاتهم وانما
كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى
مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ
حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن
نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم
بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق
فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الى مرجعكم مرجع من
امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه والاية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه
حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام

كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى
انبياء الله المرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول امنا
بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس
ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر
ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا
فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين
ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين
وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل
خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم
بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد
بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم و
كذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى
للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن
اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها
لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من
تبعهم شيء وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على رأس اربعين ودعا
قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه
العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب
منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من
القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة
واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان
الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر
فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة ومن ركب معه من اولاده واتباعه
وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث
وجعلناها اي السفينة او الحادثة اية للعالمين يتعظون ويستدلون
بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير
ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اي ارسلناه
حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل
الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون

الخ

الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها للافك
وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون
من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا
يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره
للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين
للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني
فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم
حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية
وما بعدها من قصة ابرهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون
اعتراضا بذكر شان النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية
الرسول صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان
ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال
ابرهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار
بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير
واقعة عليه ويجوز ان تأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة
السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة
الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شيء
قل سيروا في الارض حكاية كلام الله لابرهيم او محمد صلى الله عليهما وسلم
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة
الاخرة بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان
من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع
ايقاعه مبتدأ بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له
بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام في العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو
عمرو والنشاءة كالرأفة ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة

ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشاة الاخرى كما قدر على النشاة الاولى
يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون
وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض ولا في السماء ان فررتم من قضائه
بالتوارى في الارض او الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء او القلاع
الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان أمن يهجو رسول الله
منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم
عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا
بايات الله بدلايل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا
من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة
او يئسوا في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم
فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به
الباقون اسند الى كلهم فانجاه الله من النار اي فقذفوه في النار فانجاه
منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها لايات هي
حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض
مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتامل فيها وقال
انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا
بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف
ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة
اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقراها نافع وابن عامر وابو بكر
منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس
مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او سبب مودة
بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعايد
محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم
كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين
الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار
وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن له لوط هو ابن اخيه واول من امن
به وقيل انه امن به حين راى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي
الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم
الذي لا يامرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع
لوط وامراته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس

ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته
النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة
واتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية
الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة
عليه آخر الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون
الفاحشة الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص
بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام
في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفحاشتها
من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى
اقدموا عليها لخبث طينتهم انكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق
او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث
وتاتون في ناديكم في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله
المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبايح وعدم مبالاة
بها وقيل الخذف بالعصا والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا
ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك
او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرني بانزال
العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم
وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء
بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة
لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم
باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها
لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله
تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه و
جواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله او بتاقيت الاهلاك
باخراجهم عنها وفيه تاخير البيان عن الخطاب الا امراته كانت من
الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء
بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان
صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم
وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه

بلدا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع
قالوا لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك
الا امراتك كانت من الغابرين وقرا حمزة وابن كثير والكسائي ويعقوب لننجينه
ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف الجر على
المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون
على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب
من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرا ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي حكايتها الشائعة او اثار
الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعده وقيل بقية انهارها
المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو
متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم
الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء
بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة
الشديدة وقيل صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب ترجف لها فاصبحوا في
دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل
اهلكنا وقرا حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تاويل القبيلة
وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة
مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر
والمعاصي فصدهم عن السبيل السبيل السوي الذي بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق
بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف
على عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته
فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة
كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم
فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن انفسهم يظلمون بالتعريض
للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا
ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك
اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع

والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب
وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
اوهى واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى العلم
ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت
العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد
به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار
القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرا البصريان وعاصم بالياء حملا على ما قبله
وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين
او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على
الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم
تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا
شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم
واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم
وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من
افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون
الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلوة والسلام انه تلا هذه الاية فقال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات
والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقها
افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك
لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله
بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتامل قد
ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال
بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات
ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما
عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة
على الحسنات ناهية عن السيئات او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم
بها احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا
بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم

والمنابذة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصى موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم يدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من

من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض ملائكته بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم

الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسئول عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا في البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب أفبالباطل يؤمنون أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما

مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه أليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله ألستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهو ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعل الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثته وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ

غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
والمسلمون سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون
وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا تكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر
من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن
بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اي اول الامر حين غلبوا
وحين يغلبون ليس شيء منها الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من
غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ يوم
يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه
من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم
في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين
باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء
فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر
عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان
ما قبله في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التي
هي غايتها والمقصودة منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثاني تكرير للاولى
او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن
غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون
تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض
ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها
وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر
الدنيا اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا
في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى
له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على
ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء الاجل المسمى
او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة
لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم كانوا اشد

منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه
واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض
اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع
لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون
بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط
على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء
ملجئون الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات
الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من
غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة او الخصلة
السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان تكون تلك
عاقبتهم وانهم جاؤا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث اسوأ كالحسنى او مصدر
كالبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل
او عطف بيان للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى
ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات
واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها
والخبر محذوف للابهام والتهويل وان تكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت
مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله
يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب
للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابو بكر وروح بالياء على الاصل ويوم
تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس
اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ
بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوا بالله
شفعاء يجيرونهم من عذاب وجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب في المصحف شفعواء وعلمواء بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف
اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرون سرورا تهللت
له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب
محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى الامر

تنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد
فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه
واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح
بالمساء والصباح لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد
بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين اذا نقص نورها والظهيرة التي
هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على
حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك
زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي
وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه
عليه الصلوة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله
حين تمسون الآية وعنه عليه الصلوة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال حين
يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اي تمسون
فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت
وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج
تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائي
بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانسان لانه خلق
اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض
ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم و
سائر النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف
سبب للتنافر وجعل بينكم بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة
ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوان نظما
لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج
الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم لغاتكم بان علم كل صنف
لغته او ألهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا
تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية وألوانكم بياض الجلد وسواده
او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز و

والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين
لا تكاد تخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده
قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم
من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية
وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين
الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص
باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان
في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان
اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم
تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق
كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح خوفا
من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل
يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف نحو ارادة
خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما
للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتشديد
فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما باقامته
لهما وارادته لقيامهما في حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر
للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كأنه قيل ومن آياته
قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة
فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق
ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي المطاع
على دعائه وثم اما لتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا
كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل
فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة ولذلك نابت مناب الفاء في جواب الاولى
وله من في السموات والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون
عليه وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة
اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما
عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون

او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية
الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض يصفه
به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن ابداء ممكن
واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم
منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من
مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون
انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم
ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام
الجاري مجرى النفي تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم
كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات
نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم
جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي
من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من
الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير
ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به
فطرت الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر
الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم
وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك
اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين
القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم
تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل
منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله
او في اقم لان الآية خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والامة لقوله واتقوه
واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم
اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائي فارقوا
بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي
اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان
يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر
شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم

منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجا فريق منهم
بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل
للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا
فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم
سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله
كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر
الذي بسببه يشركون في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة
فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم
معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاوا القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو والكسائي
بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا
ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج
به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن
السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن
بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة
اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا
زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا ابن كثير بالقصر
بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم
فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف
من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين
ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن
المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب الملائكة
وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك
هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره
المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت
له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها
مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم
استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى
عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط

يخبتوا

من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم
في جنسي الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة
بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر
كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات
وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ
والبحور بما كسبت ايدي الناس بشوم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل
ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل
سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الاخرة
واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم
يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف
للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك
في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ
الاستقامة من قبل ان ياتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله
من الله متعلق بياتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله
لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر فعليه كفره اي وباله وهو النار
المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون فالاقتصار على جزاء
المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه
لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص
الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله
دال على ان الاثابة تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب
عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على
ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل
الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي هو مع هبوبها و
العطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل
باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني تجارة
البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان

وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث
جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم
يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف
على حقا على انه متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر
بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم
واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر
من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام ياسهم
وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى اثار رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة
والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى
ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى
لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن
المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته
الى جميع الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر او
الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده
يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الايات
ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رايهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه
بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك
لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء
اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان
لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء مفتوحة
ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانهم
يدعوهم الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان

فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل ضعفاء
الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو
النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد
في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضعف فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير
لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة مع امكان غيره دليل العلم
والقدرة ويوم تقوم الساعة القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
الساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا
يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح
او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا
عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في
النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
اي فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد
فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم
من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته
اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفناهم
فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة
وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم
ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة
قلوبهم ان انتم تعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك
الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على
اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا
يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم

شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله
بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية وقيل الا
آية وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو
ضعيف لانه لا ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام وهي اربع وثلثون آية وقيل ثلث وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات
الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل
فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة
من شعبه لفضل اعتداد بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك
على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح
ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني به كالاحاديث التي لا اصل
لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة
بمعنى من وهي تبيينية ان اريد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اريد به الاعم
وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها
قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث
رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة
من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال
ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا اي
يتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا
على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه
واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشابها حاله
حال من لم يسمعها كان في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع
والاولى حال من المستكن في ولى او في مستكبرا والثانية بدل منها او حال من
المستكن في لم يسمعها ويجوز ان تكونا استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان
العذاب يحيق به لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين
فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا
مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس
كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استئناف

قد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم
فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها
لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا
من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل
بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي
ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلقوا او مرفوع
بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب
عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني
لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك
داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم
يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن
حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها
لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود
عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود
فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى
باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما
ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها
ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود
نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان
وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني لا تشرك بالله باسكان
الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها
ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلاثة بكسر الياء
لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله
قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه
ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع
الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله
في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله

فصل وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه الصلوة
والسلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا
تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم
واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي
مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من
النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في
ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان
يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت
لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه
فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من
الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال
على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب
السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا
استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن
المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك
اشارة الى الصبر او الى كل ما امره من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا
عزم الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك
كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل
علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال
او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي
وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤوس الآي
واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام
سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان عمر اذا مشى اسرع

فالمراد بيت المتفاوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت
الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال الطويل الاذنين وفي
تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكر دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما
في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعم
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع
الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع
والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد
من دليل ولا هدى راجع الى رسول صلى الله عليه وسلم ولا كتاب منير انزله الله
بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه
اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل
ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك
وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم
وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلم المتاع الى الزبون
ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن
في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل
المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي
منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا
يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم
في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور
فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا فان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام
الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا
الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان
معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق
العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد
شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط
بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة

وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها وعلى حال او للابتداء على انه مستأنف
او الواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او باضمار فعل يفسره يمده وقرئ
تمده ويمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله باكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد
وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز
لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن
لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما
امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع
بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري
كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى آخر السنة
والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان
الاجل ههنا منتهى الجري وثم غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات
وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم
وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري بها بان الله هو الحق بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون من
دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل
الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع
عن كل شيء ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في
تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه
والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد
جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من اياته دلائله ان في ذلك لايات
لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الافاق والانفس شكور
يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او
غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال
ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد مقيم على طريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر
لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد
الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم
واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا

الغني والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود عطف على والد
او مبتدا خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى
بان لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الاخرة
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى
ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان الحرث بن عمرو اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى
السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه
الصلوة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث فى ابانه
المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم
ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا من خير
او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه وما تدرى نفس باى ارض تموت
كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى
رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدنى
فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظرى اليه تعجبا
منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية
للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان اعمل
حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل
فى كلهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه
عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطى
من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر سورة السجدة وهى
ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة
او القرآن فمبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديد
الحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين
حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فى فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق
من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك
الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب
عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك

اياهم الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش
مر بيانه فى الاعراف ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء
الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى
مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذل
لكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء
الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها
الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فى يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة ما بين
التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج
اليه فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة
فان ما بين السماء والارض خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به
الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه
الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض
بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين
والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر
امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد فى تدبيره وفيه
ايماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا الذى احسن كل شئ خلقه خلقه موفرا
عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شئ بدل
الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته وخلقه
مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشئ على الاول
مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل وبدأ خلق الانسان يعنى ادم من طين
ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اى تنفصل من سلالة من ماء مهين
ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغى ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا واظهارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما الى الحضرة
الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون
شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل
اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفى خلق
جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ فى ائنا نافع والكسائى ويعقوب
انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم
بالبعث او بتلقى ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفى
نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان

كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم
لقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو
ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين
ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان تكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان الثابت
في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو يكون منك رؤية
في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلى الله
عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان
والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوقوا العذاب
سببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء
يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم
من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استيناف وبناء الفعل على ان واسمها
تشديد في الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد
ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب
والمعاصي كما علله بتركهم تدبر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما
يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا
خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم
حامدين له شكرا على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن
الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى
عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من
سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل
وعنه النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل
ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون
وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس
من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل
من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب
اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفي والفاعل في الكل هو الله تعالى وقرات
لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها
الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه
وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان
فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع
للحمل على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها
المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان
نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فمأويهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب
الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب
الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان
وليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات
ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها
وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون فكيف
ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية شك
من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب
مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب
او من لقائك موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه
السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام
بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي
لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر
ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف
على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم
من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة
بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ
يمشون بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي

لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم
كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال
قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله
ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين
كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين على
الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا
المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه
جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا
به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال
بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون
الغلبة عليك وقرئ بالفتح على انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من
الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا الم تنزيل في
بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون
اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما
له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما
نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين
روى ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في
الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن
قيس فقالوا له ارفض ذكر الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت
ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع
ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما يعملون خبيرا فموح
اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرا ابو عمرو بالياء على ان الواو
ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله
وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه اي ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما
جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما
جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي
معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالام ودعي
الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى

سورة الاحزاب

ونفي القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لادائه
الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة
والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة
وقرا ابو عمرو اللاي بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن
الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده واصل تظهرون تتظهرون
فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة
والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة
انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي
الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي الى بها وهو بمعنى حلف وذكر
الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او
للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء
جمع دعي على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة
الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي
والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق
ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله
هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد
به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان
لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين
ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي
او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح
فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن
المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور
كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك
اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها و
شفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك
فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو
اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم
واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها

لسنا امهات للنساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة
في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث
او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى
اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن
المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم
ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع
كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القران
وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم
نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان او مؤكدا باليمين و
التكرير لبيان هذا الوصف ليسئل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك
ليسئل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم
اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق
او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم و
واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من حيث ان بعثة الرسل واخذ
الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسئل كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني
عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روي انه
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلاثة الاف والخندق
بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتى بعث الله تعالى عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض
وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد
بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق
وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ
جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن
اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت
عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ
من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام
والشراب وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت

القلوب ان الله ينجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف مزيدة في
امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا
وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق
والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ
زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف
اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا
باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني
اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب يا اهل مدينة وقيل هو اسم ارض
وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص
بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى
لا مقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا
او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي
للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون
تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي
حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت
عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء
بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم
المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها
وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها
الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا
يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله
وكان عهد الله مسئولا مسؤلا عن الوفاء مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان
فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت
معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم
الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من
ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان
اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول
لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا
يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه

وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم
الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا
او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين
ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حرب الاحزاب ولا يقاومونهم
الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر
والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم
فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى
عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من
الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف
وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق
البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده
قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منها مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا
فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم
ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه
عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا
لو انهم بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب
يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه
الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن
التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان
يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن
التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من
الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي
ثواب الله او لقاءه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن
كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب
لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة
فان المؤتسي بالرسول صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه الصلوة والسلام سيشتد الامر باجتماع
الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله صلى الله عليه وسلم انهم سائرون
اليكم بعد تسع او عشر وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله

الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما
صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب
او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد
صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب
بن عمير وانس بن النضر رضي الله عنهم والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة رضي الله عنهما
وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روي ان طلحة ثبت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيب يده فقال عليه الصلوة والسلام
اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله
ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم
تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء
كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة
بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل او بتعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع
صيصية وهو ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان
لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى
جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة
واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم
روي انه صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في
منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة
وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة
وكان الله على كل شيء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن

الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة
واسرحكن سراحا جميلا واطلقكن طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب
الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعايشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم
اختارت الباقيات ما اختارتها فشكر لهن الله ذلك فانزل الله لا يحل لك النساء من
بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على
ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى
الروايتين عن علي ويؤيده قول عايشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه
ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل
لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة
عند ابي حنيفة واختلف في وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة
فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن
للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة
مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف لها العذاب
ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منها اقبح فان زيادة قبحه تتبع
زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبياء بما لم يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه من التضعيف
كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة
لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة
على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة
وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله
تعالى واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد
من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه
المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن
بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع
بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا
او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به
عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل
ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الاولى تبرجا مثل تبرج النساء في الايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح

الجزء الثاني والعشرون

وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق
تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق
في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلوة والسلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال
جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله
ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب
المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم
اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة
الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة
وعلي وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة
وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله
فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس
غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما
شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والايتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك
خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان
المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات
وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم
المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا
عظيما على طاعتهم والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما
فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل
فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري
وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين
هذه الصفات وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا

اي قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة

وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكور وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلوة والسلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين

والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع أذاهم إيذاءهم إياك ولا تحتفل به
أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل إنه منسوخ بآية السيف و
وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمر في الأحوال كلها ولعله
تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد
وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر
بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه
كان حقيقا بأن يكتفى به عن غيره يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالألف وضم التاء فما لكم عليهن
من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت
الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والإسناد إلى الرجال للدلالة
على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على
إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره
يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه
على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم إزاحة ما
عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة
فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها فإن الواجب للمفروض نصف المفروض
دون المتعة ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب
والندب فإن المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ
ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك
أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال
له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة
بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء
أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم
أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي
نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال
فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا
تطلب مهرا إن اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعا ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت

بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس ما دام
زيد جالسا إن أراد النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول في استيجاب الحل
فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية
مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع
إليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين إيذان بأنه خصه به لشرف
نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح
لا ينعقد بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة
مصدر مؤكد أي خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة
خلوصا لك أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة
قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم و
المهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت أيمانهم من توسيع الأمر فيها أنه كيف
ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج
ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو
ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق
عليهم تارة والعكس أخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي
إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك
من تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن
ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء
من ذلك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن
ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن
جميعا لأن حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك
وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء
وأعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين
وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في إحسانه
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى
لا يحل لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لو ماتت
واحدة لم يحل له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة
وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو أعجبك حسنهن
حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو
من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن واختلف في

أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء على المعنى
الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء
من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا
من أجناس أخر إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج
والإماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا ما
حد لكم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلا وقت
أن يؤذن لكم أو إلا مأذونا لكم إلى طعام متعلق بيؤذن لأنه متضمن معنى يدعى
للإشعار بأنه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وإن أذن كما أشعر به
قوله غير ناظرين إناه غير منتظرين وقته أو إدراكه حال من فاعل لا تدخلوا أو المجرور
في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا إبراز الضمير وهو
غير جائز عند البصريين وقد أمال حمزة والكسائي إناه لأنه مصدر أنى الطعام إذا
أدرك ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية
خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون و
يقعدون منتظرين لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل
بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو
مقدر بفعل أي ولا تدخلوا أو ولا تمكثوا مستأنسين إن ذلكم اللبث كان يؤذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم
من إخراجكم لقوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا
يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف
الياء الأولى وإلقاء حركتها على الحاء وإذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر
والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل إنه عليه الصلوة والسلام
كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله أن تفعلوا ما يكرهه ولا أن
تنكحوا أزواجه من بعده أبدا من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها
لما روي أن الأشعث بن قيس تزوج المستعيذة في أيام عمر رضي الله عنه فهم برجمها
فأخبر بأنه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل أن يمسها فترك من غير نكير إن ذلكم يعني
إيذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله
وإيجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال إن تبدوا شيئا كنكاحهن
على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم
به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا
أبناء أخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي أنه لما نزلت آية
الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء
الحجاب فنزلت وإنما لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي
العم أبا في قوله وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق أو لأنه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة أن يصفا لأبنائهما ولا نسائهن يعني نساء المؤمنات ولا ما
ملكت أيمانهن من العبيد والإماء وقيل من الإماء خاصة وقد مر في سورة
النور واتقين الله فيما أمرتن به إن الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية
إن الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه يا أيها
الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا أنتم أيضا فإنكم أولى بذلك وقولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك أيها النبي وقيل
انقادوا لأوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة
وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلوة والسلام رغم أنف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله صلى الله عليه وسلم ومن ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار فأبعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لأنه في العرف
صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزا جليلا
إن الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي أو
يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله
للتعظيم له ومن جوز إطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار
المعمولين لعنهم الله أبعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا يهينهم
مع الإيلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية
استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ظاهرا روي أنها نزلت في منافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في أهل الإفك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء
وهن كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا برزن لحاجة
ومن للتبعيض فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك أدنى أن
يعرفن يميزن من الإماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض
لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات
منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف إيمان
وقلة ثبات عليه أو فجور عن تزلزلهم في الدين أو فجورهم والمرجفون في المدينة
يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من إرجافهم وأصله التحريك
من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الأخبار الكاذبة لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك
بهم لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك

عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله
عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين
ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد
كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي
سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا
في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها
او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز
ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين
فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم
تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال
الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب ونقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا
آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا والعنهم
لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته
من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امراة على قذفه
بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه
الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة
ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من
سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم
اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم
ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله
في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها

منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة وسماها امانة
من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت
على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها
واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم
فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف
ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب
وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها
الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن
لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم
والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها
فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا
لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا
ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله
ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف و
بعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعي
الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده
لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا
يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما
وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب
للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا
في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم
واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الاحزاب
وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر سورة سبأ مكية وقيل
الا وقال الذين اوتوا العلم الآية وآيها خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا
لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لان ما في الآخرة ايضا كذلك
وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم
الدنيوية وقيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد
تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي
احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض كالغيث ينفذ

في موضع وينبع في آخر كالكنوز والدفائن والأموات وما يخرج منها كالحيوان
والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب
والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال
العباد والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمه مع كثرتها
أو في الآخرة من سوابغ هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة
إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما
نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف
المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة
والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع
على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض
وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة
مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس
ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع
الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل
المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب
فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس فيها معاجزين
مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين أي مثبطين عن الإيمان من أراده
أولئك لهم عذاب من رجز من سيء العذاب أليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص
ويرى الذين أوتوا العلم ويعلم أولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الأمة أو من
مسلمي أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل
هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد
بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي
أي وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة أنه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي
إلى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال
الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم
ينبئكم يحدثكم بأعجب الأعاجيب إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد أنكم
تنشأون خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير
ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه
ما بعده فإن ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه أو محجوب بينه وبينه بإن
وممزق يحتمل أن يكون مكانا بمعنى إذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب
وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول

من جد النساج الثوب إذا قطعه أفترى على الله كذبا أم به جنة جنون يوهمه
ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه
على أن بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه
وضعفه بين لأن الافتراء أخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم وإثبات لهم ما هو
أفظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص
منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه
في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الأصل صفة الضال ووصف
الضلال به على الإسناد المجازي أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء
تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم
الإحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى
ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي
وإنا إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات
بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك إن في ذلك لآية لتفكر والنظر فيهما وما يدلان
عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع إلى ربه فإنه يكون كثير التأمل في أمره
ولقد آتينا داود منا فضلا أي على سائر الأنبياء وهو ما ذكر بعد أو على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال أوبي
معه رجعي معه التسبيح على الذنب أو النوحة وذلك إما بخلق صوت مثل صوته
فيها أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل ما فيها أو سيري معه حيث سار وقرئ
أوبي من الأوب أي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا أو من آتينا
بإضمار قولنا أو قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الإعراب أو على فضلا أو مفعولا
معه لأوبي وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان أصل النظم ولقد
آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من
الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها وألنا له الحديد وجعلناه في
يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بالآلة أو بقوته أن اعمل أمرناه
أن اعمل وأن مفسرة أو مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات
وهو أول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها
أو قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وروي بأن دروعه
لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود وأهله

الى ما يعملون نصرفنا جازيكم عليه ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرأ ابو
بكر الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر
ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشى كذلك وقرئ غدوتها
وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اساله من معدنه فنبع
منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من
مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما
امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير
عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصور حصينة ومساكن شريفة
سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة
والانبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد وروى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه و
نسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد
اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات
على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر
او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادى الشكور المتوفر على
اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان
توفيقه للشكر يستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى
عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم على موته ما دل
الجن وقيل آله الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء
وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فأرضت ارضا
مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت اكلا تأكل منسأته عصاه من
نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاة فى
ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما
فى قحة وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان
بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن علمت الجن
بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين
انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن
لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس

المقدس فى موضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصى به الى
سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان يعمى عليهم
موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى
متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة
فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا
فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات مذ سنة
وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة
بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن
يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة و
عن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب
فى مساكنهم فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء
مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ
من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار
وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسئ معاضدة للبرهان
السابق كما فى قصتى داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره
الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما فى تقاربها وتضا
يقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا
من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة
بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة
على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل
كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر
فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم
وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل
لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على
مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى
الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد
عليهما الصلوة والسلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط مر بشع فان
الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل
اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان
واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء
ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو

النبق مما يطيب أكله وذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين
للمشاكلة والتهكم وقرأ أبو عمرو ذواتي أكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف أكل
ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالرسل إذ روي أنه بعث
إليهم ثلثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل
نجازي إلا الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم إلا البليغ في الكفران أو الكفر
وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام
قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض أو راكبة متن الطريق ظاهرة لأبناء
السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي بقرية ويبيت الرائح في قرية
إلى أن يبلغ إلى الشام سيروا فيها على إرادة القول بلسان المقال أو الحال
ليالي وأياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الأمن فيها باختلاف
الأوقات أو سيروا آمنين وإن طالت مدة سفركم فيها أو سيروا فيها ليالي
أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا أشروا
النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد فأجابهم الله تعالى
بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا
باعد بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطا في الترفيه وعدم الاعتداد
بما أنعم عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد أو بعد على النداء وإسناد الفعل
إلى بين وظلموا أنفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم أحاديث
تحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبا ومزقناهم
كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب
وجذام بتهامة والأزد بعمان إن في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن
المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي صدق في ظنه أو
صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز أن يعدى الفعل إليه بنفسه كما في
صدق وعده لأنه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه أو ظنه ع
وجده صادقا وقرئ بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله إغواءهم وقرئ برفعهما
والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات
أو ببني آدم حين رأى أباهم النبي ضعيف العزم أو ما ركب فيهم من الشهوة
والغضب أو سمع من الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال
لأضلنهم لأغوينهم فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين إلا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه
وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان
وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بوسوسة

واستغواء إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك إلا ليتعلق علمنا
بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن
من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول
متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ
محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أي زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم حذف الأول لطول الموصول بصلته والثاني
لقيام صفته وهو من دون الله مقامه ولا يجوز أن يكون هو مفعوله الثاني
لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه من دون الله
والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة
فقال لا يملكون بأنفسهم واختيارهم مثقال ذرة من خير وشر في السموات
ولا في الأرض في أمر ما وذكرهما للعموم العرفي أو لأن آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب
القريبة للشر والخير سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما
لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على
تدبيرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعتهم أيضا كما يزعمون
إذ لا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له أذن له أن يشفع لعلو شأنه
ولم يثبت ذلك واللام على الأول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني
كاللام في جئتك لزيد وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة حتى إذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من أن ثم توقفا وانتظارا للإذن أي
يتربصون فزعين حتى إذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع
لهم بالإذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر
ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ أي نفي الوجل من فرغ الزاد
إذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق
قالوا قال القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقرئ بالرفع أي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه قل من يرزقكم من السموات والأرض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله إذ لا جواب سواه وفيه إشعار بأنهم
إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام فهم مقرون به بقلوبهم
وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أي وإن أحد الفريقين من
الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى أحد الأمرين من الهدى
والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو

على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف
المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو
فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان
الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركض
حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او
محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا
نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح
بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح
الحاكم للفصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة
وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع
لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف
بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية
عن قبول العلم والقدرة راسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة
للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهو حال من الكاف والتاء للمبالغة
ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا
يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد
يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم
صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم
وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ على
البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت
والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه
ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل
الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم
فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين
استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا
مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم

انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا
عن الهدى وآثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا
الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب
الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان
الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل
الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما
ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم اليه التكبر والمفاخرة
بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك
ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة
الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا
بالعذاب قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك
يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة
وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة
الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما تكون للاستدراج كما قال وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم
والاولاد او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي
يقربكم الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد
لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير
ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء
الضعف اي يجازوا الضعف الى العشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى
المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب
الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات امنون
من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين
يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من

عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه أخرى فهذا في شخص واحد
باعتبار الوقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما أنفقتم من شيء
فهو يخلفه عوضا إما عاجلا أو آجلا وهو خير الرازقين فإن غيره وسط في
إيصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم
وإقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف
شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله
وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم أنت الذي
نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم عن
الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم
بل كانوا يعبدون الجن أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل
كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة فيعبدونهم أكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الأول للإنس أو للمشركين والأكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا
يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا إذ الأمر فيه كله له لأن الدار دار جزاء وهو
المجازي وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القرآن إلا إفك
لعدم مطابقته ما في الواقع مفترى بإضافته إلى الله سبحانه وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم لأمر النبوة أو الإسلام أو للقرآن والأول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه وإعجازه إن هذا إلا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه
وما في لما من المبادهة إلى البت بهذا القول إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الإشراك وما أرسلنا
إليهم قبلك من نذير يدعوهم إليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل أن
لا وجه له فمن أين وقع هذه الشبهة لهم وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم
وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة الأموال أو ما بلغ
أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان نكير فحين
كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا
تكرير في كذب لأن الأول للتكثير والثاني للتكذيب أو الأول مطلق والثاني
مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء قل إنما أعظكم بواحدة أرشدكم وأنصح لكم
بخصلة واحدة وهي ما دل عليه أن تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول

الله صلى الله عليه وسلم أو الانتصاب في الأمر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فإن الازدحام
يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل أو البيان أو الرفع أو النصب بإضمار هو أو
أعني ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك أو استئناف
منبه لهم على أن ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فإنه لا يدعه أن
يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح
على رؤوس الأشهاد ويسلم ويلقي نفسه إلى الهلاك فكيف وقد انضم إليه معجزات
كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا أي شيء به من آثار الجنون إن هو
إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لأنه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من أجر أي شيء سألتكم من أجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال فإنه جعل
التنبي مستلزما لأحد الأمرين إما الجنون وإما توقع نفع دنيوي عليه لأنه إما
أن يكون لغرض أو لغيره وأيا ما كان يلزم أحدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة
مراد بها ما سألهم بقوله ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا
ولا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم
إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي بإسكان الياء قل إن ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من
يجتبيه من عباده أو يرمي به الباطل فيدمغه أو يرمي به إلى أقطار الآفاق فيكون
وعدا بإظهار الإسلام وإفشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل إن واسمها
أو بدل من المستكن في يقذف أو خبر ثان أو خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة
لربي أو مقدرا بأعني وقرأ حمزة وأبو بكر الغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالعشور
وبالفتح كالصبور على أنه مبالغة غائب قل جاء الحق أي الإسلام وما يبدئ الباطل
وما يعيد وزهق الباطل أي الشرك بحيث لم يبق له أثر مأخوذ من هلاك الحي فإنه
إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة قال أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا
يعيد وقيل الباطل إبليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده أو لا يبدي خيرا
لأهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل إن ضللت عن الحق فإنما
أضل على نفسي فإن وبال الضلال عليها فإنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة
بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي قرأ
نافع وأبو عمرو بفتح الياء فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه إنه سميع قريب يدرك
قول كل ضال ومهتد وفعله وإن أخفاه ولو ترى إذ فزعوا عند الموت أو البعث
أو يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون
الله بهرب أو تحصن وأخذوا من مكان قريب من ظهر الأرض إلى بطنها أو
من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى القليب والعطف على فزعوا أو على لا فوت

ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ
وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى
لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد
فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان
بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله
من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب
الواو لضمها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته وقال رؤبة اقحمني جار ابي
الجاموش اليك ناش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله
تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى
التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبله
من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن او في العذاب من البت
على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوها
في امر الرسول صلى الله عليه وسلم او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم
في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه
وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم في ذلك والعطف
على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين
ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي
باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة
انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك
نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق
رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا سورة الملائكة مكية وهي
خمس واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كأنه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة
لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه
والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من
المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه
فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما
زاد عليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج
وله ستمائة جناح يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم

فيهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف
الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم
تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة لزيادات الصور والمعاني
كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل
شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة
الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب
من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان
ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم
انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او
بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على
لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له
او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم
فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم
المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك
واياهم على الصبر والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق
لا خلف فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي
لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع
الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر غره او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو
عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على
حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير
لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا
الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة
وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فراه

حسنا تقريره اى من زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس
رايه فراى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفقه حتى عرف الحق واستحسن
الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب لدلالة فان الله يضل من
يشاء ويهدى من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك
عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على معناه
فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلث
للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية
للتاسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب
او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه الله الذى ارسل
الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها
بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال
للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص
بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او
بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول
فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك
النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما
الا احتمال الاختلاف فى المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل فى كيفية
الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد الخلق من
كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اى فليطلبها من عنده
فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم
فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على
البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه صلى الله عليه وسلم هو سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه
الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات
يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداريهم الراى فى احدى ثلث
حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك
هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم

ای الرحمن عرض عمل

من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا
واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما
يمد فى عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر
ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان
لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد
باعتبار اسباب مختلفة اثبتت فى اللوح المحفوظ مثل ان يكون فيه ان حج عمرو
فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص
فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل
الا فى كتاب هو علم الله تعالى او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة
الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش
والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ سيغ
بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى
كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان
فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن
كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على
الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك العذب
من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك فيه فى كل مواخر
تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة لعلكم تشكرون على ذلك
وحرف الترجى باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج النهار
فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم
القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار
بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدا فى قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير
للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا
لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا
تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك

وهو الله سبحانه فانه المخبر به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق
ما اخبر به عنه التشبيه نفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم
وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم
غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد
المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد
ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر
غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم
واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع
اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة
نفس اثقلها الاوزار الى حملها يحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء
منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفي ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو
قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لا تلائم نظم الكلام
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس
في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار
لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصي فانما
يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد
لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان
للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل
ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتاكيد نفي الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل
آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت
بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في
اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك
ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او
ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد
الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا فيها نذير
من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما

وقد قرئ به من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على
نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على
ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين
ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها
على ان كلا منها له اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوها
ومن الجبال جدد اي ذو جدد اي خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد
بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف
وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد
مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده
فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التابع ان يتبع المذكور ونظير ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها ومن حق التاكيد
ان يتبع المؤكد في مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار
والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم
بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال
قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر
وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم
يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتائب من عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد
بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم
بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد
ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله
اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول
ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي
مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من

وادوا نشقوا والذي أوحينا إليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين أو
للجنس أو للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه أحقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد
وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان
في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار
على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على أن العمدة في ذلك الأمور الروحانية
ثم أورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك أو نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه أو
أورثناه من الأمم السالفة والعطف على أن الذين يتلون والذي أوحينا
إليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني
علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم
على سائر الأمم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به
في أغلب الأوقات ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله بضم التعليم و
الإرشاد إلى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم
وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق
الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى
الله عليه وسلم أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب وأما
الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم
فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر
على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون
إلى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل
الكبير إشارة إلى التوريث أو الاصطفاء أو السبق جنات عدن يدخلونها
مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة أو للذين أو للمقتصد والسابق فإن المراد بهما
الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ
أبو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان أو حال مقدرة و
قرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من أساور من ذهب من الأولى
للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب أي من ذهب مرصع
باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل
من أساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة أو همهم من أجل المعاش وآفاته أو من وسوسة
إبليس وغيرها وقرئ الحزن إن ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين
الذي أحلنا دار المقامة دار الإقامة من فضله من إنعامه وتفضله إذ لا
واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال إذ
لا تكليف فيها ولا كد أتبع نفي النصب نفي ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم

لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه
بإضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء
نجزي كل كفور مبالغ في الكفر أو الكفران وقرأ أبو عمرو يجزى على بناء المفعول
وإسناده إلى كل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته
ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بإضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار
بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل
ما بين العشرين إلى الستين وعنه صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه إلى
ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى أولم نعمركم فإنه للتقرير كأنه قيل
عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي أو الكتاب وقيل العقل أو الشيب أو
موت الأقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم إن الله
عالم غيب السموات والأرض لا تخفى عليه خافية فلا تخفى عليه أحوالهم إنه عليم
بذات الصدور تعليل له لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون
كان أعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الأرض يلقي إليكم مقاليد التصرف
فيها وقيل خلفاء بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه كفره
جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
إلا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من
الأمرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
وهو أشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل أرأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم والإضافة إليهم لأنهم جعلوهم شركاء
لله تعالى أو لأنفسهم فيما يملكونه أروني ماذا خلقوا من الأرض بدل من أرأيتم
بدل الاشتمال لأنه بمعنى أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء
أروني أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه أم لهم شرك في السموات أم لهم شركة
مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية أم آتيناهم
كتابا ينطق على أنا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب
بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون هم للمشركين لقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا
وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر والكسائي على بينات فيكون إيماء
إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل إن يعد الظالمون
بعضهم بعضا إلا غرورا لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم

عليه وهو تقرير لاسلافهم واخلافهم والرؤساء والاتباع بانهم شفعاء عند الله
فيشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا
لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من
بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة
والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين
بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان
قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى
لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود
والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على
غيرها فى الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر السيئ
فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف
وقرا حمزة بسكون الهمزة فى الوصل ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو
الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر اى ولا يحيق الله فهل ينظرون
ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعل غير التعذيب تعذيبا
ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه فى
مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة
وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض انه
كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى
ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم
القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل
من اى باب شئت وعنه عليه الصلوة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها
خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة
سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم فى المعنى
والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طى على ان اصله يا انيسين فاقتصر
على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله فى ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على

على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع
الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال الياء حمزة والكسائى
وابو بكر وروح وادغم النون فى واو والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائى
ويعقوب وهى واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين
لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة فى الامور
ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور
وفائدته وصف الشرع بالاستقامة تصريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما
تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ
بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين
ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعنى آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة
فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيئا انذر به
آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم على المصدر فهم
غافلون متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك
لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلت اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد
حق القول على اكثرهم يعنى قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون
لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على
الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين
غلت اعناقهم فهى الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطا
طئون رؤسهم له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لا يلتفتون
لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم له وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ومن احاط
بهم سدان يغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون
فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وقرا حمزة والكسائى
وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما كان
بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان فى بنى مخزوم
حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر
ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد
فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه
الله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق فى البقرة
انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اى القرآن بالتامل
فيه والعمل به وخشى الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله
او فى سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم

انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما
قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة
كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتاسيس ظلم وكل
شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم
من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف
اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان تقتصر على واحد وتجعل
المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون
بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واسناده
الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما
يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من
عزه اذا غلبه وحذف المفعول به لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر
المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى
غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا
من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون
فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك
فأنس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس
له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما
آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق
له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك
وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة
ايام فدعوا فقام وقال اني دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء ورأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء
الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن
في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا
لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي
اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في

في دعوى رسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله
وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما
علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة لصحته وهو
المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم
وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا
عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب
شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم أئن ذكرتم وعظتم
به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد
زيد الف بين الهمزتين وفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وأن وإن
بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل
انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم
او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم
وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار
يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من
لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي
لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد
بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها
والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون
مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم و
لا ينقذون بالنصر والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا
ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه
به ضلال بين لا يخفى على عاقل وقرأ نافع ويعقوب وابو عمرو بفتح الياء اني آمنت
بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما
نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل
له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها
كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما
لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام
استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه
في نصرة دينه ولذلك قال قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول وانما تمنى علم
قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان

والطاعة على داب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا
انهم كانوا على خطا عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية
او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء
صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه
استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين
وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا
ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي
وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت
ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل وقرئت
بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى
ان الحي كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب
وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالي فهذه
من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما ياتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا او يتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل
الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة
العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا
قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان
اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم على المعنى اي
الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ
بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيامة للجزاء
وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرا ابن
عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرا
نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او صفة لها اذ
لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدا والاية خبرها او استئناف لبيان
كونها اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل و

واعناب من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على
الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون
الثمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار
الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا
ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
او العيون ومن مزيدة عند الاخفش لياكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرا
حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون
وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس
ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول
قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها
افلا يشكرون امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي
خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات
والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا لم يطلعهم
الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه ما سبق
فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد
معين ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او
لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص
او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة
وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب عن مغرب ثم
لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ
لا مستقر لها اي لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقر على ان لا بمعنى ليس
ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن احصائها تقدير
العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر
قدرناه قدرنا مسيره منازل اي سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون
الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف
الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة
النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل
ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان في اخر منازله
وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرا الكوفيون وابن

عام فالقمر ينقص الا حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون
القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها يصح لها
ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات
وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه
فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها
الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل
المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون
عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم
والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها
في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم
الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان
الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن
اشق وتماسكهم فيها اعجب في الفلك المشحون وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله تعالى ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم
الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان
وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون
من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ
ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع
بالحياة الى حين زمان قدر لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم الوقائع التي خلت والعذاب المعد في الآخرة او نوازل السماء ونوائب
الارض لقوله او لم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر
لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله
وما يأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل
لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعني معطلة كانوا بمكة
للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء
الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا
من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء

وتوبيخهم له ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله
ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون
ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت
ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع
وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو
وقالون به مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان والتشديد
وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون
من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا
الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ
في الصور اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث
من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ
بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من
اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح
ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن
بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع وهذا صفة لمرقدنا
وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او للمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر
كما تظنونه فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث
الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة
الآخرة وقرئت بالرفع على كانت التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد
تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن
الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا
ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه
من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية

فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ
فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على الحال من
المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدا
خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان او متكئون والجاران
صلتان له او تاكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر
لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال
من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه
او ما يتداعونه كقوله ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ما
شئت بمعنى تمنه علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة
او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة
اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي ولهم
سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب
رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه
على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون انفردوا عن المؤمنين وذلك
حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا
من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى ولا يرى الم اعهد
اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة
وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الزاجرة
عن عبادة غيره وجعلها عبادة للشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد
بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع
عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته والجملة استيناف
لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة او للتبعيض فان
التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا
تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير
وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون
مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد
الاجيال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا

فذوقوها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها عن الكلام وتكلمنا
ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها
على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم
على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا
اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي
اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار
او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه
للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد
المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم
واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه
فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدو امره
وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون
ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه
على تدريج وقرأ نافع وابن عامر برواية ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب
قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم شاعر اي ما علمناه
الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا
يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما
لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف
المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه
حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير له للقرآن
اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن
مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس من كلام البشر لما فيه من
الاعجاز لينذر القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا
في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع
به ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم
في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات

في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر
على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في
الاختصاص والتفرد بالاحداث انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع
الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بها بتمليكنا اياهم او متمكنون من
ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم
مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم
اي ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اي ما يأكلون لحمه ولهم
فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار ومشارب من اللبن جمع مشرب
بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله في ذلك اذ لولا خلقه لها و
تذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا
من دون الله آلهة اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة
والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما
حزبهم من الامور والامر بالعكس لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم
جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم في النار
فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزنه قولهم في الله بالالحاد والشرك
او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم
عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو
قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى
انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي
لا مزيد عليها وهي خلقه من اخس شيء وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله
يحيي هذا بعدما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت
وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق
قادر على الخصام معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفي القدرة
على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه خلقنا
اياه قال من يحيي العظام وهي رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلي من
العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت
كسائر الاعضاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت لامتناع
التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق عليم يعلم

يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض
على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث
مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ
على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه
توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من
الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة
الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما
وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما
او مثلهم في اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر
بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شأنه اذا اراد
شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل
لتأثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع
وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو
قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا
على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضربوا له و
تعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء واليه
ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء
وعن ابن عباس رضي الله عنه كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت
به فاذا انه لهذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن
يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك
يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرأ يس وهو في سكرات الموت
لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه
فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض
الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى
او اثنتان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات
زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب
باعتبارها تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام
العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير

او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه
او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة
لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار
لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن
الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس
الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا
يشغلهم عنه مباداة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات
والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاسافة الى
قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين
فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو
وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربهما فانها من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم
عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه
الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة
ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال
العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق
الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف
المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة
وما قيل انه مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا
السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة
للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب
على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب
فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت
مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان
زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما
عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين السماء الدنيا ان تحقق
لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على
سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف
على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل
شيطان مارد خارج عن الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام
مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه

فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على
حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا
ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى
وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا
لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من
التسمع وهو تطلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون
ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده
دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد
به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول
او صفة له اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب دائم
او شديد وهو عذاب الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو
يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة
مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطّف بالتشديد مفتوح الخاء
ومكسورها واصلها اختطف فاتبعه شهاب اتبع بمعنى تبع والشهاب
ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين
ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا
زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو
العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا
يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب
الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل
المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق
به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون
عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان
ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب
مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم
اشد خلقا ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك
وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها
لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر
بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة
ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان
قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوثه

العالم او بقصة ادم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة
لزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه
الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بداهم اولا وقدرته
ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرا حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي
اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث
ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض
والتخييل او على المعنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا
ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم ما يدل
على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا اية معجزة
تدل على صدق القائل يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه
سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما
يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه
الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر اذا بطرح الهمزة الاولى وقراءة
نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية او اباؤنا الاولون عطف على محل
ان واسمها او على الضمير في لمبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة
الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو
على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول
وقرا الكسائي وحده نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي
اذا كان ذلك فانما البعث زجرة اي صيحة واحدة وهي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا
صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم
قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون
جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن
والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد
الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلثة او نساءهم اللاتي على دينهم
او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها
زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا

الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط
الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤلون عن
عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم بعد
الهداية والتوبيخ للسؤال ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا وهو توبيخ
وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم
واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله
واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون
يسال بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن
اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح
فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه
ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن
الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم
من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا
ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما
جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم
انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا
لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية
لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم ان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون
كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون
ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم بل جاء بالحق وصدق
المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون
انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب
على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء
منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة
فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم
خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة
ما يقصد به التلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة
محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من
غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا
النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك

على من يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان تعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكاس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطفه على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاء وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اى ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقولهم هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم قرأة اى قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى

اى بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهى متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله او تبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون من كلام الله تعالى لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك مما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع النخل لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على

نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفضاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادانا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعنى كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اى تريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انه على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك فى نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انه لا يوجب ظنا فضلا عن قطع ما يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضى الامن من عذابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة فى النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او فى علمها او فى كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم فقال

فقال انى سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى او اراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى للاصنام استهزاء الا تأكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسرة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ يزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم اى يهاديه يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد وعملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعى اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق

محذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي وما روى ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب على ما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او قضاء الله وقرأ نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابرهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه امر السكين بقوته على

حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة هو ابرهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه غاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب

فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه
وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط
المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل ذلك
وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هارون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي
وان ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او اتطلبون
الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذي يقال له
الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول
وتذرون احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي
للانكار المعني بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم
لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو
لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين
لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين
لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء
النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على
اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا
الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل
لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه
وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان
سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او
نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد
لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن
المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن
لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون
المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة
واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج
من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد آبق

ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه الى الماء
فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في
بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث
على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند
الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما
يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه
يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون
وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه
فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه
يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته
باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل
التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره و
ارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد
به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى
الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم
الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر
القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل
او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جلا
لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز
الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة
وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم
بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور

على الاخرين لاختصاص هذه الطائفة بها ولان فسادها مما تدركه العامة
بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم ام خلقنا
الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك
لا تعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل
الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون
به كانهم قد شاهدوا الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه
وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اى
الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ
صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها
عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله
من ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن
ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة
بناته فاتوا بكتابكم الذى انزل عليكم ان كنتم صادقين فى دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان
يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل
قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او
الجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون فى العذاب سبحان الله عما يصفون
من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع
او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم
وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس
بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق فى علمه انه من اهل النار ويصلاها
لا محالة وانتم ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون
وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء
لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة
الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من
ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك
او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم بالبت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما
منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله
فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك
وقالوا سبحان الله تنزيها عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا

الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية و
تفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
وانا لنحن الصافون فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون
المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة
وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص
لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام
النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم
فى الجنة او بين يدى الله فى القيمة وانا لنحن الصافون له فى الصلوة والمنزهون
له عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا
من الاولين كتابا من الكتب التى نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين
لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذى
هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب
والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى
واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين هو الموعد لنصرك عليهم وهو
يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر
الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التاييد والنصرة والثواب فى الاخرة وسوف للوعيد لا
للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا
متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه
بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور
ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت
فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وتول
عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار
بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول
لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له
او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد
وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين
على ما افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم
والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن على رضى الله عنه من احب

ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن فى آخر كلامه من مجلسه سبحان
ربك رب العزة الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه
كان مؤمنا بالمرسلين سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من
المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول
اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله
اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر
على تأويل الكتاب والقراءة ذى الذكر الواو للقسم ان جعل صاد اسما للحرف او
مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم او للسورة خبرا
لمحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل
عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او
لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق
اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق
وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا
من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف
والشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير
فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة
او توبة واستغفارا ولات حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة
بليس زيدت عليها تاء التانيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم
الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل
للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او
مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم ولا حين مناص كائن لهم وبالكسر
كقوله طلبوا صلحنا ولات أوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات
تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان
اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص
تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم
ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء
كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به
فى الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه
والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف

عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امى من عدادهم وقال الكافرون
وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم
جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله على الله
اجعل الآلهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد ان هذا
لشئ عجاب بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشاهده
من ان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو
ابلغ ككرام وكرّام روى انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب
وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك
لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة والسلام
ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك
فقال ارأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطىّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا
ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد ما
بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض
امشوا واصبروا واثبتوا على آلهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان
هى المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد
بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان
هذا لشئ يراد ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او
ان هذا الذى يدعيه من التوحيد ويقصده من الرياسة والترفع على العرب
والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد وان دينكم يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا
بهذا بالذى يقوله فى الملة الآخرة فى الملة التى ادركنا عليها آباءنا او فى ملة
عيسى عليه السلام التى هى آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا
من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة
المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أانزل عليه الذكر من بيننا انكار
لاختصاصه بالوحى وهو مثلهم او ادون منهم فى الشرف والرياسة لقولهم
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان
مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى بل هم فى
شك من ذكرى من القرآن او الوحى لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس فى عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى

انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا
بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى
ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه
العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن
يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما كانه لما
انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف
ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه
فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف
اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو
غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات
لانها اسباب للحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم
جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم
التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية فلا تكترث بما يقولون وما
مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده
وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول
كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد
كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات
البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب
ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب
الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين
على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند
اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد ليكون تسجيلا على
استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع
او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك
او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة
واحدة وهي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرا حمزة والكسائي بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به
او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال للصحيفة الجائزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل

قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
واذكر قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والكرامات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل
والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله
عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد
واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل
على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد
حال بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء
ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الضحى قال
هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية
والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر
جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له
اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه
وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او
كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة
والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة
على آخر وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلم فقال صدقت
اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته واتيناه الحكمة
اي النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام
بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المقصود
من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل
المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد
الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول
صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه
التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع
اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من
السنام واذ متعلق بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان
المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اي قصة

نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه
وسلم لم يكن حينئذ واذ الثانية في اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف
لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس
على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة
ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة
على صورة الانسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان
على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد
التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا
تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا
تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط
الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة
ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل
فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولي نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي وعزني في
الخطاب وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في
مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث
زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه
وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال
مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدي
وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها
وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما
فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه
لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا
اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى
ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله
بهذه القصة فاستغفر واناب عنه وما روي ان بصره وقع على امرأة فعشقها
حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن
زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى
وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها هزء

وافتراء ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص
جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد
ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة
وحسن مآب مرجع في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك
على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم
بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل
ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن
سبيل الله دلائله التي نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب
شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره
يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
خلقا باطلا لا حكمة فيها او ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما لاعبين او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق
الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا
الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام
منقطعة والهمزة فيه لانكار التسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقهما
باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار فانه انكر التسوية
اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز
ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم
الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا
والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم
حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب
على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التأويلات
الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت
وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او
ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه
من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما
يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثاني ووهبنا لداود
سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله
انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه طرف

لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن
من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة
في الخيل لا تكاد تكون الا في العراب الخلص الجياد جمع جواد او جود وهو
الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض وقيل جمع جيد روي انه عليه
السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من
العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل
عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى
آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت
من قوله مثل بعير السوء اذا احبا اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير
والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله
عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري
المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه ردوها علي الضمير
للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق
اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل
جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو
لضمة ما قبلها كمؤقن وقرئ بالسؤاق اكتفاء بالواو عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما
روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد
في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت بشق
رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له
ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به
الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا
على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع
ولايدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف فكسر الصورة وضرب
المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل
للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته
شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها
لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت
يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان

وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد
الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به
وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله
عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير
علمه لا يضره قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان
يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك
لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة
لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة
انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها
لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة
لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور المنقاد حيث اصاب اراد من
قولهم اصاب الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل
بناء وغواص بدل منه واخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه
فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص
ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل
اجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد
تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء
لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده
اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي
اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم نسلط به غيرك عطاؤنا
فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال
من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف
فيه اليك او من العطاء او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم
لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك
اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في الاخرة مع ماله من
الملك العظيم في الدنيا وحسن ماب وهو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو
ابن عيص بن اسحق وامراته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا
وايوب عطف بيان له اني مسني باني مسني وقرا حمزة والكسائي باسكان الياء
واسقاطها من الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية
لكلامه الذي ناداه له ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان
الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم

فلم يغثه

فلم يغنيا وكانت مواشيه في ناحية ملكها في فذاهنه ولم يغرة او ليسوا له امتحانا
لصبره فيكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى
رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس
اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرا يعقوب
بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرُّشد والرَّشد وبضمتين
للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك الارض هذا مغتسل
بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اي تغتسل به وتشرب
منه فيبرا باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من
الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او
احييناهم بعد موتهم وقيل ووهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف
ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج
بالصبر واللجاء الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض و
الضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روي ان
زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهبت لحاجة و
ابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية
في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه
الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك
خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا وضع الجنس
موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب
عطف عليه اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او
اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهلة انهم كالزمنى
والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب
فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك
لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام
بخالصة الى ذكرى للبيان اولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا
لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير
كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميّت واذكر
اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ
واللام فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقرا حمزة والكسائي والليسع تشبيها
بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في

في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى
ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في
بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي
وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها
ما في المتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران
لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان
او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استيناف
لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان
مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات
الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب لدات لهن فان التحاب بين الاقران
اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه
يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب
علة الوصول الى الجزاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا
لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا
وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد
المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم
لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب
هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين
خبر محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت
العين اذا سال دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين
وآخر اي مذوق او عذاب آخر وقرا البصريان واخرى اي ومذوقات او انواع
عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي
لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر
محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا
دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام ركوب الشدة
والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او
حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون
النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق
بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلي لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة والاعمال

القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم أتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا البصريان وابن عامر
وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتانيب لهم في الاستسخار
منهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين
ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان
المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او
لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارها على انفسهما وللانقطاعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين
ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله
وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء
رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذي لا يغلب
اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتنبيه على ما يشعر
بالوعيد وتعديه لان المدعو به هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من
اني نذير من عقوبة من هذه صفته وانه واحد في الالوهية وقيل ما بعده
من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض
عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على
النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن
تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع
ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحي واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ
التقدير من علم بكلام الملا الاعلى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين
اي لانما كانه لما جوز ان الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا
لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون
مبين له فان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس
في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت
اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود ههنا وهو انذار المشركين على استكبا

رهم على النبي بمثل ما حاق ابليس باستكبارهم على آدم هذا ومن الجائز ان يكون
مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملا الاعلى بما يعم الله تعالى
والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحي واحييته
بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له
ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره
عن الطاعة واستنكافه امر الله او كان منهم في علم الله قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية
لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب
الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به
في تركه وهو لا يصلح للمانع اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض
سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من
غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن
ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة
ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع وقوله خلقتني
من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها
من الجنة او السماء او من الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة
ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم
يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر
قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم
على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اي فاحق الحق واقوله وقيل
الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان
تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما
اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرا
عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اي الحق يميني او قسمي او الخبر اي انا الحق
وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين
على حذف حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد
وهو سائغ فيه اذا شاركه الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني
وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد منك من
جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضمير
قل ما اسألكم عليه من اجر اي على القرآن او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين
المتصنعين بما ليسوا من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول

القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من
الوعد والوعيد او صدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيمة
او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على
ذنب صغير او كبير سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها خمس
وسبعون او ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف
مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاولين صلة التنزيل
او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب
على الاولين السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل
نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات
الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من
الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم
الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه
مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص
اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المتفرد بصفات
الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء
يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على
حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ
خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول وان الله
يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا
او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم
الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما
هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة
ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم
ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا
البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ
لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل
الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد
القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية
وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة
المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى
الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على

على النهار ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه
لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى
هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب
على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من
الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال
آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر
دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم اولا من غير اب
وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف
على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان
الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم
خلق منها حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف
بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة
منها كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى
من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق
ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب
اولي العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من
بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او
الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق
لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى
تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن
ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا
يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي
باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي
عمرو ويعقوب اسكانها وهي لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا
يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال
ما ينازع العقل في الدلالة على انه مبدأ الكل ثم اذا خوله اعطاه من الخول
وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه اي
الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه وما مثله الذي
في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل

وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال لو الاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد
فيه اشعار بان الكفر نوع تشهية لا سند له واقناط للكافر من التمتع في الاخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن
هو قانت قائم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف
تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت
كمن ضده وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل
له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر
والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موقع الحال او
الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي
لاستواء الفريقين باعتبار القوة العملية بعد نفيه باعتبار القوة العلمية على
وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي
العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا
الالباب باشال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين
امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين
احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا
حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان حسنة وارض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان
لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث
انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون
بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل
العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء
من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت ان اكون
اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان
قصب السبق في الدين بالاخلاص ولانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن
دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان
العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا
تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت
لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد
الامر به قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه
من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظم ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني
امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه

كونه مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم
ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم
قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم
بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران
وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم
وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير
بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل
من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل للاخرين
ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم
فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في
المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان
ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما
سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر
موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدا اجتنابهم وانهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين
هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم
والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة
على محذوف دل عليه الكلام تقديره اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب
فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع
من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع
فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى
الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستانفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان
قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله
محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في
الارض هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع
وللنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه

من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه
اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله
حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه
وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم
افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عمن خلق نفسه شديدة
الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع
للروح المتعلق للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة
والاهتداء الى الحق وعنه صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور و
والتاهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي
من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف
اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله
تعالى وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر
بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا
له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد
اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى
والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر
وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان عظام
وعروق واعصاب او جعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل
في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم
اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان
اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون
والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب
او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل
الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله درقة
يقي بها نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين
اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم

لهم ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين
من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم
ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف
والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه
لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون
يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني
زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ
من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك
يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله
لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد
رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك
فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهام شتى مختلفة في تحيره وتوزع قلبه
والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه
صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر و
الكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام
وثلثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذا ورجل سالما اي وهناك
رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا
صفة وحالا او نصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف
النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان
التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه
لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به
غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي
عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب
المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك
كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد
والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا
سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم
بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك
اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير
توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة
لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم

يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجاء ما علمه محمد
صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول
الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل
الجائي هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي
اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه
اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصُدِّق به على البناء
للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله
عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك
او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان
ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم
الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم
ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي
مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني
قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث
خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم
انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه لانه الامر بما خوف عليه ومن يضلل
الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى
الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب
منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون من
دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما تحققتم ان
خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني
برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ ابو عمرو كاشفاتٌ ضرَّه
ممسكاتٌ رحمتَه بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير
ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او
شر روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات
وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما
استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف
للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر

الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم
الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق
ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها
فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على
الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها
وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو
في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة و
الكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى
اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان في ابن ادم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها
العقل والتميز والروح التي بها النفس والحركة فتتوفيان عند الموت
وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك في
التوفي والامساك والارسال لايات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول
رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى
توفي اجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم
عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ايشفعون ولو كانوا
على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة
جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون
هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا
باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه
مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده
دون الهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة انقبضت ونفرت
واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم
بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى
ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا ذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات والارض

عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم
وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان
للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم
سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا
اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء
لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله
وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا
عن ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك
عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به
قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه لما لي من استحقاقه
او من الله بي واستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث
الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما
اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون
وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة
اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب
اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم
بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس
عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان
الحوادث كلها من الله بوسط او بغيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين
على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله
ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف
الظاهر ويدل على الاطلاق فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية
والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة
بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة و

الاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن
القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر
الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على
الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال ما احب
ان يكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة
ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان
من عبد الاوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا
الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في
جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول
المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص
في العمل وتنافي الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن
او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون
المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل
ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس
كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا يا حسرتا
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه
وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك
تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت
على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله
والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كأنه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان
الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصي او تقول حين
ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل او للدلالة
على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله
لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخيره
يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى
الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل
اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ويوم القيمة ترى
الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة
بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى

من رؤية البصر والكنى فيها بالضمير عن الواو أليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين
عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا
وقرئ وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصها بأهم
أقسامه وبالسعادة والعمل الصالح إطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير
حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف إليه والباء فيها للسببية صلة لينجي أو لقوله
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال أو استئناف لبيان المفازة الله خالق
كل شيء من خير وشر وإيمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد
السموات والأرض لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن
قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لأن الخزائن لا يدخلها ولا
يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا لزمته
وقيل جمع إقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله
وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن
بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات
يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه والذين
كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا
وما بينهما اعتراض للدلالة على أنه مهيمن على العباد مطلع على أفعالهم مجاز عليها
وتغيير النظم للإشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
أن خسروا أنفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم أو
عما يليه والمراد بآيات الله دلائل قدرته واستبداده بأمر السموات والأرض
أو كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لأن غيرهم ذو حظ من الرحمة
والثواب قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي أفغير الله أعبد بعد هذه
الدلائل والمواعيد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك
وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما دل
عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن
ورفع الفعل كقوله أحضر الوغى ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرونني
بإظهار النونين على الأصل ونافع بحذف الثانية فإنها تحذف كثيرا ولقد أوحي
إليك وإلى الذين من قبلك أي من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل وإقناط الكفرة والإشعار
على حكم الأمة وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم
والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن شركهم
أقبح وأن يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر وليحبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل

بل الله فاعبد رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن
كذلك وكن من الشاكرين إنعامه عليك وفيه إشارة إلى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا وما عظموه في أنفسهم حق تعظيمه حيث
جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة
الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى قدرته ودلالة
على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير
اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة
المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف
تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف
تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون
السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على أنها
حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى
عما يشركون ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو
ما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الأولى فصعق
من في السموات ومن في الأرض خر ميتا أو مغشيا عليه إلا من شاء
الله قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى وهي تدل على أن المراد بالأول ونفخ في الصور
نفخة واحدة كما صرح به في مواضع وأخرى يحتمل النصب والرفع فإذا هم
قيام قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب
كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما
أقام فيها من العدل سماه نورا لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى
الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضاف اسمه
إلى الأرض أو بنور خلق فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضافه
إلى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب
المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس
عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء
للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين
العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما
جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو أعلم بما يفعلون
فلا يفوته شيء من أفعالهم فصل التوفية وقال وسيق الذين كفروا
إلى جهنم زمرا أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت أقدامهم

في الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة
لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة وهي
الجمع القليل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها
الجملة وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم
من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا
وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع
من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة
وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين
اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم
في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم
فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق
العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل
به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من
اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم
الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت
مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب
اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرا الكوفيون فتحت بالتخفيف
وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي
فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم
وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي
صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم
من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ
كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او للابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة
حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه
اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق
وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة

باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين على ما قضي بيننا
بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم
لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله
رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان
يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وايها خمس وثمانون
وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو
بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك
لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرا ومنع صرفه للتعريف والتانيث او
لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعله تخصيص
الوصفين لما في القران من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق
ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها
حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده
او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله
وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو
الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع
الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقي وذلك لمن لم يتب لان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير
فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا لما حقق امر
التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه و
قطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه
على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم
وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم ماخوذون عما قريب
بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا
من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له
ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب
فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت

كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار
بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون
العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه
وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش
ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع
الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان
الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا
لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا
على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة
وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت
الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اي يقولون
ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة في
عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب
الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اي ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتم سرورهم
او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد
انك انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه
حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله
ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها في الدنيا فقد رحمته في الآخرة
كانهم طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة
او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه
اخبر عنه ولا للثاني لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالهم الخبيثة
الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد
قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا
عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير
كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل والثاني

خص بالتصيير فاختيار الفاعل المختار احد مفعوليه تصيير وصرف له عن
الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءتين الاولى واحياء البعث وقيل الاماتة
الاولى عند انخرام الاجل والثانية في القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءآن
ما في القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه
ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها
من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من
النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا
وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذي انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعي الله
وحده متوحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه في الحالية كفرتم
بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة العلي
الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى
من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة هو الذي يريكم
آياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل
لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات
التي هي كالمركوزة في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع
الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان
الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره
الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران
للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده
في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال
وكان العرش الذي هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان
يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة الى العرش
او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي
الروح من امره على من يشاء من عباده خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات
ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير
التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأه والآمر
هو الملك المبلغ المختار للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية
الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد
الثاني يوم التلاق يوم القيمة فان فيه يتلاقى الارواح والاجساد واهل
السماء والارض والمعبود ومن والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون
خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم
لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء
من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة

لما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه
في ذلك اليوم ولما يجاب عنه او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب
وارتفاع الوسايط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دايما اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقايد
والاعمال هيآت توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوايق
تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوايق وادركت لذتها والمها
لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب
اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم
يوم الازفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة
وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع
عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها
او من ضميرها في لدى وجمعه لذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله
فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة
ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع
والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع
ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين
النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة
الاعين وما تخفي الصدور من الضماير والجملة خبر خامس للدلالة على انه
ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك
الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من
دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي بشيء
او لا يقضي وقرا نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد
لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين
كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما
جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في
امتناع دخول اللام عليه وقرا ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض
مثل القلاع والمداين الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب
عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او
الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن

شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا
يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما
جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم
الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه عن
قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت
عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل
على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده
قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله
ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام كقوله ويذرك
وآلهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب
والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع كلامه اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان
توكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص
اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم
على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل
له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت فيه وفي الدخان بالادغام
وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله
يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا
اتقصدون قتله ان يقول لان يقول ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر مثل صديقي زيد وقد
جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف
به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه
لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار

للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا
وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذات وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا
لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا
حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به
لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين غالبين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا اي لا تفسدوا
امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين
لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير
عليكم الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي
ولساني يتواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال
للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع
او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه
والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب
مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا
عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله
يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو
ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق
ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم
بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة
واصحاب النار كما حكي في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من
بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن
يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان
فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او سبطه يوسف
بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله
من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان
لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم
يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع

الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله
وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ
وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير
سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابو
عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما
كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء
اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي
ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع
الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله
اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي
اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال
الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف
على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما
لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا
في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان
فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون
اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان
ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله تعالى
وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا
مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل
الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل
وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم
ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به علم بربوبيته

والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح
الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال
القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق عدم دعوة آلهتكم
الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة
مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن
فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من
التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اي
لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه
كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري
الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم
المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى
وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى
بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
او القتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر
محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من
الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل
يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف
اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اي
هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل
فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب
جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة
بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا تباعا
كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم
مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون

مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم
فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه
بمعنى كلنا وتنوينه عوض المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في
الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك
ثوب ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها اذ يحتمل ان تكون جهنم ابعد دركاتها
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من
العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن
العذاب بيانه قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم
الحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة
قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ عليه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم
وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب
انا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام من الكفرة في الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من
الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد
كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس
من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل
من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار
جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف
والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي
العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه
واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك
وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه
تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم
على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة
ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتيهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا
لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه
الانهار ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة

الرياسة او ان النبوة والملك لا تكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرا الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرا ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم يتاملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين

قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او من الآيات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرا نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمار للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس

مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى
فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك
وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك الحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان
وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر يوم بدر او نتوفينك قبل ان تراه
فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب
نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم
في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب ويدل على
شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما
كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على
ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها ولا استبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق
بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح
الايات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تأكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر
ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال وعلى الفلك
ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل
لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون
لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته
دلائله الدالة على كمال القدرة ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك
الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته
متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور
والمصانع ونحوها وقيل اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الايات
الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء و

وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا
بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون
الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال
لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله
كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان
لان رؤية البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من
المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير
للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق
ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له سورة السجدة مكية وآيها ثلث
او اربع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من
الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة
وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه
السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى
واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من
بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون لقوم
يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل
او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين
له وقرئا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله
فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع
كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب
يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنك بحيث استوعب
المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك
ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسل فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال
امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم
التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد
والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص

في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال
وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم
وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالآخرة
هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم
للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن
واصله الثقل او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي
خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع
ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها
في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم
به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك
الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها
وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة
من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها
معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات
وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او
اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها
اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر
والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما
لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء
والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في
فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين
عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى
الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي
على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض
بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني
ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا
بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة
والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير
والترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض
ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد
توليده منكما ويؤيده قراءة وآتيا من المؤاتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما

فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته
ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا
موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير
تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع
الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه خاطبهما واقدرهما على الجواب انما
يتصور على الوجه الاول والاخر وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما
مخاطبين كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا
واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على
الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس
والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها
بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء
الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي
وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع
كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا
لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا
بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن
جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن
المتأخرين داعيين الى الايمان بهما اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة
كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا
تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة
برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم
علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير
استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من
قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا ان الله الذي
خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي
على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها
وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة

بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها
من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او
الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب
قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى
وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره
ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا
الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء
فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون
من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة
ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين
ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا
ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد
عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر
عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم
علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي
انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء او ليس
نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب والنطق بدلالة
الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون
يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون الناس عند ارتكاب
الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم
عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة
الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز
ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد
به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها
وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا

يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات
المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل
ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة
العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي
آخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ
بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء
القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم
وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار
دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين
كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين
على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ
في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم
لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة ولانها عسر
قلما يتبع الاقرار وما روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل
عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن
او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في
الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل
بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما تتعادى الكفرة و
قرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها

ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من
غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون
مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته
وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين تفاخرا به او اتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة لمن
استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتأكيد
النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن
منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن
دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف
اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق
وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا
فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته
لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده
او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه
انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن آياته الليل والنهار
والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا
لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا
بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات
وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى
لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون
له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن آياته انك
ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت
اي زادت ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء من الاحياء
والاماتة قدير ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف
والتأويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن
يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا
مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير
وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون
في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون

ينادونه والذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى
ابطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم
اي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي ما يقول لك كفار
قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله
لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
وهو على الثاني يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك واليهم وعد
المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته
بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي أكلام اعجمي ومخاطب عربي انكار مقرر للتخصيص
والاعجمي يقال للذي لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابي بكر وحمزة والكسائي
وقرأ الباقون أأعجمي وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمي على الاخبار وعلى
هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها
عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة
على انهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين آمنوا هدى
الى الحق وشفاء من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم
وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن
سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف
ذلك على للذين آمنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضي
بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفي
شك منه من التوراة او القرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا
فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم
ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا
هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن
عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا
وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون موصولة معطوفة
على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه
الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم
قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم
لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا

عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب
والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في
النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله
ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ
في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا
من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول
وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت على التوهم
كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق
لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا
على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه
وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله في جنب الله
فاذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه
كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به
من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول
موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما
اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه
خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان
من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول
او التوحيد او الله اولم يكف بربك اولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل
اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل
منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات
الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او اولم
يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه تعالى مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم
في مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء
الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء
منها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر
حسنات سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلث وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين
وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك

اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني
او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع
على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ
ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدره
ويوحي مسندا الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له
مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي
بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الأخر استئناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله
وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع
فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر
من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لان اعظم الآيات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على
الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي
مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة
يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان
بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما
من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير وعلى الثاني
دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء
باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء
وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد
عليهم بوكيل بموكل بهم او موكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا الاشارة
الى مصدر يوحي او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة
فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى
وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع فيه الخلائق
والارواح والاشباح والعمال والاعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول
مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن
لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين
بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية

والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير اي ويدعهم بغير ولي
ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي جواب
شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شي قدير
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شي من امر
من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او بالاثابة والمعاقبة وقيل ما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه
الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور واليه انيب
ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او مبتدأ خبره
جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم
ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او
خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو
البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام
ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شي اي ليس
مثله شي يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل
كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان
نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم
الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى ليس
مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع البصير
لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شي عليم فيفعله كما ينبغي
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى
وعيسى اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل
المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف كانه جواب
وما ذلك المشروع او الجر على البدل من الهاء في به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل
اما فروع الشرايع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم
عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما
تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا
يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول
او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او
طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة وكف

او آخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول او
المشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا
لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان او من
القران مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكفر
او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما
اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل
واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة
وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين
امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرايع والحكومات
والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله
ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل يجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة
مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار راسا حتى
تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله
فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا
بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب
بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب
بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل
بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة
قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان
يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه
بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع
الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي
ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد
لتجويزه فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف
من البر لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص كلا من

عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز
المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث
انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء
البذر في الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطه بالواحد
عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على
ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى
ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم
شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل
للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها واسناد الشرع
اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا
كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة
لقضي بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم
عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير
عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب
الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي
ما يشتهونه ثابت عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي
يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي
يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من بشره يبشر من
ابشره قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
في القربى ان تودوني لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لا اسألكم قط ولكن اسألكم المودة في القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي
القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله
والبغض في الله روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال
علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله
في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف
حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في ابي بكر رضي الله عنه ومودته لهم نزد له فيها في الجنة حسنا بمضاعفة الثواب
وقرئ يزد اي يزد الله ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية
الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا افترى
محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله

مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما
من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
فلا يشق عليك اذاهم ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف
لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق
بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له
وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان
بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم
يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون
فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ حمزة والكسائي ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد
اجابة الدعاء او الاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل
ما كان للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا
وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء وهذا على الغالب واصل
البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر
ما يشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم
فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل
الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا يئسوا منه وقرئ بفتح النون
وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي
يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته
خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم
وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب
للسبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة
وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما يدخل
الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب
معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر

استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية
مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه للاجر العظيم
بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من
دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية
في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في راسه
نار ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت
على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه
على النظر في آيات الله والتفكر في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة
والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن
فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق
ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب
نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرا نافع وابن
عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او
يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة
حيوتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع
بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله
تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون
والذين بما بعده عطف على للذين آمنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون
على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرا حمزة والكسائي
كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم
ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط
تدبرهم وتيقظهم في الامور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم
ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله
لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل
وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مخاصمة
الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي
ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها

مثلها وسمي الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح
بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب
الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد
ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل
على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا
عليهم ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم و
ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك
منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا
العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل
اي الى رجعة الى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي
اي يبتدي نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف
وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب
المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم
على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل
الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يرده
الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن
رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في
صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا
رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا
رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم
فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل
سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها
عادة مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات
والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين
جميعا ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية

للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك او
لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة
على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم
المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر
وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته
مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافه به كما
روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى
في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية
دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع
او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ اليه وحيه كما امر وعلى الاول المراد بالرسول الملك
الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب
صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل
مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط
اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي
اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك
بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه
لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع
ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ
لتهدي اي ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما
في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات
وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف
مكية وقيل الا قوله واسئل من ارسلنا وآيها تسع وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرانا عربيا
وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه لقول ابي تمام وثناياك انها اغريض
ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقران
من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل
على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرا حمزة
والكسائي بالكسر على الاستئناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية

السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع
الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه
غيره وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال
منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده
ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب
عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
اي انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر
عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولي الشيء
صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صُفحا
وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صُفُح جمع صَفوح بمعنى صافحين والمراد
انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه
ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك
الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة
للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من
نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤون تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من القوم
المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين
وسلف في القران قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز
العليم لعله لازم مقولهم وما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة
عليهم وكانهم قالوا الله كما حكي عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما
سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل
لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي
نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا مال عنه
الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون
تنشرون من قبوركم والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه
على المتعدي بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق
للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على
ظهوره اي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم
عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله

وجده قرينه اذا الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وعنه صلى الله عليه وسلم اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا
استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله
وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل
والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله اولانه مخطر فينبغى للراكب ان لا يغفل
عنه ويستعد للقاء الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن
سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة
بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على
استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور
مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به
والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين معنى الهمزة فى ام للانكار
والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته
اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها
اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى
جعله له مثلا اذ الولد لابد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه
اسود فى الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفى
ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر فى الذكور وقرئ
مسود ومسواد على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا
او من ينشأ فى الحلية اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات وهو
فى الخصام فى المجادلة غير مبين غير مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأى ويجوز
ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى ومن هذا حاله ولده وفى الخصام متعلق بمبين واضافة
غير اليه لا تمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ ويناشأ
بمعناه ونظير ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند على
تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وعن
نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمدة بينهما
ستكتب شهادتهم التى شهدوا بها على الملائكة ويسألون اى عنها يوم القيمة وهو
وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهو ان له جزءا
وان له بنات وهن الملائكة ويساءلون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئته عدم العبادة
على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على

على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة
الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى
ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب الى انكار ان يكون لهم سند من
جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق
على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية
وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة
للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها
الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن
لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم اى
اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر
ماض اوحى الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول
انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان
كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم
بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ
قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك
بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه
اننى براء مما تعبدون برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك
استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم
وكرام الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم
وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء
من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين سيثبتنى على الهداية او سيهدينى
الى ما وراء ما هدانى اليه وجعلها وجعل ابرهيم عليه السلام او الله تعالى كلمة
التوحيد كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو
الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم
يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء وآباءهم
هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة
فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض
به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة

التوحيد والقران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد
بالحجج والايات فلما جاءهم الحق لينبههم عن الغفلة قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا
وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن
المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم
يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات
القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهو خويصة امرهم في دنياهم فمن اين
لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضي
ان يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا
بينهما التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل
بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تالف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم
لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا تصرف
فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون
من حطام الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة
ولولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج
وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا لبيوتهم
بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير
وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا
وهو لغة في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا
من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة
وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما
والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم
في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس
على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب
لما فيه من الافات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات
وقرئ يعش بالفتح يقال عشي اذا كان في بصره افة وعشا اذا تعشى بلا افة كعرج
وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه

يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن
رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيان
للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر
جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثني واضيف البعد
اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ
اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب
مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين
في سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة
عنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول افانت
تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد
تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا
فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه
اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والاخرة او نرينك الذي وعدناهم
او اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب وقرا يعقوب برواية رويس او
نرينك باسكان النون وكذا نذهبن فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا
فاستمسك بالذي اوحي اليك من الايات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل
وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لشرف لك ولقومك
وسوف تسالون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسال من ارسلنا من
من قبلك من رسلنا اي واسال اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد
به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه
فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد
باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها

اي الا ما أروها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها الا وهي
بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس
اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل
من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري
بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك
الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك
في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون العالم
الباهر ساحرا ادع لنا ربك يدعو لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من ان يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب
عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا
لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجؤوا نكث عهدهم
بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم
بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم أليس لي ملك
مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما للعاطفة
لهذه الانهار على الملك فتجري حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري
خبرها أفلا تبصرون ذلك أم انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو
مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام
لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم
من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون
ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا ألقي عليه اساورة من ذهب اي فهلا ألقي اليه
مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه
بطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير
وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة
والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى
تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم
فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق
فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد
غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من
الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم
وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف

او سلف كخشب وقرئ سُلَفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سُلفة اي
ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال
مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم او غيره بان قال النصارى اهل الكتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه
ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا
او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل
يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون
عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا ءآلهتنا خير ام هو اي آلهتنا خير
عندك ام عيسى فان كان في النار فليكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام
عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا اولى بذلك او آلهتنا خير
ام محمد صلى الله عليه وسلم فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق
الهمزتين والف بعدها ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل
والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص
على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا
عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء
لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة
في الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت
عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها
ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق
الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه
او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى يدل على
قدرة الله تعالى عليه وقرئ لعَلَم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا وفي
الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها
يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه
عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل
الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن
فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول صلى الله
عليه وسلم امر ان يقوله هذا هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه
ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم
عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل

او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين لكم
بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا
فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم
فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم
بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط مستقيم الاشارة
الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله تعالى يدل على ما هو المقتضي
للطاعة في ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او
اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين
من عذاب يوم اليم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا
ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء
يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا
يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة ابد
الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين
حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة ابلغ ادخلوا الجنة
انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف
جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهيه الانفس
وقرا نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم
بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل نعيم
زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه
يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها
صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق
الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير
بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين
في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكي عنهم ما يخص بالكفار
في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف
عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب
مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم

وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا او مضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا وقالوا
ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو
لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمن للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص
لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان
في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن
اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا
امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم
والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوأ من كراهتهم او ام احكم المشركون
امرا من كيدهم بالرسول صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمة لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم
ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة
الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء الطرفين وان هاهنا
لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم للازم الدال على انتفاء
ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومراء بل لو كان لكان اولى الناس
بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين
له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان
له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرا حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام
لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل
فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي كانوا يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع
هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء اله وفي
الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن
معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرا الله والراجع مبتدأ محذوف لطول
الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل
صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء
بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه
باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك
السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم

القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء
على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم
شفعاء هم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل
ان خص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت العابدين او المعبودين ليقولن
الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون من عبادته الى عبادة
غيره وقيله وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ونصبه للعطف على سرهم او على محل
الساعة او لاضمار فعله اي وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ
بالرفع على انه مبتدأ خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع
بتقدير وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم
آيسا من ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا
العذاب الآية وآيها سبع او تسع وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم حم
والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما به والا فللقسم والجواب
قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او
انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم
نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او بما
انزل فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية
انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر
حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل فيها
القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما
اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لان صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كلا اي يفرقه الله
ونفرق بالنون امرا من عندنا اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على
مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او
ضميره المستكن في حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهي وقع مصدرا ليفرق
او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه بمعنى آمرين
او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلنا القرآن
لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب
موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة

ليفرق او امر او رحمة مفعول به اي يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من
عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع
العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وهو
لا يحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف
وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اي ان كنتم من اهل الايقان
في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان
الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق
سواه يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين قرئا بالجر بدلا من ربك
بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان
مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف
بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب يسمي
الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان
الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط الساعة
لما روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال اول الآيات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج
من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن
فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره
او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا
مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف
يتذكرون بهذه الحالة وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار
من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي
لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله
عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من
اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال
اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين يوما فريثما
يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في يوم القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش
البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون
فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش اي نحمل البطشة الكبرى باطشة
بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بالصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم
بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ
بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في

نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم الي وارسلوهم
معي او بان ادوا الي حق الله تعالى من الايمان وقبول الدعوة لان مجي الرسول يكون
رسالة ودعوة اني لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان
الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة
بوحيه ورسوله وان كالاولى في وجوهها اني آتيكم بسلطان مبين علة النهي ولذكر
الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم التجأت
اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او تقتلوني وقرئ عت بالادغام
وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه
ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء
قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء
وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر وقال ان كان الامر كذلك
فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا
بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته
ولا تضربه بعصاك ولا تغيره ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى
لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل
حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها والامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر وعلى تركوا قوما آخرين
ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء
والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء
وكسفت لمهلكه الشمس في نقيضه ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه
ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل
السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف
المضاف او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من
جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان
عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال
من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل
على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين
لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار
قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة
ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية

كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها
حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من
شانها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب
لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك
ذمهم دونه وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وقيل
لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من
قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به
كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا
مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما
بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر
في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من
الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم
الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم
اي ان جزاءهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او ظ للفصل مولى
من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى
الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله
الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من
اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد رحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى
الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة
ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت
تغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم
لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليا مثل غليه خذوه على
ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء
وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم
وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب فوق رؤوسهم
الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق
انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به او تقريعا على ما كان يزعمه وقرأ
الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به
تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع

وابن عامر والباقون بفتح الميم امين يامن صاحبه عن الافة والانتقال في جنات
وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من الماكل
والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او
استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق
من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او
اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء
والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة
يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان
ولا زمان امنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون
فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها او الجنة
والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكانه فيها او الاستثناء للمبالغة
في تعميم النفي وامتناع الموت فكانه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن
ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة
فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا وقرئ بالرفع اي ذلك فضل
ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه
فيتذكرون به لما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون
ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل
تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم
وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض
لايات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على
المضاف اليه باحد الامرين لبرهان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى
غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون محمولة على محل ان
واسمها وقراه حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل
والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة
والكسائي وتصريف الريح ايات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف
على عاملين في والابتداء او ان والابتداء الا ان يضمر في او ينصب ايات على الاختصاص او يرفع
باضمار هي ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات في الدقة والظهور
تلك ايات الله اي تلك الايات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق

بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اي بعد
ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او
بعد حديث الله وهو القران كقوله الله نزل احسن الحديث واياته ودلائله المتلوة
او القران والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح
يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع ايات
الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد
الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها
اي كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من اياتنا
شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك
من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزء والضمير لاياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع
كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها ولم يقتصر على ما سمعه
او لشيء لانه بمعنى الاية من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من
خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله من الاصنام ولهم عذاب عظيم
لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز
اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل
كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون
هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه
حال من ما اي سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما
في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول له لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله
لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون
الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت
في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة باية القتال
ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون
او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان

الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازي
على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية
والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم
ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين
حيث اتيناهم ما لم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين
ويندرج فيها المعجزات وقيل ايات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه
فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة
وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة
ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة
بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اراء الجهال التابعة للشهوات وهم
رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا
مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام
فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اي القران
او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة
من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى
الهمزة انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان
الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيان
في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء
بالنصب على البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان
للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضي للانكار وان كان لهما فبدل او حال من
الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة
كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة او استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف
ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان
كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله
السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق
المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق
لانه في معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسميه ذلك ظلما ولو فعله الله
لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرايت من اتخذ
الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ الهة هواه

هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله
وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا
يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرا حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا
تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التي نحن
فيها نموت ونحيى اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت
بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض او يصيبنا الموت
والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة
اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة
بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى
حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم
الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا
به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او
مبينات له ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا
بابائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم
ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء
قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرره مرارا والوعد المصدق بالايات
دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بابائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا
يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما
يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزين على الركب وقرئ جاذية اي جالسة
على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرا يعقوب
كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول
على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها
اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه
عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم الم ياتكم
رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتكم الاجرام واذا قيل
ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة

لا ريب فيها افراد للمقصود وقرا حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة
اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفي
والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او لنفي
ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل
ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من اباءهم وما تليت عليهم من الايات في امر الساعة
وبدا لهم ظهر لهم سيات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم
في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به و
اضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزاتم بها ولم تتفكروا
فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم لا يخرجون منها
وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا
ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض اذ ظهر فيها
اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه و
اطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله عورته وسكن
روعته يوم الحساب سورة الاحقاف مكية وايها اربع او خمس وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا
خلقا متلبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث
للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل
واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون
ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون
الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال الهتكم بعد تامل
فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء العالم فتستحق به العبادة وتخصيص
الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب
من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم
بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين
في دعواكم وهذا الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ
اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث
في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة
والمضمومة اسم ما يوثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون
احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان
نعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون

يعقلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس
كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال
او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم
بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر
بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار
له وتعجب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله
بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب
من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح
في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وامن
واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره
الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او بتقدير مضاف اي ذا بدع وما ادري
ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اي
يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار
عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين
وما انا الا نذير عن عقاب الله تعالى مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز
ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني
اسرائيل الا انها تعطف ما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن
سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما في التورية من نعت الرسول صلى الله
عليه وسلم على مثله مثل القران وهو ما في التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة
لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا
للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر
بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم
ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اتى به
محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة
واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف
لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم

اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على
الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او منه لتخصيصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه
مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوقيف من الله سبحانه وقيل مفعول لمصدق اي
يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد
الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور
التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق
مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين
فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب
وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون
احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره
وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالضر والضر وقيل المضموم
اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل
عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به
كما نعبر بالامد عن المدة كما قال كل حي مستكمل مدة العمر مود اذا انتهى امده ثلثون
شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان
اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن
اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع
لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل و
استحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب
اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه
لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضيه
نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله عز وجل واصلح لي في
ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
اني تبت اليك عما لا ترضيه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين
نتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن
سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين
في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه بان نتقبل
ونتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره
اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص
السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان

ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي
فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسالانه ان
يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على
ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها
اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل
على انه من اهل النار وقد جب عنه ان كان الاسلام في امم قد خلت من قبلهم كقوله
في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل الحكم على
الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر
او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وهنا جاءت على التغليب وليوفيهم
اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب
وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار
عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم
وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ
بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا
باستيفائها فاستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان
وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار
الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا
اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض ان
لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا
لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت
من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي
فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت
به وما على الرسول الا البلاغ ولكني اراكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق السماء
مستقبل اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي
يأتينا بالمطر بل هو قال هود وهو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل هو ريح
هي ريح ويجوز ان يكون بدلا من ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا
وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فتكون العائد محذوفا او الهاء في ربها

ويحتمل ان يكون استينافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقتضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم في البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هاهنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اوفق واظهر لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة يتقربون بها الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وافكهم اي جعلهم افكين وافكهم اي قولهم الافك اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما سمعوا روي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرا في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله امنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتاكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها كقوله فنسي ادم ولم نجد له عزما وفي سليمن وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين وعيسى لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ بفتح اللام وكسرها من هلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وايها تسع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه ومنعوا الناس عنه وهم المطعمون يوم بدر او شياطين

قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوا من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ وخبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للمجموع والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع

يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا في الدنيا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن والتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر به ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فانه المولى بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار السبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة مثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين

المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمجاز من سوى بين الجنة والنار وهو
على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد
في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من
على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استئناف
لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء
بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة
للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار
تانيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار
والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات
النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع
ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب
غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس
ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف
اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة
فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة
ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له
اذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من
الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في
قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤوا
بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم اي زادهم الله بالتوفيق والالهام
او قول الرسول هدى وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم
جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال
من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط
مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه
قد ظهر اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم
ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة
الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها
وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم
بالدعاء والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف

المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس اخر فان الذنب
ماله تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من
قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا
لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به
رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي
وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او
يؤول اليهم امرهم طاعة وقول معروف استئناف اي امرهم طاعة او طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم
الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف
وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لكان
الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم
او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور
ومقاتلة مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء
بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز
فان بني تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن
يعقوب ان توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد
وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطيع اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم
عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي
ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض
منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها ونكرها
كانها مبهمة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة
بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا
على ادبارهم اي ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل
الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر
من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمني
وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اي كيد

الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ومدّ لهم في الآمال والأماني أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم
كقراءة يعقوب وأملي لهم أي وأنا أملي لهم فتكون الواو للحال أو الاستيناف
وقرأ أبو عمرو وأملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان أو لهم ذلك بأنهم قالوا للذين
كرهوا ما نزل الله أي قال اليهود للذين كفروا بالنبي بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين أو
المنافقون لهم أو أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الأمر في بعض أموركم
أو في بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة في الخروج معهم إن أخرجوا
والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم إسرارهم ومنها قولهم هذا الذي
أفشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص إسرارهم على المصدر فكيف إذا توفتهم
الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضي والمضارع
المحذوف أحد تائيه يضربون وجوههم وأدبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه و
يجبنون عن القتال له ذلك إشارة إلى التوفي الموصوف بأنهم اتبعوا ما أسخط الله
من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان الأمر وكرهوا رضوانه ما يرضاه
من الإيمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فأحبط أعمالهم لذلك أم حسب الذين في قلوبهم
مرض أن لن يخرج الله أن لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين أضغانهم أحقادهم ولو نشاء
لأريناكهم لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها
واللام لام الجواب كررت في المعطوف ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف و
لحن القول أسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل
الكلام عن الصواب والله يعلم أعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات
ولنبلونكم بالأمر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على
مشاقها ونبلو أخباركم ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها أو أخبارهم عن إيمانهم
وموالاتهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء
ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو
إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين
لهم الهدى هم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئاً
بكفرهم وصدهم أو لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه
وتفظيع مشاقته وسيحبط أعمالهم ثواب حسنات أعمالهم أو مكائدهم
التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم ولا تثمر لهم إلا
القتل والجلاء عن أوطانهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب
والرياء والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر إن
الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أهل القليب ويدل بمفهومه على
أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا

إلى السلم ولا تدعوا إلى السلم أي الصلح خوراً وتذللاً ويجوز نصبه
بإضمار أن وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وأنتم الأعلون الأغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم أعمالكم ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل
إذا قتلت متعلقاً له من قريب أو حميم فأفردته عنه من الوتر شبه تعطيل
ثواب العمل وإفراده منه إنما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وإن
تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم وتقواكم ولا يسألكم أموالكم
جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره إن يسألكموها فيحفكم
بطلب الكل والإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى
شاربه إذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم ويضغنكم
على رسول الله والضمير في يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بالنون أو البخل لأنه
سبب الأضغان وقرئ ويخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم ها أنتم
هؤلاء أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا
في سبيل الله استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين
وهي النفقة في الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل
على الآية المتقدمة ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه فإن نفع الإنفاق وضرر
البخل عائدان إليه والبخل يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي
فإنه إمساك عن مستحق والله الغني وأنتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم
فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وإن تتولوا عطف على وإن تؤمنوا
يستبدل قوماً غيركم يقم مقامكم قوماً آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم بالتولي
والزهد في الإيمان وهم الفرس لأنه سئل صلى الله عليه وسلم وكان سلمان
إلى جنبه فضرب فخذه فقال هذا وقومه أو الأنصار أو اليمن أو الملائكة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من
أنهار الجنة

سورة الفتح مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية
وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً وعد بفتح
مكة والتعبير عنه بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك
أو إخبار عن صلح الحديبية وإنما سماه فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين
حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وأدخل في الإسلام خلقاً عظيماً وظهر له
في الحديبية آية عظيمة وهي أنه نزح ماءها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها فدرّت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه أو فتح الروم فإنهم غلبوا على الفرس في
تلك السنة وقد عرف كونه فتحاً للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم وقيل
الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من
حيث إنه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في إزاحة الشرك وإعلاء الدين

وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي
الظلمة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه
ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في
تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة
او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي انزل السكينة الثبات والطمانينة
في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها او انزل فيها
السكون الى ما جاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر
ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما
بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده
لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من
تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخل الجنة ويعذب الكفار والمنافقين
لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال
ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا
عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا
فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح
غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل
مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه
في الدنيا والواو في الاخريين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب
سبب للعن لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية جهنم وساءت مصيرا جهنم
ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك
ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والامة او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه
بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه
بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزائين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته
يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد
فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى

وفي بما بايعه فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء
وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة
الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار
استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل
باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقابلة
قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن
يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال
والاهل وعقوبة على التخلف وقرا حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما ينفعكم
ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان ظننتم ان
المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات
على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك في قلوبكم فتمكن فيها
وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور
والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون بالله تعالى ورسوله صلى
الله عليه وسلم من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم
وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع
الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله
فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة
ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء اذ لا وجوب عليه
ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب
داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي
سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر
ذرونا نتبعكم فانه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست
واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا
كثيرة فخصها بهم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية
ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في
تبوك والكلام اسم للتكليم غلب على الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع
كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيؤهم للخروج الى
خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا
يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى
الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني

رد من الله لذلك وانما نسبهم الى الجهل بامر الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم
بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي
باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة
او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم
او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة
لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم
ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو
الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا
اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد
على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته
ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب هاهنا
انفع من الترغيب لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه صلى الله
عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلاثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان
يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم
من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها
يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم
كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر
وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي
قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم
من الله تعالى بمكان او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية
او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل
لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه او
منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها
موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط
الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء
قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل
مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا

ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة
فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة
من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى
ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح واستشهد به على ان مكة
فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من
مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا
فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا
ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ
والهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه
المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله
عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم
بالمشركين ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطا على حنق
وطء المقيد نابت الهرم وقال صلى الله عليه وسلم ان اخر وطاة وطئها الله
بوج وهو واد بالطائف كان اخر وقعة الرسول صلى الله عليه وسلم بها واصله
الدوس وهو بدل الاشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه
ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤوهم اي تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر
الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل
الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي عن اهل مكة صونا لما فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم
او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او
صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين انزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي انه صلى الله
عليه وسلم لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسالوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة

قالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه
محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان
يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء
بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها
واهلها اي المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسر له لقد صدق الله
رسوله الرؤيا رأى عليه الصلوة والسلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا و
قصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر
قال بعضهم والله ما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه
ملتبسا بالحق فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان
يكون بالحق صفة مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت
على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة
تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا
او النبي لاصحابه آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا
بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم
تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد الحرام او فتح
مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره
على الدين كله ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا
او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما
وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار الدين محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة
ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار
رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف
دينهم ويتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم
ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي
تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلاء من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة
ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور
او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشأن المذكورة
فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل
مستأنف او تفسير او مبتدأ او كزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطا

اشطا الزرع اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر شطأه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها
وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من المؤازرة وهي المعاونة او من الايزار
وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فأزره كأجره في آجره فاستغلظ فصار من الدقة
الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه
بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله
للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في ذكائه واستحكامه او لقوله وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه
غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما
كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مكية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف
المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا
او لا تقدموا فيه فعل من قدم بمعنى تقدم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين
المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان
يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله
بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي
اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على
الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم
بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار
والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به
ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل
المعلل باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط
وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن
قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة
ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة
عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما

اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة
للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل
باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى
فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه
ميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير
للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر
عنهم بجملة مؤلفة من معرفين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول
بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال بالغ في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا
بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء
وفائدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبدا والمنتهى بالجهة
والحجرات بضم الجيم وسكونها وفتحها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط
ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء
النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم
اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند
فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد
اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم
اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان
بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم
حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى
مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها
بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى
يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه
من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب
والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق
النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع
لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله
عليه وسلم بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة
فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد

الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق
والنبا للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل
من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب
تبيينه من حيث هو كذلك لما رتبه على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات
لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان
تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما
فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة
دائر مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان
فيكم رسول الله على حال يجب تغيرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم في الحوادث
ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار
اليه بالايقاع ببني المصطلق ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من
فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة
من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك
هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يتعدى بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة بغضكم
فعدي الى آخر بالى والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما
اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند
الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبب والرشد فضل من الله وانعام والله
عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع
فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى تعدت
عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق
الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان
فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل
هنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس
والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن
وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة
من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم

منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا
الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم
الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله
في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقويكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم
عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص
بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور
وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية
تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم
عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي
ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من
فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا
بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد
دخولهم في الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى
المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وزوجي محمد عليهم الصلوة والسلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا
منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم
كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين
وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم
الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها
ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى
الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس
الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم
بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك
بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل

لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب
ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا
فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ
وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط
منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب
او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما
عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى
رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما
قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء او خلقنا
كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون
تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون
والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ
لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى
بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما
الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم
خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة
ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل
لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة
ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا
اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي
عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا
ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك

النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ
البصريان لا يألتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين
رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب
نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس
حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان
قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في
الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه
لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه
يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب
موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة
الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل
معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم
لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان
فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير
بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من
الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر
والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه
وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو
ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة واضمار
ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف
لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم
وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة
الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد
لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله تعالى عما هو اهون مما يشاهدون

من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا اي أنرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل
على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل
الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجسادهم
وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام
محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او
محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب
محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا
بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر
فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه
شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء
فوقهم الى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج
من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر
في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل
الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا
وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالبر والشعير
والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل
وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع
نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد
علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بلدة ميتا ارضا جدبة
لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم
قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله
وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع
سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير
لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لهم أفعيينا بالخلق الاول أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم
يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الجديد
لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا و
للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن

اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهو ما فيه من تشديد تثبيط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد لقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب او عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم ملاقوه عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبي والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرونه وتعلم ما لا يعلمونه ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او

للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه مكررا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما تستانف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملان جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرا نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرا ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى

الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه
احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم يخشون
خشيته مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله تعالى
بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك
يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا
مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا
في البلاد خرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على
الاول للتسبيب وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من
محيص اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم
في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا
على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى
نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة
لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقائقه او القى السمع اي اصغى لاستماعه وهو
شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره
وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب
واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه
الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول
المشركون من انكارهم البعث فانه من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام
منهم او ما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن
والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن اناء
الليل فسبحه فسبح بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر وقرأ
الحجازيان وحمزة بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
فالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاء
ان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع
لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادي المناد اسرافيل
او جبرئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه
الى الكل على السواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم
الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة

والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال
للعيد انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق
وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم
القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم
بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق
هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة والذاريات مكية وآيها ستون
بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح لانها تذروا التراب او غيره او
النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة
وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحب
الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك
وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر
سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة
مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من
الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرها من اسباب القسمة او الرياح تقسم
الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام
بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب
الافعال اذ الريح مثلا تذروا الابخرة الى الجو حتى ينعقد سحابا فتحمله فتجري به
باسطا له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق وان الدين لواقع
جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة
على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية والدين الجزاء والواقع
الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد من الطرائق المحسوسة التي هي
مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم
فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق
او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك والحبك كالابل والحبك كالجبل والحبك كالنعم
والحبك كالسلك والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة
انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن او في القيمة او امر الديانة
ولعل النكتة في هذا القسم تشبه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات
في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول صلى الله
عليه وسلم او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة
اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر

افك من افك عن القول المختلف وسببه كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم
عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس
عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل
اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون
ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم
على النار يفتنون يحرقون جواب السؤال اي هو يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على
النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا
فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي
كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في
جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل ما
آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم وهو
تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة
اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي
هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم
يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كأنهم
اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور
علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا
الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا
فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن و
الحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء
واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته
وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء
الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة
واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء
رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان
الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء
والارض انه لحق وعلى هذا الضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر
الآيات والرزق والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم
تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف

الوصف لمصدر محذوف اي لانه حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشأن الحديث
وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا
اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم في صورة الضيف
المكرمين اي مكرمين عند الله او عند ابرهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال سلام اي عليكم
سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا
مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي فقال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي انتم قوم
منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه
علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان
عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه وهو مشعر بكونه
حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار
ان قاله حيث ما رأى اعراضهم فأوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه
لظنه انهم جاؤوه بشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله
قيل مسح جبرئيل العجل بجناحه فقام ودرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منه وبشروه بغلام هو
اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم في صرة
صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اولت فاقبلت باخذت فصكت وجهها
فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحياء وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف ألد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال
ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها
المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه قالوا انا ارسلنا
الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسامت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في
الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من
المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل
به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على
من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة
وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الحجارة
او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على
معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين
وهو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى

بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف
وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه
حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرها فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر
وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة
وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد
من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم
ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم
معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم
ما تقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا
قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة
ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون
لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها
فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم
تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل
التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
اني لكم منه اي من عقابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله
بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب
ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة
والثاني على الاشراك كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه
وسلم وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او
مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها
اتواصوا به اي كان الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه
جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع
لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم
بعدما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض
بعدما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكر والموعظة فان الذكرى
تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداد به بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد

ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل
رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به والمراد ان يبين ان شانه
مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل ويكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو
الرزاق الذي يرزق كل مفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين
ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب
لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدونه
من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا سورة الطور مكية واياتها
تسع او ثمان واربعون بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينا وهو جبل
بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طار
من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب
مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله
في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما
تكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب
وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت
المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة
وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص
والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملوء وهو المحيط او الموقد من
قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم
او المختلط من السجر وهو الخلط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه
ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته
وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب
اضطرابا والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف وتسير الجبال
سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل
لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا
يدفعون اليها بعنف وذلك بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم
فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم
بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال

لهم ذلك أفسحر هذا أي كنتم تقولون للوحي هذا سحر أفهذا المصداق أيضا سحر وتقديم
الخبر لأنه المقصود بالإنكار والتوبيخ أم أنتم لا تبصرون هذا أيضا كما كنتم لا تبصرونه
في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم أم سدت أبصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين
قلتم إنما سكرت أبصارنا اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا أي ادخلوها على أي وجه
شئتم من الصبر وعدمه فإنه لا محيص لكم عنها سواء عليكم أي الأمران الصبر وعدمه إنما
تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه
سيين في عدم النفع إن المتقين في جنات ونعيم أي في أية جنات وأي نعيم أو في جنات
ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم إن جعل ما مصدرية
أو في جنات أو حال بإضمار قد من المستكن في الظرف أو الحال أو من فاعل آتى أو مفعوله
أو منهما كلوا واشربوا هنيئا أي أكلا وشربا هنيئا أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي
لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى
هنأكم ما كنتم تعملون أي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
الباء لما في التزويج من معنى الوصل والإلصاق أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا
بسببهن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور أي قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين
وقيل إنه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بإيمان اعتراض للتعليل وقرأ
ابن عامر ويعقوب ذرياتهم للمبالغة في كثرتهم والتصريح بأن الذرية تقع على
الواحد والكثير وقرأ أبو عمرو وأتبعناهم ذرياتهم أي جعلناهم تابعين لهم في الإيمان وقيل
بإيمان حال من الضمير أو الذرية أو منهما وتنكيره للتعظيم أو الإشعار بأنه يكفي في الإلحاق
المتابعة في أصل الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة أو في الدرجة لما روي أنه صلى
الله عليه وسلم قال إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه
ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما ألتناهم وما نقصناهم
من عملهم من شيء بهذا الإلحاق فإنه كما يحتمل أن يكون بنقص مرتبة الآباء أو بإعطاء الأبناء
بعض مثوباتهم يحتمل أن يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام
من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فإن عمل صالحا
فكها وإلا أهلكها وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون أي وزدناهم وقتا بعد وقت
ما يشتهون من أنواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا
خمرا سماها باسم محلها ولذلك أنث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم أي لا يتكلمون بلغو
الحديث في أثناء شربها ولا يفعلون ما يأثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك
مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم أي بالكأس
غلمان لهم أي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه الصلاة والسلام والذي نفسي

بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله قالوا إنا كنا قبل في
أهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة
فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة في المسام
نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد إنا كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه
نعبده أو نسأله الوقاية إنه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بالفتح أي لأنه
الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما أنت بنعمة ربك
بحمد الله وإنعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون أم يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه إذا
قطعه قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي أم
تأمرهم أحلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة
نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون
وأمر الأحلام به مجاز عن أدائها إليه أم هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ
بل هم أم يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن
لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن إن كانوا صادقين في زعمهم إذ
فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للأقوال المذكورة بالتحدي ويجوز أن يكون رد التقول
فإن سائر الأقسام ظاهر الفساد أم خلقوا من غير شيء أم أحدثوا وقدروا من غير
محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه أو من أجل لا شيء من عبادة ومجازاة أم هم الخالقون
يؤيد الأول فإن معناه أم خلقوا أنفسهم ولذلك عقبه بقوله أم خلقوا السموات
والأرض وأم في هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار بل لا يوقنون
إذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله إذ لو أيقنوا ذلك لما
أعرضوا عن عبادته أم عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا
أو خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته الحكمة أم هم المسيطرون الغالبون على
الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا أم لهم سلم مرتقى إلى السماء يستمعون فيه صاعدين
فيه الكلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم
بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم البنون فيه تسفيه
لهم وإشعار بأن من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا أن يكون ممن يترقى بروحه
إلى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب أم تسألهم أجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك أم عندهم الغيب
اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه أم يريدون كيدا وهو كيدهم في
دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون
وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون
هم الذين يحيق بهم الكيد أو يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر أو المغلوبون

في الكيد من كاد به فكونه أم لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان
الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا قطعة من السماء
ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم
بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا
يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرا ابن عامر
وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب
الاخرة وهو عذاب القبر او المواخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين
ولكن اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك
باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونكلاك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة
بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر
وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي
في اعقابها اذا غربت او خفيت وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة الطور كان
حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته سورة النجم مكية وآيها احدى او
اثنتان وستون بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا
فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن
الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه
وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به
الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله تعالى اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا
اوحى اليه بانه يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك يكون بالوحي لا
الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء
الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا
جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورايه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
تعالى عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة
في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير
لجبريل عليه السلام ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول
وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اشعارا بانه عرج به
غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله
من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة

المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل
الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل
وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعني بشديد القوى
كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانه وتدليه جذبه
بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما راى ما راى ببصره من صورة جبريل
او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب
ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقيل ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه
انه صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي وقرئ ما كذب اي صدقه
ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه
من مري الناقة فان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا الكوفيون غير
عاصم ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه من المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه
من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصد
ان غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة
ونصب نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام
في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على
المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق
واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي
شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة
المأوى الجنة التي ياوي اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم
الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي
امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى والله لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى الكبرى من
اياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى
صفة للايات على ان المفعول محذوف اي شيئا من ايات ربه او من مزيدة افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي
فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرا هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب
بالتشديد على انه سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى شجرة لغطفان
كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تانيث
الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا
يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها

لركابها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله نطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرا ابن كثير بالهمز من ضاره اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء يطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من الالوهية او للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموهم بنات وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما تكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله تعالى واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا وكونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي

الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح والرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر وله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفى فنصب بنزع

الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى وان
الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما
في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى
لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل
عنده بفعل الله تعالى على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا
قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ
ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف
الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى
يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول
عليه السلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه عليه الصلوة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفهم ايضا في عبادتها وانه
اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد
الاخرى ارم وقرئ عادا الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرأ نافع وابو عمرو بادغام
التنوين وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وقالون كذلك مع جعل الواو همزة وثمودا عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون
بالتنوين ويقفون بالالف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد
وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه
حتى لا يكون به حراك والموتفكة والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى
بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل واحد والمعدودات وان كانت نعما ونقما
سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا
نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول
صلى الله عليه وسلم نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الازفة دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها
اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الان يؤخرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله
اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث
يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون
لاهون او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة سورة
القمر مكية وآيها خمس وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان

الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم
القيامة ويؤيده الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل
من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان
بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته
فاستحكم او مستبشع من استمر الطعام اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره
وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى
غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى
الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر
على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء
القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء
الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء
وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ
بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها
فما تغني النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير
بمعنى المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم
يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون
واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر
الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر
بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من
قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي
التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما
حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه على صيغة تشبه الفعل وقرئ
خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج
والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه
يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا
نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلى
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم
اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على
ارادة القول مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد
روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر

لقوم فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار
وشدة انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة
فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة
واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله تعالى في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت
وهو ان قدر ما انزل من السماء على قدر ما اخرج من الارض او على امر قدره الله وهو هلاك
قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع
دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح
لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا
ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى ورحمة على امته ويجوز ان يكون
على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد
والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر
اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار
وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم
بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت
في يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا واشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم
دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز
نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله
اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق
بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا
او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم
نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما
رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره
على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة
من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام

ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما
اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر الابلغ في الشرارة
وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم
امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم
ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب
محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف
فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم
صيحة واحدة صيحة جبريل عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس
المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر
المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم
بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا
كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه
عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر
الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل بجناحه صفقة فاعماهم فذوقوا
عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم
بكرة وقرئ غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم
حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستينافا للتنبيه والايقاظ
لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل
يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم
بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز
لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام
نزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون
نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب
او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون
الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولي دبره وقد
وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت

قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم
الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في
ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها
ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا
كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل
يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق
المشهور في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار لما فيه من
النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة
او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر
الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ
وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح
ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء
وبضم النون والهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها
بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه
اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر
وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها
على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب
والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق يسجدان
ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين
ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان
له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا
بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به
من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة
محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع

ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى
انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف
به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من
حيث انها مصدر القضاء والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا
فيه اي لا تعتدوا ولا تنقصوا حقه ان يسوى تجاوز الانصاف وقرئ لا تطغوا على
ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه
ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث
على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل
في تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة
للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات
الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به
كالمكموم وكالجذع والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به
والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من
قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان
اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرأ
حمزة والكسائي والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلب
الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف فبأي آلاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من
صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد
خلق الله تعالى آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالفه ذلك
قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من
الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي
آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف و
مغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان يتجاوران وتتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط
لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض
لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان يخرج من الملح فعلى الاول انما

قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها فان من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأي آلاء ربكما تكذبان مما ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا او غيره كل يوم هو في شأن كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر واني لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤوسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ

وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة حمراء كالوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فتكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي واخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل وقيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس

قبلهم ولا جان لم يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون
وقرا الكسائي بضم الميم فباى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اى في حمرة
الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل
الا الاحسان في الثواب فباى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون
تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فباى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة
وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين
وكذا ما بعده فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة
على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهن خيرات اى خيرات فخففت لان خير الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق
والخلق فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة
ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فباى آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد
يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم
بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى
فباى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه يطلق على ذاته فما ظنك
بذاته تعالى وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ذي الجلال والاكرام وقرا ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الرحمن شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون
بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها
وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون حين
تقع نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب الان واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي
او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا
شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير
لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله تعالى ورفع
اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو ونصبها بالنصب على الحال
اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق
بخافضة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتت حتى صارت كالسويق الملتوت

من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء
منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة وكل صنف يكون او يذكر مع
صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب
المشأمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن
وتشاؤمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون
صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان
السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم
والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير
ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين
سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا
في حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدمو اهل الاديان
هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابي النجم وشعري شعري او
الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم
في الجنة او اعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اى
هم كثير من الاولين يعني الامم السالفة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليهما
وسلم وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقو سائر الامم اكثر من سابقي
هذه الامة وتابعو هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا انهما من هذه الامة و
اشتقاقهما من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة
المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع
متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون
مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب
اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا
يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون اى يختارون ولحم طير مما يشتهون
يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدا محذوف الخبر اى فيها او ولهم حور وقرا حمزة
والكسائي بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب
لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون
حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما ولا نسبة الى الاثم
اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة

على نشر السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر
مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن
اذا اثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين
منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء
مسكوب يسكب لهم اين شاؤوا وكيف شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين
في التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا
بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت ولا ممنوعة
عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير
ولادة ابداء واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا
عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن نافع وعاصم مثله اترابا
فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة
لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على الوجه الاول
خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه
في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحمة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي
ذلك ليمحو ما يتوهم من الظل من الاسترواح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب
وحنث في يمينه خلاف بر فيها ويحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا خصوصا في هذا الوقت كما دخلت
العاطفة في قوله او اباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا في حقهم لتقادم زمانهم
وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق
مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين
لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله
معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة وامثالهم لآكلون من شجر
من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون
التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء تشبه الاستسقاء
جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل
به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد
هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في
قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن

خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او
بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم ما تمنون اي ما تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا
ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وما نحن
بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته ولا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا
غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى معنى اللام وما نحن بمسبوقين
اعتراض وعلى الثاني صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على
ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد
وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه
ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم
تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم بذلك لاجله من المعاصي
فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام بل نحن محرومون قوم حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون
افرأيتم الماء الذي تشربون اي العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب
واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان
كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم
وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما تمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه او الاكتفاء
بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد فلولا
تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التي تورون تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها
ام نحن المنشئون يعني الشجرة التي منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة
في امر البعث كما مر في سورة يس او في الظلام او تذكيرا لنار جهنم وانموذجا لنار جهنم ومتاعا
ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام
من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه
او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح
لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمته او للتعجب من امرهم في غمط نعمه او للشكر على ما عددها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من
ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع
فتحة لام الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع
النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر
لا يزول تاثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها
وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة

ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه
ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة
في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون
من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
من اطهره اذا طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين
صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني
القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي
وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به او تكذبون اي بقولكم في صفة القرآن انه سحر وشعر او في
المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب
لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه ونحن اعلم الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب
الذي هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم غير
مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل
التركيب الذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض
عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم
غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله تعالى وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين في
تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين
اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب
لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اي من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان
من المكذبين الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب
لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها
ان هذا اي الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين فسبح باسم
ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظيم شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا **سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون**
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض ذكر ههنا وفي الحشر وفي الصف بلفظ الماضي
وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه ان يسبحه في جميع
اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا في بني اسرائيل
ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام
وهو معدى بنفسه مثل نصحته في نصحت له اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله تعالى وخالصا
لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد
لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور في له وهو على

على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من
حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو
الاول الذي تبتدئ منه الاسباب وتنتهي اليه المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن
الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم
بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم
يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما
يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون
بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره
مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في
الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق
وتهوين له على النفس فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات
جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه
بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان
والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم
وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا
مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم اي الله او العبد من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسول
والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا
تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا
يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت
المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري
الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف
لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت
الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا
وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره
وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق

في سبيل الله تعالى وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله
قرضا حسنا من الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا
وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان
لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار
المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر
ويعقوب فيضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او
فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم
جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم
من النور والبشرى بالجنان المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل
من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف
او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنوره بين ايديهم
وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل
ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه
يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل
لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين
والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه
الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم
يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو
الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن
عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا او باطنا مأواكم النار هي مولاكم هي اولى
بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم
اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم
او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا واناء وانا اذا
جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يأن روي
ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه
فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر
ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل

انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي
عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان
بطول اعمارهم وامالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت
الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة
او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم
تعقلون كي يكمل عقولكم ان المصدقين والمصدقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد
قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله
قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا
وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم
اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما تقدم غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى
ضمير المصدر الذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي
اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم البالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا
جميع اخبار الله تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل
والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء مثل نورهم
ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من
حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة
حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال
لانها لعب يتعب الناس فيها انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون
به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب
وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا
ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث
فاستوى فاعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان
المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى
فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار
حطاما ثم عظم امور الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك
في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا
سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة
عرضها كعرض السماء والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك

بالطول وقيل المراد به البسطة لقوله فذو دعاء عريض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله
فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما أصاب من مصيبة كجدب وعاهة
في الارض ولا في أنفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوب في اللوح مثبت في علم الله تعالى من قبل
أن نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة أو للارض أو الانفس ان ذلك ان ثبته على الله يسير لاستغنائه
فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أثبت وكتب كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما آتيكم بما أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ أبو عمرو بما أتيكم
من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما
حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع من
التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب
كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن
انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد و
اشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر ان الله الغني لقد أرسلنا رسلنا
أي الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وأنزلنا معهم الكتاب
ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس
بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل أنزل الى نوح عليه السلام ويجوز أن يراد به العدل
لتقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحرب
متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال
الاسلحة في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا أو
اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك
من أراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما أمرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب
الامتثال فيه ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم
وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل
عليهم أرسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على أن الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا
بعيسى ابن مريم أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن
أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه
الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل لانه أعجمي وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية أي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها أو رهبانية
مبتدعة على أنها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس

منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان من خشي وقرئت
بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها
عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله
وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه
دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله تعالى وهو يخالف قوله
ابتدعوها الا أن يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها أو ابتدعوها بمعنى استحدثوها وأتوا
بها أو لانهم اخترعوها من تلقاء أنفسهم فما رعوها أي فما رعوها جميعا حق رعايتها
بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليها
فآتينا الذين آمنوا أتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه أجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع
يا أيها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله
عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله
ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب
للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى
نورهم أو الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم
أي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده أنه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء
أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله أن هي المخففة والمعنى أنه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان
به أو لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في أعظمه وهو النبوة فيخصونها
بمن أرادوا ويؤيده قوله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء
من فضل الله ولا ينالونه فيكون وأن الفضل عطفا على لئلا يعلم وقرئ ليلا ووجهه أن الهمزة
حذفت وادغم النون في اللام ثم أبدلت ياء وقرئ ليلا على أن الاصل في الحروف المفردة
الفتح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل الا العشر الاول مكية وآيها اثنان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي أن خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها
أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت
عليه فاغتمت لصغر أولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر
بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أو المجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج
عنها كربها وأدغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وهشام عن ابن عامر الدال في السين والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين
يظاهرون منكم من نسائهم الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر وألحق
به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل الجاهلية

واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون
من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن
كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم
وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن
الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين
يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد
وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها
فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار في الاسلام
على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره
لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها
او باستباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا
على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالاخر لعموم اللفظ ومقتضى
التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به
لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية
فمن لم يجد اي الرقبة والذي غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان
افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع
عندنا خلافا لابي حنيفة ومالك فمن لم يستطع اي الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله
عليه وسلم رخص للاعرابي المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل في المخرج في الفطرة وقال ابو حنيفة يعطي كل مسكين
نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخريين او لجوازه
في خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اي ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله
لتؤمنوا بالله ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه
في جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير
قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من
المتعاديين في حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا
او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات
تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب بعزهم وتكبرهم
يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا اي على رؤوس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه الله احاط به عددا لم يغب
منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول

نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر
مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم
في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر
والثلثة اول الاوتار او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط
بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل
مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل ولا ادنى ان جعلت لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب
مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه
من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم
ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية
الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا
جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام
على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب
فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا
الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم و
العدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة
اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله الا بمشيئته
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح
فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة
او جهاد او ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله
الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم
درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي
العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر
او استكرهه يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا

قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والنهي
عن الافراط في السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه للندب
او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي
رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت
بدرهم وهو على القول بالوجوب لا تقدح في غيرهم فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه
اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من
الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد
حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر
وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجي فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم بان رخص لكم
ان لا تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ
على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا
الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا
وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون
مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه
كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
وما لا يعلم وروي انه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب
جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه الصلوة
والسلام له علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله
لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل
واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر اي ايمانهم الذي اظهروه جنة
وقاية دون دمائهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين
الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول
عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اي لله
على انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شيء لان
تمكن الكذب والنفاق في نفوسهم يخيل اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب
على الله كما تروجه عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث يكذبون
مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى عليهم من حوذت
الابل وحذتها اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم
الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادون
الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا و

ورسلي اي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز
لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا
آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك
اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من
مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت
فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو
وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب
اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة **سورة
الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون** بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت
في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن
مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا
على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى
قوله والله على كل شيء قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك
او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر اليه
او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم فانهم يحشرون اليه عند قيام الساعة
فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم
تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم
بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم
فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله
وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب
واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا بها على المسلمين
واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية
وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم
استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه
من التكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار

فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على شيء غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث
انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في
الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل
ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من
عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة
الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء
قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة
وجمعها ليان او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ اصلها
اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف
اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليجزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي انه صلى الله عليه وسلم
لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها
فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء
الله على رسوله اي وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقيا بان يكون
له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من
الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب
الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيء بني النضير لان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا
اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم
يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب
في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله
تعالى في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن
سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء
دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان في الجاهلية وقرئ
دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع
على كان التامة اي كيلا يقع دولة جاهلية وما آتاكم الرسول وما اعطاكم من الفيء او من الامر
فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه
فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله شديد العقاب لمن خالفه
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى
اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير الذين اخرجوا من ديارهم و

واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال
مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك
هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين
والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او
تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان
لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار
من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في
انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من
كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة
ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد
الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم في قتالكم
او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وان قوتلتم لننصرنكم
لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم
ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه
دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون
لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني للمفعول
في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان
استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله
تعالى حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم
بأسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا
بل لقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق
عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب
يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا

قبل بني النضير والمهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير لوجود
مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الاخرة كمثل الشيطان
اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه
على الكفر اغراء الامر للمامور فلما كفر قال اني بريء منك تبرا عنه مخافة ان يشاركه في
العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له
ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور
والارتداد وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر كان وقرئ خالدان على انه الخبر وفي
النار لغو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة
سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة كغده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس
فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك
واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك
المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما
ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك
هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا
نفوسهم فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته تمثيل
وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله خاشعا متصدعا من خشية الله فان
الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران لقساوة
قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن
الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه
في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذي لا
اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل
من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه
المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق
المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد
لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء وتوضيحها فعليه
بكتابي المسمى منتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في
السموات والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها

باسرها فانها راجعة الى الكمالات في القدرة والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر سورة الممتحنة مدنية وايها ثلث عشر
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل
مكة كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب
فنزل جبرئيل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة
والزبير والمقداد وابا مرثد رضي الله عنهم وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها
فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ
اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم
من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا ولقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة
بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة
حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى
ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال
من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا
او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب
والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم جهادا
عن اوطانكم في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب
الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استيناف
معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم
وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية
ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم
يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم
والسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم
ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم
حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون
المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم
من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله تعالى لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي
بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء
للمفعول مع التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم
اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان

ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله
كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا
وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء
الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان
استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان يأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها
اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع
استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل
الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع
العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا
فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرطنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان
كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة
تكرير لمزيد الحث على التاسي بابرهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التاسي
بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين و
تبرؤوا عنهم فوعدهم الله تعالى بذلك فانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل
الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء
لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالقسط اي بالعدل ان الله
يحب المقسطين العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابي بكر بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في
الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين
وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن
فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع
على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب
بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن
الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة
والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثاني للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه
ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان بعد بالحديبية

اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا
لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها
عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا
آتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام
المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد
نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسألوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الاية يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير او
جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم
وانفلت منكم شيء من ازواجكم احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة
في التعميم او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه
الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الاية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر
الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت
من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا
جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم
لما فرغ من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في
معروف في حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يامر
الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان
الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او
لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر موضع
الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما
الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما

في الدلالة على المستقر عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض
ونصبه على التمييز للدلالة على ان قوله مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في
المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم
بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر وكان كذا يا قوم
لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من
المعجزات والجملة حال مقررة بالانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد
لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى
الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة
واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له
فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول
من معنى الارسال لا اليكم لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى ديني التصديق بكتب
الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي
هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء
به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان
الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع
موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب اجابة رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم
اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه
والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا
اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت
لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله
يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله
بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على الاديان
كلها ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي
الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر
من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم
ذنوبكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا

وتجاهدوا او هل تعملون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته
لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك
الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة
المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل
اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان
وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه وقد قرئ بالنصب على البدل او الاختصاص
او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا
وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان
وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار
الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية
اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا
كما كان الحواريون من الحوار وهو البياض حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام
فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى
مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه سورة الجمعة مدنية وآيها
احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث
في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون رسولا منهم من جملتهم اميا
مثلهم يتلوا عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من
خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين
من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي
ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم
وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها
وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة
الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره
وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضل الله يؤتيه
من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه
نعيم الدنيا ونعيم الآخرة او نعيما مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل
بها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها او لم ينتفعوا بها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم

يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس
مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا
يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم و
ينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت
الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم
لا تفوتونه لاحق بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع
لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت
العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار
لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو
والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة
ذلكم خير لكم اى السعي الى ذكر الله تعالى خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون
الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا
في الارض اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا
من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله
كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة
فان المراد باللهو الطبل والتصفيق الذي كانوا يستقبلونه به العير والترديد للدلالة على
ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة
اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا
تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من
الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله
خير الرازقين فتوكلوا على الله واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين سورة المنافقين
مدنية وآيها احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود
به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم

لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف
في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا او
صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى ما تقدم من
الكلام اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكور من النفاق والكذب
والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او آمنوا اذا رأوا الآية
ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا
فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها
وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما
فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويسمع الكلام
كأنهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في قولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب
منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع
خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي
وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة
عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون
صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب
قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب
من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون
عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا
واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في
الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم
في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن
المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب
الاعرابي رأسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول وليخرجن بالنون
ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج او
اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه
من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون لفرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين
آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن
ذكره كالصلوة وسائر العبادات الذاكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي

اليها البالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون
لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة
من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل
قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف
على موضع الفاء وما بعده وقرا ابو عمرو واكون بالنصب عطفا على اصدق وقرئ
بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها
اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق
ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق
سورة التغابن مكية الا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم مختلف
فيها وآيها ثمان عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض
بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث
الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال
هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه الى ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه
اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة و
صوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف
الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه
المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظاهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم
ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او
جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم
نبا الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في
الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم
عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور من العذاب والوبال بانه بسبب انه كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا
والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله
عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان بما في حيزه
قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة
وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه بالجملة ظاهر بنفسه مظهر لغيره لما فيه شرحه وبيانه والله بما
تعملون خبير فمجازيكم عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء وقرا يعقوب نجمعكم والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم
بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار

والتجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الاشارة
الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار
وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها
وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع
عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه
نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا
الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا
باس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا
تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك
التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم
بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم
لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم
اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا
في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث
على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او
خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره
ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب
يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل
بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة سورة
الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان
الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة
الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اي وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما
يشبهها للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره
يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه
يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه

اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته حائضا امره عليه الصلاة
والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء
واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت
الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق
لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن
الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج
فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة
في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعذاب لا تدري اي النفس او انت ايها
النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف
فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق
مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا
للتنازع وهو ندب لقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي رضي الله عنه وجوبه
في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث
على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة
اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض
والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل
على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا
وخلفا من وجه لم يخطر باله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز
بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه
وسلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي
ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع
ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد وقرأ حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تاقيت الطلاق
بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي جهلتم فعدتهن ثلثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي
لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات

والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل
هنا بخلافه ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجي ولانه متاخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص
وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول ارجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم
ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له
اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من مسكنكم من وجدكم من وسعكم اي مما
تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن
فتلجؤهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا
يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد
انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف وليامر بعضكم بعضا بجميل
في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتيه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتيها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك
وعده باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر
ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة
وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقق فذاقت
وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا
شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله فاتقوا الله يا اولي الالباب ويجوز
ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا
به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني بالذكر جبرئيل عليه السلام لكثرة ذكره او
لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلى الله عليه
لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال
الوحي اليه وابدل عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او
ذكرا والرسول مفعوله او بدله على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين آمنوا بعد
انزاله اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن
من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا
فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض
مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي
يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط

بكل شيء علما علم الحلول في شرها او بضم بعرها فان كلا منهما يدل على كمال القدرة والعلم عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة التحريم
مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
روي انه صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة
فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية
فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال
من فاعله او استئناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احل
الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
قد شرع لكم تحليلها وهو حلها بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا يحنث
من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا
وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه صلى الله
عليه وسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم
المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا
تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر فلما نبأت به اي فلما اخبرت
حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي
على افشائه عرف بعضه عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام
بعض تكرما او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة
الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب وفي المخفف
بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه
اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة
فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب
من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكره ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه
بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن
يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس
الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة
وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم
يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة
والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف مسلمات
مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات
او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار

بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة
اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب
المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها
وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على
الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل او لا يمتنعون
عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم
تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا
ينفعهم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه
ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة
كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور
او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا
لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك
في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة
وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه
عطف على النبي احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم
اي على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأواهم جهنم
وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في انهم
يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين المؤمنين من النسب بحالهما كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا فلن يغني النبيان عنهما بحق الازواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيمة
النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها
عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله تعالى اذ قالت رب ابن لي عندك ظرف لمثل المحذوف
بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة
وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف
على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ
فيها اي في مريم او الجملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات
ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة

ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها عن عذاب القبر وآيها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصفت به او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرا حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متاملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا

وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة من الكفرة سالهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب واقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم الاعتذار والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرا الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه واليه النشور المرجع فيسالكم عن شكر ما انعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا

اي عظم عليكم حصبا فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى
الله عليه وسلم وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار
على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل في الطيران والطاري عليه ما يمسكهن في الجو
على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن على اشكال وخصائص هياتهن للجري في الهواء
انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى ام لم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا
قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل
عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن
تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدا وهذا خبره والذي
بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور لا معتمد
لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد
ونفور شراد عن الحق لنفور طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب
وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار
ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى
مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله
بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء او الجهة
والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب
من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا كمشي
المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب وبالسوي
البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا هو الذي
يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار
لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما
خلقت لاجلها قل هو الذي ذراكم في الارض للجزاء واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد
اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنونه النبي صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين
والانذار يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما راوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود
زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكابة وساءتها رؤية
العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من
الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن
معي من المؤمنين او رحمنا باخر اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من

من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي
ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق والعلم بان غيره
بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار فستعلمون من هو
في ضلال مبين منا ومنكم وقرا الكسائي بالياء قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا
في الارض بحيث لا يتناوله الدلاء مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر
سهل الماخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء
الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة
فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول
سكونه وكتبه بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة
فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل
فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روي ذلك عن نافع وعاصم
وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى
الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الالة واجرائه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او
لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى
ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الراي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون
والباء لا يمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال
او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة عن خلقه فقالت
كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم
الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول
والمجلود او باي الفريقين منكم الجنون افريق المؤمنين ام فريق الكافرين اي في ايهما
يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على
الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم
على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه
احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودوا
التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودوا لو تدهن
فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفي بعض
المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق
والباطل مهين حقير الراي من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال
للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق
والعمل الصالح معتد متجاوز في الظلم اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم دعي ماخوذ من

زنمة الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها وقيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثماني
عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده في زهرة ان كان ذا مال وبنين
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون
علة للا تطع اي لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرا ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
ان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذب
او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل
بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اي لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع
الغني فكانه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد
جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال لقولهم جدع انفه ورغم
لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا
اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان
لرجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح
او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما
كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال
اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان
شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالا
عينه او لان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان شاء الله واحد او لا يستثنون حصة
المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدا منه
وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى
مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم
لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اي
اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو
للصرام بغدو العدو المتضمن معنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا
وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود
للخفاش الا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد
نهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك هنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت
الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون
فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع
وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اي لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله يتلاومون
وقيل القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اي غدوا الى
جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرمها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا

انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل هي اي بعدما تاملوا وعرفوا انها هي بل نحن محرومون حرمنا
خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون
اليه من خبث نيتكم وقد قاله حين ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا
كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحا لتشاركهما في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري
في ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار
بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت ومنهم من رضي ومنهم من انكر قالوا يا ويلنا
انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقد روي انهم بدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون
العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك
الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا
يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الاخرة او في جوار القدس
جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة
فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم
كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر
من اختلال فكر واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون
ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود
موكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم
في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان
علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم
في هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه
في هذه الايات على نفي جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه الاستحقاق او وعد او محض
تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم
مثل المؤمنين في الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون بالله
يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله
تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت
عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من
ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل
والمفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم
يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته
او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا

الحديث كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالاهمال
وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم
حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما
سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه في صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم
من غرامة يثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم
يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير
نصرك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم
مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة
وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي فتداركه على حكاية
الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار
وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها
المنفية دون النبذ فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل
هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه
اولى وفيه دليل على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو
على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا
بحيث يكادون يزلقون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه
بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني
اسد عيانون فاراد بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان
العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ
نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا
الذكر اي القرآن اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة
في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه
ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها احدى
وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها
او التي تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب
والجزاء على الاسناد المجازي وهو مبتدأ خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء
هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما
ادراك ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها
دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي
تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير
الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة

للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب
وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي
شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها
فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهي
استيناف او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان
هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت
الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم
ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم
حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء
الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب
فانتزعها الريح فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي
والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى
لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ
البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال
ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة
في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك
في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة
نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة
على قدرة الصانع وحكمته وكمال قدرته ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون
العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية
من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير
للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع
اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين
بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور
والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت عن اماكنها
بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان
بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا
لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيامة
وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس
المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب

البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحوانيها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثره
او لكون يحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم
يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة واذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى
باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته
بما شاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس لقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ
تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم وهذا وان كان بعد النفخة
الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى
حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس
كما قال يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض
فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها ها يا رجل وها يا امراة وهاء
يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب
الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت
ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة او جعل
الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة
المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى
بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع
الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة
في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يقول لما يرى من قبح
العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي
متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او ليت هذه الحالة كانت الموتة
التي قضيت علي لانه صادف فيها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول به محذوف
او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت
احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم
وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة
فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة
لتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينها في
الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه

طعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة
فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لانه
اقبح العقائد الكفر بالله تعالى واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب
يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم
ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات
والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القران لقول رسول يبلغه عن الله
تعالى فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
او جبرئيل عليه السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون
تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القران المنافية لطريقة الكهنة ومعاني
اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان
جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم
لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله
الملوك لمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل
اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد
فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا
لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب
المؤمنين به وانه لحق اليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم
تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا **سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون**
بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك
عدي الفعل بالباء والسائل النضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او رسول الله
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت
هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ
سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي
الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين
صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عن نفي به العذاب كان جوابا

والباء على هذا التضمين سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج
ذي المصاعد وهي الدرجات التي تصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون
في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد
مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين
الف سنة من سنين الدنيا وقيل معناه يعرج الملائكة والروح الى عرشه في يوم كان مقداره كمقدار خمسين
الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم
واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل
مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم
كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل في يوم متعلق
بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار
او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبريل وافراده
لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو
متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر
واستبطاء النصر او بسال او بمعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت
الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونريه قريبا
منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اي يمكن يوم تكون او لمضمر
دل عليه واقع او بدل عن في يوم ان علق به والمهل المذاب في مهل كالفلزات
او دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان
الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا
طيرته الريح ولا يسال حميم حميما ولا يسال قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير
ولا يسال على بناء المفعول اي ولا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم
استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من
مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال
كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسال
عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين
فصل عنهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين
او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدي اي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم
عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو
خبر او بدل او للشان ولظى مبتدا خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار
منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المتنقلة
على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الراس تدعو تجذب وتحضر

لقول ذي الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فرعنها وقيل تدعو
زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة
وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد
الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير منوعا يبالغ في
الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة
بعد ما من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة
على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر
الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشية من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها
الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم كالزكوة
والصدقات الموظفة للسائل الذي يسال والمحروم والذي لا يسال فيحسب غنيا فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في
المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغي لاحد ان يامن من عذاب الله وان بالغ
في طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
سبق في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرا ابن كثير لامانتهم اي لا يخونون
ولا ينكرون ولا يخفون ما علموه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد وقرا يعقوب وحفص
بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها
وانافتها على غيرها وفي نظم هذه الآية مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب
الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو فان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان
المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع
كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها
افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له
والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة
ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل
النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوا في منازل الكاملين او استدلال بالنشاة
الاولى على امكان النشاة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد
ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
ان نهلكهم ونات بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم وهو خير منكم وهم
الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ان نهلكهم فذرهم يخوضوا ويلعبوا

حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فسر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين
جمع سريع كأنهم إلى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص
نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع نصب خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك
اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المعارج اعطاه
الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار او بان قلنا
له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا
الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء نظيره وان يحتمل الوجهين يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم
بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا
جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا الى اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم
والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء
على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في
آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر
الي من فرط كراهة دعوتي او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا
على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعي
استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى
وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما
اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة
مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اي مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كان على باطل
فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم
عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله تعالى عنهم القطر اربعين
واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء
والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات
البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال
تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا
عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار
من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان
ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأناهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان

ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده
من آيات الآفاق فقال ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي
في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا
مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا
انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم
انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا
بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبداءة وانها تكون لا محالة
والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن
لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك
سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد
ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه
لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في
الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا
لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن
هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا
تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان
ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع
صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا
تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج
مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك لقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا
بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما
بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود
مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
تعريض لهم باتخاذ الآلهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا اي احدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله
ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرأ احوالهم الف سنة الا خمسين فعرف شيمهم وطباعهم
رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي
منزلي او مسجدي او سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة ولا تزد الظالمين الا
تبارا هلاكا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح
عليه السلام سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي وقرئ احي واصله وحي من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمها ووحي على الاصل وفاعله
انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة
على انه عليه الصلوة والسلام ما راهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها
واخبر الله تعالى به رسوله فقالوا انا سمعنا قرانا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن
نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به
بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما نطقت به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا وقرا
ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله ان لو استقاموا
وان المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام
على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفا على ان ما كان من قولهم فمعطوف
على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان
في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه وهو مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ
جدا بالتميز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطاء ما اعتقدوه
من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا
قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم ان
احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي
قولا مكذوبا فيه ومن قرا ان لن تقول كيعول جعله مصدرا لان التقول لا يكون الا كذبا وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد
هذا الوادي من سفهاء قومه فزادوهم فزاد والجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا
او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق غشيان الشي وانهم وان
الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف
كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي
ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم
جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضي
المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب
او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له
شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين
على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون
ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب

او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من
قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن
نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا
ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا
نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان
من حق الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون
عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد
بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الانس او الجن او كلاهما على
الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق
وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع
القران لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا
شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى الفاء
وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل
المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله
تعالى واراب السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي صلى الله
عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار
بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم
عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه
مجتمعين لابطال الامر وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن
عامر لبدا بالضم جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود
قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم
على مقتي وقرا عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا
او ملتجا الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما
اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه
او الا هو ان لا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان
صلته عن كقوله بلغوا عني ولو اية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه

فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون
في الدنيا كوقعة بدر او في الاخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف
دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا
واقل عددا هو او هم قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون
انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري ما وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى
يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص
الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات
انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الاخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك
من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من
اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد
ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق
علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل
واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجن
كان له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة سورة المزمل
مكية وآيها تسع عشرة او عشرون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل
اصله المتزمل من تزمل ثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل
مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم
تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة
او تحسينا له اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزل
او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا
تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة وداوم عليها وقرئ
بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد
عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين
قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل
والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين
الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان تقوم اقل منه على
البت وان تختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل
فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القران
ترتيلا اقراه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم
ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القران فانه لما فيه
من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه

عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل
على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان
او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة
للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستانف فان التهجد يعد للنفس
ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشا من مضجعها الى العبادة
من نشا من مكانه اذا نهض قال نشانا الى حوص بري نيتها الشرى والصق
منها شرفات التماحد وقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشا
بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها
الاول من نشات اذا ابتدات هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرا ابو
عمرو وابن عامر وطاء اي مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد
من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب
وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها
فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب
بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك
ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد
وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد
نفسك عما سواه ولهذه الرمز ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب
المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدا خبره لا اله الا هو وقرا ابن عامر والكوفيون
غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات
واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين
دعني واياهم وكل الي امرهم فان في غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم
يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا ثقالا تعليل للامر
والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلق كالضريع
والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت
العقوبات الاربع مما يشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس المنهمكة في الشهوات
متى تعلقت بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة
متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن التجلي بانوار القدس فسر العذاب
بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف
لما في لدينا اي الا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل
بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر

انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى عليه السلام ولم يعينه لان المقصود
لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا
من قولهم طعام وبيل لا يستمرأ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون
انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة
هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع
بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على
تأويل السقف او اضمار شيء لشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها
والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول
ان هذه الايات تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب
اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار
الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من
اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان
تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن
تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الاوقات فتاب
عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القران
فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عنها بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها
قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا
بالصلوات الخمس او فاقرءوا القران بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم
مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم
مرتبا عليه وقال واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب
في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون يقاتلون في
سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الزكوة الواجبة
واقرضوا الله قرضا حسنا يريد بها الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخيرات او باداء
الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية
عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل
من كالمعرفة ولذلك يمنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا
الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة **سورة المدثر مكية**
وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس
الدثار روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم

ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل عليه السلام وقال يا ايها المدثر
ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما
متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه
كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر
وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول
دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي
انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر
بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة
على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب
معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك
فطهر من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها
وبحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض
العادات المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون امرا باستكمال
القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه
من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من
الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن
تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر
نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له
ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن
على انه من منّ بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا
يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك
ولوجهه او لامره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين
فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول بمعنى النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي
هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير
ويومئذ بدله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير غير يسير
تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني
ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه
فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف

اي وحيد من خلقه فرد الا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما او
ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه
بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج هو
ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل
كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له
تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد
عليها او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال
كلا انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستيناف
بمعاندة ايات المنعم المناسب لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الاية
في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل
لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى
فكر فيما يخيل طعنا في القران وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره
استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ
في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرا حم السجدة واتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس والجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه
فقعد عليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا
بهذا القول وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس وبسر قطب
وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى
ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر وقوله
ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل من
سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال
من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة
للبشر مسودة لاعالي الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر
ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في

النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم لها ابواب سبع
ست منها لاصناف الكفار فكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من
العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملكا او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها
بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملكا او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع العذاب يتولاه
الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة
اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله تعالى روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة
عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عددهم الا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها
على انه لا ينفك منه وافتتانهم استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد
القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القران لما راوا ذلك موافقا
لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض
المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما
سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي
شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين
ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات
والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم او كيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها
او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع وحمزة ويعقوب
وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اي البلايا
الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف كالتاء كما الحقت قاصعا
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا
للبشر لاحدى الكبر اي انذارا حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر لمحذوف
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من للبشر اي نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن
شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت
رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها
وهو حال من اصحاب اليمين او ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اي يسال بعضهم بعضا او يسالون

غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين
المسؤلين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين
ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في
الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اي وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة
حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن
التذكرة معرضين اي معرضين عن التذكير يعني القران او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة
فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اي اسد
فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيها من الله الى فلان اتبع محمدا صلى الله
عليه وسلم كلا ردع عن اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع
ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره وما يذكرون
الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل
العبد بمشيئة الله وقرأ نافع يذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى
عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة سورة القيامة مكية ايها
تسع وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيامة ادخال لا النافية على فعل
القسم للتاكيد شائع في كلامهم كما قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقد
مر الكلام فيه في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم
النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التي تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت في الطاعة
او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس
برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني
كنت قصرت او نفس ادم عليه السلام فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى المقسم
الى القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم
من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره
به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها
وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها
الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو
اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون
بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون
الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسئل
ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا واستهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر
الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ
بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس

والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن
حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع
الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان
القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين
المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان كلا
ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو
الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل
عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخره
خلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه
شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع
معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
يا محمد صلى الله عليه وسلم به بالقران لسانك قبل ان يتم اليك وحيه لتعجل به لتاخذه
على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرانه واثبات قراءته
في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قراناه بلسان جبرئيل عليه السلام عليك فاتبع
قرانه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل
عليك من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب
وهو اعتراض بما هو توكيد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة
فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول
هذه الايات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه
فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان
علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قراناه فاتبع قراءته بالاقرار
والتامل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون
الاخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان
الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن
عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة
تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس
هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار
لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال

فان الانتظار لا يستعمل بمعناه ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر
لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية
تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر
واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه
مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب
من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق
بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة
الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي
فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب
وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك فان المتبختر يمد خطاه من المط
فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الويل
واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من
الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى
اي يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى
وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن
والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الاخرة
الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين
الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال اخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا
ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى وعنه من قرا سورة القيمة شهدت له وجبريل يوم
القيمة انه كان مؤمنا سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل راونا
بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن
شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة
حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله
انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط
جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع
مني الرجل والمراة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منه مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان
ماء الرجل ابيض وماء المراة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير
علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين
اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا
ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات وهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك

عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل بنصب الدلائل وانزال
الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا
او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل
ووصفه بالشكر والكفر مجازا واما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة
على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما الماخوذ به التوغل فيه انا
اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم
وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن
وقرا نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد
يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده
وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها
كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كاس
على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب
بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو
يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاءوا اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف لبيان ما رزقوه لاجله
كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى
بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره مستطيرا
فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم
واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله تعالى او الطعام او الاطعام مسكينا
ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض
المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة
لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى
اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكروا دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة
لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا
نطلب المكافاة منكم يوما عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس
في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت
ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم
عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن
عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس
فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية
لهما صوم ثلثة ايام ان شفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلثة اصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا

فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا
ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا
مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام فقال خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك متكئين
فيها على الأرائك حال من هم في جزاهم أو صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يحتملهما وأن يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى أن هواءها معتدل
لا حر يحمى ولا برد يؤذي وقيل الزمهرير القمر في لغة طيء قال راجزهم وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس وقمر
ودانية عليهم ظلالها حال أو صفة أخرى معطوفة على ما قبلها أو عطف على جنة
أي وجنة أخرى دانية على أنهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقرئت بالرفع على أنها خبر ظلالها والجملة حال أو صفة وذللت قطوفها
تذليلا معطوف على ما قبله أو حال من دانيته وتذليل القطوف أن تجعل
سهل التناول ولا تمتنع على قطافها كيف شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة
وأكواب وأباريق لا عروة لها كانت قواريرا قوارير من فضة أي تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من
نون سلاسلا وابن كثير الأولى لأنها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي
قوارير قدروها تقديرا أي قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما
تمنوا أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها
المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أي جعلوا
قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان
مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب
الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة
مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء
والمراد به أن ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا
سميت به كتأبط شرا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح
ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من
صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض وإذا
رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام معناه أن بصرك أينما وقع رأيت
نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف
عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف أكثر من ذلك وهو أن تنتقش
نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار قدس الجبروت عاليهم
ثياب سندس خضر وإستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ
ونصبه على الحال من هم في عليهم أو حسبتهم أو ملكا على تقدير مضاف أي وأهل ملك
كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر

بالجر حملا على سندس بالمعنى فإنه اسم جنس وإستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ أبو عمرو
وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ وإستبرق
بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا
أساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله أساور من ذهب لإمكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فإن حلي أهل الجنة تختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم
جزاء لما عملوا بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من الضمير
في عاليهم بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم
ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند
سقيه إلى الله تعالى ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الحسية
والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي
منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الأبرار إن هذا كان لكم جزاء
على إضمار القول والإشارة إلى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى
عليه غير مضيع إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير
مع إن مزيدا لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم
ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي
إليه أو للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم
باعتبار ما يدعونه إليه فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بأنه لهما وذلك
يستدعي أن تكون المطاوعة في الإثم والكفر فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر
غير محظور واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا وداوم على ذكره أو دم على صلاة
الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل يتناولهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل
فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل
من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل
إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم أمامهم أو خلف ظهورهم يوما ثقيلا
شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه نحن
خلقناهم وشددنا أسرهم وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب وإذا شئنا
بدلنا أمثالهم تبديلا وإذا شئنا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة
الأسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء بإذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع وإذا لتحقق
القدرة وقوة الداعية إن هذه تذكرة الإشارة إلى السورة أو الآيات القريبة فمن شاء
اتخذ إلى ربه سبيلا تقرب إليه بالطاعة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وما تشاؤون
ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر يشاؤون بالياء
إن الله كان عليما بما يستأهل كل أحد حكيما أي لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته يدخل من
يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين أعد لهم عذابا أليما نصب
الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها

وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله بأوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في
امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم
ففرقن بين الحق والباطل فألقين إلى الأنبياء ذكرا عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو بآيات
القرآن المرسلة بكل عرف إلى محمد صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والأديان بالنسخ
ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكر الحق فيما بين
العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن
ذلك في جميع الأعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا إلا وجهه
فألقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلا ذكر الله تعالى أو برياح عذاب أرسلن
فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فألقين ذكرا وتسببن له فإن العاقل
إذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال القدرة وعرفا إما نقيض النكر وانتصابه
على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه
على الحال عذرا أو نذرا مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأنذر إذا خوف أو جمعان لعذير بمعنى
المعذرة ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الأولين بالعلة أي
عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين أو البدلية من ذكرا على أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك
والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأ حمزة نذرا وأبو عمرو والكسائي وحفص بالتخفيف إنما توعدون
لواقع جواب القسم ومعناه أن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فإذا النجوم
طمست محقت أو أذهب نورها وإذا السماء فرجت صدعت وإذا الجبال نسفت كالحب
ينسف بالمنسف وإذا الرسل أقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الأمم
بحصوله فإنه لا يتعين قبله أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ أبو عمرو وقتت على
الأصل لأي يوم أجلت أي يقال لأي يوم أخرت وضرب الأجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب
من هوله ويجوز أن يكون ثاني مفعولي أقتت على أنه بمعنى أعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل
وما أدراك ما يوم الفصل ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين أي بذلك وويل
في الأصل مصدر منصوب بإضمار فعله عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه أو صفته ألم نهلك الأولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه
بمعنى أهلكه ثم نتبعهم الآخرين أي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك
فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك
مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من أجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وأنبيائه فليس
تكرارا وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول لعذاب الآخرة
وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب ألم نخلقكم من ماء
مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم إلى قدر معلوم من

الوقت قدره الله تعالى للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك أو فقدرناه فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة ألم نجعل الأرض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت أي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أو مصدر نعت
به أو جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجري على الأرض باعتبار
أقطارها أحياء وأمواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم أو لأن أحياء
الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات أو الحالية من مفعوله المحذوف
للعلم به وهو الإنس أو يحمل على المفعولية وكفاتا بالحال أو الحال فيكون المعنى
بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات
جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم وإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير وأسقيناكم
ماء فراتا بخلق الأنهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بأمثال هذه النعم
انطلقوا أي يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا
وعن يعقوب انطلقوا على الإخبار من امتثالهم للأمر اضطرارا إلى ظل يعني ظل ذي
دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس
الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة
في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك قيل
شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد
لما أوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا إنها ترمي
بشرر كالقصر أي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده أنه قرئ بشرار وقيل هو جمع
قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر
جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كأنه جمالات جمع جمال أو جمالة جمع جمل
صفر فإن الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود فإن سواد الإبل يضرب
إلى الصفرة والأول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط
وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع
جمالة وقد قرئ بها وهو الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون أي بما يستحق فإن النطق
بما لا ينفع كلا نطق أو بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ
بنصب اليوم أي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل
يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على ولا يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار
عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن أوهم
ذلك أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم
والأولين تقرير وبيان للفصل فإن كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين
في الدنيا وإظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب

ان المتقين في الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اي مقولا لهم ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم
الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اي الويل ثابت
لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار
المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم
بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلاة اذ روي
انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها مسبة وقيل
هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به
على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث
بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة
والمعاني الشريفة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس
من المشركين سورة النبا مكية وايها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون اصله عما فحذف الالف كما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون
عنه كانه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم
او يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم
او يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبا العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون
وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك
فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون
تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني
القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم
ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه
الدالة على كمال القدرة ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره وقرئ مهدا اي
لكم كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا
نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها
او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا
غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون
فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا
وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد
الشمس وانزلنا من المعصرات السحاب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح
فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان
تحيض او من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما

جعلت مبدا للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات
ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع
الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به
حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها
ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضر
وخضراء او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان اي كان في علم الله او في
حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا او تنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في
الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روي
انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة
وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي
وبعضهم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع
من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة
بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين
باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان
والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت
وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت ابوابا من كثرة الشقوق كان الكل ابواب
او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب
اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت
مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها
في مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل ومجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منها
واحد وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها
وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها
اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه اخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا
يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا حالا
من المستكن في لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين
الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا اخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب
الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها
حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم
وبالغساق ما يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه
اخر ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا
بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا

انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعّال
بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب لقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او
المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة
او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين
او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كُذّابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة المصدر
اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او صحف
الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب
وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن
على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا
لدات وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي
بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منصوب به نصب المفعول به حسابا كافيا
من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسّابا اي محسبا كالدرّاك
بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء
الرحمن صفته وكذا في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون
منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة
باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد
لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما
يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون
والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق
الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا
قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر
المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمت من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم
فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق
ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود
الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا
في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون
اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار و
بارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها
من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها
اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع
من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط
من برج الى برج تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد ويسبحون في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير
الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاول نزعا والثاني نشطا او صفات النفوس
الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق
النازع في القوس وتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس
فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط
الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات
او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم
للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او
صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج
من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر
اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة
وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض
والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها
وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة
الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي
صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها
الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت
من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة
كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه
فحفرت حفرا وهي حفرة أئذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة
بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص ورويس نخرة وهو ابلغ قالوا تلك اذا
كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون
لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها

فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض
بعدما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب
يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر
خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتيك حديثه فيسليك على تكذيب قومك
ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب
لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان
وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى بأداء
الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله فقولا له
قولا لينا فاريه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه
كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب
وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى
ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة
او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله
نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق
او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او
لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه
الخشية انتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء
فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا
فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها
من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم
وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله والشمس
وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها
بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو في الاصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لانها
حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع
على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم
فاذا جاءت الطامة الداهية التي تطم اي تعلو على سائر الدواهي الكبرى التي هي اكبر الطامات
وهي القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا في صحيفته وكان نسيها من فرط الغفلة او
طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت
لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار
وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر

وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للاخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم
هي المأوى هي مأواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي
وهي فصل او مبتدا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدا والمعاد ونهى
النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هي المأوى ليس له سواها مأوى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو
حيث تنتهي اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم اي ما انت
من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استاثره الله تعالى
بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه انت ذكر من ذكرها اي
علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب
الى ربك منتهيها اي منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو
لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابي عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل
لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها اي عشية يوم
او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرا سورة والنازعات كان ممن حبسه الله في القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة
سورة عبس مكية واياتها احدى واربعون بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه
الاعمى روي ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام
فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم
قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة
للتولي او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك
وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه
احق بالرافة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله
يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان
لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي انك طمعت
في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم
بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن
كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي تعرض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك
باس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما
من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد
له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان
العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه
او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقران او العتاب بالمذكور
وتانيث الاول لتانيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف مكرمة

عند الله مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء
ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله ورسله او الامة جمع سافر
من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله
او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء
عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ
من اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب
عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم
خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل
الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار
بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية و
اللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير
معين في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد
من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه
اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ
الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات او بالكراب واسند
الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة
سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف
به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا
ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب
للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة
اي النفخة وصف بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او الحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتاخير الاحب
فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شان يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة ۵
مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما يرى من المسرة ووجوه يومئذ عليها
غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين
جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر سورة التكوير مكية
وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من
كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها
فذهب انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا
القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى

لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر
او اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق
اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر وقرئ
بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا او اميتت
من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت او
ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان او كل منها بشكلها او
بكتابها وعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموءودة المدفونة حية
وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت
تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس وقرئ سالت اي خاصمت عن
نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال
فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر او لكثرة الصحف او شدة التطاير واذا السماء كشطت
قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير
واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد
واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في
سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده
لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من
جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى النيرين من السيارات
ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي
اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو
من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اضاء غبرته عند اقبال
روح ونسيم انه اي القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة
كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي
وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم حيث
عد فضائل جبريل عليه السلام واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف
اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد رآه ولقد رأى رسول الله جبريل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم
على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بضنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع
وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من
اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفي اللسان
واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم انه

لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن
كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم
بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن
الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم
باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه
الله ان تفضحه حين تنشر صحيفته سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم
اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت
فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل
انه مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او
صدقة واخرت من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان
محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه
صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب
احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه
اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من
قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل
جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك
بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او صرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت
خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل
شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع
عن الاغترار بكرم الله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصل في الاغترار والمراد
بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما تكذبون به
ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم
عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في
القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه
امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله
وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد
كل قبر حسنة سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم
ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة
كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا
سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهر فيهم الفاحشة الا فشا

فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم
القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية
وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا
كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل
كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ
المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعي اثبات
الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن
ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف من تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم
عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده
القراءة بالجر رب العالمين لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم
وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم
اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم
او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب
لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين في مكان وحش وقيل هو اسم مكان
والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالجزاء
بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد
متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك
في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا
قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل
العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى
بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي
عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم
ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص
بل ران باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف
المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر
مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد
الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر كلا ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفي عليين
وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه
او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما
يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على

بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه
بالمسك مكان الطين لعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائي
خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب
المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا
يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب
عينا على المدح او الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني
رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم
وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال
وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم
الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال
من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء
قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة سورة الانشقاق
مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله
تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اي
انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت
وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت
بسطت بان تزال جبالها وآكامها والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت
في الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للاذن
وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء
بما مر في سورتي التكوير والانفطار او لدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه
عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اي جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق
المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتي كتابه وراء ظهره اي يؤتى كتابه بشماله من وراء
ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى لقوله وتصلية جحيم وقرئ
ويصلى لقوله ونصله جهنم انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة انه
ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله
بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة
انه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب
وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه

من الوسقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها
في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن
القيامة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن
بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة
ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له
فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون
لتلاوته لما روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين
وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجدة فانه ذم لمن سمعه
ولم يسجد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اي بالقرآن والله اعلم بما يوعون
بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون
مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله
ان يعطيه كتابه من وراء ظهره سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات
وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد
ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام
في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت
كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق
والخلائق او عكسه فان الخالق يطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفظة
والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله
قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف
كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت
لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في
الارض ونحوهما بناء ومعنى الاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه
غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست
الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان
الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فسأله
الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده
بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة
ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع

ويصلبني ويأخذ سهما من كنانتي ويقول باسم رب الغلام ثم يرميني به فرماه فوقع في صدغه
ومات فآمن الناس فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى
جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وعن علي
رضي الله عنه أن بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال إن الله أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه
فأمر بأخاديد النار وطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير
فأحرق في الأخاديد من لم يرتد النار بدل من الأخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها
بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس إذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به
أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وما نقموا وما أنكروا
منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك
بقوله الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به
ويعبد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب
الأخدود وبعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه إن
بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف إنه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق
ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب
لمن أطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم
في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك أو للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره هل أتاك حديث
الجنود فرعون وثمود أبدلهما من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم
للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في
تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم ورأوا
آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط
بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالإضافة أي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن
وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات سورة
الطارق مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه
وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد
الجنس أو معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه إن كل نفس

لما عليها حافظ أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة
وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما عليها على أنها بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين
جواب القسم فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الإنسان
بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء
دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين
في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها
ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن
تتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ
أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه
وله خليفة وهو النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب
إلى أوعية المني فلذلك خصتا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين وبضمتين وفيه لغة رابعة وهي
صالب إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف
وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه
فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع
ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لأن الله تعالى يرجعه
وقتا فوقتا أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد
بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما تتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات
والعيون إنه إن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله
إنهم يعني أهل مكة يكيدون كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في
استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم
ولا تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات
سورة سبح اسم مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم
ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما
فيه سواء وذكر الأعلى وصفا للتعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى
قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
والذي قدر أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها
وأفعالها وآجالها فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا واختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب
الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته
غثاء أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته
سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا

مع أنك أمي لكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك أيضا من الآيات
وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله السبيلا إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل
المراد به القلة والندرة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي
أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأسا فإن القلة تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر
وما يخفى ما ظهر من أحوالكم وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك إليه من مخافة النسيان
فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي
أو التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وإنه يعلم اعتراض
فذكر بعدما استتب لك الأمر إن نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول
اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين و
استبعاد تأثير الذكرى فيهم أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن
تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول
العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الأشقى الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو الأشقى من الكفرة
لتوغله في الكفر الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فإنه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم أو ما في الدرك الأسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد أفلح من
تزكى تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى من الزكاء أو تطهر للصلاة أو أدى الزكاة وذكر اسم
ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله أقم الصلاة لذكري ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى
تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما
يسعدكم في الآخرة والخطاب للأشقين على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر
في الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء والآخرة خير وأبقى فإن نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له
إن هذا لفي الصحف الأولى الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح فإنه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب
المنزلة صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف الأولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه
الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام سورة
الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم هل أتاك
حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة أو النار من قوله وتغشى وجوههم
النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض
الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها أو عملت ونصبت في أعمال لا تنفعها يومئذ
تصلى نارا تدخلها وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر تصلى من أصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة
حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت إناها في الحر ليس لهم طعام إلا من ضريع يبيس
الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم
والغسلين طعام غيرهم أو المراد طعامهم مما تتحاماه الإبل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن
ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام أحد الأمرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة أو متنعمة
لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل أو القدر لا تسمع يا مخاطب أو الوجوه
وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وأبو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا أو كلمة ذات لغو

أو نفسا تلغو فإن كلام أهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع
والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك أو القدر وأكواب جمع كوب وهو إناء لا عروة
له موضوعة بين أيديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها إلى بعض
وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة أفلا ينظرون نظر اعتبار إلى الإبل
كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال إلى البلاد
النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء
بالأوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز
مع ما لها من منافع أخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي
هي أشرف المركبات وأكثرها صنعا ولأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل
المراد بها السحاب على الاستعارة وإلى السماء كيف رفعت بلا عمد وإلى الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل وإلى الأرض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الأفعال الأربعة
على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون إلى أنواع المخلوقات
من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك
عقب به أمر المعاد ورتب عليه الأمر بالتذكير فقال فذكر إنما أنت مذكر فلا عليك إن لم ينظروا
ولم يذكروا إذ ما عليك إلا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الأصل
وحمزة بالإشمام إلا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر يعني عذاب الآخرة
وقيل متصل فإن جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر إلا من تولى وأصر فاستحق العذاب الأكبر وما
بينهما اعتراض ويؤيد الأول أنه قرئ ألا على التنبيه إن إلينا إيابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على
أنه فيعال مصدر فيعل من الإياب أو فعال من الأوب قلبت واوه الأولى قلبها في ديوان ثم الثانية
للإدغام ثم إن علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا سورة الفجر مكية وآيها تسع
وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح
إذا تنفس أو بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان
الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليالي عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام والشفع
والوتر والأشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق كقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين والخالق
لأنه فرد ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك والبروج والسيارات أو شفع الصلوات
ووترها أو بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا أو بغيرهما فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول
ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا في الدين أو مناسبة لما قبلها أو أكثر منفعة
موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل
إذا يسر إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على
كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة
تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب

اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم
حلف او محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر
عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف
وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد
على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي اوائلهم وهم
عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء الرفيع
او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا
ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى
على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها
على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه
خرج في طلب ابل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها
سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه
منازل كقوله وينحتون بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده
ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
صفة المذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد
بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله
الخلط وانما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض
وقيل شبه بالسوط ما احل بهم في الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة من
العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان
متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعي لها فاما
الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه
والمال فيقول ربي اكرمن فضلني بما اعطاني وهو خبر المبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في
اما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربي اكرمني
وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما
الانسان اذا ما ابتلاه اي بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربي اهانن لقصور نظره
وسوء فكره فان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضي الى قصد الاعداء
والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردع عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول
مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال
به لا يكون اهانة وقرا ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء في الوصل والوقف
وعن ابي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرا ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون
اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين اي بل فعلهم اسوء من قولهم وادل على تهالكهم بالمال

وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم
وتاكلون التراث الميراث واصله الوراث اكلا لما ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان وياكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من
حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وانكار
وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال
والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند
حضور السلطان من اثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء
يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع
كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي
يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى لئلا يناقض ما قبله و
استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت
لحياتي اي لحياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على
استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه
احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله
له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على
بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله تعالى فان
النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته و
تستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد
قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس
قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله
فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين
فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمراة المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي
التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعدت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كان له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية واياتها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام وقيده بحلول
الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله
وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد
ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد
ادم او ابرهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عليه الصلوة والسلام والتنكير
للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان
في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان
لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو

تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان يكابد من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان
يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاسد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه
عشرة فيتقطع ولا تزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي
في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة
او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله
يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا
يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها
وهديناه النجدين طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة
اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في
الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة
او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس
ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك
رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا
جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة
او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه
صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان
عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر
واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او
بموجبات رحمة الله اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبنا
دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم ولتكرير
ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار موصدة مطبقة من
اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة
سورة الشمس مكية وايها خمس عشر بسم الله الرحمن الرحيم والشمس
وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح
والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر
او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها
تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها
يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى
القسمية النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف
بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بناها ومن بناها وانما اوثرت على
من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته

بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها
وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها
وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما
في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما
وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل وهو
جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه
اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى
درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي
هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب
محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود
لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق
واصل دسى دسس كتقضي وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها
او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله
طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى
اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن
سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح
للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي
ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما
حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم
بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك
ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض الابقاء
والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر سورة والليل مكية وايها
احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى
الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين
بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل
نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات
مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي
والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق
ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة
من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية

الى العسر والشدة كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى
هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد
الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى
الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب
الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها
لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لا يلزمها
ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة
وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها
ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتي او
حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد باعطائه مجازاتها الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا
لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والايات نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى
ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اعطاه الله حتى
يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر سورة والضحى مكية وايها احدى عشرة
بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار
يقوى فيه او لان الساعة التي فيها كلم موسى به والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده
قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من
سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم
النهار هنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى
ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل
ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عنه صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في
سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة
عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي
والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته
فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه
من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء
دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة
الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما يستقبل
ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن

عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل ووجدك ضالا
في الطريق حين خرج به ابو طالب الى الشام او حين فطمته حليمة وجاءت بك لترده على
جده فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من
ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس
في وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها
وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل
يتيم وسائل سورة الم نشرح مكية وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا
او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد
ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة
الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت
الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل النبوة او جهله بالحكم والاحكام
او حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم
وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل
ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين
بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان
مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم
والمعنى بما في ان من معنى المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله اتصال
المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر آخر
كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه
قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان
للعهد او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت
من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا
بالنعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلاة
فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسال غيره فانه القادر وحده على اسعافه
وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح
فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني سورة والتين مختلف فيها وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف
سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة

ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس
والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث
لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت
المقدس او البلدان وطور سينين وسينا اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين
اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد به مكة
لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة
وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل
سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو
على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك بعد فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا
بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات
والمعنى فما الذي يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي
فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة
والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام
حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه السورة سورة العلق مكية وآيها تسع
عشرة وهو اول سورة نزلت وقيل الفاتحة ثم هذه بسم الله الرحمن الرحيم
اقرا باسم ربك اي اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي
خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة
من القراءة فقال خلق الانسان او الذي خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة
على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى
نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة والاول مطلق والثاني
للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقال له اقرا وربك الاكرم
الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة
الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم
يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد
سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا
لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع
لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي
ان راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين
لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان
والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا
لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت

ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت مكرر للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان
كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه
جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان
ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان
على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه
وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى امر بالتقوى والناهي
مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره
الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه
الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجيب والتوبيخ ولم يتعرض له في
النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بها واقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او
لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة
وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن
مشددة ولاسفعن وكتبه في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة
للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها
وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها
على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي
فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله
فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو
في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها
زباني والياء معوضة عن التاء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه واثبت انت على طاعتك
واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد
الى ربه اذا سجد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله
سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم
انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة
المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدا
بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه
في فضلها وهي في اوتار العشر الاواخر من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى
اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور
فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه
وسلم ذكر اسرائيليا لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم

اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضل على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلوا صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في المصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها او انها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في المصادر فعلال بالفتح واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر لان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي توري النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اي في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اي ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روي انه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بني مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال بهم لاختلاف شانهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصابه بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال

كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من
ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية في عيش ذات رضى
اي مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت سيأته على حسناته
فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية
ذات حمى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة
سورة التكاثر مختلف فيها واياتها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم
الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لها اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى
زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم
الى ذكر الموتى بزيارة القبور روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد
مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم
التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم
لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل
ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف
تعلمون خطأ رايكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف
تعلمون تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر
والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي
كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب
للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف
اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى
اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار
عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم
لتسئلن يومئذ عن النعيم اي الذي الهيكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم
مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله من حرم زينة الله كلوا من الطيبات
وقيل يعمان اذ كل يسال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الهيكم لم يحاسبه بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرا
الف اية سورة والعصر مكية واياتها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم
بصلوة العصر لفضيلتها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما
يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الناس لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم
في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت
الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به
عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله

ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا
بان ما عداه مما يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر
سورة الهمزة مكية واياتها تسع بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر
كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر في اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على
الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول
وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان
مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم
منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة
للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده
تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه
مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه
لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة
ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر
غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر
لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تالما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشا الاعمال
القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال
مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممددة
مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد واصحابه سورة الفيل
مكية واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب
الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد اثارها
وسمع بالتواتر اخبارها فكانه راها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة
على كمال الله تعالى وقدرته وعزته وشرف رسوله من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة
التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل
اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج
رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي
اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيا للدخول وعبا جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم
برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي
رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره
فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى
الاستفهام الم يجعل كيدهم في تضليل في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم
وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة

من الطير في بضاعتها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ
بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك
كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة
العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله
الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حيوته من الخسف والمسخ سورة قريش مكية وآيها
اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفاء
لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه
لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف فيمتارون ويتجرون
او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف
قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ لالف قريش الفهم رحلة الشتاء
وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم
للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اصابتهم حتى اكلوا الجيف والعظام
وآمنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
طاف بالكعبة واعتكف بها سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم
ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همز الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف
الاستفهام لتسهيل امرها وارايتك بزيادة حرف الخطاب الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام
والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو
ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فساله
يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض
اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء
فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن
يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة
والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ
فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي
قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى ويل لهم وانما وضع المصلين
موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخلق والخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ارايت
غفر له ان كان للزكوة مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد

وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظما من شرب منه وقيل
حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلوة لوجه الله
خالصا خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن
التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة
كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك
اي من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت
فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات
بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر سورة الكافرون مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من
قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل
فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف
ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على
طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة
الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه
قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذي
والاخريان مصدرية لكم دينكم الذي انتم عليه لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا ارفضه فليس فيه
اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من
الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
سورة النصر مدنية وآيها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره
اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد
عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها
المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا
لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن
وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان
على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له
حامدا على نعمه روي انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما
كانت الظلمة تقول حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على
صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسه واستقصارا لعمله واستدراكا لما فرط منك
بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل
استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق

كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله او لانه كان توابا لمن كرمه خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت
قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس رضي الله عنه فقال صلى الله
عليه وسلم ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال
امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت
سورة التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت
والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقيل انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم
فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته
وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما
كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب
كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد
تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه
حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او
مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه
او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب
بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان
حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد
نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقد قرئ سيصلى
بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت
ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك
والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم
بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق
اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها
في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب
جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر
وحبل مرتفع به عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه
وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع
بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه
بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اي الذي سألتم عنه هو الله
اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر

ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الاكرام اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه
الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا
قل مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون
مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم او موادعة لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما
هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه في الحوائج من صمد
اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه
في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف
به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى او الدليل عليها لم يلد لانه لم
يجانس فلم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه
لا يفتقر الى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد ولم يكن له احد يكافئه اي يماثله من صاحبة
وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدم
تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن في كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط
الجمل الثلث بالعاطف لان المراد منها نفي اقسام الامثال فهي كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة
ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء في الحديث انها تعدل
ثلث القرآن فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر
المقصود بالذات من ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول
الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات
ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور
النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن هذا العالم قدر
ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار
تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره
اختياري لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعي كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق
ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا
وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب
دخل ظلامه في كل شيء وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل
وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد
ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ
مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر

رشته في بئر فمرض عليه ونزلت المعوذتان واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضي
الله عنه فجاء به فقرأهما عليه وكان كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة
في انه مسحور لانهم ارادوا به مجنونه بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل
مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف
كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل
ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز
ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية
من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلثة وبالحاسد الحيوان فانه انما
يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة
للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ
سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة
المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة
من الاضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها بالناس
هنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق
عبادتهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك
قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها
واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة
ان له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف
امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه
الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة
المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس
اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمي
بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في
صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا
آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع
على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به
الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى لله الحمد على الاتمام والصلوة والسلام
على خير خلقه محمد واله الكرام وقع الفراغ من كتبة تفسير الكلام المجيد بعون الملك الحميد المسمى
بانوار التنزيل واسرار التأويل من مصنفات المولى المعظم قاضي القضاة الاعظم قدوة الانام امام الائمة

لائمة فخر المجتهدين ومقتدى المحققين خلف المتقدمين وافضل المتأخرين ناصر الحق والملة
والدنيا والدين ابي سعيد عبد الله بن محمد
البيضاوي تغمده الله رضوانه واسكنه
بحبوحة جنانه يوم الثلثاء عند الضحوة
الصغرى ثالث شهر مبارك
ذي الحجة الحرام سنة اثنين
وخمسين وثمانمائة على يد
اضعف عباد الله جرما
واقويهم جرما وارجاهم
الى مغفرته الكريم
[illegible]
حامدا لله
ومصليا
على رسول
الله

صح: عمر

٢